القبورية في اليمن

نشأتها – آثارها – موقف العلماء منها

تأليف فضيلة الشيخ

أحمد بن حسن المعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الـذي بيّن عقائد الأمم الهالكة في محكم الكتـاب، وأبان ما ترتب عليها مـن الشـقاوة والهلاك في الـدنيا والآخـرة ليعتـبر بـذلك أولو الألبـاب، وحـدد بداية الانحـراف نحو الشـرك وأسـبابه لِتُحذَرَ وتُجتَنبَ تلك الأسـباب، وكرّه إلينا الأخذ بسـبل الضالين والمغضـوب عليهم كما نقـرأه صباحـاً ومسـاءً في أم الكتـاب، والصـلاة والسـلام الأتمـان الأكملان على من افتتح رسالته بالدعوة إلى التوحيد، وختم حياته وهو يحذر من الشرك والتنديد، وأسباب ذلك، وخص منها البناء على القبـور على وجه التحديد، صلى الله عليه وسلم، صلاة وسلاماً دائمين مستمرين إلى يـوم الوعيـد، وعلى آله الأطهـار وصـحابته الأخيـار، الـذين فقهوا إشـارته وطبقـوا عبارتـه، فحجبـوا قـبره عن الأنظـار لما خشوا أن يترتب على ظهوره من الفتن والأخطـار، ورضي الله عن خلفائه الذين كانت خلافتهم على منهاج النبوة فما انحرفـوا عنه ذات يمين ولا يسار، وما تخلوا منـه عن قليل ولا كثـير، ولا نقير ولا قطمير.

وكان مما عملوا به بمقتضى منصب الخلافة تسوية المشـرف من القبور، وتفقد المقابر مما قد يسـتجد فيها من أمر منكـور، أو بنـاء معمـور، وتبعهم على ذلك غـالب ولاة الأمـور إلى أن انقضت تلك القرون الفاضلة وتصرمت تلك العصور.

وأشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لاشـريك له؛ شـهادة معـترف بالتقصير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير.

أما بعد: فإن من أبرز أهـداف الـدعوة إلى الله والجهـاد في سبيل الله الحفاظ على عقيدة المسلمين صافية نقية كما جـاء بها رسـول الله ومحاربـة كل مـا يهـدد سـلامتها ويحط من مكانتها.

ولقد قام الصحابة من ذلك بأوفر نصيب، فجاهـدوا في سـبيل الله بأنفسهم وأمـوالهم وألسـنتهم، وتبعهم على ذلك من سـار على منهـاجهم من التـابعين، وتمسك بحبل مـودتهم من اللاحقين، وما زالت الطائفة المنصورة من أتبـاعهم على الحق

ظاهرين، ولمن خرج عن الصراط قاهرين، وستبقى هذه الطائفة قائمة على الحق بإذن الله إلى يوم الدين،لا يضرها كيد الكائدين من المخالفين، ولا خذلان القاعدين من المآلفين، ولقد تنوعت أساليب جهادها وميادين حربها لأعدائها ما بين السيف والسنان والقلم واللسان، وبين جهاد الكفار الظاهرين والمبتدعة والمنافقين، كل بما يليق بحاله ويحقق إزالة منكره وضلاله ممتثلين قول الحق سبحانه: ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** ﴾ [1]، وقوله سبحانه: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ [2]، وبذلك حفظ الله هذا الدين وثبت الإيمان واليقين.

ولكن قضاء الله المبرم وسننه الكونية التي لا تخرم، قضت بانحراف طوائف من هذه الأمة، وأخذها بسنن الأمم الماضية والقرون الخالية في جوانب مختلفة من عقائدها وأعمالها، وكان لكل فرقة حلية وشعار يعرفه من طالع كتب تاريخ العقيدة على تتابع الأعصار، وكان من أبرز شعارات الشيعة الغالية والصوفية الجاهلة التي هي من العلوم خالية - الغلو في الصالحين من الأئمة والأولياء - غلواً حملهم على أن (أخرجوهم من حدود الخلقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق)[3]، ولأجل أنهم قد فارقوا الحياة، ولا يمكن الالتقاء بذواتهم الباليات، عمدوا إلى تشييد المشاهد والقباب لتكون ملجئاً إليه يلجؤون وعليه يعولون،كما صور عبّاد الأوثان صور الأنبياء والصالحين وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل، فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله كما قرر ذلك الإمام الفخر الرازي [4].

ومن منطلق الغلو في البشر تولدت العقائد الضالة، والتصورات المنحرفة، والأعمال الباطلة المراغمة لصرائح آيات الكتاب، وصحيح السنة الذي لا شك فيه ولا ارتياب.

---

[1] التوبة (73) .
[2] النحل (125).
[3] الملل والنحل (1 / 127) .
[4] انظر : مفاتيح الغيب للفخر الرازي (17 / 60) .

ومنذ أن ظهر ذلك الانحراف والعلمـاء لهم بالمرصـاد، ينكـرون تلك الضـلالات، ويقــررون أحكـام تلك البـدع والمنكـرات، بين مصـرح وملمح، ومقل ومسـتكثر،لم يختص بـذلك مـذهب دون مـذهب [1]، أو عصر دون آخـر، وإن كـان يقــوى الإنكـار حينـاً، ويضـــعف حينـــاً آخر على مقتضى الأحـــوال، كما أن القبورية نفسها كانت تسفر عن وجهها حيناً وتتبرقع بالتقية حيناً آخر.

وفي عصرنا هذا، عصر الصحوة المباركة،الـتي أقضت مضـاجع الكافرين، ودوخت جنـود الغـازين المعتـدين، وأشـعرت طوائف الكفر المختلفـــــة؛ أن الجولة القادمة للإســــلام، وأن الخصم الحقيقي للكفر وأهله هم أبنـــاء الصـــحوة ورموزها العظـــام، السائرون على منهج أسلافهم الصالحين الكرام، فصمم الكفار على محاربة هذا الاتجاه. لتمسكه الصـارم بجميع ما تقتضـيه لا إله إلا الله، وأرادوا أن يحل محلهم من يُجَزِّئ ذلك وفق شهوته وهواه، فشجعت دوائر النظام الـدولي الجديد ووكلاؤها في بلاد المسلمين سائر الفرق الضـالة المنتمية للإسـلام على الظهـور والتصــدر والانتشــار في الســاحة الإســلامية،لتكــون البــديل المناسب الذي يمكن التعامل معه باسم الإسـلام،لإلغـاء وجـود العلماء العاملين والدعاة الصادقين، وأتباعهم المخلصين.

ومن تلك الطوائف التي وقع عليها الاختيار الصوفية المنحرفـة، وقد رأينا آثــار ذلك الاختيــار في صــورة دعم مــادي ومعنــوي للطرق الصوفية، ودعاة القبورية المعاصـرين ومنهم رمـوز في اليمن، حيث قد ثبت اهتمام السفارات الأجنبية بأولئك الرمــوز، ومؤسساتهم الدعوية العلمية بل إن بعض السفارات قد قدمت الدعم المادي القوي لبنـاء بعض مشـاريعهم التعليمية وغيرهـا، وبــذلك نشـطت الصــوفية في اليمن نشـاطاً ملحوظـاً، حيث أقـامت الجمعيـات والجامعـات، وأعـادت فتح الأربطة التعليمية القديمة، وأنشأت أخـرى جديـدة، وأسست دور نشر ومكتبـات، لبعث تراثهم الفكري ومنهـاجهم القبـوري، وشـرعت في تجديد وترميم المشاهد والقبـاب، وإعـادة الزيـارات القبورية لسـالف عهدها.

---

[1] ولبيان جهود علماء المذاهب المختلفة في الرد على القبورية ألفت رسائل علمية في جهود كل مذهب على حـده ، هي : "جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية" للدكتور : شمس الدين السلفي الأفغاني ، "وجهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة" للدكتور عبدالله العنقري ، و"جهود أئمة المالكية" للشيخ : عبدالله العرفج ، أما علماء الحنابلة فجهودهم أكثر من أن تحصر في كتاب .

وذلك في نظري تهديد مباشر للعقيدة، وتـوهين للإِتِّبَـاع، وعمل على نشر الشرك والابتداع، فكـان من الـواجب على كل قـادر أن يـذب عن هـذا الـدين، ويـدافع عن عقائد المسـلمين، ومن أنجح هــذه الوســائل حسب اعتقــادي، كشف حقيقة الخصم، وتعرية مبادئه ومناهجه؛ليحذره النـاس، ويتحصـنوا عن الاغـترار بدعوته والوقوع في فتنتـه، فجـاءت هـذه الرسـالة الـتي أكتبها لإتمـام متطلبـات التخــرج في مرحلة الماجســتير وســميتها " **القبورية في اليمن نشـأتها وآثارها وموقف العلمـاء منها** ".

أسباب اختيار الموضوع :

ولقد كان لاختياري هذا الموضوع أسباب منها:

1) ابتغاء الأجر والثواب بالاسهام في تنقية العقيدة مما نسب إليها الانحراف والضلال.
2) رغبـتي الذاتية الملحة في معرفة أسـرار الفـرق القبورية والتأكد مما يقوله النـاس عنها وإقامة الـدليل على ماصح من ذلك من كتب القوم أنفسهم.

3) ما سـبقت الإشـارة إليه من وجـود خطـورة على عقيـدة المسلمين، تمثلها الـدعوة القوية للقبورية وتـزيين مبادئها وأعمالها ونشر كتبها وفكرها، فالقبورية من أقوى معــاول هــدم العقيــدة وزعزعة قواعد التوحيد؛ لــذا وجب بيــان حقيقتها، وكشف مساوئها وتحذير المسلمين من خطرها.

4) أن الــتراث الصــوفي والشــيعي الــذي يُضخ إلى عقــول ونفوس الأمة،لو وصل مباشرة إلى القـارئ دون تعليق أو تنبيه عليه من قبل من يعــــرف حقيقته؛ قد يــــؤثر في النفـوس، لما يشـتمل عليه من شـبهات وتـزيين للباطـل؛ فلــذا لــزم قــراءة ذلك الفكـــر قــراءة علمية وكشف ما يحتـــوي عليه من باطل ثم توعية الأمة به من وجهة نظر أهل السنة،ليكون في ذلك حصانة للقـارىء والبـاحث عن الحق من العوام وأشباههم.

5) أن كثـــيراً من طلاب العلم والـــدعاة يعرفـــون حقيقة القبورية بصــــورة مجملــــة، فهم يبغضـــونها ويحاربونها، ولكنهم يخفقون في بعض الأحيان لعدم المعرفة المفصلة بها، فأردت أن أقدم لهم زاداً يفيدهم في هذا الميدان.

6) أن من يدرس الصوفية " القبورية " في العالم الإســلامي ويمثل بأقوال وأفعال المتصـوفة، لا يكـاد يـذكر مثـالاً عن صوفية اليمن، وكأنه لا يوجد تصوف في اليمن،مغـرق في الغلو والضلال،كما هو الحـال في بقية بلـدان المسـلمين، فــأردت أن أقــدم هــذه المــادة من فكر صــوفية اليمن يستفيد منها الباحثون ويمثلون بها متى شاءوا.

هذه هي أهم الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع، وهي دوافع وجيهة في نظـــــري، إذ لا أهم من التحـــــذير من الشــرك والعمل على حماية التوحيــد، فهــذان الأصــلان هما خلاصة دعوة الرسل عليهم السلام، وأما اعتراض من يقول إن الوقت ليس وقت الردود والصراع داخل الصف الإسلامي، فإن ذلك المعترض عليه أن يوجه هذا اللـوم إلى من ينشر الشـرك والبدع؛ إذ ذلك هو السبب الحقيقي للصراع والـنزاع،كما قـرره القرآن قال تعـالى: **ومن الذين قـالوا إنّا نصـارى أخـذنا ميثـاقهم فنسـوا حظـاً مما ذكـروا به فأغرينا بينهم العـداوة والبغضـاء إلى يـوم القيامة** [1]، قـال قتـادة: **فأغرينا بينهم العــداوة والبغضــاء يــوم القيامة** إن القــوم لما تركـوا كتـاب الله وعصـوا رسـله وضـيعوا فرائضه وعطلوا حدوده، ألقى بينهم العدواة والبغضـاء إلى يـوم القيامة بأعمـالهم أعمـال السـوء ولو أخذ القـوم كتـاب الله وأمـره ما افترقوا ولا تباغضوا [2].

منهج البحث

ولما اســتقر الــرأي على البحث في هـــذا الموضـــوع بعد المشاورة والتباحث مع الكثـير ممن أثق بهم من علمـاء اليمن، وتشجيعهم لي على المضي في هـذا السـبيل، عـزمت متـوكلاً

[1] المائدة (14) .
[2] تفسير ابن جرير (6 / 102) .

على اللـــه، فجمعت ما تيسر من مراجع المتعلقة بالموضـــوع وبالأخص كتب التشيع والتصـوف، وقد حصـلت على بعض كتب الشـيعة وكثـير من كتب الصـوفية اليمنـيين وبـالأخص صـوفية حضـرموت منها المطبـوع وبعض المخطوطـات المصـورة ثم قرأتها وجمعت المـــادة المطلوبة وصـــنفتها حسب ما يخـــدم الموضوع.

وقد اتبعت في كتابتها هذا المنهج:

1) حرصت على إكمـال صـورة الموضـوع بـأن ذكـرت ابتـداء القبورية منذ فجر التـاريخ كما قصـها القـرآن الكـريم، ثم مررت بقبورية اليهود والنصارى واليونان؛ لإخبار النبي ﷺ عن شـبه هـذه الأمة بهم ولوقـوع ذلك فعلاً ثم مـررت بقبورية ووثنية العـرب لإكمـال التقسـيم، وقد أرّخت للقبورية في العالم من كتب التاريخ والتفسـير والحـديث عند أهل السـنة وكذلك القبورية في الأمة وكان كثير من مراجعي هي كتبهم ولكن بواسـطة كتب العلمـاء الثقـات والرسـائل العلمية المعتمدة، مع ذكر المصدر الأصـلي والواسـطة الـتي أخـذت عنها، بالإضافة إلى ما تيسر لي الحصـول عليه من المصـادر الأصلية.
2) أما قبورية اليمن فلم آخذ أقـوالهم إلا من كتبهم أنفسـهم بـدون واسـطة، وقد الـتزمت دقة النقل والحفـاظ على نصوصـهم كما هي، حـتى أنـني أدع كلامهم على ما هو عليه وإن كان فيه أخطـاء، وقد أنبه على بعض الأخطـاء الفاحشة وغير الفاحشة وقد أدع ذلك لإدراك القارئ.
3) هناك نصوص كثير ة لم يلـتزم أصـحابها اللغة الفصـحى ولم يتقيـدوا بقواعد النحو وقد نقلتها كما هي، وإن رأيت شـيئاً منها يحتاج إلى توضيح أوضحته في الهامش.
4) لم أحتجّ من الأحـاديث إلا بحـديث صـححه عـالم معتـبر من علمـاء الحـديث، وأما الروايـات التاريخية فأعتمد منها ما اعتمـده العلمـاء وتنـاقلوه في كتبهم، ولم أرَ من وهَّاهـا أو انتقدها من حيث السند، وهذه الروايات بالطبع لا يبنى عليها حكم، وإنما يستشـهد ويسـتعان بها على تصـوير الموضـوع وتجلية ملامحه.

5) عـزوت جميع الآيـات إلى سـورها، وخـرجت جميع الأحـاديث التي استدللت بها وغالب الأحاديث التي جاءت ضمن النقول عن الآخرين وكافة الآثار التي استدللت بها كذلك إلا ما نـدر، فما كان في الصحيحين أو أحـدهما اكتفيت بعـزوه إليهما مع ذكر موضـعه من الكتـاب والبـاب إضـافة إلى رقم الجـزء والصفحة، وما كان في غيرهما خرجته من عدد من المراجع الـتي يطمئن القـارئ بـالرجوع إليها، مع إيـراد حكم علمـاء الحديث عليها دون أن أبدي رأيي غالباً مكتفياً بحكمهم.

6) شرحت بعض الكلمات الغريبة والمصطلحات الغامضة حيث أرى لـذلك فائـدة، وقد أتـرك بعضـها إما لعـدم الجـدوى من شرحها أو للاختصار وضيق الوقت.

7) لم ألـتزم بـالتعريف بالأعلام جميعـاً وإنما عـرفت بـالأعلام المهمة، أو من له علاقة بالبحث الذي يرد فيه، وأما الصحابة وكبار المؤلفين وأصحاب الأمهات الحديثية، فلم أتعـرض لهم إلا لغـرض خـاص وذلك لشـهرتهم ولئلا أثقل كاهل الرسـالة، وهنـاك جماعة من الأعلام اكتفيت بـذكر تـاريخ وفـاتهم مع الإحالة إلى تراجمهم عند المؤرخين وعلماء التراجم.

8) لقد قصـدت إلى جمع أكـثر عـدد من النصـوص والحكايـات الصـادرة عن القبورية وعرضـها على البـاحثين المهتمين بدراسة القبورية والصـوفية، للاسـتفادة منها في أبحـاثهم ودراستهم، ولم يكن قصدي الدراسة الوافية لتلك النصـوص دراسة عقدية تلزمني بالإسـهاب في المعالجـة، وإنما علقت على بعض تلك النصـوص تعليقـات مـوجزة مناسـبة لهـذا القصـد، ولم أتوسع إلا في مواضع دعت الحاجة إلى التوسع فيها، وأنا أعلم أنني لم أُعطِ البحث حقـه، غـير أني أرجو أن أكون قد وفقت لفتح هـذا البـاب والولـوج في هـذا المسـلك الـذي ظل مهجـوراً لم يقتحم مجاهله أحد حسب علمي بالصورة التي سرت عليها، ولعل الله أن ييسر لي أو لغـيري من الباحثين العودة إلى تلك المباحث والتعمق في دراسـتها وتوسيع نطاقها، لتقديم صـورة شـاملة ومعالجة شـافية لهـا، نصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين، وكشفاً للباطل وإزهاقاً له.

9) لإتمـام الإفـادة وتيسـير الاسـتفادة قمت بعمل فهـارس للرسالة هي:

أ) فهرس الآيات.
ب) فهرس الأحاديث.
ج) فهرس الآثار.
د) فهرس الأعلام المترجمين.
هـ) فهرس المصادر والمراجع.
و)فهرس الموضوعات.

وقد قمت باختصار أسماء بعض المراجع التي يكـثر الرجـوع إليها ومنها:

اســـم المــرجـــع		الاسم المختصر
فتح البـــــــــــــــــــاري	....	الفتح
ســــــــــــــــــير أعلام النبلاء	....	السير
طبقـات الخـواص أهل الصـدق والإخلاص............	....	الطبقات
المشــــــــــرع الـــــــــروي	....	المشرع
القـــــــــــــــاموس المحيط	....	القاموس
كنــــوز الســـــعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية...	....	كنـــــوز السعادة
هجر العلم ومعاقله في اليمن................................	....	هجر العلم
بــذل الجهـود في خدمة ضـريح نبي الله هود...........	....	بــــــذل المجهود
العســـــــجد المســــــــبوك	....	العسجد
قــرة العيــون في أخبــار اليمن الميمون......................	....	قــــــرة العيون
غــــــرر البهـــــاء الضـــــوي	....	الغرر

وكُتُب الشـــــيخ الألبـــــاني صــــحيح الســـــنن (أبي داود،الترمذي،النسـائي،ابن ماجـة) في الغـالب أخـرّج الحـديث

من كتاب السنن نفسه، ثم أقول وصححه شيخنا في صحيحه، أي في صحيح ذلك الكتاب.

خطة البحث :

وعندما عزمت على كتابة رسالة التخرج حسب متطلبات إنهاء مرحلة الماجستير فكرت في الموضوع الذي أطرقه بحيث يكون موضوعاً حياً حاضراً في الساحة، وبحيث تنشر الرسالة وتفيد ولا تبقى على الأرفف ككثير من الرسائل التي كتبت لمجرد الحصول على الشهادة، وقد شاورت في ذلك وباحثت كثيراً ممن أثق بهم من مشايخي علماء اليمن وإخواني طلاب العلم، وكان هذا الموضوع يراود نفسي منذ أمد بعيد فشجعني عليه من شاورته وحفزني على المضي فيه من ناقشته، وعند ذلك توكلت على الله وكتبت هذه الرسالة " **القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها** "

وقد جاءت في مقدمة وتمهيد وخاتمة.

المقدمة وقد أبنتُ فيها أهمية الموضوع والأسباب التي دفعتني لاختياره ومنهجي في البحث وخطة الرسالة.

الباب التمهيدي:

وقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القبورية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القبورية لغة.

المطلب الثاني: تعريف القبورية اصطلاحاً.

المبحث الثاني: خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك وخطورته

المطلب الثاني: الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك.

المطلب الثالث: الغلو في الصالحين هو أصل الوثنية.

المطلب الرابع: كثرة النصوص الناهية عن تعظيم القبور والعلة في ذلك.

المبحث الثالث: هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها.

وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: موازنة الإسلام بين مصالح الأحياء والأموات بالحفاظ على كرامة الأموات وعقيدة
الأحياء.
المطلب الثاني: تعامل الصحابة مع ما عرف من قبور الأنبياء.
وفيه مسألتان:
المسألة الأولى: تعاملهم مع قبر النبي صلى الله عليه وسلم.
المسألة الثاني: تعاملهم مع النبي دانيال علية السلام.حين عثروا على جسده.
المطلب الثالث: كيف تصرف التابعون حين اضطروا إلى توسعة المسجد ليشمل الحجرة النبوية موضع القبر
الشريف في خلافة الوليد بن عبدالملك.
المطلب الرابع: هدي الإسلام في زيارة القبور.
(2) *الباب الأول: نشأة القبورية*
وفيه أربعة فصول:
الفصل الأول: نشأة القبورية في العالم
<u>وفيه أربعة مباحث:</u>
المبحث الأول: نشأة القبورية في العالم بأسره.
وفيه مطلبان:
المطلب الأول: إثبـــات أن البشـــرية كـــانت على التوحيد قبل طروء الشرك.
المطلب الثـاني: إثبـات أن أول شـرك حصل في العـالم كـان بسبب الغلو في الصالحين.
المبحث الثاني: القبورية عند اليهود والنصارى
وفيه مطلبان:
المطلب الأول: القبورية عند اليهود
المطلب الثاني: القبورية عند النصارى.
المبحث الثالث: قبورية اليونان
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: قبورية الأمة اليونانية.
المطلب الثاني: قبورية فلاسفة اليونان.
المطلب الثالث: اتباع قبورية المسلمين للفلاسفة في علة زيارة القبور.

المبحث الرابع: القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية.
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: إثبات أن العرب كانوا على ملة إبراهيم الحنيفية السمحة.
المطلب الثاني: القبورية أصل الوثنية عند العرب.
المطلب الثالث: انتشار الأصنام في جزيرة العرب.
المطلب الرابع: الحنفاء من العرب.
الفصل الثاني: القضاء على الوثنية والقبورية على عهد رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين إلى نهاية القرون الثلاثة المفضلة.
وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: حال جزيرة العرب حين مبعث النبي ﷺ وكيف قضى على الوثنية.
وفيه مطلبان:
المطـلب الأول: حال جزيرة العرب عند مبعث النبي ﷺ.
المطلب الثاني: قضاء النبي ﷺ على الوثنية في جزيرة العرب.
المبحث الثـاني: إنـذار النـبي ﷺ بعـودة الشـرك الى جزيـرة العـرب والـرد على من زعم المنع من عـودة الشرك إاليها مطلقاً.
وفيه مطلبان:
المطلب الأول:الإنذار بعودة الشرك إلى جزيرة العرب.
المطلب الثـاني:الـرد من زعم المنع من عـودة الشـرك إلى جزيرة العرب.
المبحث الثـالث: خلو القـرون المفضـلة من مظـاهر القبورية.
وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: تصـريح العلمـاء بخلو القـرون المفضـلة من وجود المشاهد والمساجد على القبور.
المطلب الثـاني: مايسـتدل به القبورية على وجـود مشـاهد ومبان على القبور في تلك القرون.
المطلب الثـالث: الـرد على مااسـتدلوا به على وجـود مشـاهد ومبان على القبور في تلك القرون.

المـــدخل: وفيه بيـــان نشـــأة العقائد الضـــالة عن الغلو في الصالحين.

الفصل الأول: عقائد القبورية الضالة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القطـب

المطلب الثاني: اعتماد ما تقرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن.

المطلب الثالث: التصرف في الكون أهم وظائف القطب.

المطلب الرابع: فروع عقيدة التصرف في الكون.

المبحث الثـــاني: عقيـــدة الرجعة وإمكانية الاجتمـــاع بالنبي ﷺ يقظة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الرجعة وإثبات أصولها الشيعية.

المطلب الثاني: إثبات اعتقاد قبورية اليمن للرجعة.

المطلب الثالث: في الرد على معتقـدي الرجعة ورؤية النـبي ﷺ يقظة.

المطلب الرابــع: لــوازم هــذا الاعتقــاد وما يــترتب عليه من مفاسد.

المبحث الثالث: الاعتقاد بحياة الخضر والالتقاء به.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الخضرعند أهل السنة.

المطلب الثاني: حقيقة الخضر عند الصوفية..

المطلب الثالث: نماذج من دعاوى الصوفية رؤية الخضر .

المطلب الرابــع: إبطــال دعــوى القــوم ولاية الخضر وحياته ورؤيتهم له.

الفصل الثاني: تعظيم القبور.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اعتقادهم تعظيم قبور مخصوصة.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اعتقاد تعظيم وبركة مقابر مخصوصة.

المطلب الثاني: اعتقادهم بركة قبور معينة بركة عامة.

المطلب الثالث: اعتقادهم استجابة الدعاء عند بعض القبور.
المطلب الرابع: اعتقادهم قضاء الحوائج لدى بعض القبور.
المطلب الخامس: اعتقادهم أن بعض القبور أمان للخائفين.
المطلب السـادس: اعتقـادهم أن بعض القبـور متخصصة في قضاء حاجات معينة.

المبحث الثاني: ظاهرة البناء على القبور وإلباسها.

وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: القبور المعظمة الثابتة لأصحابها.
المطلب الثـاني: القبـور المنسـوبة إلى الأنبيـاء, والقبـور المجهولة.
المطلب الثالث: طريقة القـوم في اكتشـاف القبـور المعظمة وإظهارها.
المطلب الرابع: الأنصاب والمشاهد التي لا قبور فيها.
المطلب الخامس: إلباس القبور وكسوتها.

المبحث الثالث: الزيارات القبورية.

وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: زيارة القبور عند القبورية وأصلها الفلسفي.
المطلب الثاني: ظاهرة الزيارات القبورية.
المطلب الثالث: شعائر الزيارات القبورية.
المطلب الرابع: الفساد الأخلاقي في الزيـارات وصلته بالعقائد القبورية.
المطلب الخـامس: الانحـراف العقـدي المـترتب على تلك الزيارات.

الفصل الثـالث: أثر القبورية في نشر الأمـراض الاجتماعية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر القبورية في نشر السـحر والكهانة في اليمن.

وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: إثبات أن من الصوفية (القبوريـة) من يتعـاطى علوم السيميا وأسرار الحروف والأوفاق والرمل.

المطلب الثاني: إثبات أن من صوفية اليمن من يتعاطى تلك الأنواع من العلوم.
المطلب الثالث: إثبات أن منهم من يستخدم الجن.
المطلب الرابع: إثبات أن علوم السيميا وأسرار الحروف والأوفاق من علوم السحر.
المطلب الخامس: تعريف الرمل. وأنه من الكهانه وبيان حكمه شرعاً.

المبحث الثاني: نشر الخرافة في الأمة.

وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: في تعريف الخرافة.
المطلب الثاني: الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الولاية.
المطلب الثالث: الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الكرامة.
المطلب الرابع: آثار انتشار الخرافة.

المبحث الثالث: التمايز الطبقي مظاهره ووسائل تكريسه.

وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: عدالة الإسلام وتسويته بين الناس.
المطلب الثاني: إثبات وجود طبقات مترفعة على المجتمع باسم النسب والعلم والولاية.
المطلب الثالث: مظاهر التمايز الطبقي.
المطلب الرابع: نماذج من الخرافات التي استخدمها القبورية لتعميق سلطتهم واستعلائهم.

المبحث الرابع: انتشار الجهل والأمية في الأمة.

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: حال اليمن قبل انتشار التصوف من الناحية العلمية.
المطلب الثاني: أثر انتشار التصوف في انحسار العلوم الشرعية.
المطلب الثالث: تجهيل الأمة.

الباب الثالث: مواجهة علماء اليمن للقبورية.
وفيه فصلان:

الفصل الأول: أســــــــــاليب القبورية في محاربة مخالفيها.
وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: أسلوب الاحتواء والاختراق.
وفيه مطلبان:
المطلب الأول: محاولة احتواء المخالف.
المطلب الثاني: محاولة اختراق صفوف المخالفين وبث الفتنة في أوساطهم.
المبحث الثاني: الإرهـاب الفكـري من أقـوى أسـلحة القبورية.
وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تربية المجتمع على التسليم المطلق لأوليـائهم وأقطابهم.
المطلب الثاني: استخدام الخرافة والشعوذة والاستعانة بالجن لإرهاب المخالف.

المبحث الثالث: استخدام القوة في محاربة الخصم.
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: اللجوء إلى السلطان.
المطلب الثــاني: اللجــوء إلى القبائل المســلحة وحملها على إخضاع خصومهم.
المطلب الثالث: اعتماد التصفية الجسدية للخصوم.
المطلب الرابع: تشويه صورة الخصم بالإشاعات الكاذبة.
الفصل الثـــاني:موقف علمـــاء اليمن من القبورية وبيان جهودهم المشكورة في مواجهتها
وفيه تمهيد وأربعة مباحث:
التمهيد: في حفظ الله لهذا الدين بواسـطة العلمـاء رغم المكائد.
المبحث الأول: موقف علمــاء اليمن من القبورية الإسـماعيلية وجهودهم المشكورة لمواجهتها.
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: موقف العلماء اليمنيين من الإسماعيلية.

المطلب الثـاني: أبـرز الأعلام الـذين واجهـوا الإسـماعيلية من علماء اليمن.
المطلب الثــالث: المؤلفــات اليمنية في الــرد على الباطنية الإسماعيلية.

المبحث الثــاني: المواجهة العلمية لعلمــاء الجهــات اليمنية المختلفة لعموم القبورية.

وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: جهود علماء اليمن الأعلى (صنعاء وما يليها).
المطلب الثــاني: جهــود علمــاء اليمن الأســفل (من إب إلى عدن).
المطلب الثالث: جهود علماء تهامة في مواجهة القبورية.
المطلب الرابع: جهود علماء حضرموت في مواجهة القبورية.

المبحث الثالث: الردود الواردة في ثنايا كتب الفنون المختلفة.

وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: ردود في كتب التاريخ.
المطلب الثـــاني: ردود على القبورية جـــاءت على ألســـنة الشعراء.
المطلب الثالث: نقول عن بعض من يعتقدهم القبورية في نقد بعض عقائد وأعمال القبورية.
المطلب الرابــع: فتــاوى وبيانــات جماعية للتحــذير من عقائد وأعمال القبورية.

المبحث الرابع: الجهود العملية لمواجهة القبورية.

وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: أثر دعــوة الشــيخ محمد بن عبــدالوهاب في اليمن
المطلب الثاني: دعوة الإرشاد بإندونيسـيا وأثرها على القبورية على القبورية في اليمن.
المطلب الثالث: جهود أئمة وعلماء اليمن الأعلى في المواجهة العملية للقبورية
المطلب الرابع: الجهـود العملية المختلفة الـتي قـام بها أنـاس مختلفون في سائر أنحاء اليمن.

شكر وتقدير

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أشكر الله تعالى على مننه العظيمة ونعمه الجسيمة، التي من أعظمها عليّ إتمام هذه الرسالة بهذه الصورة، فله سبحانه جزيل الحمد والشكر.

ثم إنني أثني بشكر كل من أعان برأي أومشورة أو تصويب خطأ أو دلالة على حق في كافة مراحل عملي، وهم كثر لا تتحمل هذه المقدمة ذكرهم، ولكن أخص بالشكر شيخي الجليل العلامة حسن ابن محمد مقبولي الأهدل الذي تفضل مشكوراً بقبول الإشراف على الرسالة ولم يبخل عليَّ بنصحه وتوجيهه، كما لم يبخل عليّ بوقته الثمين فجزاه الله خير الجزاء، وأشكر كذلك صاحبَي الفضيلة أ.د0 إبراهيم بن إبراهيم القريبي رئيس قسم الدراسات بكلية التربية جامعة الحديدة، وأ0د0 غالب ابن عبدالكافي القرشي الأستاذ بكلية الشريعة جامعة صنعاء عضو المجلس الاستشاري وزير الأوقاف والإرشاد سابقاً على تفضلهما بقراءة الرسالة وإبداء الملاحظات القيمة عليها وتصويب بعض أخطائها ومناقشة ذلك فجزاهما الله خير الجزاء، كما أشكر فضيلة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن عبدالله بكير لتعاونه الكبير معي وإمدادي ببعض ما أحتاجه مما لديه من علم ومصادر ومعرفة بتاريخ حضرموت، وكذلك فضيلة الشيخ العلامة علي سالم سعيد بكيّر الذي أمدني بعدد من المصادر ما كنت لأحصل عليها إلا من طريقه، وكذلك أمدني بالكثير من الآراء والملاحظات القيمة.

ومثله القاضي العلامة إسماعيل بن علي الأكوع الذي رجعت إليه كثيراً فيما يتعلق بتاريخ اليمن وأعلامها، كما أشكر الأخ الأستاذ وليد بن عبدالرحمن الربيعي الذي حصلت بواسطته على مصورات لعدد من المراجع المخطوطة والمطبوعة النادرة.

كما أشكر الولد البار والصهر الوفي حسين بن علي بن محفوظ الذي لازمني طوال عملي في الرسالة وقام بجهود مشكورة في الطباعة والمراجعة وغير ذلك، وكذا أشكر الأخ الكريم عبدالله بن علي بارجاش الذي تولى طباعة معظم الرسالة، فلهما خالص الشكر ومن الله جزيل الأجر.

وإن أنسَ فلن أنسى شكر شيخي الجليل وأستاذي الفاضل **أبي عبدالله حسن باعمر العمودي** الذي غرس في نفسي حب التوحيد والاتباع، وكرَّه إليّ الخرافة والابتداع، وأخذ بيدي منذ نعومة أظفاري إلى مجالس العلماء ويسر لي التعرف على المشايخ الفضلاء، ومازال يتعهدني ويتفقد أحوالي إلى اليوم، وما أحسب هذا العمل إلا ثمرة من ثمار غرسه المبارك،أسأل الله أن يجزيه خير ماجزى معلماً عن تلميذه.

كما أشكر الإخوة الكرام والأبناء الأعزاء الذين تفرغوا معي أياماً متوالية يواصلون الليل بالنهار بالتصحيح والمقابلة وإتمام الطباعة، برئاسة الشيخ الكريم أبي مروان صالح بن مبارك دعكيك، فجزاهم الله خيراً وكتب ذلك في ميزان حسناتهم، وأجرى عليهم من أجر هذه الرسالة إن قبلها وأثاب عليها.

ولا أنسى شكر رئاسة الجامعة الوطنية وعمادة الدراسات العليا بها، وكافة المنتسبين إليها على إتاحة الفرصة لي، وقبولي طالباً من طلاب الجامعة، وتقديم كافة التسهيلات، حتى يسر الله لي إتمام الرسالة ومناقشتها فجزاهم الله خيراً ووفقهم للمضي في خدمة الأمة..،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباب التمهيدي

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول

تعريف القبورية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:تعريف القبورية لغة:

القبورية لغة جمع قبوري وهو مصدر صناعي صيغ بإضافة اسم مجموع " قبور " إلى ياء النسبة المردوفة بالتاء.

وقد سَوَّغ نسبته للجمع - مع أن له واحداً مستعملاً من لفظه- أنه صار (جارياً مجرى العلم لاختصاصه بطائفة بأعيانهم كأنصاري نسبة إلى الأنصار،وأصولي نسبة إلى علم الأصول؛ لأنه غلب على علمٍ خاص حتى صار كالعَلَم عليه)[1].

وبذلك يكون إطلاق هذا اللفظ على مقدِّسي القبور والغلاة فيها سائغاً؛لأنه قد صار كالعلم عليهم. وأصل القبورية مأخوذ من " القبر " وهو مدفن الإنسان إذا مات0وجمعها قبور0 والمقبرة: موضع القبور0وجمعها مقابر.وقبرت الميت قبراً إذا دفنته، وأقبرته " بالألف" أمرت أن يقبر أو جعلت له قبراً[2].

المطلب الثاني:تعريف القبورية في الاصطلاح:

دأب العلماء – رحمهم الله تعالى - على إطلاق وصف " القبورية " على الغلاة في تعظيم القبور وتقديسها والاعتقاد فيها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى وقصدها بأنواع العبادات والقربات ودعاء أربابها من دون الله تعالى.

وسأنقل لك طائفة من عباراتهم في ذلك وأكتفي بجماعة من علماء اليمن: فمنهم العلامة البدر محمد بن إسماعيل الأمير - رحمه الله – [3]حيث قال في كتابه الشهير "تطهير الإعتقاد عن أدران الإلحاد": (والنذر بالمال على الميت ونحوه، والنحر عل القبر،والتوسل به،وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت

---

[1] انظر شرح التصريح على التلويح للشيخ خالد الأزهري (2/336) طبع دار الفكر بيروت، وهمع الهوامع للسيوطي (2/197) طبع سنة 1327 هـ بعناية محمد بدر الدين النعساني.

[2] مادة " قبر" في لسان العرب لابن منظور طبع دار الفكر الطبعة الأولى سنة(1410هـ - 1990م)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي طبع مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية (1407هـ-1987م) .

[3] انظر ترجمته (ص)

تفعله الجاهلية،وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله **القبوريون** لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً والأسماء لا أثر لها ولا تُغيّر المعاني).[1]

ومنهم العلامة حسين بن مهدي النعمي[2]- رحمه الله – في كتابه " معارج الألباب في مناهج الحق والصواب " ذكره بلفظ القبوريين فقال: (والمشروع فيها - زيارة القبور – إنما هو تذكر الدار الآخرة والإحسان إلى الميت المزور بالدعاء والترحم، والاستغفار، وسؤال العافية. فقلب القبوريون الأمر وعكسوا وعاكسوا مقاصد الشرع، وجعلوا المقصود بالزيارة: الشرك بالميت،والدعاء به، وسؤاله الحوائج، واستنزال البركات، والنصر على الأعداء0 فأساءوا إلى أنفسهم وإلى الميت0)[3] الخ.

ومنهم شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني [4]-رحمه الله- أطلق هذا اللفظ في "نيل الأوطار" حيث قال في كتاب الجنائز: (وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشك معه أن كثيراً من هؤلاء **القبوريين** أو أكثرهم إذا توجهتْ عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكّأ،وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة)[5]الخ.

---

[1] تطهير الاعتقاد ص (37) ضمن مجموعة رسائل في التوحيد قام على طبعها القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني،طبع دار الفكر ببيروت الطبعة الأولى (1403هـ- 1983 م) ، وقد كرر هذا المصطلح في الصفحات (40 ، 42 ، 43 ، 44 ، 45 ، 47 ، 50 ، 51) كما أطلقه في كتابه " الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف" ص (47 ،57) حققه مجموعة من طلاب العلم بإشراف الشيخ حسن بن علي حسين عواجي الطبعة الأولى (1417 هـ – 1996م) .

[2] انظر ترجمته: ص ( )

[3] معارج الألباب في مناهج الحق والصواب تحقيق محمد حامد الفقي وتخريج علي بن حسن بن عبدالحميد طبع دار المعرفة بالرياض الطبعة الرابعة (1407هـ-1987 م) ص (140) وكرر مثل ذلك في ص (153، 218) .

[4] انظر ترجمته ص ( ) .

[5] 5 نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام الشوكاني (4/95) طبع مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة بدون تاريخ .

وقـال في كتابه " الـدر النضـيد" وهو يتكلم عن حكم التصـوير: (فـــانظر إلى ما في هـــذه الأحـــاديث من الوعيد الشـــديد للمصورين لكونهم فعلـوا فعلاً يشـبه فعل الخـالق،وإن لم يكن ذلك مقصـوداً لهم،وهـؤلاء **القبوريـون** قد جعلـوا بعض خلق الله شريكاً له ومثلاً ونداً، فاستغاثوا به فيما لا يسـتغاث فيه إلا بالله، وطلبوا منه ما لا يطلب إلا من الله،مع القصد والإرادة)[1].

ومنهم العلامة السلفي الشيخ محمد بن علي بافضل[2] - رحمه الله – في كتابه "دعوة الخلف إلى طريقة السـلف" فقد قـال: (أما استغاثة القبوريين بمن يعتقدون صلاحه من المـوتى فغـير جائزة شرعاً وعقلاً، بل هو شرك ينبغي التنبيه عليه وإنكاره)[3].

بعد هذه النقول التي مـرَّت بنا يتضح لنا أن العلمـاء يطلقـون لفظ القبـوريين،ومثله القبورية على الغلاة في أربـاب القبـور الـــذين يعتقـــدون فيهم النفع والضـــر، ويطلبـــون منهم حاجـاتهم،ويلـوذون بهم عند خـوفهم،ويقـدِّمون لهم أنواعـاً من العبـــادات والقـــرابين كالـــدعاء، والنذر،و الـــذبح، والحلف بهم.ويتلخص من ذلك أن القبورية عند العلمـــــاء هم:**(طائفة غَلَت في أصحاب القبور واعتقدت فيهم عقائدَ ضـالة حملَتها على تعظيم قبورهم وآثـارهم والتقـرّب إليها بأنواع من العبادات حتى صيَّرتها أنداداً لله تعالى).**

---

[1] الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص (63) طبع دار ابن خزيمة الطبعة الأولى عام (1414هـ) ، وقد كرر ذلك الوصف حوالى عشر مرات في ذلك الكتاب.

[2] انظر ترجمته ص (   ) .

[3] دعوة الخلف إلى طريقة السلف ،طبع مطابع النصر الحديثة بالرياض بدون تاريخ وكرر ذلك الوصف أيضاً (ص237) .

المبحث الثاني

خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك[1] وخطورته:

إن أعظم انحراف وقع في تاريخ البشرية هو الإشراكُ بالله،وعبادةُ غيره معه، ولذلك كانت أعظم غاية من إرسال الرسل هي إزالة الشرك**،**وإعادة الناس إلى التوحيد:قال تعالى: **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** [2]،وقال تعالى: **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** [3]، وقال الرسول : **((بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقومٍ فهو منهم))**[4]، فهذه

---

[1] الشرك هو : أن يعتقد في غير الله أنه يضر أو ينفع ، أويقدر على ما لايقدر عليه إلا الله تعالى ودعاء غير الله في الأشياء التي تختص به ، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه ، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه . وانظر : الدر النضيد للشوكاني ص (70) .

[2] النحل (36).

[3] الأنبياء(25).

[4] رواه أحمد في المسند(7/121 – 122) رقم (5114- 5115)، بتحقيق أحمد شاكر، طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية عام (

النصــوص صــريحة في أن أعظم غاية من إرســال الرسل هي إزالة الشــرك، وإعــادة النــاس إلى التوحيد ومــاذاك إلا لقبح الشرك، وعظيم خطره على العباد في دنياهم وآخرتهم.

وتظهر تلك الخطورة من أوجه عدّة:-

الوجه الأول - أنه ســـبب هلاك كثـــيرمن الأمم في الدنيا:كما قال تعالى: ﴿ **قل سيروا في الأرض فـانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين** ﴾[1]، فقد ختمت الآية بقوله تعالى:﴿ **كان أكثرهم مشـركين** ﴾ لبيان السـبب الـذي أورد تلك الأمم هـذه العاقبة السـيئة،وذلك السـبب هو شـركهم باللـه تعـالى تعالىقـال ابن جرير[2]: ﴿ **كان أكــثرهم مشــركين**﴾ يقــول: فعلنا ذلك أي الهلاك بهم لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم)[3].

وقـال ابن الجـوزي [4]: (﴿ **كـان أكـثرهم مشـركين** ﴾ المعـنى فأهلكوا بشركهم[5]).

1391هـ- 1971م) ،وصححه أحمد شاكر كما صححه الشيخ الألباني في الإرواء (5/109-110) (رقم 1269) طبع المكتب الإسلامي ط الثانية (1405هـ - 1985م) . .

[1] الروم (42) .

[2] هو شيخ المفسرين وعمـدتهم الإمـام العلم المجتهد محمد بن جرير بن يزيد الطبري صـاحب التصـانيف البديعة والمـذهب الفقهي المسـتقل ، قـال عنه الذهبي : (كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصنيف قـلّ أن تـرى العيون مثله) ولد سنة (224هـ)و تـوفي سـنة(310هـ) رحمه للـه،انظر تهذيب الأسماء واللغات للإمام يحي بن شـرف النـووي (1/78) طبع دار ابن تيميه بالقاهرة (1410هـ- 1990م) والسير للإمـام شـمس الـدين الـذهبي(14/267-282) طبع دار الرسـالة بـيروت (الطبعة الأولى 1409هـ-1988م)

[3] تفسير الطبري المسمى " جامع البيان في تأويل القرآن " (21/33) دار المعرفة بيروت (1406هـ -1986م) 0

[4] الشيخ الإمام الحافظ المفسر أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرني التيمي البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي، الواعظ المشهور، والمؤلف المكثر من فنون متعددة ،حتى أنه وصف بكثرة الخطأ في مصنفاته ، قال الذهبي: (له أوهام وألوان من ترك المراجعة وأخذ العلم من صحف ،وصنف شيئاً لو عاش عمراً ثانياً لم يلحق أن يحرره ويتقنه) ولد سنة (509 أو 510هـ) وتوفي سنة (597هـ) وانظر السير (21/365-384) والبداية والنهاية للإمام ابن كثير (13/28-30)طبع دار المعرفة بيروت الطبعة السادسة(1405هـ-1985م)

الوجه الثـاني- أنه السـبب في تـردِّي الإنسـان من منزلة التكـريم إلى منزلة الإهانة والتحقـير، وإلى الاتصاف بأخبث الأوصـاف؛وهو وصف النجس[1]**:** قـال تعـالى: ﴿ **ياأيها الـذين آمنـوا إنما المشـركون نجسٌ فلا يقـربوا المسـجدَ الحـرام بعد عـامهم هـذا وإن خِفتم عَـيلة فسـوف يغـنيكمُ الله من فضـله إن شـاء إنَّ الله عليم حكيم﴾[2].**

قال السيد رشيد رضا[3] -رحمه الله- في تفسير هـذه الآية:(أي ليس المشـركون كما تعرفـون من حـالهم إلا أنجاسـاً فاسـدي الاعتقـاد، يشـركون بالله ما لا ينفع ولا يضـر؛فيعبـدون الـرجس من الأوثان والأصنام ويدينون بالخرافات والأوهـام ولا يتـنزهون عن النجاسـات ولا الأوثـان،ويـأكلون الميتة والـدم من الأقـذار الحسـية، ويسـتحلّون القمـار والزنا من الأرجـاس المعنوية،ويستبيحون الأشهر الحرم.

وقدتمكّنت صفات النجس منهم حساً ومعنىً،حـتى كـأنهم عينه وحقيقته؛فلا تمكنوهم بعد العام أن يقربوا المسجد الحرام) الخ 0 [4]

---

[5] زاد المسير للإمام ابن الجوزي (6/154) المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة سنة (1404هـ-1984م)، وانظر أسباب هلاك الأمم : ص (108-109) للشيخ محمد سعيد بابا سيلا وهو رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية ضمن إصدارت الحكمة (بريطانيا) الطبعة الأولى (1420هـ- 2000م).

[1] هو في الأصل "القذر" كما في معجم مقاييس اللغة لابن فارس(ص 1013) تحقيق شهاب الدين أبي عمروالطبعة الثانية دار الفكرسنة (1418هـ-1998م)، وإنما وُصفوا بذلك مبالغة في تحقيرهم ،قال الشوكاني–رحمه الله- : (والمشركون مبتدأ وخبره المصدر مبالغة في وصفهم بذلك حتىكأنهم عين النجاسة أو على تقدير مضاف أي ذوو نجس لأن معهم الشرك وهو بمنزلة النجس) فتح القدير للشوكاني (2/349) طبع دار الفكر سنة (1403هـ-1983م) .

[2] ? التوبة (28) .

[3] هو العلامة المصلح محمد رشيد بن علي رضا البغدادي الأصل،شامي النشأة ، سكن مصر إلى آخر عمره ، من أشهر من دعا إلى السنة ونشر كتبها في مصر ،وله تفسيرومجلة المنار الشهيران، ولد بالقلمون من أعمال طرابلس الشام عام (1282هـ) وتوفي بمصر عام (1354هـ).انظر: الأعلام لخيرالدين الزركلي (6/126) طبع دار الملايين بيروت الطبعة الـثانية عـشـرة (1997م)، وانظر الدراسة المستقلة بعنوان (السبد محمد رشيد رضا إصلاحاته الإجتماعية والدينية للدكتور محمد أحمد درنيقه.

وقال سيد قطب[1] - رحمه الله- في الظلال: (يجسِّم التعبير نجاسة أرواحهم فيجعلها ماهيتهم وكيانهم فهم بكيانهم وبحقيقتهم: نجس يستقذره الحس،ويتطهر منه المتطهرون 0وهو النجس المعنوي لا الحسي في الحقيقة فأجسامهم ليست نجسة لذاتها،إنما هي طريقة التعبير القرآنية بالتجسيم)[2].

الوجه الثالث- أنه يحبط الأعمال**:** قال تعالى: **ذلك هُدى الله يهدي به من يشاءُ من عباده ولو أشركوا لحبِط عنهم ما كانوا يعملون** [3]، لقد جاءت هذه الآية في سياق ذكر الأنبياء والرسل الذين اجتباهم الله واصطفاهم،فبين أن تلك الهداية وذلك الاصطفاء إنما هو بتوفيق الله تعالى،ولو لم يصاحبهم ذلك التوفيق فوقعوا في الشرك لحبطت أعمالهم.

قال ابن كثير[4] -رحمه الله-: ثم قال تعالى: **ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده** أي إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله، وهدايته لهم **ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** تشديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملابسته)[5].

---

[4] تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا(10/275). طبع دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية بدون تاريخ .

[1] الداعية الشهير والمجاهد الكبير الذي بذل نفسه رخيصة لله تعالى بعد أن كوّن مدرسة في الدعوة لها ميزاتها، وسماتها البارزة، وصاحب تفسير (في ظلال القرآن) أشهر التفاسير المعاصرة مع أخطاء يسيرة أخذها عليه بعض العلماء سيّما في باب العقيدة، غير أنها مغمورة في بحار حسنات ذلك التفسير وحسنات مؤلفه، غفر الله له وتقبله في الشهداء، قتل مظلوماً شهيداً -إن شاء الله- سنة(1387هـ)،وكان مولده سنة(1324هـ).انظر: الأعلام للزركلي(3/147-148) .

[2] في ظلال القرآن سيد قطب (3/1618) طبع دار الشروق بيروت الطبعة الشرعية الثانية عشرة .(1406هـ- 1986م)

[3] الأنعام(88).

[4] المفسر والمحدث والمؤرخ الشهير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي صاحب التفسير الذي قال فيه الشوكاني: (وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها).ولد سنة (701هـ) وتوفي سنة (774هـ)، انظر: البدر الطالع (1/153) طبع دار المعرفة –بيروت بدون تاريخ .

وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿ **ولقد أُوحي اليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركتَ ليحبطن عملك ولتكـونن من الخاسرين** ﴾[1]، قال الإمـام الألوسـي [2]-رحمه الله-: (وأيـاً ما كـان فهو كلام على سـبيل الفـرض؛ لتهـييج المخـاطب المعصـوم، وإقنـاط الكفـرة،والإيـذان بغاية شـناعة الإشـراك وقبحه،وكونه ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه) [3].

الوجه الرابع - أنه يحـول دون المغفـرة: قـال تعـالى: ﴿ **إنَّ الله لا يغفرُ أن يُشـركَ به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[4].

قـال سـيدقطب- رحمه الله- في كلامه على هـذه الآيـة: (إن الشرك انقطاع ما بين الله والعباد0 فلا يبقى لهم معه أمل في مغفـرة. إذا خرجـوا من هـذه الـدنيا وهم مشـركون مقطوعو الصلة بالله رب العالمين. وما تشـرك النفس بالله وتبقى على هذا الشرك حـتى تخـرج من الـدنيا – وأمامها دلائل التوحيد في صـفحة الكـون وفي هداية الرسل- ما تفعل النفس هـذا وفيها عنصر من عناصر الخـير والصـلاحية-إنما تفعله وقد فسـدت فسـاداً لا رجعة فيـه، وتَلِفَت فطرتها الـتي برأها الله عليهـا، وارتدّت أسفل سافلين وتهيأت بذاتها لحياة الجحيم!)[5].

الوجه الخـامس- أنه يحـرم العبد من الاسـتفادة من شفاعة الشافعين[6] يـوم القيامـة؛ الشـفاعة الموجبـة للجنـة والمنجية من النـار: ففي البخـاري من حـديث أبي هريـرة ﷺ أنه

---

[5] مختصرابن كثير للشيخ محمد نسيب الرفاعي (2/139) طبع مكتبة المعارف بالرياض طبعة جديدة (1410هـ-1989م)

[1] الزمر(65).

[2] مفتي بغداد في وقته وصاحب التفسير الشهير (روح المعاني)، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبدالله الألوسي البغدادي ، ولد عام (1227هـ) وتوفي عام (1270هـ)- رحمه الله -. انظر ترجمته في : جلاء العينين لابنه نعمان خير الدين الأ لوسي طبع مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجده بدون تاريخ ص (57-58) والأعـلام للزركـلي (7/127) 0

[3] روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للشيخ محمود الألوسي طبع دار الفكر بيروت (1414هـ-1994م) (13/37) قلت : وهذه الآية والتي قبلها ردٌ صارخ على القبورية الذين يثورون ويغضبون على من حذَّر من الشرك ؛ بزعم أنه لايمكن أن يحدث الشرك في هذه الأمة !.

[4] النساء آية (48) وآية (116) .

[5] الظلال (2/678) .

قــال: قلت يارســول الله من أســعد النــاس بشــفاعتك يــوم القيامــة؟قــال: **((لقد ظننت ياأبا هريرة ألايســألني عن هـذا الحـديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لاإله الا الله خالصــاً من قبل نفســه))**[1] قــال الحافظ[2]: (قولـه: **((من قـال لا إله الا اللـه))** احـتراز من الشـرك)[3] قال ملّا علي القاري[4] في مرقـاة المفـاتيح: (أي لا يشـوبه شك ولا شـرك ولا يخلطـه نفاق وسـمعة وريـاء**...** وقيل: أسـعد هنا بمعـــنى أصل الفعل وقيل بل على بابه وأن كل أحد يحصل له سعادة شفاعته لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة فإنه يشفع في إراحة الخلق من هــول الموقف،ويشــفع في بعض الكفــار كأبي طالب في تخفيف عذاب النار) انتهى محل الغـرض منه.[5] وهو يفيد ما عنوّنــا له من أن المشــرك محــروم من الشــفاعة المنجية من النار والموجبة للجنة.

---

[6] الشفاعة : (السؤال في التجاوز عن الذنوب ممن وقع منه جناية) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص432)للشيخ محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق د/ محمد رضوان الدايه طبع دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق الطبعـــة الأولى(1410هـ-1990م) و (الشافعون :جمع شافع وهو صاحب الشفاعة).انظر: المعجم الوسيط(1/487) مجمع اللغة العربية (1410هـ-1990م) طبع المكتبة الإسلامية إستانبول .

[1] البخاري مع الفتح (11/418) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، مكتبة الرياض الحديثة مصورة عن طبعة المكتبة السلفية بدون تاريخ .

[2] هوخاتمة الحفاظ شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،مرجع المحدثين ممن جاء بعده، وصاحب الفضل عليهم في علم الحديث ،ومصطلحه، وعلم الرجال والجرح والتعديل ،وصاحب فتح الباري أشهر وأفضل شروح البخاري المطبوعة على الإطلاق ،ولد عام (773هـ) وتـوفي عام (852هـ) بالقاهرة - رحمه الله –وانظر: الضوء اللامع (ج 2/36)للحافظ محمد عبد الرحمن السخاوي طبع دار الحياة بيروت بدون تاريخ والبدر الطالع (1/83-92).

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر (1/194) 0

[4] العلامة الفقيه علي بن سلطان القارئ الحنفي ،من أفاضل علماء زمانه ،ولد بهراة وتوطن مكة ومات بها، وله مؤلفات كثيرة نافعة من أعظمها في الحديث مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح توفي عام (1014هـ). انظر: ا البدر الطالع (1/445) والأعلام (5/12, 13) 0

[5] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للشيخ مُلا علي القاري طبع دار الفكر بيروت(1414هـ- 1994م) (9/525) 0

**الوجه السـادس- أنه أعظم الموانع من دخـول الجنة وأعظم أسباب الخلـود في النـار: قـال تعـالى: لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله هو المسيحُ ابن مـريم وقـال المسـيح يـابني إسـرائيل اعبـدوا الله ربي وربَّكم إنه من يُشـرك بالله فقد حـرَّم الله عليه الجنة ومـأواه النار وما للظالمين من أنصار ** [1]

قـال السـيد رشـيد رضا -رحمه الله-: (أمـرهم عليه السـلام بالتوحيد الخالص،وقفّى عليه بالتحذير من الشرك،والوعيد عليه ببيان أن الحـال والشـأن الثـابت عند الله تعـالى هو أن كل من يشرك بالله شيئاً مامن ملَـكٍ أو بشرٍ أو كـوكب أو حجر أوغـير ذلك بأن يجعله نداً لـه أو متّحِداً به، أو يدعوه لجلب نفع أو دفع ضر،أو يزعم أنه يقرِّبه إلى الله زلفى فيتخذه شفيعاً زاعماً أنه يـؤثر في إرادة الله تعـالى أو علمه فيحمله على شـئ غـير ما سـبق به علمه وخصصـته إرادته في الأزل – من يشـرك هـذا الشرك ونحوه- فإن الله يحرِّم عليه الجنة في الآخرة بل هو قد حرَّمها عليه في سـابق علمه وبمقتضى دينه الـذي أوحاه إلى جميع رسله،فلا يكون له مـأوى ولا ملجأ يـأوي إليه إلا النـار دار العـذاب والهـوان،وما لهـؤلاء الظـالمين لأنفسـهم بالشـرك من نصير ينصرهم ولا شفيع ينقذهم **من ذا الذي يشفع عنـده الا بإذنه** [2] **ولا يشـفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ** [3] فالنـافع رضـاه**: ولا يرضى لعباده الكفر ** [4] وشرأنواعه الشرك**)** [5] انتهى المقصود منه.

<u>المطلب الثـاني</u>: الوثنية هي الوعـاء الـذي يحوي الشرك:

إذا عـرفت الشـرك وخطورته في الـدنيا والآخـرة، فـاعلم أن الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشـرك، والجسم الـذي يتجسَّـد ويسري فيه ذلك الروح الخبيث - الشـرك - فالأصـنام والأوثـان والهياكل ما هي إلا مظاهر يتجسد فيها الشرك الذي يتعلق في الحقيقة بمخلوقـات أخـرى اعتقـدها المشـركون، وتعلقت بها

---

[1] المائدة (72) 0
[2] البقرة (255)0
[3] الأنبياء(28)0
[4] الزمر (7)0
[5] تفسير المنار (6/483) 0

قلوبهم ومنحوها صـفات الآلهـة. يقـول الفخر الـرازي [1] -رحمه الله تعالى- في تفسيره عنـد قوله تعـالى في سـورة يـونس: **ويعبـــــــــدون من دون الله ما لا يضرُّهم ولا ينفعهم ويقولـون هـؤلاء شـفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لايعلمُ في الســـماوات ولا في الأرض ســـبحانه وتعالى عما يُشركون** [2]:(... " وأما النوع الثاني " ما حكـاه الله تعالى عنهم في هذه الآية، وهو قولهم: **هؤلاء شفعاؤنا عند الله** فـاعلم أن من النـاس من قـال: إن أولئك الكفـار توهموا أن عبادة الأصنام أشد في تعظيــم الله من عبـادة الله سبحانه وتعالى. فقـالوا:ليست لنا أهلية أن نشـتغل بعبـادة الله تعالى بل نحن نشتغل بعبادة هذه الأصـنام، وأنها تكـون شـفعاء لنا عند اللـه. ثم اختلفـوا في أنهم كيف قـالوا في الأصـنام أنها شـفعاؤنا عند اللـه؟ وذكـروا فيه أقـوالاً كثـيرة: فأحـدها- أنهم اعتقدوا أن المتولي لكل إقليم من أقاليم العالم روح معين من أوراح عالم الأفلاك؛ فعيّنوا لذلك الروح صـنماً معينـاً واشـتغلوا بعبادة ذلك الصنم، ومقصودهم عبـادة ذلك الـروح، ثم اعتقـدوا أن ذلك الروح يكون عبداً للإله الأعظم ومشتغلاً بعبوديته.

وثانيهـا- أنهم كانوايعبـدون الكـواكب وزعمـوا أن الكـواكب هي التي لها أهلية عبودية الله تعالى، ثم لما رأوا أن الكواكب تطلع وتغرب وضعوا لها أصناماً معينة واشتغلوا بعبادتهـا،ومقصـودهم توجيه العبادة إلى الكواكب.

وثالثها - أنهم وضـــعوا طلســـمات معينة على تلك الأصـــنام والأوثان، ثم تقرَّبوا إليها كما يفعله أصحاب الطلسمات.

ورابعها - أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صـور أنبيـائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل، فـإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعـالى، **ونظـيره في هـذا الزمـان اشـتغال كثـير من الخلق بتعظيم قبـور**

---

[1] العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستـاني، الأصـولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين ، ولد سنة(544هـ) ،وقد بدت منه في تواليفـه بلايا وعظائـم وسحر وانحرافات .

[2] يونس(18)0

الأكابر،على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله.
وخامسها - أنهم اعتقدوا أن الإله نور عظيم وأن الملائكة أنوار فوضعوا على صورة الإله الأكبر الصنم الأكبر، وعلى صورة الملائكة صوراً أخرى.
وسادسها- لعل القوم حلولية، وجوزوا حلول الإله في بعض الأجسام العالية الشريفة)[1].
وما ذكره الرازي أمر منطقي إذ لا يُعقَل أن الإنسان بسمعه وبصره وعقله، ينحتُ صنماً أو يصنع وثناً بيده - وهو يعلم مادته ومن أين أُخذ- ثم يزعم أن هذا الصنم أو الوثن هو الذي يخلق ويرزق، وهو الذي ينفع ويضر، هذا لا يكون أبداً. فلم يبقَ إلا ما ذكره الرازي من أنهم يرون أن هذه التماثيل والأصنام هي رموز لمخلوقات معظَّمة تستحق العبادة لقربها من الله، ومنزلتها عنده كما يفعل القبورية بقبور معظميهم.وبهذا تعلم أن هذه الظاهرة إنما هي جسد يحتضن الشرك الذي هو لها بمنزلة الروح.
المطلب الثالث: الغلو في الصالحين هو أصل الوثنية:
إذا كان منهج القبورية هو الغلو في أرباب القبور الذين يُظن أنهم أولياء لله ومقربون لديه، فإن ذلك المنهج هو نفسه أصل الوثنية وعبادة الأصنام كما جاء في البخاري في كتاب (التفسير) عند قوله تعالى: ﴿ **وقالوا لا تذرُن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً** ﴾[2] قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت)[3]. إذاً

---

[1] التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي (17/59-60) طبع دار الكتب العلمية طهران الطبعة الثانية .

[2] نوح (23) .
[3] البخاري مع الفتح (8/667) كتاب التفسير ، باب ﴿ وداً ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً﴾ .

أصـنام قـوم نـوح كـانت رمـوزاً لرجـال صـالحين حمل الغلو أتباعهم على تقديسهم وتعظيمهم وتطور الأمر حتى عبدوهم.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح:(وقصة الصالحين كانت مبـدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك)[1].

المطلب الرابع:كـــثرة النصـــوص الناهية عن تعظيم القبور والعلة في ذلك:

ولمّا كان أصل الشركِ والوثنية هو الغلو في أصحاب القبـور؛ تواترت الأحاديث تواتراً معنويـاً بـالنهي عن تعظيم القبـور بـأي نوع من أنواع التعظيم، وفَهِمَ الصحابةُ والتـابعون لهم بإحسـان العلة من تلك النصوص، وأشاعوا ذلك الفهم وعملوا بمقتضـاه، وتبعهم على ذلك سـائر علمـاء أهل السـنة من المتقـدمين والمتـأخرين، وإليك طائفة من تلك النصـوص الـتي وردت بأساليب متنوعة:

الأسلوب الأول- في النهي عن زيارة القبور في أوّل الإســلام وما فهمه العلمــاء من ذلك: فعن بريـــدة بن الحصـيب قـال: قـال رسـول الله : **((نهيتكم عن زيـارة القبور فزوروها))** [2]. قال العلامة المناوي[3] -رحمه الله- في "فيض القدير شرح الجامع الصـغير": (00((**كنت نهيتكم عن زيــارة القبــور**)) لحـدثان عهـدكم بـالكفر. وأما الآن حيث انمحت آثـار الجاهلية واسـتحكم الإسـلام وصـرتم أهل يقين وتقـوى **((فزوروا القبـور))** أي بشـرط أن لا يقـترن بـذلك

---

1 الفتح (8/669)0

2 رواه مسـلم في صـحيحه مع شـرح الإمـام النـووي طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت بدون تاريخ (7/46)ـ ، كتاب الجنائز بـاب زيـارة في القبـور والاستغفار لهم .

3 العلامة الكبـير الشـيخ محمد عبـدالرؤوف بن تـاج العـارفين المنـاوي القاهري،له مشاركة في فنون عديدة وله مؤلفـات كثـيرة من أشـهرها فيض القـدير شـرح الجـامع الصـغير ، ولد سـنة (952هــ) وتـوفي سنـــة (1031هــــ) رحمه الله (انظر الأعلام 6/204) ومقدمة كتابه التوقيف على مهمات التعاريف0

تمسح بـالقبر،أو تقبيل، أوسـجود عليه، أو نحو ذلك. فإنـه كما قال السبكي[1]: " بدعة منكرة إنما يفعلها الجهال "...)[2].
وقال الشيخ أحمد الرومي الحنفي[3] في كتابه "مجالس الأبرار ومسالك الأخيار " في شـرح هـذا الحـديث: (هـذا الحـديث من صحاح المصابيح رواه بريدة، فيه تصريح بوقوع النهي في أوائل الإسلام عن زيـارة القبـور لكونها مبـدأ عبـادة الأصـنام) ثم ذكر قصة عبـادة الأصـنام في قـوم نـوح، ثم قـال: (فلما كـان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور؛نهى أصحابه في أوائل الإسـلام عن زيـارة القبـور سـداً لذريعة الشـرك، لكـونهم حـديثي عهد بكفر، ثم لما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها)[4].
وقـال الشـيخ علي محفـوظ[5] في كتابه (الإبـداع في مضـار الابتداع): (وسر النهي أولاً عن زيارتها؛ أنه لما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور في قوم نوح، نهى النبي أصـحابه في صـدر الإسـلام عن زيارتها سـداً للذريعة، لكـونهم حـديثي عهد

---

[1] القاضي العلامة علي بن عبدالكافي السبكي الشـافعي، من كبـار علمـاء عصره غير أنه ممن اصطدم بدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعته أمثـال ابن القيم وابن كثير والذهبي والمزي وغيرهم ، وله ردود على شيخ الإسـلام ابن تيمية أشهرها (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) الـذي رد عليه الـرد القويم المفحـم العلامة ابن عبـدالهادي تلميذ مدرسة ابن تيمية -رحمهم الله جميعـــاً- ،ورغم أنه مرجع كثـــير من القبـــوريين إلا أنه لم يبلغ مبلغهم في الانحــراف بــدليل كلامه الســالف وهو من متعصــبة الأشـعرية - رحمه الله تعـالى-. وانظر طبقـات الشـافعية لابنه تـاج الـدين عبـدالوهاب (10/139-338) طبع دار هجر ط 2 (1413هـ-1992م)، والدرر الكامنة لابن حجر (3/39-41) طبع دار الجيل – بـيروت (1414هــ -1993هــ) ، وجلاء العيـنين في محاكمة الأحمدين للألوسي ص (32 – 37) 0

[2] انظر فيض القدير شـرح الجـامع الصـغيرللعلامة المنـاوي(5/55) دار الفكر بدون تاريخ 0

[3] العلامة الكبير الشيخ محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري ، له مشاركة في فنـون عديـدة وله مؤلفـات كثـيرة من أشـهرها فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ولد سنة (952هــ) وتـوفي سنــة (1031هــ) رحمه الله انظر : (الأعلام 6/204) ومقدمة كتابه التوقيف على مهمـــــات التعاريف0

[4] المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد ص (385-386)

[5] الشيخ العلامة علي محفوظ المصري الشافعي تخرَّج بالأزهر ثم كان من أعضاء كبار العلماء وأستاذاً للوعظ والإرشاد بكلية أصول الدين توفي سنة (1361هـ) ، انظر الأعلام (4/323) .

بكفر، ثم لما تمكن التوحيد في قلـــــوبهم؛ أذن لهم في زيارتها وعلمهم كيفيتها0 تارة بفعله،وتارة بقوله، كما مرّ في الأحاديث أول الفصل)[1].

الأسـلوب الثـاني - النهي عن اتخـاذ قـبره عيـداً وما فهمه العلماء من ذلك:

عن أبي هريــرة قــال: قــال رســول الله : ((**لا تجعلــوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فـإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**))[2].

قال المناوي -رحمه الله-: (معناه النهي عن الاجتمـاع لزيارته اجتمــاعهم للعيد، إما لرفع المشــقة أو كراهة أن يتجــاوزوا حدّ التعظيم، وقيل العيد ما يعــاد إليه أي لا تجعلــوا قــبري عيـــداً تعــــودون إليه مــــتى أردتم أن تصلّوا عليّ،فظـــاهره نهي عن المعاودة،والمراد المنع عما يوجبه وهو ظنهــم بأن دعاء الغائب لا يصـل إليه، ويؤيده: ((**وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغـني حيث كنتم**)) أي " لا تتكلفــوا المعــاودة إلي فقد اســتغنيتم بالصـلاة علي ".-قـال-: ويؤخذ منه أن اجتمـاع العامة في بعض أضــرحة الأوليــاء، في يــوم أو شــهر مخصــوص من الســَّنة، ويقولــون هــذا يــوم مولد الشــيخ ويــأكلون ويشــربون وربما يرقصون فيه، منهي عنه شرعاً وعلى ولي الشرع ردعهم على ذلك وإنكاره عليهم وإبطاله)[3] انتهى.

وقال شمس الحق العظيم أبادي[4] -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: (وأمـا الآن فإن الناس في المسجد الشريف إذا سـلم

---

[1] الإبداع في مضار الابتداع للأستاذ الشيخ علي محفوظ ص(190)طبع دار المعرفة الطبعة الخامسة سنة(1375هـ-1956م).

[2] رواه أبو داود في سننه مع شرحه عون المعبود في كتاب المناسك ، باب زيارة القبور ،(6/31) طبع المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة الثانية (1388هـ-1968م) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (1/383) ط مكتب التربية لدول الخليج العربي ط الأولى (1409هـ-1989م).

[3] بواسطة عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم أبادي(6/32-33) .

[4] الشيخ العلامة محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر أبو الطيب الصديقي العظيم أبادي، من محدثي الهند له عدة مصنفات في الحديث من أشهرها عون المعبود على سنن أبي داود توفي بعد سنة (1310هـ) رحمه الله ، انظر الأعلام (6/39) .

الإمام عن الصلاة قاموا في مصلاهم مستقبلين القبرالشريف كالراكعين له[1] ومنهم من يلتصق بالسرادق [2]ويطوف حوله وكل ذلك حرام باتفاق أهل العلم وفيه ما يجر الفاعل إلى الشرك) موضع الشاهد قوله: (وفيه ما يجر الفاعل إلى الشرك)[3].

وقال الطيبي[4] -رحمه الله - في شرح نفس الحديث:(نهاهم عن الاجتماع لها اجتماعهم للعيد نزهة وزينة،وكانت اليهود والنصارى تفعل ذلك بقبور أنبيائهم فأورثهم الغفلة والقسوة، ومن عادة عَبَدة الأوثان أنهم لا يزالون يعظّمون أمواتهم حتى اتخذوهم أصناماً،وإلى هذا الإشارة بقوله: ((**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**))[5] فيكون المقصود من النهي كراهته أن يتجاوزوا في قبره غاية التجاوز ولهذا ورد: ((**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**))[6]...)[7] انتهى موضع الشاهد.

الأسلوب الثالث - نهيه عن الصلاة على القبور وإليها:عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله : ((**نهى أن يبنى على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها**))[8]،

---

[1] في الأصل " الراكعين له" ومعناه غير مستقيم ، وبما أن تلك الطبعة كثيرة الغلط فالظاهر أن الصواب ماأثبته والله أعلم 0

[2] (السرادق كل ما أحاط بشئ من حائط أومِضْرَب) المعجم الوسيط (1/426) والمقصود هنا هو سرادق قبر النبي وهو الشبك النحاسي المحيط بالحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

[3]

[4] الإمام المشهور صاحب شرح المشكاة الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي ،كان كريماً متواضعاً حسن المعتقد ،شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، مظهراً فضائحهم مع استيلائهم على بلاد المسلمين حينئذ، توفي سنة (743هـ) رحمه الله تعالى، وانظر: الدرر الكامنة (2/68-69) ، والبدر الطالع(1/229- 230) 0

[5] سيأتي تخريجه (ص 15) 0

[6] سيأتي تخريجه(ص 15) 0

[7] بواسطة مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (3/14) .

[8]رواه أبو يعلى في مسنده (2/297) طبع دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى (1404هـ-1984م) تحقيق حسين سليم أسد ،وقال الهيثمي: رجاله ثقات كما في مجمع الزوائد (3/64) كتاب الجنائز ، باب البناء على القبور والجلوس عليها وغير ذلك طبع مؤسسة المعارف –بيروت (1406-1986)،وقال الشيخ الألباني : إسناده صحيح (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني طبع المكتب

وعن ابن عبــاس - رضي الله عنهمــا- أن رســول قــال: ((**لا تصلّوا إلى قبر ولا تصلوا على قـبر**))[1]، وعـــن أبي مرثـد الغنـــوي عن رســـول الله أنه قـــال: ((**لا تجلســـوا على القبور ولا تصلوا إليها**))[2].

قال الإمام الشـافعي -رحمه 0الله تعـالى- في كتابه "الأم" في كتاب الصلاة: (وأكره أن يُبنى على القبر مسـجد وأن يسوَّى أو يصلى عليه وهو غير مسوَّى أو يصلى إليه. قال وإن صــلى إليه أجزأه وقد أسـاء، أخبرنا مالك أن رسـول الله قـال: **((قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقى دينان بأرض العـرب)).** - قـال -: وأكـره هـذا لِلسنّة والآثـار وأنه كـره – والله أعلم – أن يعظِّم أحد من المســلمين يعـني يتخذ قـبره مسـجداً، ولم تـؤمن في ذلك الفتنة والضـلال على من يأتي بعده)[3]. تأمل قــول الشــافعي- رحمه الله-: (ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعده)، إذن ليست العلة أن في ذلك تضــييقاً على المســلمين في مقــابرهم، وإن كان ذلك لازم من اتخاذ مقابر المسلمين العامــة مســاجد على بعض القبــــور، وليست العلة الخــــوف من تنجس الأرض لأن الحكم عــام في القــبر الــذي ابتدِئ حفــره كما هو في القــبر المنبوش؛ وإنما العلة عند الشــافعي-رحمه اللــه- خشـية الفتنة والضلال على من يـأتي بعـده،وأي فتنة أو ضـلال أعظم من أن يعَظِّم المخلوق حتى يُصرَف لقبره من العبادة والتقــديس ما لا يليق إلا بالله عز وجل؟!.

الإسلامي،بيروت الطبعة الثالثة 1398هـ (ص22) .

[1] رواه الطبراني في الكبير وغيره ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني ، طبع مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الأولى(1409هـ-1989م) (3/13) رقم الحديث (1016)، وصححه الشيخ رحمه الله 0

[2] رواه مسلم (2/668) رقم (97) تحقيق عبدالباقي طبع دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى (1375هـ -1955م) .

[3] الأم للإمام محمد بن أدريس الشافعي (1/278) طبع دار المعرفة بــيروت بدون تاريخ .

وقال القرطبي [1] -رحمه الله- في تفسيره في تفسير سورة الكهف- بعد أن ساق كثيراً من الأحاديث التي فيها النهي عن البناء على القبور وتعظيمها-: (وروى الأئمة عن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله يقول: **((لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها))** لفظ مسلم. أي لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى؛ فيؤدِّي الى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام، فحذر النبي عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية الى ذلك) [2]0

الأسلوب الرابع - دعاؤه ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، مع إخباره بشدة غضب الله على متخذي قبور أنبيائهم مساجد، مما يؤكد العلاقة بين القبورية "اتخاذ القبور مساجد " والوثنية " صيرورة تلك القبور المعظمة أوثاناً تعبد من دون الله ":ما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله قال: **((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))** [3].

---

[1] الشيخ الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي المالكي أحد مشاهير المفسرين وكتابه الجامع لأحكام القرآن من أوسع كتب التفسير يميل فيه إلى تتبع الأحكام الفقهية توفي سنة (671هـ) وانظر ترجمته في كشف الظنون لحاجي خليفة(1/534) والمفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للشيخ محمد بن عبدالرحمن المغراوي (1/287) 0طبع دار طيبة الرياض ط الأولى(1405-1985).

[2] الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي(10/380) الطبعة ذات العشرين جزءٍ مصورة ليس عليها اسم دار النشر .

?[3] قال الشيخ محمد بن عبدالرحمن المغراوي في تخريج كتابه فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر مع فتح المجيد في اختصار تخريج أحاديث التمهيد لنفس المؤلف طبع مجموعة التحف النفائس بالرياض، ط الأولى (1416هـ-1996م) (1/280): (ابن سعد في "الطبقات (2/240-241) " من طريق مالك0 وعبدالرزاق (1/406/1587) 0وابن أبي شيبة(2/150/7544) كلهم عن زيد بن أسلم مرسلاً بسند صحيح 0 ووصله أحمد (2/246) والحميدي (1025) وأبونعيم في(الحلية) (6/283) (7/317) عن أبي هريرة بسند صحيح وصححه البزار0 انظر (النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد (ص115) .

قــال الحافظ ابن عبد الــبر[1] في (التمهيد) في شـــرح هـــذا الحـديث: (الـوثن: الصـنم 0وهو الصـورة من ذهب كـان، أومن فضة، أوغيرذلك من التمثال.وكل مايعبد من دون الله فهو وثن صـنماً كـان، أو غيرصـنم. وكـانت العـرب تصـلي إلى الأصـنام وتعبــدها فخشي رســول الله على أمته أن تصــنع كما صــنع بعض من مضى من الأمم، كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حــول قــبره كما يصــنع بالصــنم فقــال :**((اللهم لا تجعل قــبري وثناً))** يصلى إليه،ويسـجد نحـوه، ويعبد، فقد اشـتد غضب الله على من فعل ذلك. وكـان رسـول الله يحـذر أصـحابه وسـائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الـذين صلّوا الى قبـور أنبيـائهم، واتخذوها قبلة ومسجداً،كماصـنعت الوثنية بالأوثـان الـتي كـانوا يسجدون لها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر.

فكان النبي يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه خشيةً عليهم امتثال طرقهم)[2] 0

---

[1] ? الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي ، صاحب التصانيف الفائقة . كان إماماً ديناً متقناً ، علامة ، متبحراً ، صاحب سنة واتباع وكان في ابتداء أمره أثرياً ظاهرياً فيما قيل ، ثم تحول مالكياً مع ميل بيِّن إلى فقه الشافعي في مسائل ، ولاينكرله ذلك ، فإنه ممن بلغ مرتبة الأئمة المجتهدين 0 ومن نظر في مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم ، وقوة الفهم، وسيلان الذهن ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ، ولكن إذا أخطأ إمام في اجتهاده لاينبغي لنا أن ننسى محاسنه ونغطي معارفه، بل نستغفر له ونعتذر عنه) ولد سنة (368هـ) ومات (463هـ)، الترجمة ملتقطة بحروفهامن السير للذهبي(18/153-163) وانظر المقدمتين الضافيتين لكتابيه التمهيد والاستذكار 0

[2] التمهيد لما في الموطأ من المعـاني والأسـانيد للإمـام ابي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي (5/45) تحقيق سعيد أحمد أعراب (1396هـ-1976م)

وقد عنون العلامة ابن حجر المكي الهيتمي [1] -رحمه الله -في كتابه (الزواجر) عنواناً قال فيه: (الكبيرة الثالثة،والرابعة، والخامسة،والسادسة، والسابعة،والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثاناً، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها). ثم ساق جملة من الأحاديث الدالة على ما عنون له، ثم قال(" تنبيه " عَدُّ هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذه مما ذكرته من هذه الأحاديث)، ثم ذكر وجه الدلالة على تلك الكبائر، إلى أن قال وهو موضع الشاهد:(وأما اتخاذها أوثاناً فجاء النهي عنه بقوله ﷺ: " **لا تتخذوا قبري وثناً يعبد بعدي** " [2]، أي لا تعظِّموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له، أو نحوه،فإن أراد ذلك الإمام بقوله:(واتخاذها أوثاناً) هذا المعنى اتجه ما قاله من أن ذلك كبيرة بل كفر بشرطه، وإن أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بُعد، نعم قال بعض الحنابلة: قصدُ الرجل الصلاة عند القبر متبركاً به عين المحادة لله ورسوله وابتداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم إجماعاً) [3] الخ.

وقال الملّا علي القاري -رحمه الله- في "مرقاة المفاتيح ": (أي لا تجعل قبري مثل الوثن في تعظيم الناس،وعودهم للزيارة بعد بدئهم،واستقبالهم نحوه في السجود، كما نسمع ونشاهد الآن في بعض المزارات والمشاهد ((اشتد)) استئناف كأنه قيل: لِمَ تدعو بهذا الدعاء؟ فأجاب بقوله اشتد ((غضب

---

[1] العلامة الفقيه الشيخ أحمدبن محمد بن حجر الهيتمي السعدي الشافعي من أجل وأعظم علماء الشافعية في وقته ،وأحد الشيخين الذين تفردا بالاعتماد من شراح المنهاج ،والآخر هو شمس الدين محمدبن أحمد الرملي، واعتماد أهل الحجاز واليمن على مارجحه ابن حجر في تحفته ،وهو من جانب آخر أشعري محارب لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما يتعلق ببعض مسائل التوحيد والاتباع ،وخصوصاً شدّ الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ ،غير أنه مع ذلك ضد القبوريين في مسائل البناء على القبور، وتعظيمها وفي مسألة الاستغاثة بغير الله ،وانظر ترجمته في جلاء العينين ص (40) و النور السافر لعبد القادر بن شيخ العيدروس ص (258-263) طبع دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى (1405هـ- 1985م) 0

[2] كذا قال 0 والحديث إنما هو بلفظ الدعاء لابلفظ النهي.

[3] الزواجر عن اقتراف الكبائر للشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي (1/148-149) طبع دار المعرفة ببيروت (1402هـ-1982م)0

الله)): ترحماً على أمته وتعطفاً لهم، قالـه الطيـبي، وتبعه ابن حجـر، والأظهر أنه إخبـار عما وقع في الأمم السـابقة؛ تحـذيراً للأمة المرحومة من أن يفعلـوا فعلهم،فيشـتد غضـبه عليهم)[1] انتهى محل الغرض منه.

فهـــــذه نصـــــوص أربـــــاب المـــــذاهب الأربعة: المالكية،والشـافعية،والحنابلـة،والأحنـاف، متفقة على أن الغلو في القبور وتعظيمها بالصـلاة لها أو إليها يجعلها أوثانـاً تعبد من دون الله.

الأسلوب الخامس: لعنهُ لليهود والنصارى وإخباره بلعن الله لهم كونهم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر أمته مما صنعوا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله في مرضه الذي لم يقم منه:((**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)) قالت: فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً))[2].

وعنها رضي الله عنها قـالت: لما كـان مـرض رسـول الله تـذاكر بعض نسـائه كنيسة بـأرض الحبشة يقـال لها مارية وقد كـانت أم سـلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة، فـذكرتا من حسنها وتصاويرها، قـالت: فرفع النـبي رأسه فقـال:**((أولئكِ إذاكان فيهم الرجل الصالح بنـوا على قـبره مسـجداً، ثم صوَّروا فيه تلك الصـور، أولئكِ شـرار الخلق عند الله يوم القيامة))**[3].

وعن ابن عباس وعائشة أن رسول الله لما حضرته الوفاة جعل يلقي علىوجهه طرف خميصة[4] له فإذا اغتم بهاكشـفهاعن وجهه وهو يقـول:**((لعنة الله على اليهـود والنصـارى**

---

[1] المرقاة (2/458)0

[2] البخاري مع الفتح (3/200) كتاب الجنائز ، باب مايكره من اتخاذ المساجدعلىالقبور ، ومسلم مع النووي (5/12) كتاب المساجد ومواضع الصلوات ، باب النهي عن بناء المسجدعلى القبور واتخاذ الصور فيها،طبع دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

[3] البخاري مع الفتح (3/208) كتاب المساجد، باب بناء المسجد على القبر، ومسلم مع النووي (5/11)كتاب المساجد ومواضع الصلوات، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها .

[4] (الخميصة كساء أسود مربع له علمان) القاموس المحيط ص (797).

اتخذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد)) تقـول عائشة رضي الله عنها: (يحذِّر ما صنعوا)[1].

هـذه الأحـاديث الثلاثة يشـدد فيها النـبي النكـير،ويؤكـده بلعن الفاعلين لذلك، وأنهم شرار الخلق عند الله تعـالى، وذلك لقبح ذلك الفعل وعظيم أثـــــره في الانحـــــراف عن العقيـــــدة الصحيحة،وفتح البـاب للشـرك والوثنية وقد بيَّنت عائشة رضي الله عنها أن الصحابة فهموا ما قصده النبي وعناه، ومن أجل ذلك لم يبرزوا قبره خشية أن يتخذ مسجداً،وأنه إنما قـال ذلك محذراً لأمته أن تصـنع كما صنع أولئك.

قلت:وبالفعل عمل الصـحابة والتـابعون لهم بإحسـان وسـائرُ العلمـــاء في العصـــور المختلفة علىســـتر قـــبره وحجبه عن النـــاس،وبـــالغوا في ذلك غاية المبالغة كماســـيأتي في كلام النووي [2] والسـمهودي [3]-رحمهما الله-،وإليك كلام بعض العلمـاء على هذه الأحـاديث وإشـارتهم وتصـريحهم بأن هـذه النصـوص تمنع من تعظيم القبـــور حـــتى لا تعبد من دون اللـــه،ويفتتن بها الناس، وتؤدي إلى ما أدى إليه غلوّ الأولين في قبور معظميهم، حيث صارت أوثاناً تعبد من دون الله.

قـــــال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في كلامه على حـــــديث عائشة وابن عبـــــاس رضي الله عنهما: (وكأنه علم أنه مرتحل فخـــــاف أن يعظَّم قـــــبره كما فعل من مضى فلعنَ اليهـــــود والنصارى إشارة الى ذم من فعل فعلهم) [4].

---

[1] البخاري مع الفتح (6/494-495) كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ومسلم مع النووي(5/13) الكتاب والباب المتقدمين 0

[2] ? الإمام العلامة شيخ الشافعية وعمدتهم ، وأحد أئمة الحديث في زمانه ،محيي الدين يحيى بن شرف النووي صاحب التصانيف المفيدة المباركة ، التي لاقت القبول عند سائر علماء المسلمين ببركة إخلاصه ، ولد بنوى سنة (631هـ) وتوفي بها سنة(676هـ) ،وانظر البداية والنهاية (3/278-279) ،وطبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي (8/395-400) .

[3] مـــــؤرخ المدينة النبوية وفقيهها في وقتـــــه، علي بن عبدالله بن أحمد السمهودي القاهري الشافعي، نزيل الحرمين، صاحب أضخم كتـاب مطبـوع في تاريخ المدينة وهو كتاب (وفاء الوفاء في أخبار دار المصطفى)،ولد سنة (844هـ) وتوفي سنة(911 هـ) انظر الضوء اللامع للسخاوي (5/245-248) .

[4] الفتح (1/532)0

ويناسب هذا المقام ما ذكره الإمامـان النـووي وابن حجر في شرحهما على الصحيحين في الكلام على قصة موت موسى ، وسؤال ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة.

قـال النـووي -رحمه الله -: (قـال بعض العلمـاء: وإنما سـأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قــبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس) [1].

وقال ابن حجر:(لكن حكى ابن بطال عن غـيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها لـيُعمِّي موضع قبره لئلا يعبده الجهـال من أمته) [2].

من هـذه النقـول الثلاثة يتـبين ما فهمه العلمـاء من أحـاديث النهي عن اتخـاذ المسـاجد على القبـور؛ وهو خشـية التعظيم المفضي إلىعبادتها كما حصل للأمم السـابقة بغلوها في أنبيائها وصالحيها إلى أن عبـدتهم من دون اللـه،وتحـولت القبورية إلى وثنية وشرك، أجار الله أمة محمد من ذلك.

وقــال العلامة ابن دقيق العيد [3] -رحمه الله تعــالى- في شــرح عمدة الأحكام في حديث عائشة الثاني:(وقوله : ((**بنوا على قــبره مسـجداً**)) إشــارة الى المنع من ذلك وقد صـــرح به الحديث الآخر: ((**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**))[4].

وقد علّق الصنعاني -رحمه الله- على كلامه هذا فقال: (قوله: ((إشارة الى المنع من ذلك)). أقـول: من حيث إنه جعل شـرار خلق الله هم المصورون، ومعلـوم أن من فعل شـيئاً يكـون به من شـرار خلق الله أنه فعل محرمـاً وقد صـرح به في حـديث آخـر،يريد الحـديث الـذي أخرجه الشـيخان بلفـظ:((**قاتل الله**

---

[1] النووي على مسلم (15/128) 0

[2] الفتح (3/207).

[3] الإمام المجتهد المحدث محمد بن علي بن وهب المصري الدار، والشافعي ثم المالكي المذهب، أحد من قيل إنهم من المجددين لهذا الدين، وصاحب المصنفات المستعذبة المفيدة ،ولد في البحر قرب ينبع سنة (625هـ) وتوفي سنة (702هـ) انظر البداية والنهاية (14/27) والدرر الكامنــة في إعيان المائة الثامنة للحافظ أحمد بن علي بن حجر رحمة الله تعالى (4/91-96).

[4] الإحكام للإمام ابن دقيق العيد مع حاشية الصنعاني (3/257-258) طبع المكتبة السلفية (1409هـ)0

اليهـود اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد)) زاد مسـلم: ((**والنصـارى**)) وحـديث عائشة بلفـظ: ((**الرجل الصـالح**)) أعم من قبـــور الأنبيــاء.والكل محـــرم فإنه ذريعة إلى تعظيم الميت، والطـواف بقـبره،والتمـاس أركانـه،والنـداء باسـمه، وبالجملة أنه يصير صنماً يعبد) انتهى محل الغرض منه.ولايـزال بعده كلام قوي متين في النعي على القبوريين فلينظرهناك [1] 0

ومما يناسب هـذا المقـام ما قـرره العلامة الشـيخ محمد بن سـالم البيحـاني [2] -رحمه الله- في كتابه (إصـلاح المجتمع) إذ قال وهو يتحدث عن الشرك:(ومن الشرك تعظيم القبور الـذي فتن به المسلمون في مختلف الجهات، حتى بنوا عليها القباب، واتخذوا لها الأقفاص والتوابيت،وطافوا بها وحجـوا إليها،ونـذروا لأصـــحابها بجـــزء معلـــوم من أولادهم وأقـــاموا لها الحفلات والمواسـم، وجـاءوا إليها متوسـلين ومسـتغيثين. وهـذا يطلب منهم الولد،وثانٍ يطلب منهم شفاء المريض، وثـالث يريد منهم النصرة على الأعداء، وأن ينصـفوا له من فلان الظـالم،ونسـبوا إليهم من الكرامات ما لا يصح أن يكون معجـزة لنـبي مرسـل، وكتبـوا عنهم الشـطح، والكلام الـذي لا يصـدر إلا من ملحد في دين الله، أو مدّع أنه شريك لله) الخ كلامه رحمه الله [3] 0

الأسـلوب السـادس - النهي المباشر للأمة عن البنـاء على القبور، وتعظيمها بأي نـوع من أنـواع التعظيم، وإخبــاره أنه لا يفعل ذلك إلا شــرار الخلق عند الله تعالى:فعن جنـدب بن عبدالله قـال: سـمعت رسـول الله قبل أن يموت بخمس يقول: **((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليـــل...))** إلى أن قـــال: ((**ألا وإن من كـــان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنى أنهاكم عن ذلك))**[4].

---

[1] 5 المصدر السابق (3/258).

[2] ? ستأتي ترجمته في الباب الثالث(ص).

[3] إصلاح المجتمع للشيخ محمد بن سالم البيحاني ص (130) طبع مؤسسة طيبة الخيرية (1419هـ- 1998م) 0

[4] النووي علىمسلم (5/13)كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المسجد على القبور0

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهماقال: ((**نهى رسول الله أن يجصص القبر وأن يقعد عليه ويبنى عليه**))[1].ولفظ أبي داود: ((**نهى أن يقعد على القبر ويبنى عليه**)[2].

وعن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله يقول:((**إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد**)) [3].ففي هذه الأحاديث التي مرت النهي الصريح عن أي نوع من أنواع التعظيم للقبور ومن ذلك: النهي عن اتخاذها مساجد، والنهي عن مجرد البناء عليها، وعن تجصيصها، والكتابة عليها. وقد توجه النهي أول ما توجه إلى قبور الأنبياء والصالحين0 لماذا؟ لأنها هي التي يخشى الغلو في أربابها عكس قبور سائر الناس، والفتنة بها أعظم من غيرها. وهذا هو الواقع المشاهد فإنه ما من مشهد إلا ويزعم أنه بني على ولي صالح، ذي مناقب وكرامات عظيمة يرجى نفعه ويخاف انتقامه، أو يزعم أنه على نبي من أنبياء الله كما ظهر ذلك تخميناً في أماكن كثيرة من بلاد الله،ولكثيرٍ من الأنبياء، مع تصريح العلماء أنه لا يُعلم على التحقيق واليقين إلاّ

---

[1] النووي على مسلم (7/37) كتاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه 0

[2] رواه أبوداود(2/235) كتاب الجنائز ،باب في البناء على القبر طبع دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت ط الأولى (1409هـ-1988م)، والنسائي في سننه (4/86- 88) كتاب الجنائز رقم (2027، 2028، 2029) طبع مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب عناية عبد الفتاح أبو غده الطبعة الأولى (1406هـ-1986م) ، و ابن ماجه في سننه (1/498) كتاب الجنائز با ب ماجاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها طبع دار إحياء الكتب العربية (1372-1952) تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، وصححه الشيخ الألباني ، ينظر صحيح أبي داود للشيخ الألباني (2/621) .

[3] رواه أحمد (5/324) تحقيق أحمد محمد شاكر ، وابن خزيمة في صحيحه (2/7)كتاب الصلاة باب الزجر عن اتخاذ القبور مساجد تحقيق محمد مصطفى الأعظمي طبع المكتب الإسلامي الطبعة الأولى (1395هـ-1975م) ، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند (5/324):) إسناده صحيح .وهو في "مجمع الزوائد " (2/27) وقال: "رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن " وهو فيه أيضاً (8/13) وقال :" رواه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح ") 0

قـــبر نبينا محمد ، وزاد بعضـــهم قـــبر الخليل في الموضع المشهور باسمه في فلسطين [1].

ثم لاحِـظْ كيف قرَنَ النـبي من يتخذ المسـاجد على القبـور بمن تقوم عليهم السـاعة وقد صرَّح عليه الصـلاة والسـلام في أحاديث صحيحة أن أولئك الذين تقوم عليهم الساعة لا يؤمنون بالله ولا يعرفونه كما جاء في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك أن رسـول الله قـال: ((**لا تقوم السـاعة حـتى لا يقــال في الأرض: الله، اللــه**)) [2]، فالــذين تقــوم عليهم الساعة لم يسـتحقوا أن يكونـوا شـرار الخلق إلا بـالكفر التـام والخلو التام من الإيمان، إذاً فمقارنتهم بالذين يتخـذون القبـور مســاجد يــدل على خطــورة النهاية الــتى تصل إليها القبورية بأصحابها.

وهذا يظهر من تعليق العلماء على تلك الأحاديث: يقول الإمام النووي - رحمه الله - في شرح حديث جنـدب :(قـال العلمـاء: إنما نهى النبي عن اتخاذ قبره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه، والافتتــان بـــه،فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جـــرى لكثــيرمن الأمم الخالية، ولما احتـاجت الصـحابة رضـوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسـجد رسـول الله حين كــثر المســلمون وامتــدت الزيــادة إلى أن دخلت بيــوت أمهـات المؤمـنين فيه، ومنها حجـرة عائشة رضي الله عنهـا، مدفن رسـول اللـه وصـاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بنوا على القـبر حيطانـاً مرتفعة مسـتديرة حوله لئلا يظهـر في المســجد؛ فيصلي إليه العــوام ويــؤدي إلى المحــذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حـتى التقيا حـتى لايتمكن أحد من اسـتقبال القــبر، ولهــذا قــال في الحــديث: **((ولـــولا ذلك أبــــرز قـــبره غـــير أنه خشي أن يتخذ مسجداً))**والله أعلم بالصواب) [3].

وقال العلامة صـديق حسن خـان[4] في كتابه "السـراج الوهـاج في كشف مطــالب صـحيح مســلم بن الحجــاج " في شــرحه

---

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (27/141) . طبع مكتبة المعارف الرباط بالمغرب بدون تاريخ .

[2] النووي على مسلم (2/178) كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان في آخر الزمان0

[3] ا لنووي على مسلم (5/12- 13)0

لحديث جـابر : ((**وأن يبنى عليه**)) قـال النـووي: فيه كراهة البنـاء عليـه، قـال: أما البنـاء عليه، فـإن كـان في ملك البـاني فمكروه. وإن كـــان في مقـــبرة (مســـبلة) فحـــرام نص عليه الشـــافعي والأصـــحاب، قـــال في (الأم): ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى، ويؤيد الهدم قوله: **((ولا قبراً مشرفاً إلا سويته))** انتهى.

وأقول: فإن البناء على القـبر حـرام لا مكـروه في أي مكـان ولأجل أي قبرٍ كـان،وهـذا بالأدلة الثابتة الصـحيحة في الصـحيح وغيره، من طرق تُوجِب العلم اليقين:

(فمنها): الأمر بالتسوية كما تقدم.

(ومنها): النهي عن البناء كما مر هنا.

(ومنها): النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعنُ فاعلِ ذلك وغير ذلك مما هو مبين في كتب السنة.

وبالجملة فما هذه أول شريعة صـحيحة محكمـة،وسـنة قائمة صريحة تركها الناس واستبدلوا بها غيرها0

وقد صارت هذه البدعة وسـيلة لضـلال كثـير من النـاس، "ولا ســيما العـــوام" فـــإنهم إذا رأوا القـــبر عليه الأبنية الرفيعـــة، والستور العالية،وانضم إلى ذلك إيقاد السرج عليـه، سـبب عن ذلك الاعتقاد في ذلك الميت ولا يزال الشيطان الرجيم وإبليس اللعين يرفعه من رتبة إلى رتبة حتى ينادى مع الله،ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله ولا يقدر عليه سـواه فيقع في الشـرك 00هذا أمر العوام.

وأما الخواص فلهم عـرس [1] المـوتى على قبـورهم وطوافهـا، والمراقبة عنـــدها وانتظـــار وصـــول الفيض من أصـــحابها، والاسـتمداد بهم في الفـرج بعد الشـدة وإيجـاب النـذور لهم ووضع الأموال في المقابر إلى غير ذلك من الكبائر، والإشراك،

---

[4] محيي السنة وقامع البدعة، الإمام العلامة أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي، أحد مجددي علوم السنة في الهند، وصاحب المصنفات الذائعة والمؤلفات النافعةالتي يجنح فيها إلى الاجتهاد وينفر عن التقليد تبعاً لشيخه وأستاذه الذي تتلمذ على كتبه، ونسج على منوالها شيخ الإسلام الشوكاني رحمه الله ، ولد سنة (1248هـ) وتوفي سنة (1307هـ).انظر كتاب :السيد صديق حسن خان آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف للدكتور اختر جمال لقمان 0

[1] كذا في الأصل ولم أتبين المراد به.

والبـــدع،وكل ذلك ضـــلالة على ضـــلالة وظلمة فـــوق ظلمة **وسيعلمُ الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون [1].**

وأما تخصـيص قبـور الفضـلاء بهـذه الداهية الـدهياء، والمعصـية الصماء، والفاقرة العظمى فلا وجه له) الخ [2]

وقال القرطبي -رحمه الله تعالى- في تفسيره "تفسير سورة الكهف ":(وأما تعلية البنـاء الكثـير على نحو ما كـانت الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً فذلك يُهـدم ويـزال، فـإن فيه اسـتعمال زينة الـدنيا في أول منـازل الآخـرة، وتشـبهاً بمن كـان يعظم القبور ويعبدها وباعتبـار هـذه المعـاني وظـاهر النهي ينبغي أن يقال هو حرام)[3].

وكان -رحمه الله تعالى- قد صـرح في تفسـير سـورة البقـرة عند قوله تعـالى: **يا أيها الـذين آمنـوا لا تقولـوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عـذاب أليم** [4].وهو يتكلم عن سد الذرائع بـأن ما ورد من الأحـاديث في النهي عن البنـــاء على القبـــور وتجصيصـــها...الخ. إنما هو لسد الذريعة المؤدية الى ما وصلت إليه الأمم الســـابقة من التـــدرج في عبادتها من دون الله وهـــذا نص كلامه -رحمه الله-:(قـــال علماؤنا: ففعَلَ ذلك أوائلهم ليأنسوا برؤية تلك الصور ويتـذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهـادهم ويعبـدون الله عز وجل عند قبـــورهم، فمضت لهم بـــذلك أزمـــان، ثم إنهم خلف من بعـدهم خلـوف جهلـوا أغراضـهم، ووسـوس لهم الشـيطان:أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فحذر النـبي عن مثل ذلك وشدّد النكـير والوعيد على من فعل ذلك وسـدَّ الـذرائع المؤدية الى ذلك فقـال:((**اشـتدَّ غضب الله على قـوم اتخـذوا قبـور أنبيـائهم وصـالحيهم مسـاجد)) وقـال: ((اللهم لا تجعلْ قبري وثناً يعبد))**[5].

---

[1] الشعراء (227) 0

[2] السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج للشيخ صديق حسن خان إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر (3/82-83-384) .

[3] الجامع لأحكام القرآن (10/381) 0

[4] ?البقرة (104) 0

[5] تفسير القرطبي (2/58) .

هذه أقوال أهل العلم على هذه الأحـاديث ونحوها، وكلها تؤكد أن المقصد من ذلك النهي والتشديد هو سدّ ذرائع الشــرك،وألا يصل الحال بهذه الأمة كما وصل بالأمم السابقة حـتى حلّت بها الوثنية والشـــــرك وذلك يؤكّـــــد ما عَنْوَنَّا له أول الفصل ولله الحمد.

الأسلوب السابع - الأمر بتسوية القبور المشـرفة مع قـرن ذلك بطمس التماثيل: فعن ثمامـة بن شـُفي -رحمه الله - قـال: (كنا مع فضـالة بن عبيد بـأرض الـروم بـرودس [1] فتوفي صــاحب لنا فــأمر فضــالة بن عبيد بقــبره فســوى ثم قـال:سـمعت رسـول الله ﷺ يـأمر بتسـويتها)[2].وعن أبي الهيَّاج الأســدي-رحمه الله- قـال: قـال لي علي بن أبي طـالب:**(ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثـالاً إلا طمسـته ولا قـبراً مشـرفاً إلا سوّيته)[3].** وهكـذا فهم الصـحابة رضـوان الله عليهم الأمر، فسوّوا القبـور المشـرفة، وأمروا بذلك وصار هذا شعارهم وديدنهم.

فهذا فضـالة بن عبيد ﷺ يطبِّق ما سـمع ويـأمر بتسـوية القـبر؛ امتثـالاً لأمر رسـول الله ﷺ بتسـويتها، وهـذا علي ﷺ يبعث رئيس شرطته أباالهياج الأسدي[4] لطمس القبوركما بعثه رســول الله ﷺ أي أنه يطبِّق ماعرفه وفهمه من أمر رسول الله ﷺ بذلك، وهــذا عثمان ﷺ يأمر بتسوية القبور كـذلك. قـال عبدالله بن شـرحبيل بن حسنة –رحمه اللـه-: (رأيت عثمـان ﷺ يـأمر بتسـوية القبـور فقيل له هذا قبر أم عمرو بنت عثمان! فــأمر به فسوِّي)[5] وعن

---

[1] (هي جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط افتتحها معاوية ﷺ ودانت بالإسلام زمناً ثم طرد منها المسلمون وعادت إلى النصرانية) انظر معجم البدان لياقوت بن عبد الله الحموي (3/78) طبع دار صادر ،بيروت ط ثانية(1995م).

[2] مسلم كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر (7/35-36) مع النووي .

[3] المصدر السابق (7/36).

[4] تحذير الساجد من اتخاد القبور مساجد ص (88) للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني .

[5] رواه أبوبكر بن أبي شيبة في المصنف ، كتاب الجنائز باب في تسوية القبر وما جاء فيه (3/341) طبع الدار السلفية بالهند بومبي الطبعة الثانية (1399هـ-1979م) ، وأبو زرعة في تاريخه بسند صحيح إلى عبدالله وانظر تحذير الساجد(88).

عمرو بن شرحبيل قال: (لا ترفعوا جدثي – يعني القبر – فـإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلـك)[1]،وسـيأتي مزيد بيـان لهـذا في الباب الأول إن شاء الله [2].

وأما العلمـاء ممن جـاء بعد الصـحابة والتـابعين وإلى عصـرنا الحاضر، فستأتي نماذج من كلامهم الدال على أنهم فهموا ذلك المعنى، وعملوا بمقتضـاه، وصـرحوا بأنه من بـاب سد الذريعة المفضية إلى الوثنية والشرك بالله تعالى.

قـال الإمـام الشـافعي-رحمه الله-: (ولم أرَ قبـور المهـاجرين والأنصار مجصصة قال الـراوي عن طـاووس: أن رسـول الله ﷺ نهى أن تبنى القبور أو تجصص (قـال الشـافعي) وقد رأيت من الــولاة من يهــدم بمكة ما يبــنى فيها فلم أرَ الفقهــاء يعيبــون ذلك)[3].

وقــال العلامة ابن حجر الهيتمي في "الفتــاوى الكــبرى " في جواب سؤال يتعلق بهذا الموضوع: (المنقول المعتمد كما جزم به النــووي في شــرح المهــذب حرمة البنــاء في المقــبرة المســبلة،فــإن بُــني فيها هُــدم ولا فــرق في ذلك بين قبــور الصالحين والعلمـاء وغـيرهم، وما في الخـادم مما يخـالف ذلك ضعيف لايلتفت إليـه، وكم أنكـر العلمـاء على بـاني قبة الإمـام الشـــافعي- رحمه الله - وغيرها، وكفى بتصـــريحهم في كتبهم إنكاراً) انتهى محل الغرض منه [4].

وقال في جواب سؤال آخـر: (يحـرم بنـاء القـبر في المقـبرة المســـبلة؛وهي الـــتي اعتـــاد أهل البلد الـــدفن فيها، ومثلها الموقوفــة لــذلك،ســواء كــان مــدماكاً أم مــدماكين لأن الكل يســمى بنــاء ولوجــود علة تحــريم البنــاء في ذلك وهي تحجـير الأرض على من يدفن بعد بلاء الميت،إذ الغالب أن البناء يمكث إلى ما بعد البلى، وأن النــاس يهابون فتح القبر المبني، فكـان في البناء تضييق للمقبرة ومنع النـاس من الانتفـاع بها فحـرم،

---

[1] رواه ابن سعد في الطبقات (6/108) دار بيروت للطباعة والنشر (1377 هـ - 1957م)وصحح إسناده الشيخ الألباني وانظر : تحذير الساجد ص (98) .

[2] الفصل الثاني من الباب الأول0

[3] الأم (1/277) 0

[4] الفتاوى الكبرى للإمام العلامة أحمد بن محمد الهيثمي المكي (2/17)طبع دار الفكر ببيروت (1403هـ-1983م) .

ووجب على ولاة الأمر هـــــدم الأبنية الــــتي في المقـــــابر المسـبلة،ولقد أفـتى جماعة من عظمـاء الشـافعية بهـدم قبة الإمـام الشـافعي -رحمه اللــه-وإن صـُرفت عليها ألــوف من الدنانير لكونها المقبرة المسبلة وهذا - أعني البناء في المقـابر المسبلة - مما عمّ وطم،ولم يتوقّه كبـير ولا صـغير فإنا لله وإنا اليه راجعون) [1].

وقــال شـيخ الإسـلام الشـــوكاني -رحمه الله- في النيل في شرح حديث علي : (قوله:" **ولا قبراً مشرفاً إلا سويته** " فيه أن السنة أن القـبر لا يرفع رفعـاً كثـيراً من غـير فـرق بين من كان فاضلاً ومن كان غير فاضـل، والظـاهر أن رفع القبــور زيادة على القدر المأذون فيه محرّم، وقد صرح بـذلك أصـحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعي ومالـك، والقـول بأنه غـير محظور لوقوعه من السلف والخلف بلا نكـير - كماقـال الإمـام يحـــيى [2] والمهـــدي[3] في الغيث - لا يصح لأنه غاية ما فيه أنهم سـكتوا عن ذلك والسـكوت لا يكـون دليلاً إذا كـان في الأمـور الظنية، وتحريم رفع القبور ظني،ومن رفع القبور الداخل تحت الحـديث دخـولاً أولياً القبب والمشـاهد المعمـورة على القبـور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النــبي فاعل ذلك كما سيأتي0 وكم قد سـرى عن تشـييد أبنية القبـور وتحسـينها من مفاسد يبكي لها الإسـلام، منها اعتقــاد الجهلة لها كاعتقــاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنـوا أنها قـادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأً لنجاح

---

[1] المرجع السابق (2/25) .

[2] ستأتي ترجمته في الباب الأول (ص 102).

[3] الإمـام أحمد بن يحـيى بن المرتضى ، من كبـار أئمة الزيدية ومن عليهم المعــوَّل في الفقه بل إن كتابه (الأزهــار) هو عمــدتهم بلا منــازع .بلغ درجة الاجتهاد وهي شرط من شروط الإمامة عند الزيدية فبويع له بالإمامة سـنة (793هـ) ولم يتم له الأمر ،له عدد كبير من المصنفات من أشهرها:

- الأزهار وشرحه الغيث المدرار.
- البحر الزخار الجامع لمذهب علماء الأمصار .
- المنية والأمل في الملل والنحل .=

=وغيرها كثير ، توفي - رحمه الله - سـنة(840هــ).انظر البـدر الطـالع (1/122-126)،بلـوغ المـرام في شـرح مسك لختـام للقاضي حسـين بن أحمد العرشي ص (410) ، طبع دار إحياء التراث العربي ببـيروت عـني بطبعة الأب أنستاس ماري الكرملي .

المطـالب وسـألوا منها ما يسـأله العبـاد من ربهم، وشدّوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا.

وبالجملة إنهم لم يدَعوا شـــيئاً مما كـــانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه - فإنا لله وإنا إليه راجعون – ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للـدين الحنيف لا عالماً ولا متعلمـاً ولا أمـيراً ولا وزيـراً ولا ملكـاً، وقد تـوارد إلينا من الأخبـــار ما لا يشك معه أن كثـيراً من هـؤلاء القبـوريين [1] أو أكـثرهم إذا تـوجهت عليه يمين من جهة خصـمه حلف بالله فـــاجراً، فـــإن قيل له بعد ذلـــك: احلف بشـــيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شـركهم قد بلغ فـوق شـرك من قال: إنه- تعالى- ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الـدين، ويا ملوك المسلمين،أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الـدين أضر عليه من عبـادة غـير اللـه؟ وأي مصـيبة يصـاب بها المسلمون تعدل هذه المصيـــبة، وأي منكر يجب إنكـاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبـاً:

لقد أسمعت لوناديت حيـــاً ولكن لاحياة لمـــن تنادي

ولو ناراً نفخت بها أضــاءت ولكـــن أنت تنفخ في رمادِ [2]

وقال صديق حسن خـان: (أقـول: الأحـاديث الصـحيحة وردت بالنهي عن رفع القبور، وقد ثبت من حديث أبي الهياج ما تقدم فما صدق عليه أنه قبر مرفوع أو مشرف لغة فهو من منكرات الشريعة التي يجب على المسلمين إنكارها وتسويتها، من غــير فرق بين نبي وغـير نـبي،وصـالح وطـالح،فقد مـات جماعة من أكـابر الصـحابة في عصـره ﷺ ولم يرفع قبـورهم،بل أمر عليـاً بتسوية المشرف منها،ومـات ﷺ ولم يرفع قـبرَه أصـحابُه،وكـان من آخر قوله:**((لعن الله اليهود اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مســـاجد))**،ونهى أن يتخذ قـــبره وثنـــاً، فما أحق الصـــلحاء والعلمــاء أن يكون شعارهم هو الشعار الـذي أرشـدهم إليه ﷺ، وتخصيصـــــهم بهــــذه البدعة المنهي عنها تخصـــــيص لهم بما

---

[1] في المطبوع المقبورين وهو خطأ.

[2] نيل الأوطار (4/95) .

لايناسب العلم والفضــل؛فــإنهم لو تكلمــوا لضــجوا مِن اتخــاذ الأبنية على قبـورهم وزخرفتها لأنهم لا يرضـون بـأن يكـون لهم شعار من مبتدعات الدين ومنهياته، فإن رضوا بذلك في الحيـاة كمن يوصي من بعده أن يجعل على قبره بنـاء، أو يزخرفه فهو غير فاضل، والعالم يزجره علمه عن أن يكون على قبره ما هو مخــالف لهــدي نبيه ﷺ،فما أقبح ما ابتدعه جهلة المســلمين من زخرفة القبور، وتشـييدها، وما أسـرع ما خـالفوا وصـية رسـول الله ﷺ عند موته فجعلـوا قـبره على الصِـفة الـتي هو عليها الآن وقد شــدَّ من عضد هــذه البدعة ما وقع من بعض الفقهــاء من تســــويغها لأهل الفضل حـــــتى دوّنوها في كتب الهداية والله المستعان...) [1].

الأسـلوب الثـامن - إنكـاره على من طلبـوا أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها:

كما في قصة ذات أنـواط والحـديث بـذلك أخرجه الترمـذي - رحمه الله- في سننه في كتـاب الفـــتن، بـاب " لـتركبن سـنن من كان قبلكم " من حديث أبي واقد الليـثي ﷺ:(أن رسـول الله ﷺ لما خرج إلى حـنين مـرَّ بشـجرة للمشـركين يقـال لهـا: ذاتُ أنواط، يعلِّقون عليهــا أسلحتهم، قــالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال لهم النـبي ﷺ:**((سـبحان الله هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهــة. والــذي نفسي بيــده لــتركبن ســنن من كــان قبلكم))** قال أبوعيسى هذا حديث حسن صحيح [2] 0

فانظر- رحمك اللـه- كيف عظَّم رسـول الله ﷺ سـؤالهم له أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها كما يفعل المشركون وذلك بعدة أمور، منها: التسبيح الذي يقال عند سماع الأمر العظيم، ومنها: تشـبيه طلبهم ذلك بطلب قـوم موسى حين قـالوا لـه:﴿ **اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة** ﴾ [3]، ومنهـا: الإخبـار بالسُـنَّة الماضـية

---

[1] ? الروضة الندية شرح الدر البهية للسيد صديق حسن خان (175-176) طبع دار الندوة الجديدة ببيروت (1404هـ-1984م) .

[2] سنن الترمذي (4/475) طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط الأولى (1382هـ - 1962م)تحقيق وتعليق إبراهيم عطوه عوض ، وقال الشيخ الألباني في صحيحه (2/235) : (صحيح) ، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط الأولى (1408هـ -1988م) 0

[3] الأعراف (138).

من اتِّباع هـذه الأمة لغيرها من الأمم السـابقة فيما وقعـوا فيه من الفتن والضلال وإقسامه على ذلك 0

فهـذا كله برهـان واضح على خطـورة تلك المظـاهر الوثنية وماتجرُّه على الأمة من انحراف في عقيدتها ولهذا حذر العلماء - رحمهم الله- من وجود مثل تلك الأماكن التي يعظِّمها العـوام ويتبركون بها ويعتقدون فيها شيئاً من النفع والضر، أو يقومـون عنـدها بشـعائر تعبدية مبتدعة أو شـركية، قـال الإمـام أبـوبكر الطرطوشي [1] - رحمه الله - في كتابه " الحوادث والبدع " بعد سـياق هـذا الحـديث:(فـانظروا -رحمكم الله - أينما وجـدتم سدرة وشجرة يقصدها الناس،ويعظِّمـون من شـأنها، ويرجـون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسـامير والخـرق،فهي ذات أنواط فاقطعوها) [2] 0

وقال الإمام أبو شامة الدمشقي الشافعي [3] -رحمه اللـه- في كتابه " البـاعث على إنكارالبـدع والحـوادث" وهو يتكلم عن البدع والمحدثات المستقبحة: (ومن هذا القسم أيضاً: ماقد عمَّ به الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطـان والعمد [4] وسـرْج مواضع في كل بلد يحكي لهم حـاكٍ أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحـافظون

---

[1] الإمام العلامة محمد بن الوليد بن محمد الفهري المعروف بالطرطوشي، ولد بطرطوشه ببلاد الأندلس، ثم رحل إلى أهل بلده في طلب العلم ثم إلى المشرق العربي، واستقر به المقام بالإسكندرية حتى توفي بها رحمه الله ، ولد سنة (451هـ) وتوفي سنة (520هـ) انظر الأعلام (7/133-134) ومقدمة كتابه الحوادث والبدع تحقيق عبدالمجيد تركي،طبع دار الغرب الإسلامي ط الأولى (1410هـ-1990م) .

[2] الحوادث والبدع للإمام محمد بن الوليد الطرطوشي (ص105) 0

[3] ?الإمـام الحافظ المجتهد شـهاب الـدين أبو القاسم عبـدالرحمن بن إسماعيل الدمشقي الشافعي المعروف بأبي شامة ، قال عنه السخاوي (كـان عالمـاً راسـخاً في العلم ،مقرئـاً محـدثاً نحويـاً ، يكتب الخط المليح المتقن مع التواضع والانطراح والتصانيف العدة) ولد سنة (599هـ) وتوفي - رحمه الله - سـنة (665هــ) . انظر : البداية والنهاية (13/250-251)، والإعلان بـالتوبيخ (ص60) طبع دار الكتـاب العـربي طبعة مصـورة عن نسختي الأستاذ المحقق أحمد باشا تيمور (1403 هـ- 01983م).

[4] التخليق: أي طليها بالخلوق (والخلوق : طيب معـروف يتخذ من الزعفـران وغـيره من أنـواع الطيب ،وتغلب عليه الحمـرة والصـفرة) لسـان العـرب(10/91) ، و(العُمُد :جمع عمود) وانظر المعجم الوسيط (2/626).

عليه مع تضييعهم فرائض الله وسـننه، ويظنـون أنهم متقربـون بـذلك، ثم يتجـاوزون هـذا إلى أن يعظم وقع تلك الأمـاكن في قلوبهم، فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها؛وهي ما بين عُيونٍ وشجرٍ وحائـطٍ وحجـر. وفي مدينة دمشق - صـانها الله تعـالى من ذلـك- مواضع متعـددة كعوينة الحمى خارج بـاب تومـا، والعمـود المخلق داخل بـاب الصـغير، والشـجرة الملعونة اليابسة خـارج بـاب النصر في نفس قارعة الطريق - سـهَّل الله قطعها واجتثاثها من أصـلها- فما أشـبهها بذات أنواط الوارد في الحديث...)[1] وذكر الحديث السابق 0

فانظر كيف فهم العلماء- رحمهم الله تعالى - من هذا الحديث النهي عن هـــذه المظـــاهر الوثنية القبورية وأنها تـــؤدي إلى الشـرك بالله تعـالى وعبـادة غـيره كما قـال ابن القيم [2]-رحمه الله تعالى-: (فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون اللــه،ولو كــانت ما كــانت 0ويقولــون: إن هــذا الحجر وهــذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر0 أي تقبل العبادة من دون الله تعالى فإن النذر عبـادة وقربـة، يتقـرب بها النـاذر إلى المنـذور لـه، ويتمسـحون بـذلك النصب ويسـتلمونه، ولقد أنكر السـلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله تعالى أن يتخذ منه مصــلى كما ذكر الأزرقي [3] في كتاب " تاريخ مكة " عن قتادة في قوله

---

[1] البـاعث على إنكـار البـدع والحـوادث للشـيخ عبد الـرحمن بن إسـماعيل المعـروف بـأبي شـامة الدمشـقي ص (101) 0طبع دار الراية للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الأولى (1410هـ- 1990م)

[2] العلامة المحقق الأصولي الفقيه النحوي شـمس الـدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، صحب الإمـــام ابن تيمية ووافقه في كثـــير من آرائه دون تقليد وأوذي وحبس معه حتى مات شيخه فـأفرج عنه ، تعتـبر كتبه شـجىً في حلـوق المبتدعة وقـرة عين لأهل السـنة ، لاسـيما زاد المعـاد الـذي لاتكـاد تخلو منه مكتبة عـالم موافق له أو مخالف رحمه الله ، ولد سنة (691هـ) وتـوفي سـنة (751هـ) . انظر ترجمته : في البداية والنهاية (14/234-235) والـــدرر الكامنة (3/400-403) 0

[3] الإمـام الشـيخ محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي المكي صـاحب أول تاريخ موجود لمكة المكرمة ، مات سنة (250هـ) انظر :مقدمة كتابه أخبـار مكة طبع مطـابع دار الثقافة بمكة تحقيق رشـدي الصـالح ملحس الطبعة الثامنة (1416هـ -1996 م)، الأعلام (6/222).

تعالى: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [1] قال: (إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها، ذكر لنا من رأى أثره وأصابعه فمازالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق) [2]. وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة القبور وهي أصل فتنة عبادة الأصنام كما قاله السلف من الصحابة والتابعين وقد تقدَّم) [3] 0

وعلى ذلك فإن تنبيه رسول الله ﷺ لأصحابه،هو تنبيه للأمة كلها ألا يتبعوا الأمم الضالة فيما سلكوه من سبل الضلال، ومن أهمها وسائل الشرك 0

الأسلوب التاسع - نهيه ﷺ أن يذبح لله في مواضع الشرك وأعياد الجاهلية:

فقد روى أبوداود من حديث ثابت بن الضحاك ﷺ قال: (نذر رجل على عهد النبي ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة[4] فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبي ﷺ: **((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا:لا، قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم،قالوا: لا، قال النبي ﷺ: أوفِ بنذرك فإنه لانذر في معصية الله ولافيما لا يملك ابن آدم))** [5] 0

فالرسول ﷺ استوضح السائل عن سر تخصيصه لذلك المكان بالذبح فيه، لأنه ربما كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يذبح له من دون الله، أو كان فيه عيد من أعيادهم،وخشي أن يكون ذلك السائل أراد التشبه بهم في ذلك، أو أنه بقي لديه شيء من آثار تعظيم ذلك المكان، فلما أجاب السائلُ بالنفي أجاز النبي ﷺ نذره وأمره بالوفاء به، معلناً له وللأمة كلها أنه لاوفاء

---

[1] البقرة (125).

[2] أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي (2/ 29-30) 0

[3] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (1/212) طبع دار المعرفة ببيروت بتحقيق محمد حامد الفقي 0

[4] بضم الموحدة وبعد الألف نون وقيل بفتح الباء : هضبة من وراء ينبع 0 انظر : عون المعبود (9/140)

[5] رواه أبوداود (9/140) مع عون المعبود وقال الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول :(وإسناده صحيح) (11/140) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ طبع دار الفكر بيروت ط الثانية (1403 هـ - 1983 م) ، وكذلك صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (2/636) 0

لنذر في معصية الله،ومن ذلك يفهم أنه لوكان في ذلك المكان وثن يعبد، أو عيد من أعياد الجاهلية، لكان ذلـك النذر بتخصيص ذلك المكان معصية ولما جاز الوفاء بـه، ومـاذاك إلا لاستئصـال كل مايؤدي إلى تعظيم الأماكن التي يؤدي تعظيمها إلى إفسـاد العقيدة، وإيجاد نوع من التعظيم القلـبي الـذي يـوجب الشـرك بالله في ذلك 0

قــال شــيخ الإســلام ابن تيمية[1] - رحمه اللــه- في "اقتضــاء الصراط المستقيم مخالفة أصـحاب الجحيم":(وهـذا يـدل على أن الذبح بمكان عيـدهم ومحل أوثانهم معصية لله من وجوه:

---

[1] شيخ الإسلام وعلم الأعلام ومجدد القرن الثامن أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، لايفي بالتعريف به أسطر قليلة ،كيف وقد أفردت لترجمته مؤلفات جليلة ، كان رحمه الله أمة في عصره وبعد عصره ، جمع الله له من أبواب الخير مالم يجمعه لسواه منذ القرون الأولى للإسلام ؛ جاهد في الله حق جهاده بسنانه ولسانه وبنانه حتى أتاه اليقين ، وهو مجدد منهج السلف الصالح وليس مبتدعا فيه كما ير يد أن يلبسه ذلك أعداء السنة الذين يحاربونها بالطعن في ذاته الشريفة ،ورافع لواء التوحيد وليس مخترعاً سبيله ، توفي رحمه الله مسجوناً في ذات الله من أجل إعلان كلمة الحق في زمن يضيق بها أهله، وتصغر عن فهمها عقولهم، وتتضرر به مصالحهم فنشر بذلك ذكره وعلا قدره ومات واندرس ذكرُ وقدرُ مناوئيه فلايكاد يذكرهم أحد بخير 0ولد سنة (661هـ) وتوفي رحمه الله سنة(728هـ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للإمام للذهبي (4/1496 - 1497) طبع دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ ، والبداية والنهاية (14/135 - 140) ، والتذكرة والإعتبار والانتصار للأبرار في الثناء على شيخ الإسلام والوصاية به لعماد الدين الواسطي طبع دار العاصمة بالرياض ط الثانية (1415هـ -1994 م) تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي ، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لعمر بن علي البزّار طبع المكتب الإسلامي بيروت ط الثانية (1396هـ) تحقيق زهير الشاويش ، والجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون لمحمد عزيز شمس وعلي العمران طبع دار عالم الفوائد مكة ط الأولى (1420هـ) .

[1] اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور ناصر العقل (1/440- 443) ط الأولى (1404 هـ) ليس عليه اسم الدار ، مع شيء من الاختصار .

أحـدها - أن قوله ((**فأوفِ بنذرك**)) تعقيب للوصف بــالحكم بحـــرف الفـــاء وذلك يـــدل على أن الوصف هو ســـبب الحكم فيكون سبب الأمر بالوفاء وجود النذر خالياً من هذين الوصفين فيكون الوصفان مـانعين من الوفـاء ولو لم يكن معصـية لجـاز الوفاء به 0

الثانـي - أنه عقب ذلك بقوله: ((**لاوفاء لنذر في معصية الله**)) ولـولا انـدراج الصـورة المسـؤول عنها في هـذا اللفظ العام، وإلا لم يكن في الكلام ارتباط والمنذور في نفسه – وإن لم يكن معصية - لكن لما سأله النبي عن الصورتين قال لــه: ((**فـأوفِ بنـذرك**)) حيث ليس هنـاك مـايوجب تحـريم الـذبح هناك، فكان جوابه فيه أمراً بالوفاء عند الخلو من هـذا، ونهى عنه عند وجود هذا، وأصل الوفاء بالنذر معلوم، فبين ما لا وفاء فيه.

الثــالث - أنه لوكــان الـذبح في موضع العيد جـائزاً لسـوغ للناذر الوفاء به كما سوّغ لمن نذرت الضرب بالدف أن تضرب به بل لأوجب الوفاء به إذ كان الذبح بالمكان المنـذور واجبـاً 0 وإذا كان الذبح بمكـان عيـدهم منهيـاً عنه فكيف بالموافقة في نفس العيد بفعل بعض الأعمـال الـتي تعمل بسـبب عيـدهم...) ثم أخذ يتكلم عن العيد واشـتقاقاته ثم قــال: (... ومعلــوم أن ذلك إنما هو لتعظيم البقعة الــتي يعظمونهــا، بالتعييد فيهــا، أو لمشاركتهم في التعييد فيها، أو لإحياء شعار عيـدهم فيهـا،ونحو ذلك0 إذ ليس إلا مكان الفعل أو نفس الفعل أو زمانه 0

فإن كان من أجل تخصيص البقعة – وهو الظـاهر – فإنما نهى عن تخصيص البقعة لأجل كونها موضع عيدهم، ولهــذا لما خلت من ذلك أذن في الــــذبح، وقصد التخصـــيص بــــاق، فعلم أن المحذور تخصيص بقعة عيدهم.

وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذوراً، فكيف نفس عيــدهم؟.
هذا كما أنه لما كرهها لكونها موضع شركهم بعبادة الأوثان كان ذلك أدل على النهي عن الشرك وعبادة الأوثــان...فـإذا كـان قد نهى أن يذبح في مكان كان الكفار يعملـون فيه عيـداً - وإن كان أولئك الكفار قد أسلموا وتركوا ذلك العيد، والسائل لايتخذ المكــان عيــداً ، بل يــذبح فيه فقط - فقد ظهر أن ذلك ســداً للذريعة إلى بقـاء شــيء من أعيـادهم؛خشـية أن يكـون الـذبح هناك سبباً لإحياء أمر تلك البقعة؛وذريعة لاتخاذها عيداً)[1] 0

وقـال الملا علي القـاري - رحمه الله - في شـرح المشـكاة: (وهذا كله احتراز من التشبه بالكفار في أفعالهم) [2] 0

---

[2] المرقاة (6/609) 0

المبحث الثالث
هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول:موازنة الإسلام بين مصالح الأحيـاء والأمـوات بالحفـاظ على كرامة الأمـوات وعقيـدة الأحياء:

من مزايا الإسلام شموله وكماله، ووسطيته واعتداله، وموازنته بين المصالح والمفاسد؛ بحيث لا يحث على جلب منفعة يترتب عليها حـدوث مفسـدة، أو تفـويت مصـلحة أعظم منها، ومن هـذا المنطلق جـاءت نظرته إلى مقـابر المسـلمين، فحفظت للأموات كـرامتهم وشـرعت ما فيه مصـلحتهم، ونهت عن تقديس القبور تقديساً يؤدِّي إلى تعظيمها في نظر الأحيـاء وافتتانهم بها والاعتقاد في أصـحابها ما لا يجـوز اعتقـاده إلا في الله.

فنهى رسول الله عن امتهان المقابر بجعلها مواطن لقضاء الحاجة [1]، وعن وطء القبور [2]، والجلوس عليها[3]،وعن كسر عظام الميت [4]، وحذر علماءُ المسلمين وفقهاؤهم من نبش القبور لغير مصلحة تعود على الميت أو ضرورة تلجىء إلى ذلك [5]، وأرشد الرسول الماشي بين القبور أن يخلع نعليه [6]، وهذه الأمور فيها غاية الحفاظ على قبور المسلمين، وغاية التكريم لأمواتهم.

وحتى لا يؤدِّي تكريم أموات المسلمين،والحفاظ عليهم إلى تقديسهم والغلوّ فيهم، فقد نهى رسول الله عما يؤدي إلى

---

[1] ? لما رواه ابن ماجه من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله : (لأن أمشي على جمرة أوسيف أو أخصف نعلي برجلي ، أحب إليَّ من ان أمشي على قبر مسلم ، وما أبالي أوسط القبور قضيت حاجتي أو وسط السوق) ،كتاب الجنائز باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور والجلوس عليها (1/499) ،وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (1/261) ، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج ط الثالثة (1408هـ - 1988 م).

[2] للحديث السابق .

[3] لحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله : ((لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه ، فتخلص إلى جلده ، خير له من أن يجلس على قبر مسلم)) .رواه مسلم كتاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه (7/37- 38) مع النووي.

[4] لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول قال : ((إن كسر عظم المؤمن ميتاً مثل كسره حياً)) رواه أحمد(6/58) وأبو داود في كتاب الجنائز باب في الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان؟ (2/231) ، وابن ماجه كتاب الجنائز باب في النهي عن كسر عظم الميت (1/516)،وصححه شيخنا الألباني في صحيح أبي داود (2/618).

[5] انظر المجموع للإمام النووي تحقيق الشيخ محمد نجيب المطيعي (5/246، 266- 277) طبع مكتبة الإرشاد جده بدون تاريخ.

[6] ? لحديث بشر مولى رسول الله وفيه:(أن رسول الله رأى رجلاً يمشي بين القبور عليه نعلان فقال: ((ياصاحب السبتيتين ويحك ألق سبتيتيك)). فنظر فلما عرف رسول الله خلعهما فرمى بهما) رواه أبو داود في كتاب الجنائز = باب المشي في النعل بين القبور(2/236) وحسنه الشيخ الألباني في صحيحه (2/622) ، وكذا روى نحوه ابن ماجه في كتاب الجنائز باب ماجاء في خلع النعلين في المقابر (1/499) وحسنه الشيخ الألباني في صحيحه (1/261) .

? ورد ذلك من حديث ابن عباس وأبي مرثد الغنوي وقد سبقا مع تخريجهما ص (13) .

ذلك. فنهى عن الصــلاة على القبــور وإليهــا [1]، ونهى أن تتخذ مسـاجد [2]، وعن تجصيصـها والبنـاء عليها والكتابة عليها [3]، وأمر بتسوية القبور المشرفة الـتي ترفع فـوق الحد الـذي يسـمح به الشـرع [4]، وقد عقل الصـحابة والتـابعون لهم بإحسـان، والأئمة المقتدى بهم ذلـــك، وحـــافظوا على ذلك الهدي الصـــالح، والطريقة الرشـيدة حـتى نهاية القرون المفضـلة، عنـدما آلت ولاية المسلمين إلى الروافض والباطنية فغيّـروا وبدّلوا وأمـاتوا سنة الرسول وأصحابه،ونشروا سنة اليهود والنصارى في بلاد المســـــلمين، وتبعهم على ذلك جهلة الحكـــــام، ومنحرفو المـتصوفة،حتى شاع ذلك في بلاد المسلمين، وصار هو الغالب على كثـير منها رغم تحـذير العلمـاء وتقرير الفقهـاء،وصـيحات الغيورين على سنة المصطفى) [5].

<u>المطلب الثـاني</u>: تعامل الصـحابة مع ما عـرف من قبور الأنبياء:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى - تعاملهم مع قبر النبي :

4[1] صح بذلك الأحاديث عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انظر طائفة منها ص (16 - 17).

5[2]كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما وقد سبق (ص19)

6[3] صح ذلك من حـــديث فضـــالة بن عبيد وعلي بن أبي طـــالب رضي الله عنهما وقد سبقا مع تخريجهما ص (23) 0

7[4] الكشف المبين عن حقيقة القبـوريين زيـارة هـود وما فيها من ضـلالات ومنكرات للباحث ص (39-40) ط الأولى (1420هـ - 1999 م) 0

[5]

لقد مرت بنا أحـاديث لعن النـبي اليهـود والنصـارى؛ حيث اتخذوا قبـور أنبيـائهم وصـالحيهم مسـاجد [1]، وأن ذلك كـان في آخر حياته [2]، بل كـان آخر ذلك في حـال نـزول الموت به [3]، وقدصـــــــرحت عائشة رضي الله عنها أنـــــــه كـــــــان ((**يحذرماصنعوا**))،وصرحت أن الصحابة لم يبرزوا قـبره لتلك العلة.

وهذا الذي فهمته عائشة من أحاديث الرسول التي لعن فيها اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيـائهم مسـاجد- هو الفقه الصـحيح والفهم الثـاقب اللائق بها رضي الله عنها، وليس هو فهمها وحـدها رضي الله عنهـا،وإنما فَهْمُ الصـحابة جميعـاً ، والـدليل على ذلك أنهم دفنـوه كما يـدفن سائرالمسـلمين لم يميّـزوه بشـيء عن سـائر المـوتى إلاوضع قطيفة في لحـده [4] حيث لا يخشى من ذلك أي تـأثير علىعقائـدالناس إذ لم تكن ظـاهرة لهم ولا يمكن أن يفتتن بها أحـد.وأما هيئة القـبر فإنه كسـائر القبـور، فقد روى البخـاري - رحمه الله - عن سـفيان التمار أنه (رأىقبر النبي مسنماً) [5]. قال الحافظ: (أي مرتفعـاً) .[6]

---

[1] من ذلك حديثان عن عائشة وحديث عنها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انظر فيما تقدم ص (16-17) وحديث جندب بن عبدالله وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما (ص19) 0

[2] ? كما في حديث جندب السابق في الهامش 1 0

[3] ?كما في حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما السابقين في الهامش 1 0

[4] مسلم مع النووي(7/34)كتاب الجنائز باب جعل القطيفة في القبر 0

[5] البخاري مع الفتح (3/255) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما 0

[6] المرجع السابق (3/257) 0

قلت: الارتفــاع المشــروع فقــط، يفســره مــارواه أبو داود والحــاكم وقــال: صـحيح الإسـناد ولم يخرجـاه عن القاسم بن محمد قــال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: ياأمــاه اكشفي لي قبر رسـول الله وصـاحبيه فكشـفت لي عن ثلاثة قبور لامشـرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحـاء العرصة الحمـراء) [1] وزاد الأمر وضوحاً مارواه الآجُرّي في كتاب صفـة قـبر النـبي من طريق إســــحاق بن عيسى بن بنت داود بن أبي هند عن غنيم بن بسطام المدني قال: رأيت قبر النبي في إمارة عمر بن عبدالعزيز فرأيته مرتفعـاً نحـواً من أربع أصـابع ورأيت قـبر أبي بكر وراء قـبره ورأيت قـبر عمر وراء قـبر أبي بكر أسـفل منه) [2].

فهذه الروايات تبين ما كان عليه قـبر النـبي وقـبر صـاحبيه، وأنها ليس عليها أي أثر من آثـار التعظيم والتقـديس، وإنما هي قبور عادية كسائر القبور، لا مجصصة، ولا مرتفعة، وليس عليها توابيت، ولا سرج، ولا ثياب، ولا أي شــيء مما ابتدعته القبورية فيما بعد، وهذا كله يحقق لنا هدي النبي وأصحابه في القبـور، وأنَّ ما خالفه إنما هو هـدي اليهـود والنصـارى الـذين اسـتحقوا اللعن على ذلك.

وكمـافهم الصـحابة من تلـك الأحـاديث أنه لا يجـوز إضـفاء ملامح العظمة على قبر النبي وقبور المسلمين، كذلك فهمـوا أنه لو أبرز قبر النبي لربما أدَّى الى ان يفتتن النـاس بـه،وأن يعملـوا عنـده مالا يجـوز،وذلك جَعَلَه يـدعو ربه أن يجنبه إيـاه، ولقد اسـتجاب الله دعـاءه، وحمـاه بما فعله الصـحابة رضـوان الله عليهم،ثم التـابعون رحمهم الله كماقـال الإمـام ابن القيم-رحمه الله-:

فأجاب ربُّ العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدرانِ
حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عِزّةٍ وحمايةٍ وصيانِ

---

[1] رواه أبوداود (2/234) كتاب الجنائز باب تسوية القبور ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (4/3) كتاب الجنائز باب تسوية القبور وتسطيحها طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ،ورواه الحاكم أيضاً (1/700- 701)طبع دار المعرفة بيروت ط الأولى (1418 هـ -1998 م)، وقال الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول(11/82) " إسناده حسن " 0

[2] الفتح (3/255) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ففي عهد الصحابة كان في بيت عائشة -رضي الله عنها- وكان لا يدخل عليه ولا يصل إليه أحد إلا بإذنها،ولم يُنقَل أن الناس كانوا يستأذنونها لزيارته، وإنما يسلمون من المسجد ثم ينصرفون، ثم دفن معه أبو بكر ثم عمر ولم يدفن عمر إلا بإذنها -رضي الله عنها- وقد روى قصة دفنه مع صاحبيه البخاري -رحمه الله- في صحيحه [1]، ومما يؤيد أن القبر كان بعيداً عن أنظار الناس وعن وصولهم إليه؛ قصة القاسم بن محمد المتقدمة قريباً في هذا البحث،وأنه عندما رغب في رؤية القبر استأذن عائشة في ذلك فكشفت له عن القبور، أي أنها فتحت الباب وكشفت الستارة التي على الباب الذي في الجدار الذي بنته عندما دفن عمر مع النبي وأبي بكر ليكون حائلاً بينها وبين القبور [2]، وهذا دليل قوي على أن القبور كانت في غاية الصيانة والبعد عن وصول الناس، حتى أقرب الناس إلى عائشة لا يرونها إلا بإذن منها رضي الله عنها،

ومما يؤكد ذلك أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه عن هشام بن عروة عن أبيه: (لما سقط عليهم الحائط[3] في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه، فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي فما وجدوا أحداً يعلم ذلك حتى قال لهم عروة، لا والله ما هي قدم النبي ، ما هي إلا قدم عمر بن الخطاب)[4]، فانظر كيف كان ذلك الجمع الحاضر لتلك الحادثة غير مميز لمواقع القبور بعضها من بعض مما يؤكد أنها كانت محجوبة عنهم لا يعرفون عنها شيئاً.

---

[1] البخاري مع الفتح (3/256)كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

[2] انظر وفاء الوفاء (2/544)طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ط الرابعة (1404هـ -1984 م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد 0

[3] ?أي حائط بيت عائشة رضي الله عنها وذلك عندما أراد عمر بن عبدالعزيز رفع الحائط حول الحجرة الشريفة حيث رأى بعض الناس يصلون إلى القبر فلما حفر حول الحائط القديم انهدم فبدت تلك القدم ،انظر الفتح (3/257) 0

[4] البخاري مع الفتح(3/255) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما0

ومما يؤكد أن القــبر الشــريف كــان محجوبــاً عن النــاس، لا يصــلون اليه إلا بطريقة غــير مــأذون فيها، ولا مقــرة من أهل العلم وأولي الأمر، حــديث علي بن الحســين زين العابــدين - رحمه الله- أنه رأى رجـلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي فيدخل فيها فنهـاه، وقـال: ألا أحـدثك حـديثاً سـمعته من أبي عن جدي عن رسـول الله قـال: **((لا تتخذوا قــبري عيــداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن تسليمكم ليبلغــني أين كنتم))** [1]. فأنت ترى أن الرجل كان يدخل من فرجة، إذاً هناك جدار محيط بـالقبر مغلق عليه غـير أن فرجة فتحت بـأيّ سبب من الأسباب اسـتغلّها ذلك الرجل، فصـار يـدخل إلى عند القبر فيسلِّم على النـبي ، فنهـاه ذلك الإمـام العظيم علي بن الحسين زين العابدين -رحمه الله-، والجـدار الـذي أشـرتُ اليه هو جـدار حجـرة عائشة رضي الله عنها الـتي سبقَ أن أشـرتُ إليها فيما مضى وهذا –رواية سـقوط جـدار عائشـة- من أوضح الأدلة على ما ذكرت من حجب القبر عن الناس وكذلك –رواية زين العابدين- على موقف علماء السلف ممن يحـاول أن يصل إلى القبر ظاناً أن في ذلك قُرْبى وفضيلة، والله أعلم.

المسألة الثانية - تعاملهم مع قبر النــبي دانيــال عليه السلام[2]:

لقد تعلَّم الصحابة من رسول الله أن سبب حـدوث الشـرك في العــالم هو الغلوّ في الصــالحين، وفهمــوا من نهيه المكثف آخر حياته،وفي مرض موته، أن قبور الأنبياء والصالحين لا يجوز تعظيمها، وأن اليهــود والنصــارى اســتحقوا اللعن حينما بنــوا المساجد على قبورهم،وصوَّروا فيها صورهم،لـذلك تعـاملوا مع قبره بالشكل الذي سبق في المسألة الأولى من هذا المطلب.

---

[1] رواه أحمد في المسند (2/367)،وأبو داودفي كتاب المناسك باب زيارة القبور(1/622)برقم (2042)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (1/361) رقم (469)، وقال المحقق عبدالقادر الأرناؤوط في تخريج كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب طبع دار السلام الرياض 1413هـ (ص 90): وهوحديث صحيح بشواهده وطرقه حسنة 0

[2] يقال إنه أحد أنبياء بـني إسـرائيل الـذين أسـرهم بختنصر وسـار بهم إلى بابل وأنه مات ببلد السـوس، انظر البداية والنهاية (2/ـ 325) وانظر خبره (2/ 40-42) 0

وعندما انسابت جيوش المسـلمين في أرجـاء الأرض فاتحةً - تقتلع الشرك من النفـوس، وتقتلع وسـائله ومظـاهره من على وجه الأرض،ووصل جيش أبي موسى الأشــعري مدينة تَستُر[1] - وجـــــــدوا رجلاً يعظِّمه أهل البلد، ويستنــــــــزلون به الغيث، ويتوسـلون به إلى ربهم،ويـذكرون أنه النـبي دانيـال أحد أنبيـاء بــني إســرائيل الــذين أُتيَ بهم إلى هــذه الجهة أيــام بختنصر، فخشي أن يبقى بين النـاس فيفتتنـون به، ويغلُـون فيه، فعمل على إخفائه، وإبعاده عن متناول النـاس،وطمس قـبره؛حـتى لا يعرفه أحد أبداً، ولم يشفع كونه نبياً أو صالحاً أن يبرزه أو يميِّز قبره.

قـال الإمـام ابن كثـير-رحمه الله تعـالى- في تاريخـه:(وقـال يونس بن بكيرعن محمدبن إسحاق عن خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال: لما افتتحنا تَستُر وجدنا في بيت الهرمـزان سـريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصـحف فحملنـاه الى عمر بن الخطاب، فدعا له كعباً فنسخه بالعربية، قال: فأنا أول رجل من العرب قرأه،قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا، فقلت: لأبي العالية ما كان فيه؟ قال: سيركم وأمـركم ولحـون كلامكم وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كـان الليل دفنـاه وسوَّينا القبـور كلها، لتعميته على الناس فلا ينبشـونه قلت: فما يرجـون منـه؟ قال: كانت السماء اذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطــرون، قلت: مَن كنتم تظنـون الرجـل؟ قـال: رجل يقـال له دانيـال، قلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟ قـال: منذ ثلاثمائة سنة، قلت ما تغـير منه شـيء؟ قـال: لا، إلا شـعرات من قفـاه، إن لحـوم الأنبيـاء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السـباع. وهـذا إسـناد صـحيح إلى أبي العالية)[2].

قلت: قد يطعن البعض في هــــذه الرواية لقوله فيها: (منذ ثلاثمائة سنة) إذ من المعلوم أن آخر رسل وأنبياء بني إسرائيل هو عيسى عليه السلام، وأنه لا نبي بينه وبين نبينا محمد ،وأنه من المتفق عليه أن ما بين عيسى ومحمد عليهما الصــــــــلاة والسلام أكثر من ثلاثمائة سنة بكثي ر، وكان ابن كثير قد أجاب

---

[1] تَستُر :هي أعظم مدينة بخوزستان من بلاد العجم.انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (2/29).

[2] ? البداية والنهاية (2/40) 0

عن هذا الإشكال فقال:(ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلاثمائة سـنة فليس بنـبي بل هو رجل صـالح لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله نبي بنص الحديث الـذي في البخـاري[1] والفـترة الـتي كـانت بينهما أربعمائة سـنة، وقيل ستمائة،وقيل ستمائة وعشـرون سـنة، وقد يكـون تـاريخ وفاته من ثمانمائة سـنة، وهو قـريب من وقت دانيـال، إن كـان كونه دانيـال هو المطـابق لما في نفس الأمر،فإنه قد يكـون رجلاً آخر، إما من الأنبيـاء، أو الصـالحين،ولكن قـربت الظنـون أنه دانيـال؛ لأن دانيـال كـان قد أخـذه ملك الفـرس فأقـام عنـده مسجوناً كما تقـدم) [2]. قلت: كيفما كـان الأمر فموضع الشـاهد محفـوظ لنا وهو أن الصـحابة منهجهم الـذي تلقَّوه من النـبي هو طمس القبور، وإخفاؤها سـواء كـانت لأنبيـاء أو صـالحين أو غيرهم،بل كلما كان العبد ذا منزلة أعظم كانت عنايتهم بإخفـاء قبره أكبر لأن خوف الفتنة حينئذ أشد.

المطلب الثالث:كيف تصرَّف التابعون حين اضـطروا إلى توسـعة المسـجد ليشـمل الحجـرة النبوية موضع القبر الشريف في خلافة الوليد بن عبدالملك؟!

كـان الوليد بن عبد الملك [3] من أشـهر خلفـاء بـني أُميَّة، وهو أكثرهم عنايةً بالبناء والعمـران حـتى لقب مهنـدس بـني أميَّة[4]، وكان بين بني أمية وآل علي بن أبي طالب عـداء تـاريخي كما هو معلوم، فلا يرضى خلفاء بـني أمية أن يتمـيز عنهم آل علي بـأي فضـيلة، وكـان بيت فاطمة رضي الله عنها ضـمن أبيـات النـبي الواقعة على الحد الشـرقي للمسـجد النبـوي على صاحبه أفضل الصلاة والسـلام، فتـوافقت رغبة الوليد في بنـاء المسـجد، وتشـييده بما يليق به وبعظمة الخلافة في عهـده مع الرغبة في إلغاء تلك الميزة التي يتميز بها بنـو علي بسـكناهم

---

[1] البخاري مع الفتح (6/477-478) كتاب الأنبياء باب قول الله: واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ولفظه : (أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي) من حديث أبي هريرة .

[2] البداية والنهاية (2/ 40- 41) 0

[3] ولي الخلافة سنة (86 هـ) وتوفي سنة (96هـ) 0

[4] الشامل في تاريخ المدينة (1/396) للدكتور عبد الباسط بدر الطبعة الأولى (1414هـ -1993 م) .

في بيت فاطمة رضي الله عنها جــوار المســجد، وبين أبيــات النبي ،فصمم على تنفيذ ذلك المشروع وهو توسـعة المسـجد من جوانبه الأربعــة،وإدخــال حجر أمهــات المؤمــنين وحجــرة فاطمة وحجــرة عائشة رضي الله عنهن جميعــاً في المســجد إضــافة إلى أن بعض المــؤرخين قد ذكــروا أن بعض جــدران الحجرة قد بـدأ فيه الخلل نتيجة القِـدَم[1]، وعنـدما وصل خطابه بـذلك إلى واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز جمع الفقهـاء العشـرة[2] ووجـوه النـاس،وأخـبرهم بما أمر به الوليد فـأنكروا ذلك، وكرهـوه، ورأوا أن بقـاء بيـوت النـبي على حالها أدعى للعبرة، والاتعاظ، فكتب عمر بن عبد العزيز للوليد فـرد بإنفـاذ الأمر وعزم على عمر بذلك فنفذ ما أمر به[3]، وعـارض في ذلك سعيد بن المسيب، قـال ابن كثـير-رحمه الله-:(كأنه خشـيَ أن يُتَّخذَ القبر مسجداً والله أعلم)[4].

وأصرحُ من ذلك ما نقله السمهودي عن عـروة بن الزبـير أنه قال: (نازلت عمر بن عبد العزيز في قـبر النـبي ألا يجعل في المسجد أشد المنازلة فأبى وقـال: كتـاب أمـير المؤمـنين لا بد

---

[1] انظر لهذه المبررات كلها المرجع السابق (1/395- 396) .

[2] 5 وهم : سعيد بن المسـيب (ت93هــ) وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسـعود (ت94هــ) وعـروة بن الزبـيربن العـوام (ت94هــ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت106هـ)، وأبوبكر بن عبـدالرحمن بن الحـارث بن هشام المخزومي (ت94هـ)، وسليمان بن يسار مـولى ميمونة رضي الله عنها (ت100هــ)، وخارجة بن زيد بن ثـابت الأنصـاري (ت100هــ). هؤلاء هم الفقهاء السبعة يجمعهم هذان البيتان :=

إذا قيل من في العلم ســبعة أبـــحرٍ روايتهم ليست عن العلم خـــارجة

فــقل هم عبيدالله عروة قاسـم سعيد أبوبكـــر سليمان خارجـــة

ولعل تكملة العشرة هم:سـالم بن عبدالله بن عمر بن الخطـاب (ت 106هـ)، وأبو سـلمة بن عبـدالرحمن بن عـوف (ت104هــ) ، وأبـان بن عثمان (ت105هـ) .وانظر:سير أعلام النبلاء (4/354)، و الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (1/291-294).للشيخ محمد الحسين الحجوي الثعلبي الفاسي طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (1397هـ- 1997 م)0

[3] البداية والنهاية (9/74) 0

[4] 5 المرجع السابق (9/75) 0

من إنفاذه، قال قلت: فإن كان ولا بد فاجعلوا له حوجواً – قال السمهودي: (أي وهو الموضع المزور خلف الحجرة)[1].

قلت: وهذا العمل الذي أشـار به عـروة - رحمه الله- هو الـذي ذكـره الإمـام النـووي -رحمه الله – حيث قـال: (ولما احتـاجت الصحابة [2] رضـــوان الله عليهـم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله حين كثر المسـلمون وامتـدت الزيـادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمـنين فيه ومنها حجـرة عائشة رضي الله عنها مــدفن رسـول الله وصـاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بنـوا على القــبر حيــطاناً مرتفعة مســتديرة حولـه، لئلا يظهر في المسـجد فيصلي إليه العـوام ويـؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من اسـتقبال القـبر. ولهـذا قـال في الحـديث: ((ولـولا ذلك أبـرز قـبره غـير أنه خشـي أن يتخذ مسجداً))[3] والله أعلم بالصواب)[4].

هــذا ما فعله أهل العلم وأولو الأمر عنــدما اضــطروا إلى ذلك سترًا للقــبر سـتراً كـاملاً،فلا يُنظـر، ولا يتمكن أحد من الصـلاة إليه، وما ذاك إلا أنهم فهموا الأحـاديث الناهية عن الصـلاة على القبور وإليها،وعن اتخاذ القبـور مسـاجد،وفهمـوا العلة في ذلك النهي، فعملـــــوا على إزالة تلك العلة وفي هـــــذا أبلغ رد على شبهة القبوريين الذين يحتجون بأن قبر النبي في مسجده[5].

---

[1] وفاء الوفاء (2/548) .

[2] الصحيح أن ذلك في عهد كبـار التـابعين أما الصـحابة فلم يبق بالمدينة أحد منهم آنذاك إلا على قول في كل من السائب ابن يزيد وسهل بن سعد ولكن ابن عبــدالهادي جــزم أنه لم يوجد حينــذاك أحد بها من الصــحابة . انظــر: الصـارم المنكي في الـرد على السـبكي للشـيخ محمد أحمد بن عبد الهـادي تحقيق الشـــيخ عقيل بن محمد المقطــري طبع مؤسسة الريــاض بــيروت الطبعة الأولى (1414هـ- 1992م) ص (303) ، وفتح المغيث شــرح ألفية الحــديث (3/116) للشــيخ محمد بن عبد الــرحمن الســخاوي تخـريج وتعليق الشـيخ صـلاح محمد عويضة طبع دار الكتب العلمية ببـيروت الطبعة الأولى (1414هـ- 1993 م) .

[3] تقدّم تخريجة ص (17)

[4] شرح مسلم (5/12-13) .

[5] انظر ذلك وأضف إليه ما سبق نقله عن النووي وابن حجر من شرحهما لحديث موسى عليه السلام حيث صرحا بأنه قصد إخفاء قبره خشية الفتنة على قومه، ثم انظر إلى معاكسة القبورية لذلك حيث يقول أحد مؤلفيهم المعاصرين : (... ومع ذلك فإن النبي في حادثة الإسراء والمعراج قد

المطلب الرابع هدْيُ الإسلام في زيارة القبور:

كما هو الشأن في سـائر شـرائع الإسـلام أنها تكـون في غاية من الاعتدال والسماحة، وصـادرة عن حكمة بالغة تضـمن لمن عمل بها على بصــيرة: الفــوز، والنجــاح، والســعادة، دون أن يتعرض بسببها لأي نـوع من أنـواع الضـلال والشـقاء في الـدنيا والآخرة.

كذلك كانت شرعية زيارة القبور في الإسلام حينما كان الناس حدثاء عهد بالكفر والشرك وعبـادة غـير الله نهـاهم الرسـول ﷺ عن الزيارة، حـتى يكـون هنـاك بـرزخ فاصل بين العهـدين عهد الشرك وعهد التوحيد، وعهد الجاهلية وعهد الإسلام حتى يذهب ما في النفـوس من الالتفـات إلى الأرض وما عليها مما يقدِّسه الناس، وعهد السموّ الروحي والصفاء القلبي والذهني الــذي لا يبقى معه التفات إلى غير الله ﷻ.

وفعلاً حينما حصل ذلك؛خــاطب النــبي ﷺ أمته قــائلاً:((**كنت نهيتكم عن زيــارة القبــور فزوروها**))[1] ((**فإنها تــذكر الموت**))،وفي رواية: ((**فــإن في زيارتها تــذكرة**))، وفي أخــرى: **((فإنها تذكر الآخــرة))** [2]، وفي ثالثة:**((فزوروها ولتزدكم زيارتها خيراً))**[3]،وفي روايـة رابعـة:**((فإن فيـها**

عرفهم ووصف لهم قبر موسى ﷺ وقال : ((لو كنت هناك لأريتكم إياه)).هو بنفسة عليه الصلاة والسلام يتولى تعريفهم بهذا الموطن المبارك من أجل ماذا ؟!! من أجل إقامة الصلات والروابط بين المؤمنين وأنبيائهم وصلحائهم وأوليائهم بالتأدب معهم وسلوك طريقتهم وزيارتهم في حياتهم وبعد مماتهم ، وهومقصد سامي سعت إليه شريعتنا له أثر بيِّن على القلوب ، فالمرء يوم القيامة مع من أحب ، ولاينبغي أن يصرف ولاؤنا إلى غير هؤلاء القوم الذين اصطفاهم بارئهم ، ومن بين خلقه اجتباهم) .انظر الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود، لفهمي بن علي بن عبيدون التريمي الحضرمي، دار الفقيه للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1419هـ .

[1] رواه مسلم في كتاب الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه من حديث أبي هريرة وانظرلشرح النووي (7/46).

[2] انظر تخريجها في المرجع السابق (7/46) .

[3] رواه الترمذي في كتاب الجنائز باب ماجاء في الرخصة في زيارة القبور من حديث بريدة وقال :وفي الباب عن أبي سعيد وابن مسعود وأنس وأبي هريرة وأم سلمة (3/361) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (1/ 307-308) ،والنسائي في كتاب الضحايا باب الإذن في أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام من حديث بريدة واللفظ له(7/234)وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (3/923) طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض ط

عــبرة)) [1]، ومن حــديث أنس : **((ثم بــدا لي أنها تُــرق القلب وتُـــدمع العين وتُـــذكر الآخـــرة فزوروها ولا تقولوا هُجراً))**[2].

وبهذا يشرع لنا الرسول الله زيارة القبور مع بيان العلة فيها وهي تـذكرة المـوت، والـدار الآخـرة، وتزهّد في الـدنيا، وتـرق القلب وتدمع العين، وينبغي أن يحـرص الزائر أن تزيـده زيارته للمقابر خيراً، وهذا كله فيما يخص الزائر.

أما الأموات فإن لهم فيها نصـيباً أيضـاً حيث كـان إذا زارهم يدعو ويسـتغفر لهم، كما روى مسـلم من حـديث عائشة رضي الله عنها قـالت: كـان رسـول الله : **(كلما كـان ليلتها من رسول الله يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قـوم مؤمـنين وأتـاكم ما توعـدون غـداً مؤجَّلـون وإنا إن شـاء الله بكم للاحقـون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد))** [3]، وعنها رضي الله عنها أنها سألته إذا هي زارت القبور ما تقـول: قـال: **((قولي السـلام على أهل الـديار من المؤمـنين والمسـلمين ويـرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شـاء الله بكم لاحقون))** [4].

ففي هذه الأحاديث بيان أن من مقاصد الزيارة وعللها السلام على الأموات والدعاء والاستغفار لهم، قال الإمـام الصـنعاني -رحمه الله- في"سـبل السـلام "بعـدما شـرح أحـاديث الإذن بالزيـارة: (والكل دالّ على مشـروعية زيـارة القبـور وبيـان

الأولى (1409-1988)،ورواه ابن ماجه كتاب الجنائز باب ماجاء في زيارة القبور من حديث أبي هريرة (1/500) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (1/262).

[1] رواه أحمد (3/38)من حـديث أبي سـعيد الخـدري وقـال الأرنـاؤوط في تحقيقه للمسند (17/429) : حديث صحيح ، طبع مؤسسة الرسالة بـيروت ط الأولى (1419هـ -1998 م).

[2] رواه أحمد من حـديث أنس (3/237،250)،وصـححه بطرقه وشـواهده الأرنـاؤوط في تحقيقه (21/223)، وكـذا روى نحـوه الحـاكم (1/376) والبيهقي في السنن (4/77).

[3] مسلم مع النووي (7/40-41) كتاب الجنائز باب مايقال عند زيارة القبـور والدعاء لأهلها .

[4] المصدر السابق (7/44) .

الحكمة فيها وأنها للاعتبار... فإذا خلت من هذه لم تكن مـــرادة شرعاً)[1].

فهذه هي زيارة القبور عند أهل السنة كما علّمهم إيّاها رسول الله ﷺ فمن أتى بها على هـذا الوجه ولهـذه الغاية ظفر بـالأجر والفائدة المترتبة عليها،ومن زارها لغـير ذلك فهي ردٌّ عليه0 ثم إنها إما أن تكـــون بدعية، وإما أن تكـــون شـــركية بحسب ما يحصل فيها من أعمال ويقارنها من اعتقاد وقصد.

ذلك هو هـدي الإسـلام في زيـارة القبـور، وتلك هي أهـداف وغايـات الزيـارة واضـحة ناصـعة بعيـدة عن كل ذريعة تؤدي إلى الشرك بأربابها والغلوّ في أصحابها،وقد جــاءت بعض القيود التي تسد الثغرات الموصلة إلى ذلك:

القيد الأول: **ألا تتخذ أعياداً: قال ﷺ: (لاتجعلوا بيــوتكم قبــوراً، ولا تجعلــوا قــبري عيــداً،وصــلوا عليّ، فــإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)[2]**،وقد سـبق كلام العلمـاء عليه ونص المنـــاوي على أن من ذلـــك: (اجتمـــاع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يـوم أو أشـهر مخصـوص من السـنة) ودعا ولاة الأمر إلى إنكار ذلك عليهم[3].

ونفهم من هذا أنه ليس من هدي الإسلام تعيين يوم معين من سنة،أو شـهر، أو أسـبوع، يخصص لزيـارة القبـور كما هو شـأن القبورية.

القيد الثاني: ألا تُشَدّ إليها الرحال، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قـال:قـال رسـول الله ﷺ: **((ولا تشد الرحـال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي))**[4]، وروى الإمـــام أحمد -رحمه الله تعـــالى - في مســـنده عن عبـدالرحمن بن هشـام بن الحـارث أنه قـال:(لقي أبو بصـرة الغفاري أبا هريرة وهو جـاءٍ من الطـور فقـال: من أين أقبلت؟

---

[1] سبل السلام شرح بلوغ المرام للإمام محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني (2/230-231) طبع دار الكتاب العربي ط الثانية (1406هـ -1986) .

[2] ? تقدم تخريجه(ص13).

[3] انظر كلامه رحمه الله (ص13).

[4] رواه البخـــاري عن أبي ســـعيد الخـــدري وانظر الفتح(3/70) كتــاب فضل الصــلاة في مســجد مكة والمدينة بــاب مســجد بيت المقــدس واللفظ لــه، ومسلم نحوه في كتاب الحج باب سفر المرأة مع محـرم إلى حج وغـيره (9/104-106) مع النووي .

فقــال: من الطــور صــليت فيــه، قــال: أما لو أدركتك قبل أن ترحل ما رحلت إني ســمعت رســول الله يقــول: ((**لا تشد الرحـــال إلا إلى ثلاثة مســـاجد: المســـجد الحـــرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**))[1].

فهذا النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة مقصـود بـه أن يشد رحله مسـافراً إلى مكـان بعينه لعبـادة الله تعـالى فيه، هذا هو الظـاهر المتبـادر إلى الـذهن وهو الـذي فهمه ذلك الصـــحابي أبو بصـــرة الغفـــاري، واحتج به على أبي هريـــرة ،وسـكت أبو هريرة فلم يـرد عليه وهـذا دليل التسـليم لما رُوي ولِمَا أُخذ واستُنبط من تلك الرواية؛فإن قـال قائـل: إن أبا هريرة قد روى ذلك الحـديث كما في الصـحيحين [2]، قيل لــه: إن هذا مما يؤكد قبول أبي هريـرة لِمَا أتـاه به أبو بصـرة رضي الله عنهمـا،ومن المعلـوم أن أبا هريـرة لم يقل أنه سـمع ذلك الحديث من رسول الله ،فالغالب أنه يرويه عن أبي بصرة،ولم يثبت عن أبي هريـــــرة أي رد لما جـــــاء به أبو بصرة لا في الصحيحين ولا في مسند أحمد؛ حيث جاءت القصة كاملة،وهـذا يؤكد ذلك القبول والرجوع من أبي هريرة لما جـاء به أبوبصرة، كما فهم ذلك أيضاً أبو سعيد الخدري راوي الحــديث،فقد روى أحمد في مســنده أن شــهر ابن حوشب قــال:لقينا أبا ســعيد ونحن نريد الطور، فقال سـمعت رسـول الله يقـول: ((**لا تُعمَـل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد...**)) الحديث[3].

---

[1] رواه مالك في الموطأ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبع دار إحياء الـتراث العربي بدون تاريخ (1/108-109) في كتاب الجمعة باب ماجاء في السـاعة التي في يوم الجمعة، وأحمد في المسند (6/7) وصححه الشيخ الألبـاني في إرواء الغليل في سـياق تخريجه لحـديث أبي هريـرة بـرقم (970) وانظر (4/141-143)من الإرواء وأبو بصـــرة هو حُمَيْل (مثل حُمَيْـــدلكن آخـــره لام وقيل بالجيم) بن بصرة ابن وقاص الغفاري، صحابي سكن مصر ومات بها.

[2] البخـاري مع الفتح (3/63) كتـاب فضل الصـلاة في مسـجد مكة والمدينة ،ومســلم كتــاب الحج بــاب فضل المســاجد الثلاثة   (9/167-ــ 168) مع النووي .

[3] رواه أحمد في المسند(3/93)وقال الإرناؤوط في تحقيقه :صحيح وقـدرواه أحمد من غير طريق شهر مما يدل على أن شهر حفظ هذا الحديث، وانظر (17/91) من تحقيق المسند(وشهر هو بن حوشب الأشـعري الشـامي مـولى أسماء بنت يزيد بن =   = السكن) قـال عنه الحافظ في تقـريب التهـذيب تحقيق أبي الأشــبال ص (441) : صــدوق ، كثــير الإرســال والأوهــام، من الثالثة (ت112هـ)طبع دار العاصمة بالرياض ط الأولى (1416هـ) .

وكذلك فهمه عبدالله بن عمر؛ فعن قزعة قال: سألت ابن عمر آتي الطور؟ فقال: (دع الطور ولا تأتها وقال:لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) [1]،وعلى ذلك درج الصحابة والتابعون وتابعوهم لم يثبت أن أحداً منهم سافر إلى قبر، أو مشهد لمجرد الزيارة،ولم يصرح أحد منهم باستحباب ذلك العمل.

وأما الفقهاء المتأخرون فقد اختلفوا في ذلك ونقل خلافهم الإمام النووي [2]، وشيخ الإسلام ابن تيمية [3]،والحافظ ابن حجر [4] - رحمهم الله-،وقد بحث هذه المسألة بحثاً مستفيضاً العلامة صديق حسن خان -رحمه الله- في شرحه لمختصر مسلم المسمى (السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم ابن الحجاج) وقد استغرق بحثه أربعاً وثلاثين صفحة من الحجم الكبير (من ص84- 117) من الجزء الخامس من طبعة قطر؛ وبعد إيراد مختلف الأقوال ومناقشتها قال: (وأما السفر لغير زيارة القبور كما تقدم نظائره،فقد ثبت بأدلة صحيحة ووقع في عصره وقرره النبي عليه السلام فلا سبيل إلى المنع منه والنهي عنه، بخلاف السفر إلى زيارة القبور فإنه لم يقع في زمنه، ولم يقر أحداً من أصحابه، ولم يشر في حديث واحد إلى فعله واختياره ولم يشرعه لأحد من أمته لا قولاً ولا فعلاً...) إلى أن قال:(وحاصل الكلام وجملة المرام في هذا المقام أن مسألة السفر لزيارة قبر من القبور " أي قبر كان" أقل درجاتها أن تكون من المشتبهات والمؤمنون وقّافون عند الشبهات)[5].

1[1] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه(2/374-375) في كتاب الصلوات باب في الصلاة في بيت المقدس ومسجد الكوفة، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص (226) طبع المكتب الإسلامي بيروت ط الرابعة (1406هـ-1986م) وقال : رواه ابن أبي شيبة والأزرقي في أخبار مكة ص (304) ،وقزعة هو ابن يحيى البصري قال عنه الحافظ في التقريب :ص (801) ثقة من الثالثة.

[2] صحيح مسلم (9/105-106) .

[3] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (2/665-666).

[4] الفتح (3/64) .

[5] السراج الوهاج (5/116).

بين يــدي هذا الفصل

إننا عندما نبحث عن القبورية في العالم لسنا مجرد مؤرخين، يطيب لهم أن يتعرفوا على أحداث ويصوروا مجتمعات،ويصفوا ما وصلوا إليه من أحوال العالم لمجـرد السـرد التـاريخي،وإنما نبحث ذلك منطلقين من سـنة كونية ثابتة أخبرنا عنها الرسـول ، وهي أن هذه الأمة سـتأخذ مأخذ الأمم السـابقة، وستسـلك سـبيلها في كل جـوانب حياتها بما في ذلك الجـوانب الاعتقادية والتعبدية والأخلاقية.

فــإذا ثبت أن تلك الأمم عظَّمت القبــور وآثــار الصــالحين وتدرجت في ذلك حتى عبدت أولئك الصالحين-في نظرها- فإن من هذه الأمة من سيفعل ذلك، وهذا ما أخبر عنه رسول الله وما يشاهد على أرض الواقع.

فأما ما أخـبر به النـبي ففيما رواه البخـاري من حـديث أبى هريرة قال: قال رسـول الله : ((**لا تقوم السـاعة حـتى تأخذ أمـتي مأخذ القـرون قبلها شـبراً بشـبر وذراعـاً بذراع، فقيل: يا رسول الله كفارس والـروم؟ فقـال ومَنْ الناس إلا أولئك**)) [1].

وروى البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله : ((**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعـاً بـذراع، حـتى لو دخلـوا جحر ضب لـدخلتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمَنْ؟**)) [2].

وقد وقع ما أخــبر به النــبي كـاملاً 0 والــذي يهمنا إثباته هو مشابهة هذه الأمة للأمم قبلها في قبوريتهم،وتعظيمهم للأنبيــاء والصالحين،وانتشار عقائدهم الباطلة لدى كثـير منهم، وهـذا ما سوف نبيّنه في هذا الفصل إن شاء الله.

---

[1] البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي لتتبعن سنن من كان قبلكم الفتح(13/ 300) .

[2] المصدر السابق (13/ 300) .

الفصل الأول
نشأة القبورية في العالم
وفيه أربعة مباحث:
المبحث الأول
نشأة القبورية في العالم بأسره
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طروء الشرك.

من المعلوم المتفق عليه أن الله تعالى خلق الخلق جميعاً على فطرة التوحيد،فآدم عليه السلام هو الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، وجرى له في الجنة ما جرى، ولم يكن من ذلك شيء يخالف التوحيد أو يقدح فيه،ثم أهبطه إلى الأرض نبياً كريماً ورسولاً مرشداً إلى ذريته،و هو قول جمع من العلماء.

وعلى تعاليم رسالة آدم نشأ بنوه وعلى نهجه ساروا، حتى لقد صرح عكرمة بأنهم داموا على ذلك عشرة قرون، [1] وهذا الذي ذكرناه من نشأة البشرية على التوحيد هو ما قرره القرآن وشهدت به السنة المطهرة.

أما القرآن ففي قول الله تعالى: **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** [2].

ففي الآية الكريمة أن الدين الذي أمر الله رسوله أن يقيم وجهه عليه هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ثم أكّد ذلك

---

1 تفسير الطبري (29 /62) .

2 الروم ((30) .

بقوله **ذلك الدين القيم** فالدين الحـنيف والـدين القيم هو التوحيد وهو الذي فطر الله الناس عليه.

قـــال ابن كثـــير - رحمه الله -: (فإنه تعـــالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره) [1].

وقد أكـدت ذلك السـنة وفصَّـلته وذلك فيما رواه البخـاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسـول الله : ((**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصـرانه، أو يمجسـانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمـة، هل تـرون فيها من جدعاء؟**[2])) [3] **ثم يقول أبو هريرة:** (**واقرأوا إن شئتم فطرت الله التي فطر النـاس عليها لا تبـديل لخلق الله** [4]).

قال ابن حجر - رحمه الله - في شـرح هـذا الحـديث: (وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المـــراد بقوله تعـــالى: **فطـــرت الله التي فطر الناس عليها** الإسلام واحتجـوا بقـول أبي هريرة وبحـديث عيـاض بن حمـار عن النـبي فيما يرويه عن ربـــه:((**وإني خلقت عبـــادي حنفـــاء كلهم، فاجتـــالتهم الشياطين عن دينهم**))[5] الحـديث وقد رواه غـيره فـزاد فيه **((حنفاء مسلمين))** ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعـالى: فطرت الله لأنها إضـافة مـدح وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام) [6].

ونكتفي بهذه النصـوص الواضـحة الصـريحة الـتي لاخلاف على معناهـــا، لإثبـــات أن البشـــرية كـــانت على التوحيد قبل طـــروء الشرك عليها.

المطلب الثـــاني: إثبـــات أن أول شـــرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في الصالحين:

---

[1] تفسير ابن كثير ، طبعة دار الشعب (6 / 320) .

[2] أي مقطوعة الأنف أو الأذن أو الشفة القاموس المحيط ص (914) 0

[3] البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين الفتح (3/245-246) ، ومسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (4/2047) .0

[4] الروم (30) 0

[5] سيأتي تخريجه في الصفحة القادمة0

[6] فتح الباري (3/248) .

كـانت عـداوة إبليس لآدم قديمة منذ أن أمـره الله بالسـجود له،فـأبى فلعنه الله وطـرده بسـبب ذلـك، ومنذ ذلك الحين أخذ على نفسـه: أن يعمل على كل ما فيه الإسـاءة إليه وإلى جلب سـخط الله عليـه، وكـان أول عمل عمله إغــراؤه بالأكل من الشـــجرة،ذلك العمل الـــذي كـــان ســـبباً لإخراجه من الجنة وإهباطه إلى الأرض هو وإبليس معاً، ولم يكتـفِ إبليس بعـداوة آدم وحـده بل ضـمّ إلى ذلك عـداوة ذريته وأعلنها صـريحة بأنه لن يدخر جهداً لإغوائهم وصدّهم عن السبيل،والعمل على جعل مصـــيرهم مقترنـــاً بمصـــيره هو إلى نـــار جهنم **قـــال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المسـتقيم، ثم لآتينهم من بين أيـــــديهم ومن خلفهم وعن أيمـــــانهم وعن شـمائلهم ولا تجد أكـثرهم شـاكرين، قـال اخـرج منها مـــــذءوماً مـــــدحوراً** لمن تبعك **منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** [1]، **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلاّ عبـادك منهم المخلصــين، قــال فــالحق والحق أقــول، لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** [2].

وقد حذر الله عباده المؤمنين وجميع بني آدم من تلك العداوة وخطورتها، وخطـورة الهـدف الـذي يسـعى إبليس لتحقيقه من خلال عداوته لهم، فقال سبحانه وتعالى: **إن الشيطان لكم عــدو فاتخــذوه عــدواً إنما يــدعوا حزبه ليكونــوا من أصحاب السعير** [3] وقـال: **ألم أعهد إليكم يا بـني آدم أن لا تعبــدوا الشــيطان إنه لكم عـــدو مـــبين، وأن اعبدوني هذا صـراط مسـتقيم، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون** [4].

ولكن لأمرٍ أراده الله نسي بنو آدم تلك العـداوة، وجهلـوا ذلك التحذير الذي حذرهم الله إياه ولم ينسَ هو ذلك، بل عمل على جلب الأنصـار والجنـود من الإنس والجن، فسـلطهم على بـني آدم حين غفلوا عما أوصاهم به الله، فأجلب عليهم هو وجنــوده فاجتالوهم عن دينهم وأوقعوهم في الشرك، وهو ما رواه النبي عن ربه عز وجل كما في حديث عياض بن حمـار المجاشـعي

---

1 الأعراف (16-18)0

2 سورة ص (82-85)0

3 فاطـر (6) .

4 يس (60-62) .

أن رســـول الله قـــال ذات يـــوم في خطبته ((**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمـني يـومي هـذا، كــلّ مــال نحلته [1] عبــداً حلال، وإني خلقت عبــادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشـياطين فاجتـالتهم [2]عن دينهم،وحـــرمت عليهم ما أحللت لهم،وأمـــرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سـلطاناً،وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عــــربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**)) [3]

ولم يكن ذلك في عهد النـبي وإنما من فجر التـاريخ قبل أن يبعث نــوح عليه السـلام، بل إن مبعث نــوح إنما كـان لإرجــاع الناس إلى الجادة بعد ذلك الانحراف الخطير، وكان الباب الذي دخل منه الشــيطان إلى إغــواء أولئك النــاس:بــاب الغلو في الصالحين، فكانت أول أصنام عبدت على وجه الأرض هي صور وتماثيل لرجال صالحين أحبهم قومهم وغلَـوا فيهم فصـوّروهم، ثم تـدرج بهم الحـال حـتى عبـدوهم من دون الله تعـالى! ولما جاءهم نوح ينعى عليهم ذلك المسلك الخاطىء، ويـدعوهم إلى العودة إلى الصراط المسـتقيم أبـوا وعانـدوا وتواصـوا بالصـبر على تلك الآلهة والاســتمرار على الإشـــراك بالله المتمثل في عبادتها من دون الله **وقـالوا لاتـذرن آلهتكم ولا تــذرن وداً ولاسواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً** [4].

وهذه كما هو واضح أسماء بشر كانوا صالحين محبـوبين لـدى قـومهم،حملهم ذلك على الغلو فيهم وإنـزالهم فـوق مـنزلتهم، وتطور الأمر حتى عبدوهم،كما ورد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنه قال: (أسماء رجال صـالحين من قـوم نـوح، فلما هلكـوا أوحى الشـيطان إلى قـومهم أن انصـبوا إلى مجالسـهم الـتي كـانوا يجلسـون أنصـاباً، وسـموها بأسـمائهم ففعلـوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسِخ العلم عبدت)[5]

---

[1] نحلته أعطيته النووي على مسلم (17/197) .

[2] اجتالتهم (أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطن) نفس المصدر (17/197)

[3] مسلم مع الشرح ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار)(17/197)

[4] نوح (23) .

[5] البخاري والفتح (2/667)0

قــال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شــرح هــذا الحــديث: (وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نــوح هـذه الأصـنام ثم تبعهم من بعـــدهم على ذلـــك) [1] وقد تواطأ المفســـرون عند تفسـير هـذه الآية على ذكر هـذا الأثر وأثـاراً أخـرى كلها تـؤدي نفس المعنى. [2]

وقد صــرح القرطــبي - رحمه الله تعــالى -:بأنه من أجل أن عبادة الأوثان ابتدأت بسـبب الغلو في الصـالحين حـذر النـبي من اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك، قال: (قلت:وبهـذا المعنى فسِّر ماجاء في صحيح مسلم من حــديث عائشة أن أم حبيبة وأم ســلمه ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشــة- تســمى مارية فيها تصـاوير- لرسـول الله فقـال رسـول : ((**إن أولئك إذا كــان فيهم الرجل الصــالح فمــات بنــوا على قــبره مسجداً وصـوروا فيه تلك الصـور أولئك شـرار الخلق عند الله يوم القيامة**)) [3].

وقـال ابن القيم - رحمه الله تعـالى -: (وقـال غـير واحد من السلف: " كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما مــاتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تمــاثيلهم ثم طـال عليهم الأمد فعبــدوهم" فهــؤلاء جمعــوا بين الفتنــتين، فتنة القبــور وفتنة التماثيـل، وهما الفتنتـان اللتـان أشـار إليهما رسـول الله في الحديث المتفق على صحته: عن عائشة - رضي الله عنها – ثم

---

[1] الفتح (8/669) .

[2] انظـر: تفسـير الطـبري (29/62) للإمـام الطـبري، معـالم التنزيل (8/ 232-233) للإمام الحسـين بن مسـعود البغـوي تحقيق وتخـريج محمد عبد الله النمر وعثمـان جمعة ضـميرية وسـليمان مسـلم الحـرش طبع دار طيبة بالرياض الطبعة الرابعة (1417هـ-1997م) ، زاد المسـير (8/373) لأبي الفرج ابن الجـوزي طبع المكتب الإسـلامي بـيروت الطبعة الثالثة (1404هـ-1984م) والكشـاف (4/414) للشـيخ محمـود بن عمر الزمخشـري طبع دار الكتـاب العـربي ببـيروت (1407هــ- 1987م) ،والمحـرر الوجـيز (15/122) لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق الرحـــــــالي الفاروق وآخرين ، الطبعة الأولى قطر سنة (1401هـ-1981م) . وتفسير القرطبي (18/307-310) وتفسير القرآن العظيم (8/262) لابن كثـير . الــدر المنثــور (8/293-295) لعبد الــرحمن بن أبى بكر السـيوطي (دار الفكر – بـــيروت ط الأولى ســـنه 1403هـــ- 1983م) . وفتح القـــدير (5/300) للشوكاني 0

[3] الجامع لأحكام القرآن (18/ 308) ، والحديث تقدم تخريجه(ص 18).

ذكر الحديث السابق في كلام القرطبي – ثم قال: " فجمع في هـذا الحـديث بين التماثيل والقبـور "وهـذا كـان سـبب عبـادة اللات، فقد روى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصـور عن مجاهد: **أفرأيتم اللات والعزى** [1] قال:(كان يلت السويق فمات فعكفـوا على قـبره) [2]،وكـذلك قـال أبو الجـوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: (كان يلت السويق للحاج) [3] فقد رأيت أن سبب عبادة ودّ، ويغوث، ويعـوق،ونسـر، واللات، إنما كـانت من تعظيم قبورهم ثم اتخـذوا لها التماثيل وعبـدوها، كما أشـار إليه النبي قال شيخنا [4]: وهذه العلة الـتي لأجلها نهى الشـارع عن اتخـاذ المسـاجد على القبـور هي الـتي أوقعت كثـيراً من الأمم إما في الشـرك الأكـبر،أو فيما دونه من الشـرك،فـإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الـذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشـرك بخشـبةٍ أو حجـر، ولهـذا نجد أهل الشـرك كثـيراً يتضـرعون عنـدها، ويخشـعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيـوت الله ولا وقت السـحر، ومنهم من يسـجد لها وأكـثرهم يرجـون من بركة الصلاة عنـدها والـدعاء مـالا يرجونه في المسـاجد فلأجل هذه المفسدة حسَم النبي مادتهـا، حـتى نهى عن الصـلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصـلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصـلاة وقت طلـوع الشمس وغروبهـا؛ لأنها أوقـات يقصد المشـركون الصـلاة فيها للشمس، فنهى أمته عن الصـلاة حينئـذ، وألا يقصد المصـلي ما قصده المشركون سداً للذريعة)[5].

وبهـذه الآيـات المحكمة والأحـاديث الصـحيحة الصـريحة، وما علق به عليها أهل العلم؛ تعلم أن القبورية هي أسـاس الوثنية،وأن الوثنية هي الوعاء الـذي أحتـوى على الشـرك بالله عز وجل وجسَّدَه.

---

[1] سورة النجم آية (19).

[2] سيأتي تخريج الأثرين لاحقاً .

[3] سيأتي تخريجه (ص 64) .

[4] هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

[5] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/184) لابن القيم .

المبحث الثاني

القبورية عند اليهود والنصارى:

وفيه مطلبــان:

<u>المطلب الأول</u>: القبوريـة عند اليهـود:

لست بحاجة إلى الإطالة في إثبات قبورية اليهـود، فقد أغنتنا الأحاديث المصرحة بـذلك عن الصـادق المصـدوق والمخرجة في الصحيحين وغيرهمـا،ومنها حـديث أبي هريـرة أن رسـول الله قـال: ((**قاتل الله اليهـود اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مســاجد**)) [1] وحــديث عائشة رضي الله عنها عن النــبي قــال:**في مرضه الــذي مــات فيه** ((**لعن الله اليهــود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**))[2].

فهذان الحديثان في الصحيحين - وسيأتي غيرهما في المطلب الثـاني- قاطعـان على قبورية اليهـود، وأزيد أن اليهـود ليسـوا قبوريين فقط ولكنهم أيضاً ميالون إلى عبـادة غـير الله بشـكل أوضح وأصرح، كما نقل ذلك عنهم القـرآن وذلك في موضـعين من قصة موسى .

الموضع الأول: بعد نجاتهم من ملاحقة فرعـون وخـروجهم من البحر وإهلاك الله لعــدوهم وهي نعم عظيمة تســتوجب شكر مسديها وإفراده بالعبادة وعدم الالتفـات إلى غـيره، لكن النفـوس الدنيئة لا تكـون نظرتها إلا إلى الأسـفل دائمـاً،لـذلك عنـدما مـروا على القـوم المشـركين العـاكفين على أصـنامهم مالت نفوسهم إلى تقليدهم ومحاكاتهم في ذلك،قـال تعـالى: **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصـنام لهم قـالوا يا موسى اجعل لنا إلهـاً كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون. إن هـؤلاء متـبر ما هم فيه وباطل ما كـانوا يعملـون. قـال أغـير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين** [3]

وهذا في غاية الصراحة فهم طلبـوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً آخر كما أن أولئك لهم آلهة فهو طلب الشـرك والاسـتعداد النفسي له.

---

[1] ? أخرجه البخاري (1/532) مع الفتح كتاب الصلاة باب " حدثنا أبو اليمان " ، ومسلم (5/12) مع النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور0

[2] تقدم تخريجه (ص 17)0

[3] 3 الأعراف (138-140)0

الموضع الثاني: حينما ذهب موسى لميقات ربه وتركهم مع هارون فصنع لهم السامري العجل ودعاهم إلى عبادته، فبادروا إلى ذلك ولما يأبهوا لتحذير هارون من ذلك بل واجهوه بـالتمرد وكـادوا يقتلونه حينما وقف في طـريقهم قـال تعـالى: **وما أعجلك عن قومك يا موسى. قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك ربِّ لترضـى. قـال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري. فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطـال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعـدي. قـالوا ما أخلفنا موعـدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القـوم فقـذفناها فكـذلك ألقى السـامري. فـأخرج لهم عجلاً جسـداً له خـوار فقـالوا هـذا إلهكم وإله موسى فنسـي. أفلا يـرون ألا يرجع إليهم قـولاً ولا يملك لهم ضـراً ولا نفعـاً. ولقد قـال لهم هـارون من قبل يا قـوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى** [1].

وبهذا العرض اليسير تتضح قبورية اليهود وشـركهم واتخـاذهم الآلهة من دون الله.

المطلب الثاني: القبورية عند النصـارى:

الأمة النصرانية أمة غالية فيمن تعظمه من الأنبياء والصالحين ولقد حملهم ذلك على تأليه المسـيح وأمه وغيرهما من الأحبـار والرهبان،وهذا صريحُ نصِّ القرآن،حيث يقول الله تعـالى فيهم: **اتخـذوا أحبـارهم ورهبـانهم أربابـاً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** [2].

وقد أمر الله رسـوله أن يقيم عليهم الحجة ببطلان ما هم عليه من عبادة غير الله فقال: **قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم** [3]، ثم أمـره أن ينهـاهم عن الغلو في الـدين وتقليد سـلفهم

[1] طه من (83 – 91) .
[2] التوبة (31) .
[3] المائدة (76) .

الغالين فيه؛ لأن الغلو هو سبب عبادتهم لغير الله فقال: **قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل** [1]، فمن غلوِّهم أنهم اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله،واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دونه وتلك العلة- التي هي الغلو -هي العلة المشتركة بين جميع المشركين.

ومن الغلو كذلك اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمه ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي فقال: ((**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، فأولئكِ شرار الخلق عند الله يوم القيامه**)) [2]

وهذه الكنيسة التي رأتها أم حبيبة وأم سلمه هي قطعاً كنيسة نصارى فهذا إثبات قاطع لقبوريتهم وقد حذر النبي من الاقتداء بهم في ذلك كما في حديث عائشة وعبدالله بن عباس قالا: (**لما نُزِل برسول الله طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك:** ((**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)) **يحذر ما صنعوا**) [3].

وقد بيّن ابن كثير رحمه الله في تاريخه: أن تلك القبورية عند النصارى 0إنما حدثت فيهم بعد أن حرفوا دينهم، وقالوا بالتثليث، قال رحمه الله تعالى: (ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة؛ حدثت فيهم الطامة العظمى، والبليّة الكبرى، واختلف البتاركة [4] الأربعة وجميع الاساقفة [5] والقساوسة [6] والشماسة [7]

---

[1] المائدة (77) .
[2] تقدم تخريجه (18).
[3] تقدم تخريجه (18) .
[4] ويقال البطارقة جمع بطريق وهو رئيس رؤساء الأساقفة انظر : المعجم الوسيط (1/61) .
[5] جمع أسقف وهو رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران ، المصدر السابق (1/ 436) .
[6] جمع قس وهو رئيس من رؤساء النصارى بين الأسقف والشماس ، المصدر السابق (2/734) .

والرَهَــابين [1] في المســيح على أقــوال متعــددة لا تنحصر ولا تنضــبط، واجتمعــوا وتحــاكموا إلى الملك قســطنطين بــاني القسطنطينية، وهو المجمع الأول فصـار الملك إلى قـول أكـثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقـالات فسـموا "الملائكـة"، ودحَضَ من عـداهم وأبعـدهم، وتفـردتْ الفرقة التابعة لعبدالله بن أديوس الذي اثبت أن عيسى عبد من عباد الله،ورسول من رسله، فسكنوا البراري، والبوادي، وبنوا الصـوامع [2]،والـديارات [3]،
والقلايات [4]،وقنعوا بـالعيش الزهيـد، ولم يخـالطوا أولئك الملل والنحـل، وبنت الملائكة [5] الكنـائس الهائلـة، عمـدوا إلى ماكـان من بنـاء اليونـان فحولـوا محاريبها إلى الشـرق وقد كـانت إلى الشمال إلى الجدي[6]) [7].

ثم قال: رحمه الله تحت عنوان " بنـاء بيت لحم والقمامة [8] " (وبــني الملك قســطنطين بيت لحم على محل مولد المســيح وبنت أمه هيلانة القمامة يعــــني على قــــبر المصــــلوب وهم يسلّمون لليهود أنه المسيح).[9]

وبما مر من نصـــــوص قرآنية ونبوية وتاريخية تتضح قبورية النصارى وغلوّهم في أنبيائهم وصالحيهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى.

---

[7] جمع شماس من يقوم بالخدمة الكنيسة ومرتبته دون القسيس ، المصدر السابق (1/ 494) .

[1] جمع راهب المتعبد في صومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهداً فيها معتزلاً أهلها. ، المصدر السابق (1/ 376) .

[2] جمع صومعة و صومع وهو بيت العبادة عند النصارى ، المصدر السابق (1/ 523) .

[3] جمع دير وهو دار الرهبان ، المعجم الوسيط (1/ 307) .

[4] القلايات جمع قلاية وهي الصومعة . المصدر السابق (2/757)

[5] أي الفرقة التي سميت الملائكة .

[6] الجدي نجم قريب من القطب تعرف به القبلة ، المصدر السابق (1/ 112) .

[7] البداية والنهاية (2/101) .

[8] وهي التي يطلق عليها الناس اليوم كنيسة القيامة 0

[9] المصدر السابق (2/ 101) .

المبحث الثالث

قبورية اليونــان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قبورية الأمة اليونانية:

الأمة اليونانية أمة عظيمة سادت وظهرت على مسرح التاريخ القديم قروناً من الـزمن، وقد أنشـأت حضـارة متمـيزة وظهر فيها علــوم ومعــارف وفلســفة وصــلت إلى الأمم الأخــرى، وتناقلتها الأجيال إلى العصر الحاضر، وهـذا لا مـراء فيه، ولكن مع كل ذلك فقد كـانت هـذه الأمة أمة وثنية قبورية تُألِّه كل ما أعجبت به من مظــاهر الكــون، وعبــاقرة وأبطــال البشــر،بل وجميلات النســاء!فهنــاك (آلهة الســماء) و(آلهة الأرض) و(آلهة الخصــب) و(الآلهة الحيوانيــة) و(آلهة ما تحت الأرض) إلى آخر القائمة، وقد ذكر المؤرخـون كيف تنشأ تلك الآلهة وكيف تعبد [1]

---

[1] انظر : الفكر الإغــريقي تــأليف محمد الخطيب (دمشق ، الطبعة الأولى عام (1999م) ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ص (28 – 52)

وكانت كذلك أمة قبورية تقدس قبور موتاها، فقد كـان المـوتى في العصور المبكرة من تاريخ اليونـان يُعْتَـبرون أرواحـاً قـادرة على أن تفعل للنـــاس الخـــير والشر وتسترضى بــــالقرابين والصـلاة [1]. وكـان اليونـان في عصـرهم الزاهر يرهبـون هـذه الأشباح الغامضة أكثر مما يحبونها، وكانوا يسترضونها بطقـوس ومراسم يقصد بها إبعادها واتقـاء شـرها [2]، وكـان الإله في أول الأمر من الأسـلاف والأبطـال المـوتى، كما كــان المعبد في الأصل قبراً، ولا تزال الكنيسة حتى الآن في معظم البلاد مكاناً تحفظ فيه آثار الموتى القديسين [3].

هذه هي أمة اليونان وتلك آلهتها كانت في بـدايتها أمواتـاً من ذوي التميز في جوانب مختلفة من الحياة،تـدرج بهم الشـيطان حـتى صـيروهم آلهة من دون اللـه، وقبـور أولئك المـوتى هي الأصل في المعابد التي تتربع فيها تلك الآلهة.

<u>المطلب الثاني</u>: قبورية فلاسفة اليونــان:

في تلك الأمة وذلك الجو نشأ فلاســفة اليونــان على الوثنية والقبوريــة، وبقي ذلك هو اعتقــادهم وتفكــيرهم ولم يغنِهم ما وصــلوا إليه في مختلف العلــوم- الــتي أصـبحوا فيها أسـاتذة العالم- لم تغنهم تلك العلوم، ولم ترتفع بتفكـيرهم في الجـانب الإلهي من حيــاتهم،بل ظلــوا يتخبطــون في ظلمــات الجهل ومسالك الضـلال، ذلك أن هـذا الجـانب ليس بمقـدور العقـول تصوّره التصوّر الصحيح، والوصـول إلى حقيقتـه، وإنما مصـدره هو الـــوحي الـــذي ينزله الله على رســـله،فيبلغونه للنـــاس ويقـــــودونهم به إلى معرفة ربهم وما يجب عليهم، وما يلتحق بذلك من أركان الإيمـان ومقوماتـه، وحيث إن أولئك الفلاسـفة مصدرهم في بحثهم عن الحقيقة هو العقـل، والعقل قاصر عن إدراكها فقد تاهوا في أودية الضلال وما وصلوا إلا إلى نظريـات متناقضــة، وقضـايا فجّة غـير ناضـجة، وبقي ما تربَّوا عليه من الوثنية والقبوريـــة؛ هو الــذي يوجه تفكــيرهم ويســتحوذ على أعمالهم وطقوسهم، وقد شهد المتلقفون لفلسفة اليونــان من علماء المسلمين على قـدواتهم من فلاسـفة اليونـان بالقبورية

.

[1] المصدر السابق ص(35-36) .

[2] المصدر السابق ص (35-36) .

[3] المصدر السابق ص (36) 0

وأبانوا كيف يتصـور أولئك الفلاسـفة إمـداد أرواح المـوتى لمن دعاهم وتشفع بهم.
يقـول الفخر الـرازي في كتابه المطـالب العاليـة: (إن فلاسـفة اليونان كانوا يستمدون الفيوض من القبور وأهلها، إذا اعـترتهم مشكلة من المشكلات، وكان الفلاسـفة من تلاميذ أرسـطو إذا دهمتهم نازلة ذهبوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض) [1].
وبما أن القوم فلاسـفة وليسـوا مقلـدين لما كـان عليه الآبـاء والأجداد فقد خرَّجوا تعلقهم بالقبور تخريجـاً علميـاً مبنيـاً على نظريتهم العامة في الإلهيـات، حيث يؤمنـون بنظرية الفيض أي أن " العقل الفعال " الـذي هو مـوازٍ للإله يفيض على من دونه من المخلوقات.
وبما أن أرواح الموتى القديسين هي كذلك آلهة صغيرة حسب العقيدة اليونانية العامة فـإن تلك الأرواح تفيض على من زارها طالبـــاً منها الشـــفاعة، وذلك بحسب يقين الزائر وفنائه في المزور واستعداد نفسه لتقبل ذلك الفيض، وهي بــدورها تتلقى الفيض من الإله الأعظم، وقد مثلـــوا ذلك بانعكـــاس شـــعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فـإن الشمس إذا وقعت على المـاء أو مـرآة وانعكس شـعاعها على حائط أو غيره حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشـعاع المنعكس على المـــرآة، قـــالوا: فهكـــذا الرحمة تفيض على النفـــوس الفاضـــلة كنفـــوس الأنبيـــاء والصـــالحين، ثم تفيض بتوســـطهم على نفـــوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكـــاس الشعاع يحتاج إلى المحـاذاة فكـذلك الفيض لابـدّ فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة [2].

[1] المطالب العالية (7-228) بواسطة جهود الحنفية في إبطال عقائد القبورية (1-416) للدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني ، دار الصميعي الرياض ، الطبعة الأولى (1416هـ - 1996 م) .
[2] انظر الاستغاثة في الرد على البكر ي (2/410-411) لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق عبد الله بن دجين السهيلي ، دار الوطن ، الطبعة الأولى (1417 هـ - 1997م)

المطلب الثالث: اِتَّباع قبورية المسلمين لفلاسفة اليونان في علة زيارة القبور:

إن معظم ما يأتيه القبورية وما يعتقدونه تجـاه القبـور وأهلها وإنما هو اتباع للأمم السـابقة، تصـديقاً لحـديث الرسـول في حديث ذات أنواط حيث طلب بعض أصـحابه أن يجعل لهم ذات أنـواط كما للمشـركين ذات أنـواط فقـال لهم: ((**الله أكـبر! إنها السـنن،قلتم والـذي نفسي بيـده كما قـالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم ءالهه قال: إنكم قوم تجهلون ** [1] **لتركبن سـنن من كـان قبلكم**)) [2]، وجاء من حديث أبي سـعيد رضي الله عنه بلفـظ: ((**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعـاً بـذراع حـتى لو دخلـوا جحر ضب لتبعتمـوهم، قلنـا: يارسـول الله اليهود والنصارى قال فمن؟**)) [3]، ومن حـديث أبي هريـرة رضي الله عنه ((**لا تقوم الساعة حـتى تأخذ أمـتي مأخذ القـرون قبلها شـبراً بشـبر وذراعـاً بـذراع،قيـل: يا رسـول اللـه،كفـارس والـروم؟ قـال: مَنْ النـاس إلا أولئك**)) [4].

ويظهر من سبب ورود الحديث الأول أن بعضاً من هـذه الأمة سـتتبع اليهـود فيما انحرفـوا فيه من التفـاتهم إلى التعلق بالمخلوقين،وهذا هو أساس القبورية.

كما يظهر من الحديث الثالث أن اتباع الأمم السابقة لا يقتصر على اليهـود والنصـارى وإنما يتعـداه إلى سـائر فـارس والـروم،ومن الـروم اليونـان الـذين نُقِلت فلسـفتهم إلى الأمة الإسلامية فأفسدت عقائد قوم من المسلمين.

وممن تلقى عقائد الفلاسفة وألبسها رداء الإسلام ونشرها في الأمة المحمدية قبورية المسلمين من فلاسفة وباطنية شيعية وصوفية.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو يتكلم عن الوسـائل المشـروعة وغيرهـا: " الوجه الثـاني أن يـدعو له

---

[1] ا لأعراف (138) .

[2] الترمذي في الفتن باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم (4/475) . وأحمد (5/218) .

[3] تقدم تخريجه ص (47)

[4] تقدم تخريجه ص (47).

الرســول فهــذه أيضــاً مما يتوسل به إلى الله تعــالى، فــإن دعـــاءه وشـــفاعته عند الله من أعظم الوســـائل فأما إذا لم يتوسل العبد بفعل واجب، ولا مســتحب، ولا الرســول دعا لــه، فليس في عظم قــدر الرســول ما ينفعــه، ولكن بعض النــاس الــذين دخلــوا في دين الصــابئة والمشــركين،ظنــوا شــفاعة الرسول لأمته لا تحتاج إلى دعاء منه، بل الرحمة الــتي تفيض على الرســول تفيض على المستشــفع من غــير شــعور من الرسول ولا دعاء منه، ومثلوا ذلك بانعكـاس شـعاع الشـمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فإن الشـمس إذا وقعت على الماء أو مــرآة، وانعكس شـعاعها على حائط أو غــيره؛ حصل النــور في الموضع الثــاني بواســطة الشــعاع المنعكس على المرآة،قالوا: فهكـذا الرحمة تفيض على النفس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصـالحين، ثم تفيض بتوسـطهم على نفــوس المتعلقين بهم،وكما أن انعكــاس الشــعاع يحتــاج إلى المحـــاذاة فكـــذلك الفيض لابد فيه من توجه الإنســـان إلى النفوس الفاضلة وجعل هـؤلاء الفائـدة في زيـارة قبـورهم من هذا الوجه.

وقالوا أن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة فيقوى تأثيرها وهــذه المعــاني ذكرها طائفة من الفلاســفة ومن أخذ عنهم كابن سيناء وأبي حامد وغيرهم) [1].

قلت: هــذا فــرع من فــروع نظرية الفيض الــتي يعتقــدها الفلاسفة،وطبيعي على هذا الاعتقـاد أن يكـون هنـاك توجه إلى النفــوس الفاضــلة لتكــون واســطة بين المستشــفع والخــالق المعطي سبحانه، تلك الواسطة هي " الشافع " وقد قــرر ذلك من أتباع الفلاسفة قوم كما ذكره شـيخ الإسـلام - رحمه الله - منهم أبو حامد الغزالي وذلك في كتابه " المظنون به على غير أهله " والفخر الـرازي في كتابه "المطـالب العليـة" ونقل عن الاثـــنين أحد قبورية حضـــرموت وهو عبد الـــرحمن بن محمد العيدروس في كتابه " بذل المجهود في خدمة ضـريح نـبي الله هــود "وجعل ذلك هو علة زيــارة القبــور، وســيأتي نص كلام الغـزالي منقـولاً من كتابـه، وكلام الـرازي عن العيـدروس في

---

[1] الاستغاثة (2/411-412) .

مطلب علة الزيــارة عند القبورية [1]، وبهــذا يتضح أن زيــارات القبورية لم تكن هي الزيـارات الشـرعية الـتي علتها الاعتبـار والاتعـاض بحـال المـوتى ورقة القلب وتـذكر الآخـرة والـدعاء للأمــوات والســلام، عليهم وإنما لاســتمداد من الأمــوات على طريقة الفلاسفة.

وأما تشبههم باليهود والنصارى في البنـاء على القبـور واتخـاذ المساجد عليها فظاهر، وحـتى لا يقـول قائل إن ذلك من أتبـاع الفلاسفة في علة الزيـارة إنما هو مـذهب مهجـور لـدى قبورية اليوم لا وجود له عندهم 0

أقول له ولكل من يدافع عنهم:انظر إلى محمد علوي مالكي - بـــاعث القبورية في مكة من جديد ووارث أحمد زيـــني دحلان ويوسف النبهاني- انظر إليه وهو يحكي أحـوال الزائـرين للنـبي : (تختلف أحـــوال الزائـــرين في اســـتفادتهم من زيـــارتهم واســتمدادهم من الله بواســطة نــبيهم المصــطفى وحــبيبهم المجتــبى وبحسب اســتعدادهم في تلقي الفيوضــات الإلهية والواردات الربانية بواسطة الحضرة المحمدية،) 0[2]

ويقول في موطن آخر: (اللهم صلِّ وسـلم على سـيدنا محمد أول متلق لفيضك الأول. صلاة نشهدك بها من مرآته،ونصل بها إلى حضـــرتك من حضـــرة ذاتـــه، قـــائمين لك وله بـــالأدب الوافر،مغمورين منك ومنه بالمدد الباطن والظاهر) 0[3]

وأما تشبههم باليهود والنصارى في البنـاء على القبـور واتخـاذ المساجد عليها فظاهر ليس به خفاء.

---

[1][2] انظر ص (324)

[2] شفاء الفؤاد بزيارة خـير العبـاد (124)السـيد محمد بن السـيد علـوي بن السيد عباس المالكي الحسني،ط الأولى(1411 هـ-1991م).

[3] المصدر السابق (117) .

المبحث الرابع

القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إثبـات أن العـرب كـانوا على ملة إبراهيم الحنيفية السمحة:

كانت العرب وبالأخص عرب الحجاز على ملة أبيهم إبراهيم ، ملة التوحيد الحنيفية السـمحة، بـرآء من الشـرك وأهلـه، كما حكى الله تعالى عن إبراهيم مثنياً عليه وعلى أتباعه بـذلك: **إن إبــراهيم كــان أمة قانتــاً لله حنيفــاً ولم يك من**

المشركين. شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين. ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين [1] وقال تعالى مبرئاً إبراهيم والذين معه من الشرك،ومقدِّمَهم لنا قدوةً، وجاعلاً لنا الأسوة فيهم **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إناَّ برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** [2]..

وقد ذكّر الله العرب بهذا الإرث العظيم الذي ورثوه من أبيهم إبراهيم فقال: **ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** [3]

وقد بقي العرب على تلك الملة قروناً، حتى ظهر عمرو بن لحي الخزاعي فغيرها، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، قال رسول الله : ((**وعرضت عليَّ النار فلما وجدت سفعتها تأخرت عنها، وأكثر من رأيت فيها النساء إنِ ائتمن أفشين،وإن سألن ألحفن، وإذا سئلن بخلن، وإذا أعطين لم يشكرن،ورأيت فيها عمرو بن لحي يجر قُصبه في النار وأشبه من رأيت به معبد بن أكثم الخزاعي، فقال معبد: يا رسول أتخشى عليَّ من شَبَهِه فإنه والدي، فقال: لا، أنت مؤمن وهو كافر، وهو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام**))[4]،وهناك ألفاظ أخرى بنفس المعنى في الصحيحين وغيرهما [5].

---

1 النحل (120 – 123) .

2 الممتحنة (4) .

3 الحج (78) .

4 الحاكم في المستدرك (4/605) وقال :حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، طبع دار المعرفةبيروت بإشراف د. يوسف المرعشلي .

5 انظر: السلسة الصحيحة للشيخ الألباني (4/ 242-244) .

وكـان سـبب انحـرافهم ووقـوعهم في الشـرك هو الغلو في الصـــالحين كما ســـيأتي في قصة عبـــادتهم للّات أو للأمـــاكن المقدسة كما في قصة نقلهم حجـــارة الحـــرم والطـــواف بها حيثما حلّوا.

المطلب الثـــــــاني: القبورية هي أصل الوثنية عند العرب:

كما هو الشأن -بعد كل رسالة من الرسـالات السـابقة- تـأتي بعدها فـترة ينقص العلم ويثبت الجهـل، ويجد الشـيطان سـبيلاً إلى نفـوس النـاس وعقـولهم، فينحـرف بهم عن الصـراط المستقيم، وقد مرّ معنا أن دين إبراهيم ظل قائماً حتى ظهـور عمـرو بن لحي الخـزاعي الـذي كـان أول من غيّـره وحـرَف العرب عنه إلى عبادة الأصنام، وكان سبب وقوعهم في الوثنية هو الغلو في الصـالحين منهم وتعظيم قبـورهم حـتى اتخـذوها أصناماً،قـال ابن عبـاس في قوله تعـالى ﴿ **اللات والعزى** ﴾[1]: (كان اللات رجلاً يلت السويق للحاج) [2].

والذي أمرهم بذلك هو عمرو بن لحي.

قال الحافظ ابن حجر في شـرح هـذا الحـديث -راداً على من زعم أن اللات هو عمـــرو بن لحي: (والصـــحيح أن اللات غـــير عمـــرو بن لحي، فقد أخـــرج الفـــاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمـرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتاً، وتقدم في مناقب قـريش أن عمـرو بن لحي هو الـذي حمل العـرب على عبـادة الأصنام، وهو يؤيد هذه الرواية) [3].

فهـــذا وجه من أوجه القبورية المؤدية إلى الوثنية عند العرب،**وهناك وجه آخر** وهو تعظيم آثار الصالحين ومنـازلهم وبيوت عباداتهم تعظيماً زائداً على الحد المشروع.

قال ابن هشام في سيرته: قال: ابن إسـحاق: (ويزعمـون أن أول ما كـانت عبـادة الحجـارة في بـني إسـماعيل أنه كـان لا يظعن من مكة ظـــاعن منهم -حين ضـــاقت عليهم والتمســـوا الفسح في البلاد- إلا حمل معه حجـــراً من حجـــارة الحـــرم

---

1 النجم (19)0

2 البخاري كتاب التفسير باب (أفرأيتم اللات والعزى) (8/611) مع الفتح .

3 الفتح (8/ 612) .

تعظيماً للحرم،فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة،حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة، وأعجبهم،حتى خلف الخلوف ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات) [1]

فهذا السبب كما ترى كان ناتجاً عن تعظيم آثار إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فالحرم شرَّفه الله تعالى بهما حيث بَنَيَا فيه بيت الله الحرام والكعبة المشرفة، فكان تعظيم المكان ناتج عن تعظيم من اشتهر به وهو إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ذلك الغلو فيهما وفي البيت الذي ينسب إليهما كان سبباً في ضلال طوائف من العرب والزج بهم في الوثنية والشرك.

<u>المطلب الثالث</u>: انتشار الأصنام في جزيرة العرب:

بعد تلك البدايات البسيطة والبدائية أخذ إبليس يرقّي العرب في سلّم الوثنية حتى أصبحت ديناً تدين به، له شعائره [2] ومشاعره [3] وطقوسه [4] وعقائده وتنوعت العبادات من طواف وتمسح ودعاء واستشفاع واستقسام [5] بالأزلام بين يدي تلك الأصنام إلى نذر الأموال ونحر النعم وغير ذلك، كما انتشرت الأصنام في الجزيرة العربية انتشار النار في الهشيم بدءاً ببيت الله الذي أنشئ على التوحيد ولأجل التوحيد،حيث يقول الله تعالى عنه: ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا**

---

[1] سيرة ابن هشام (1/77)طبع مؤسسة علوم القرآن بدون تاريخ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي

[2] جمع شعيرة مناسك العبادة ومعالمها انظر القاموس المحيط ص (535) .

[3] جمع مشعر موطن العبادة . المصدر السابق ص (535)

[4] جمع طقس وهو نظام الخدمة الدينية عند النصارى .انظر : المعجم الوسيط (2/ 561) .

[5] قال ابن جرير(6/49) : (وأن تستقسموا بالأزلام " وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام وهو استفعلت من القسم ، قسم الرزق والحاجات وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو نحو ذلك أجال القداح وهي الأزلام وكانت قداحاً مكتوباً على بعضها "نهاني ربي" وعلى بعضها "أمرني ربي" فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه أمرني ربي مضى لذلك لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك وإن خرج الذي عليه "نهاني ربي" كف عن المعنى لذلك وأمسك ،وأما الأزلام فإن واحدها زلم ويقال زلم وهي القداح التي وصفنا أمرها) .

**تشـرك بي شـيئاً وطهر بيـتي للطـائفين والقـائمين والركع السجود **[1].

هذا البيت كان فيه أكبر تجمع للأصنام في جزيرة العرب حيث كان عدد الأصنام -التي كسرها رسول الله يــوم فتح مكة في جــوف الكعبة وحولهـا- ثلاثمائة وسـتين صـنماً [2]،كما كـان في جـوف الكعبة أشـهر أصـنام قـريش على الإطلاق (هبـل) [3]،ولم تبق قبيلة من قبائل العــرب إلا ولها صــنمها الــذي يعــرف بها وتعرف به وتعبّد له أبناءها [4]،بل تجاوز الأمر إلى أن أصــبح لكل بيت صنمه الخاص به،[5] وحتى المسافر لا يقيم أثناء سـفره في بقعة إلا تخيّر من أحجارها ما يعجبه فينصبه إلهاً له.[6]

ولم يكتف الشيطان بذلك بل دلّهم على أصنام قوم نوح التي كـانت مطمـورة في رمـال سـاحل جـدّة فاسـتخرجها مؤسس الوثنية في الجزيــرة العربية عمــرو بن لحي الخــزاعي وفرقها على العرب فعظمت وعبدت فيهم [7].

وبــذلك انطمست ملة إبــراهيم وغـاب التوحيد وحل الشــرك محله،حـتى صـارت الـدعوة إلى إخلاص العبـادة لله تعـالى من العجائب لديهم حينما صدع بها النبي فقالوا -كما حكاه القرآن -: أجعل الآلهة إلهــاً واحــداً إن هــذا لشــيء عجــاب، وانطلق الملأ منهم أن امشــوا واصــبروا على آلهتكم إن هــذا لشــيء يراد،ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلاّ اختلاق [8].

<u>المطلب الرابـع</u>: الحنفاء من العـرب:

ذلك هو الجــوّ المظلم الــذي وصــلت إليه الأمة العربية قبل البعثة وهو الغـالب عليهـا، ولكن بقي بصـيص ضـئيل من النــور الخـافت الـذي نجا من أطبـاق الظلمـة، ولكنه لم يهـدِ أصـحابه

---

[1] الحج (26) .

[2] البخاري كتاب التفسير سورة الإسراء باب (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) (8 / 400) من حديث ابن مسعود .

[3] الأصنام لابن الكلبي ص (27) .

[4] انظر : الأصنام ص(13) و(16) و(18) الدار القومية بالقاهرة نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة(1343هـ-1924م) .

[5] المصدر السابق ص (33) .

[6] االمصدر السابق ص (33) .

[7] أصله في البخاري كتاب التفسير سورة نوح باب " ود اً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق " وانظر : ابن هشام (1/78-80).

[8] سورة ص (5- 7) .

صـراطاً مسـتقيماً، ولم يسـلك بهم سـبيلاً قويمـاً [1]، وقد تمثّل ذلك في بقاء مجموعة صغيرة جداً متفرقة في أنحـاء الجزيـرة العربيــة، وربما كــان بمكة منهم نصــيب أوفــر، أولئك هم من سُمّوا بالحنفاء نسبة إلى الحنيفية ملة إبراهيم، وتمثل تمسكهم بالحنيفية في رفضهم للوثنية من حيث عبـادة الأوثـان وتقـريب القــرابين لهـا،واعتقـاد نفعها وضـرّها وشـفاعتها كما هو شـأن الوثنيين، هداهم إلى ذلك فطـرتهم الـتي مَنَّ الله عليهم ببقائها صافية نقية من كَدُورات الوثنية، غير أنهم لم يهتـدوا إلى مـراد الله تعـالى وما يجب له من العبـادة،حـتى لقد نقل أهل السـير عن زيد بن عمـــــرو بن نقيل قولــــه: (اللهم إني لو أعلم أيّ الوجوه إليك أحب عبدتك به ولكني لا أعلمـه) [2] ولـذلك تفرقـوا في البلاد يبحثون عن دين إبـراهيم، فمنهم من دخل النصـرانية كورقة بن نوفل، ومنهم من لم يدخل أيّ دين وبقي على ما هو عليه كزيد بن عمرو بن نفيل.

---

[1] لأن الهداية التامة لا تكون إلا بالوحي لا غير .

[2] ابن هشام (1/225) عن ابن إسحاق قال حدثني : هشـام بن عـروة عن أبيه عن أمه أســماء ، وهــذا حــديث حسن لمكــان ابن إســحاق وأما بقية أصحاب السند فمن أصح الأسانيد .

وقد ذكرت أسماء بعض هؤلاء فمنهم: قس بن ساعدة الأيادي، وزيد بن عمـرو بن نفيـل، وأمية بن أبي الصـلت، وأبو قيس بن أبى أنس، وخالد بن سـنان، والنابغة الـذبياني، وزهـير بن أبي سُلمى، وكعب بن لؤي بن غالب أحد أجـداد النـبي [1] وقد ذكر غيرهم أيضاً [2]، غير أن من هؤلاء الـذين ذكـروا من تنصـر، وكل هؤلاء لم يـدركوا الإسـلام إلا ورقة بن نوفل حيث أدرك الفـترة الأولى من الوحي ففرح واستبشر وتمنى أن يعيش ليرى دعوة النبي وينصره ولكنه مات في فترة الوحي. [3]

---

[1] السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصـلية (دراسة وتحليل) ص (72) للدكتور مهـدي رزق الله أحمد الأسـتاذ المشـارك بكلية التربية جامعة الملك سـعود الطبعة الأولى ، (1412هـ - 1992م) نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض .

[2] نفس المصدر (77) .

[3] انظر خبره في البخاري كتاب بدء الوحي (1/ 22) مع الفتح .

الفصل الثاني

القضاء على الوثنية والقبورية على عهد النبي والصحابة والتابعين

إلى نهاية القرون الثلاثة المفضلة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

حال جزيرة العرب حين مبعث النبي وكيف قضى على الوثنية فيها

وفيه مطلبان:

***المطلب الأول:* حـال جزيـرة العـرب عند مبعث النبي :**

عرفنا في مطلب القبورية عند العـــرب كيف فشت عبـــادة الأصنام، وشـملت جميع أطـراف جزيـرة العـرب، وأنه لم يبـقَ على أصل التوحيد إلاّ أفــراد يعــدون بالأصــابع، منبــوذون من قـــومهم يلقـــون منهم الســخرية والاســتهزاء والمقت، وكيف سـيطرت الجاهلية على جميع أوجه الحيـاة حـتى أظلم الكـون، واسـتوجب أهله مقت الله وغضــبه، إلاّ أولئك الحنفـاء القلائل وبقايا من أهل الكتاب مشردين في الصحاري والقفار متـوارين في صوامعهم وأديـرتهم، وقد صـوَّر النـبي تلك الحالـة، وذلك فيما رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي قـال: ***((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يـومي هـذا، كل مـال نحلته عبـداً حلال، وإني خلقت عبــــادي حنفـــــاء كلهم وإنهم أتتهم الشــــياطين فاجتـالتهم عن دينهم وحـرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به ســلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عـــربهم وعجمهم إلاّ بقايا من أهل الكتـاب))*** *[1]، هكـذا كـانت الـدنيا بما فيها جزيرة العرب عند مبعث النـبي ، فكيف انجـابت تلك الظلمـة، وزالت تلك الجاهلية؟ هذا ما سنعرفه في المطلب الثاني.*

---

[1] ? صحيح مسلم (4/2197) ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة و أهل النار.

المطلب الثــاني: قضــاء النــبي على الوثنية في جزيرة العرب:

*لقد بعث الله رســوله بما بعث به إخوانه المرســلين من قبله؛ لإزالة الشـرك،ونشر التوحيـد، وإخـراج العبـاد من عبـادة العباد إلى عبـادة رب العبـاد سـبحانه،كما قـال تعـالى: **ولقد بعثنا في كل أمة رســولاً أن اعبــدوا الله واجتنبــوا الطـاغوت** [1]، فشـمرّ الرسـول في الـدعوة إلى الله سـراً وجهـراً وليلاً ونهـاراً، وكـان أول ما أعلنه من دعوته حين أمـره الله تعالى أن يصدع بها أن قـال: ((**يا أيها النـاس قولـوا لا إله إلاّ الله تفلحـوا**)) [2]،فاسـتجاب له السـابقون الأولـون، وحاربه بقية قومه واستهجنوا ما جاء به واسـتنكروه، وقـالوا ما حكاه الله عنهم: **وعجبوا أن جـاءهم منـذرٌ منهم وقـال الكافرون هذا ساحر كذّاب 0 أجعل الآلهة إلهًا واحـداً إن هذا لشيء عجـاب. وانطلق الملأ منهم أن امشـوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشـيء يـراد. ما سـمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ** [3].*

لكن الله أبى إلاَّ أن يتم نوره ويعليَ كلمته ولوكره الكافرون، ومضى في دعوته وتربى على ذلك أصـحابه، وانطلقـوا دعـاةً إلى ذلك، فاتسـعت دائـرة الحق وانتشر نـور الإسـلام بعد جهد كبـير وزمن غـير قصـير؛ حمل عليه العناية الفائقة الـتي أولاها رسول للتربية وغرس العقيدة في النفوس حتى تمكنت منها، ثم تـوالت المحن وصب العـذاب على أصـحابه ليشـتدّ عـودهم وتصـقل نفوسـهم،حـتى إذا تهـيئوا لإقامة دولة التوحيـد؛هيأ لهم الملاذ الآمن والقاعــدة الصـلبة الـتي تبـنى عليها تلك الدولــة، وذلك بإسـلام الأوس والخــزرج ومبـايعتهم للنـبي ، ثم هجرته

---

[1] النحل (36) .

[2] *المسند (3/ 492 ، 4/341) ، و الطبراني في الكبير (4582) من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد ،وله شـاهد من طريق طـارق ابن عبدالله المحـاربي أخرجه ا بن حبـان (6562)كتـاب التـاريخ ، بـاب كتب النــبي ذكر مقاســاة المصـطفى ما كـان يقاسي من قومه في إظهـار الإسـلام صـحيح ابن حبـان بترتيب ابن بلبان طبع مؤسسة الرسالة بـيروت الطبعة الثانية (1314هـ-1993م) بتحقيق شعيب الأرناؤوط .وصححه الحاكم(2/612)كتاب التاريخ، ذكر أخبار سـيد المرسلين ، ووافقه الذهبي .*

[3] *سورة ص (4 – 7) .*

إليهم، وحينما استقر في المدينة وثبّت دعائم الدولة انكفأ يدعو إلى الله بأسلوب آخر، بالقوة والجهاد لمن يعترض سبيل تلك الدعوة كما أمره الله تعالى بذلك حيث قال: ***﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإنَّ الله بما يعملون بصير﴾*** [1]*، وكما صرَّح هو ﷺ عن حقيقة دعوته ووسيلته لتحقيقها حيث قال:* ***((بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجُعلَ رزقي تحت ظل رمحي وجُعلَت الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبَّه بقوم فهو منهم))*** [2]*.*

وتوالت الحروب بينه وبين الكافرين مع استمراره في الدعوة والتربية، حتى أذن الله بالفتح ففتحت مكة، وعلى أثر ذلك دخل الناس في دين الله أفواجاً كما قال تعالى: ***﴿ إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾*** [3]*.*

وعند ذلك علت راية التوحيد خفاقة على ربوع الجزيرة العربية، وكانت الدولة والكلمة للإسلام، وزال الشرك وقضي عليه،حتى بعَث النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة علياً ﷺ بهذا الإعلان النهائي المشعر بأنه لا مكان للشرك في هذه الجزيرة، ولاحق لمشرك أن يمارس شركه فيها، فكان هذا الإعلان في موسم الحج ليسمعه كل من شهد الموسم ويعود لإبلاغه إلى قومه: ***﴿ براءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين.فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غيرُ معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين. وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله، فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم*** [4] ***﴾****، وكان عليّ يتبع ذلك بقوله: (ألا لا يحجنَّ بعد هذا العام مشرك،ولا يطوفن بالبيت عريان)*[5]*.*

---

[1] الأنفال (39)

[2] تقدَّم تخريجه في الباب التمهيدي ص (4).

[3] سورة النصر .

[4] التوبة (1-3).

*وبالفعل لم يعد ذلك الموسم من السنة العاشرة إلَّا وقد طهِّرت الجزيرة من الشرك والمشركين,وأجلِب أهلها للاستجابة لدعوة الله، وحققوا توحيده، وصاروا من حزبه بعد أن كانوا من حزب الشيطان، فما حج رسول الله حجته الوحيدة الشهيرة بحجة الوداع إلّا وكل من حضر الموسم - وهم عدد كبير لم تشهد الجزيرة تجمعاً مثله من قبل - كلهم مسلمون موحدون وبذلك أكمل الله الدين وأتم النعمة على عباده المؤمنين وانتهت مهمة خاتم المرسلين، ونزلت في يوم عرفة من ذلك العام آخر آية من كتاب الله معلنة ذلك: * ***اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً [1].***

*وحين رأى الشيطان تلك الفتوح وذلك الإقبال على دين الله وتلك النهاية للشرك والمشركين في جزيرة العرب،أصابه اليأس وغلب عليه القنوط من عودة الشرك إليها وقيام دولة له فيها كتلك التي هوت وتلاشت بقيام دولة الإسلام، وقد أخبر النبي بيأسه ذلك فقال: ((****إنَّ الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم))*** *[2]، وقال: ((****وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها))*** *[3]، وقال: ((****لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك))[4].***

---

5 البخاري مع الفتح (8/317-318)، كتاب التفسير، باب (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) ، وباب (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله).

1 المائدة (3) .

2 صحيح مسلم (4/2166) ،كتاب صفة المنافقين وأحكامهم ، باب تحريش الشيطان وبعثه السرايا لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً.

3 رواه البخاري مع الفتح (3/209) ،في الجنائز باب الصلاة على الشهيد ، ومسلم (4/1795)في الفضائل ،باب إثبات حوض النبي ، تحقيق عبد الباقي .

4 مسلم (3/1523)،كتاب الإمارة ، باب قوله :(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم).

وليس معنى ذلك أن لا يتطرق أي نوع من الشـرك على أي حـال من الأحـوال، وإنما المقصـود نـوع خـاص من عبـادة الشيطان،كما سيأتي إيضاحه في المبحث الثاني إن شاء الله.

المبحث الثاني
إنذار النبي بعودة الشرك إلى جزيرة العرب

والرد على من زعم المنع من عودة الشرك إليها مطلقاً
و فيه مطلبان:

المطلب الأول: الإنذار بعودة الشرك إلى جزيرة العرب:

رغم البشارات العظيمة التي رأيناها في المبحث السابق،فإن النبي أنذر كذلك بعودة الشرك والوثنية إلى هذه الجزيرة المباركة في أحاديث كثيرة صرَّح فيها بعبادة الأوثان مطلقاً،أو عبادة أوثان مخصوصة من أوثان العرب في جاهليتها،أو بلحوق أقوام من أمته بالمشركين، وهذا كله يدل على أن الأحاديث التي يُفهم منها امتناع عودة الشرك إلى جزيرة العرب ليس على إطلاقها، وإنما هي محمولة على معان أو أحوال مخصوصة،والداعي إلى حملها على تلك الأحوال والمعاني المخصوصة هو وجوب الجمع بين النصوص الصحيحة؛ حتى نتمكن من إعمال جميع النصوص ولا نلجأ إلى التحكم بإبطال بعضها مع صحة أسانيدها إلى النبي كما صرّح بذلك علماء الأصول والمصطلح [1]

*ومن هذه الأحاديث حديث ثوبان الطويل الذي أخبر فيه النبي ببلوغ الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها وفيه: **((لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان))**[2].*

*ومنها حديث أبي هريرة أن رسول الله قال: **((لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة))** [3].*

---

[1] انظر: الموافقات (4/299) للإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي ، طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ ، والاعتبار في الناسخ و المنسوخ من الآثار (54) للإمام أبي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمذاني، تحقيق الدكتور عبد لمعطي قلعجي ،نشر جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي، الطبعة الأولى (1403هـ-1982م).

[2] أبو داود (2/499) كتاب الفتن ودلائلها ، باب ما ذكر الفتن ودلائلها، وابن ماجه (2 /1304)، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن. وصححه شيخنا الألباني في صحيح ابن ماجه (2/352) .

[3] البخاري مع الفتح(13/76)،كتاب الفتن، باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان ،ومسلم مع النووي(18/32)، كتاب الفتن .

*ومنها حـديث عائشة رضي الله عنها أن رسـول الله قـال: **((لا يـذهب الليل والنهـار حـتى تعبد اللات والعـزى، فقــالت عائشـــة:يا رســول الله إن كنت لأظن حين أنـزل اللـه: هو الـذي أرسل رسـوله بالهـدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشـركون [1] أن ذلك تام قال: ((إنه سيكون من ذلك ما شـاء اللـه، ثم يبعث الله ريحـاً طيبـة، فَتَـوَفَّى كل من في قلبه مثقـال حبة خـردل من إيمـان فيبقى من لا خـير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم))** [2].*

فهذه الأحاديث الثلاثة صحيحة أسانيدها، صريحة متونها،في أن الأوثان ستعبد في جزيـرة العـرب،وأن أقوامـاً من أمة محمد سـيلتحقون بالمشـركين،ومن بـاب الإنصـاف فإنه يفهم من حـديث عائشة رضي الله عنها أن ذلك كـائن بعد أن يبعث الله الـريح الـتي تقبض أرواح المؤمـنين،ومع تسـليمنا بـذلك إلا أننا نقـول: إنه ليس في الحـديث ما يمنع وقـوع الشـرك وعبـادة الأوثان قبل ذلك الريح، وهذا ما سنثبته في المطلب الثاني إن شاء الله.

<u>المطلب الثـاني</u>: الـرد على من زعم المنع من عودة الشرك إلى جزيرة العرب:

إن الأحاديث التي أوردنا بعضـها في المطلب الأول لَتَـردُّ على مَنْ منع عودة الشرك في هذه الأمة، وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى أن هــذه الأحــاديث دالة قطعـاً على أن الحـديث الـذي يسـتدلون به **((إن الشـيطان قد أيس أن يعبده المصـلون في جزيـرة** العـرب)) [3] ليس على عمومه بل هو مخصوص، ومعلوم عند أهل الأصـول أن العـام الـذي قد دخل عليه التخصيص تضعف دلالته بذلك،ولا يكون كالسالم من ذلك الذي لم يتطـرق إليه تخصـيص، وعلى هـذا فإننا نقـول إن كان النبي ذكر يأس الشيطان مقِراً له فإن ذلك محمول على حال مخصوص وهو أن تجتمع الأمة على عبـادة الأوثـان أو نحو ذلك من المعاني والأحوال.

---

[1] الصف (9) .
[2] مسلم مع النووي (18/ 33) كتاب الفتن و أشراط الساعة .
[3] تقدم تخريجه ص (72) .

وإن كـان مجـرد إخبـار عن حـال الشـيطان حين بُهِر بانتشـار الإسلام ودخول النـاس في دين الله أفواجـاً فهـذا ليس بـدليل أصــلاً؛ لأن يــأس الشــيطان ليس بحجة على أحــد،وهو لا شك مخلــوق كســائر الخلق معــرض لســوء التقــدير وخلف الظن، وطروء سائر ما يطرأ على المخلوقين من أمل وقنــوط ويـأس واستبشار، ولا يلزم أن يتحقق كل ما يطرأ عليه، وما يأسُــه هنا إلا من هذا القبيل، أيِسَ في ذلك الـوقت الـذي رأى فيه إقبـال الخير واندحار الشر، ثم عـاد إليه الأمل والرجـاء منذ أن أوشك الرســول على الرحيــل، وتحقق له شــيء مما أمَّلَــهُ على يد مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي وأتباعهما من المرتــدين في نواحي الجزيرة العربية،وإن كان هذا الحال لم يدمْ طويلاً حيث قضى أبــوبكر ومعه ســائر الصــحابة على تلك الــردة، وأعــادوا المرتدين إلى حظيرة الإســلام، إلا أن ما حصل كــان دليلاً على أن يــأس الشــيطان لم يكن قاطعــاً ولا ثابتــاً، بل كــان قــابلاً للتحول إلى الأمل والرجاء.

الناحية الثانية إن مما يــدل على أن ذلك الحــديث ليس دالاً على عدم وقوع الشــرك في جزيــرة العــرب هو وقوعه بالفعل وإليك نماذج من ذلك الوقوع:

النموذج الأول الردة الواقعة عند وفاة النــبي وهي معلومة لــدى الجميع امتلأت بها كتب الســير والتــواريخ وكتب الســنة والحديث [1]، ومجرد الردة يعتبر عبادةً للشيطان على أي صورة كانت، فمجرد الكفر بالله يعتبر عبادة للشـيطان، لأنه اسـتجابة وطاعة للشيطان وتلك هي العبادة بعينها.

ومع ذلك فقد صــرح العلمـاء برجـوع طوائف من العـرب إلى عبادة الأوثان.

فقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عيـاض [2] وغـيره أنهم قـالوا: (كـان أهل الـردة على ثلاثة أصـناف، صـنف عـادوا إلى عبادة الأوثان، وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي،وكان كل منهمـا، ادعى النبـوة قبل مـوت النـبي فصـدق مسـيلمة أهل اليمامة وجماعة غـيرهم، وصــدق الأســود أهل صــنعاء وجماعة

---

[1] وقد أورد ابن كثـير أخبـار الـردة وقتـال المرتـدين بإسـهاب في تاريخه (6/311-332) .

[2] هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي توفي سنة (544هـ) انظر ترجمته في السير (20/212) والبداية والنهاية (12/225)0

غيرهم – إلى أن قال – وصنف ثالث استمروا على الإسلام، ولكنهم جحدوا الزكاة وتأولوا بأنها خاصة بزمن النبي وهم الذين ناظر عمر أبا بكر في قتالهم كما وقع في حديث الباب، ثم نقل عن ابن حزم أن العرب انقسمت إلى أربعة أقسام " 00 والثالثة أعلنت بالكفر والردة 00") [1].

وقد أقر الحافظ هذه الأقوال،كما أقرها غيره من العلماء والمؤرخين،وممن نقل ذلك عن القاضي عياض -مقراً له -أحد مؤرخي حضرموت المعتمدين لدى القبوريين وهو صالح بن علي الحامد في كتابه " تاريخ حضرموت " [2]، فهذه الحادثة تنقض الاستدلال بحديث: **((يأس الشيطان))** وحديث: **((ما الشرك أخشى عليكم))** على استحالة عودة الشرك إلى جزيرة العرب نقضاً صريحاً.

النموذج الثاني - التصريح بألوهية علي بن أبي طالب من قبل عبدالله بن سبأ اليهودي وأتباعه أيام خلافته بالعراق.

روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن عكرمة - رحمه الله - قال: (أتي علي بزنادقة فأحرقهم،فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي **" لا تعذبوا بعذاب الله "** ولَقَتَلْتُهم لقول النبي : **" من بدّل دينه فاقتلوه "**) [3].

قال الحافظ في شرحه لهذا الحديث: (وزعم أبو المظفر الإسفرايني في " الملل والنحل " أن الذين أحرقهم عليٌّ طائفة من الروافض ادعَوا فيه الألوهية وهم السبأية،وكان كبيرهم عبدالله بن سبأ يهودياً، ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله: ما رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبدالله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي : إن هنا قوم على باب المسجد يدّعون أنك ربهم فدعاهم فقال لهم ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني،

---

1 الفتح (12/276) .
2 تاريخ حضرموت (ص146) لصالح بن علي الحامد ، طبع مكتب الإرشاد بجدة بدون تاريخ .
3 البخاري مع الفتح (12/267) .

فاتقوا الله وارجعوا، فأبَوا إلا ذلـك،فقـال: يـاقنبر ائتـني بفَعَلَـةٍ[1] معهم مَـــرورهم [2]، فخُـــدَّ لهم أخـــدوداً بين بـــاب المســـجد والقصــر،وقـال: احفـروا فأبعِـدوا في الأرض، وجـاء بـالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال إني طـارحكم فيها أو ترجعـوا، فـأبوا فلما كـان الغد غـدَوا عليـه، فجـاء قنـبر فقـال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقـال: أدخلهم، فقـالوا كـذلك، فلما كـان الثـالث قـال:لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بـأخبث قتلة فـأبوا إلا ذلك أن يرجعوا فقذف بهم فيها حتى احترقوا وقال:

إني إذا رأيت الأمر أمراً منكراً   أوقدت ناري ودعوت قنبراً

وهذا سند حسن) [3].

وقد اعترف الرافضة أنفسهم بهذه الحادثة،فقد أورد الـدكتور عبد الرسول الغفار في كتابه "شـبهة الغلو عند الشـيعة " عـدد من الروايات عن أئمة الشيعة تؤيد ما ذكره الحافظ.[4].

وهـذا شـرك لا ريب فيه وعبـادة للشـيطان على جميع وجـوه التفسير لذلك الحديث، فإن قال قائل: إن هذا ليس في جزيرة العرب، قلت: هل الشـرك ممتنع في خصـوص الجزيـرة أم في عموم الأمة؟ الذي أعرفه من كلام القوم هو أن الشـرك ممتنع في عموم الأمة0 وعلى ذلك فهذه الحادثة ردٌّ صريح عليهم.

---

[1] ، [2] الفَعَلَة : جمعُ فاعلٍ ،أي عامل 0 والمرور: جمعُ مَرٍّ وهو " المسحاة " القاموس المحيط ص (610ً) 0

[3] الفتح (12/270) .

[4] انظر : شبهة الغلو عند الشيعة (56-60) للـدكتور عبدالرسـول الغفـار ، الطبعة الأولى (.1415هـ - 1995 م) دار المحجة البيضاء ، بيروت لبنان .

النموذج الثالث القرامطة الذين أعلنوا عن كفرهم بـأقوالهم وأفعالهم، وأجمع العلماء والمؤرخون على كفـرهم وقد خرجـوا في هـــذه الأمة وفي جزيـــرة العـــرب، وكــــان مقر ملكهم البحـــرين،ووصل من كفـــرهم أنهم أغـــاروا على مكة فقتلـــوا الحجيج، وانتهكــوا حرمة الــبيت، واقتلعــوا الحجر الأســود من موضعه واحتملوه معهم إلى مقر ملكهم، ومكث عنـدهم بضـعاً وعشرين سنة ثم أعادوه، وعنـدما فعل قائـدهم الخـبيث فعلته رفع عقيرته متبجحاً بما فعل معلناً كفره وإلحاده قائلاً:

فلو كان هذا البيت لله ربنا لصبَّ علينا النار من فوقنا صبا

لأنا حججنا حجة جاهلية مجللة لم تـبقِ شرقًا ولا غـربا [1]

وهـذا النمـوذج رد آخر صـريح على من يـزعم أن الشـرك لن يعود إلى جزيرة العرب، إلا إن كان يفهم من الحديث أن عبادة الشيطان لا تكـون إلا بعبـادة الأصـنام خاصة فـإن صـاحب هـذا الفهم ربما سلم له ذلك ولكن ما الـدليل على تخصـيص عبـادة الشيطان بذلك دون سواه من أنواع الكفر والإلحاد؟

الواقع أنه لا دليل على ذلك،وأن جميع أنواع الكفر- من شرك وإلحـاد وغيرها من أنـواع الكفر -هي من عبـادة الشـيطان، بل جميع المعاصي من عبادة الشيطان.

قال الإمام الرازي - رحمه الله -: " المسألة الرابعة " قوله: **لا تعبدوا الشيطان** معناه لا تطيعوه بـدليل أن المنهي عنه ليس هو السـجود له فحسـب، بل الانقيـاد لأمـره والطاعة له فالطاعة عبادة) [2]، وهذا يشمل جميع أنواع المعاصي.

وقد عدَّ الشنقيطي -رحمه الله - الحكم بغير ما أنزل الله من عبادة الشـيطان فقـال: (واتبـاع الشـرائع المخالفة لما شـرعه الله تعالى هو المـراد بعبـادة الشـيطان في قوله تعـالى: **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان** [3] وقوله

---

[1] مـرآة الجنـان وعـبرة اليقظـان (2/272) لأبي محمد عبدالله بن أسـعد اليـــافعي ، الطبعة الثانية (1413 هـــ- 1993 م) دار الكتـــاب الإســـلامي القاهرة .

[2] تفسير الرازي (26/96) .

[3] يس (60) .

تعـالى على لسـان إبـراهيم: ﴿**يا أبت لا تعبد الشـيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً** ﴾[1]) [2].

النموذج الرابع -علي بن الفضل الجدني الذي ظهر في اليمن عام (278هــ) وقتل بعاصـمة مملكته المـذيخرة عـام (304 هــ) هـذا الرجل أجمع –كذلك- على كفره وإلحاده العلماء والمؤرخون ونقلوا عنه الإلحاد الصريح والكفر البـواح، فهل يقـول القبوريـون أنه ليس بكافر؛لأن جزيرة العرب لن يعود إليها الشرك إلى قيام السـاعة أم بماذا يجيبون عنه؟

النموذج الخامس رؤساء وقـادة الحـزب الاشـتراكي اليمـني الذين أعلنوا الإلحاد وحـاربوا الله ورسـوله والمؤمـنين، وأحلـوا المحرمــات المعلومة من الــدين بالضــرورة،واســتهزأوا بالله ورســوله، اتفقت كلمة العلمــاء المعتــبرين- المعاصــرين لهم- على كفـرهم وإلحـادهم في الجملـة، وهو دليل قـاطع على أن الشرك قابل أن يعود إلى جزيـرة العـرب وإلى سـواها من بلاد العالم الإسلامي،ولا يمكن للقبوريين أن يردوا هـذا الـدليل بـأي حجة مقنعـة، فلم يبق بعد هـذه النمـاذج شـبهة للقبـوريين إلا: الهوى والإصرار على التمسك بالقول وإن ظهر خطؤه.

ومما يدل على إمكان وقوع الشـرك في هـذه الأمة *تواطؤ جميع المؤلفين في الفقـه، وكـذا كتب أحـاديث الأحكـام على تخصيص بـاب أو كتـاب في كل مؤلفـاتهم الشـاملة باسم باب الردة، ولو كان الأمر مستحيلاً لما أضـاعوا الجهد والـوقت في الكلام على أمرٍ مسـتحيل الوقــوع، إنهم ما فعلــوا ذلك إلا وهم يعلمون يقيناً أن ذلك ممكن، وأن ما يستدل به القبوريـون لايدل على شيء من ذلك.*

---

[1] مريم (44) .

[2] أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن (4/ـ 83) محمد الأمين الشـنقيطي طبع عالم الكتب بيروت بدون تاريخ .

المبحث الثالث

خلو الثلاثة القرون المفضلة من مظاهر القبورية وآثارها

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تصريح العلماء بخلوّ القرون المفضلة عن وجود المشاهد والمساجد على القبور:

سبق في الباب التمهيدي الأحاديث الناهية عن اتخاذ القبور مساجد والأمر بتسوية القبور،وعرفنا كيف طبّق الصحابة والتابعون تلك الأحاديث،وكيف فعلوا بقبر النبي عند موته، ثم كيف فعلوا عندما اضطروا إلى إدخال موضع قبر النبي وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر، وكيف تصرف الصحابة إزاء قبر دانيال حين وجدوه أيام الفتوح، وعرفنا مما سبق حذرهم

الشديد من ظهور تعظيم القبور وتقديسها خشية الافتتان بها، وعلى ذلك فلا غروَ أن يسير التابعون لهم بإحسان على طريقهم، وكذلك تابعوهم رضي الله عن الجميع ورحمهم رحمة واسعة، وهذا ما صرح به العلماء رحمهم الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ا بن تيمية -رحمه الله تعالى- في مجموع الفتاوى وهو يتكلَّم عن مشهد رأس الحسين : (...دَعْ خلافة بني العباس في أوائلها وفي حال استقامتها فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد سواء منها ما كان صدقاً أو كذباً كما حدث فيما بعد؛ لأن الإسلام كان حينئذ في قوته وعنفوانه ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب ولم يكن قد أُحْدِث مشهد لا على قبر نبي ولا صاحب ولا من أهل البيت ولا صالح أصلاً، بل عامة هذه المشاهد محدثه بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة وكثر فيهم الزنادقة والملبسون على المسلمين،وفشت فيهم كلمة أهل البدع وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفي دولتهم قويَ بنو القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي بناحية النجف، وإلاَّ فقبل ذلك لم يكن أحد يقول إن قبر علي هناك وإنما دفن علي بقصر الإمارة بالكوفة. وإنما ذكروا أن بعضهم حكى عن الرشيد أنه جاء إلى بقعة هناك وجعل يعتذر إلى المدفون فيها، فقالوا إنه علي،وإنه اعتذر إليه مما فعل بولده، فقالوا هذا قبر علي،وقد قال قوم إنه قبر المغيرة بن شعبة والكلام عليه مبسوط في غير هذا الموضع)[1].

ويؤيد ماقرره شيخ الإسلام مقاتله الإمامان الذهبي وابن كثير، يقول الذهبي في آخر ترجمة عضد الدولة البويهي الذي قال عنه قبل ذلك: (وكان شيعياً جلداً أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي وبنى عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتَم عاشوراء والاعتزال) ثم قال: وبه ختم ترجمة عضد الدولة:

---

[1] مجموع الفتاوى (27 / 465- 467) .

(قلت:فنحمد الله على العافية فلقد جـــرى على الإســـلام في المائة الرابعة بلاء شـــديد بالدولة العبيدية بـــالمغرب، وبالدولة البويهية بالمشرق وبالأعراب القرامطة فالأمر لله تعالى).[1].

وقال ابن كثير في حوادث سنة (347 هـ):(وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابة من بني بوية وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقاً وخرا سان وغير ذلك من البلاد كانوا رفضاً وكذلك الحجاز وغيره،وغالب بلاد المغرب،وكثر السب والتكفير منهم للصحابة) [2].

ويؤيده كذلك ما ذكره السمهودي -رحمه الله -في كتابه (وفاء الوفـاء بأخبـار دار المصـطفى) وهو يتحـدث عن قـبر فاطمة رضي الله عنها قال: (وإنما أوجب عدم العلم بعين قـبر فاطمة رضي الله عنها وغيرها من الســلف ما كــانوا عليه من عـــدم البناء على القبور وتجصيصها)[3].

ثم قال تحت عنوان: " بيان المشاهد المعروفة اليـوم بـالبقيع وغيره من المدينة المشرفة ": (اعلم أن أكـثر الصـحابة -كما قــال المطــري ممن تــوفي في حيــاة النــبي وبعد وفاتــه- مـدفونون بـالبقيع وكـذلك سـادات أهل بيت النـبي وسـادات التابعين .

وفي مدارك عياض عن مالك أنه مـات بالمدينة من الصـحابة نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرقوا في البلدان.

وقال المجد: " لاشك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة غير أن اجتنـاب السـلف الصـالح المبالغة في تعظيم القبــور وتجصيصـها أفضى إلى انطمــاس آثــار أكـثرهم فلذلك لا يعرف قبر معين منهم إلاّ أفراداً معدودة ") [4].

ويؤيده أيضاً ما ذكره الشـافعي- رحمه الله تعـالى - في كتابه الأم قال: (ولم أر قبـور المهـاجرين والأنصـار مجصصـة)، قـال الــراوي عن طــاووس: (إن رســول نهى أن تبــنى القبــور أو

---

[1] السير (16/250-252) .
[2] البداية والنهاية (11 / 233) .
[3] وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (3 / 906) لنور الدين محمد السمهودي توفي (911هـ) 0
[4] المصدر السابق (3 / 916) .

تجصص - قال الشافعي -:(وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك) [1].

وحتى قبورية اليمن يعترفون بذلك، فهذا الشلي[2] يقول وهو يتحدث عن مقابر تريم: (إن كثيرا منهم لايعرف عين قبره، بل ولا جهته لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور وإنما استحسنه المتأخرون) [3]0

المطلب الثاني:ما يستدل به القبورية على وجود مشاهد ومبان على القبور في تلك القرون:

القبورية فرقة مبتدعة كسائر الفرق المبتدعة الضالة، يجمعها جميعاً تتبع المتشابه من القول والإعراض عن المحكم الصريح، فبرغم الأدلة القطعية على النهي عن البناء على القبور وتجصيصها واتخاذها مساجد والكتابة عليها وغير ذلك من الأدلة المحكمة، إلا أنهم تركوا ذلك كله واحتجوا بأمور لا يجوز الاحتجاج بها، إما لعدم ثبوتها أو لعدم دلالتها على المطلوب، وسأذكر هنا ما استدلوا به من وجود مبان على القبور في القرون المفضلة وهي:

(1) أن الصحابة بنوا مسجداً على القبر في حياته فأقرهم على ذلك، ولم يأمرهم بهدمه.

(2) أن عمر بن الخطاب ضرب خيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها.

(3) أن عثمان بن عفان ضرب الفسطاط على قبر الحكم بن أبي العاص.

---

[1] الأم (11 / 277)للإمام محمد بن إدريس الشافعي .

[2] محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي من كبار صوفية حضرموت عاش بمكة وله عدد من المؤلفات أشهرها "المشرع الروي" يعد من أكثر كتب التراجم سخافة وخرافة شحنه بما لا يقبله عقل ولا يقره نقل ومع ذلك فهو عمدة من عمد تاريخ حضرموت قال علوي ابن طاهر الحداد في جني الشماريخ ص (31) : (ولا يحتاج الآخذ من المشرع أن يتطلب حجة في كل شي ء رآه فيه 0 فإن صاحب المشرع من العلم والاطلاع والاستقراء بالمحل العالي وقد شهد له الحبيب الإمام القطب الحداد بالثقة والصدق كما جاء في مجموع كلامه ولا يحضرني الآن نقله بالحرف وناهيك بذلك ناهيك) توفي سنة(1093هـ) انظر ترجمته :في المشرع وقد ترجم لنفسه (2/17)0

[3] ? المشرع (1/147) 0

(4) أن محمد بن الحنفية ضرب فسطاطاً على قبر عبدالله بن العباس .

(5) أن فاطمة بنت الحسين امـرأة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طـالب ضـربت على قـبره القبة سـنة ثم رُفعت.

(6) أن عائشة رضي الله عنها أمــرت بفســطاط فضــرب على قبر أخيها عبدالرحمن حين مات بذي طوى.

(7) أن خارجة بن زيد قال: (رأيتني ونحن شـبان في زمـان عثمــان بن عفــان وإن أشــدَّنا وثبة الــذي يثب قــبر عثمان بن مضعون حتى يجاوزه).

قلت:هذه سبعة آثار اسـتدل بها القبوريـون على وجـود أصـلٍ لما دَرَجوا عليه من البناء على القبور في عهد السلف الصالح [1]،وسأرد - بحـول اللـه- على ذلك مبينـاً أنه لا أسـاس لما تمسـكوا به إلا ما يفعله من قـال الله فيهم:**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشـابه منه ابتغـاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله [2].**

المطلب الثــالث: الــرد على ما اســتدلوا به من الشــبهات على وجــود مبــان على القبــور في تلك القرون:

الشـبهة الأولى - قـولهم بـأن الصـحابة بنـوا مسـجداً على القــبر في حياته فـأقرهم على ذلـك، وهم يريـدون بـذلك ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة أبي بصـير ،حيث ذكر قصة مجيئه إلى النــبي بعد صــلح الحديبيــة، وإرســال المشــركين يطلبــون إرجاعه إليهم وكيف ســلَّمه إليهم،ثم قتل

---

[1] تجد هـذه الشـبهات في رسـالة(الجـواب المشـكور) ، وهي عبـارة عن فتوى أجاب فيها المفـتي عن أسـئلة تتعلق بـالقبور والبنـاء عليها ووقع عليها عـدد من علمـاء الهند وأرسـلت إلى الملك سـعود بن عبد العزيز آل سـعود فقام هو بإحالتها إلى دار الإفتاء التي أجابت عليها بكتاب شـفاء الصـدور في الرد على الجواب المشـكور انظر مقدمة شـفاء الصـدور (ص5-6) وقد طبع في دار العصــمة بالريــاض (1409هـــ)تحقيق عبد الســلام آل عبد الكريم 0 ورسالة (إحياء المقبور من أدلة اسـتحباب بنـاء المسـاجد والقبـاب على القبـور) لأحمد عبد الله الصـديق الغمـاري الطبعة الثانية ، نشر مكتبة القاهرة بمصر .

[2] ? آل عمران (7) .

أبو بصـير أحد الرسـولين ثم خـرج إلى سـيف البحر ومكث هنـاك،ولحق به أبو جنـدل بن سـهيل بن عمـرو وجماعة من المسـلمين، وأنهم شـكَّلوا عصـابة لقطع الطريق على المشـركين والاسـتيلاء على قـوافلهم،حـتى أرسل المشـركون للنبي يرجونه قبولهم لديه فأرسل النبي إليهم كتابـاً بـذلك، فجاء الكتاب وأبو بصير في حال الموت،فمات وكتاب رسول على صدره فصلى عليه أبو جندل.

*والقصة إلى هنـا- في البخـاري وغـيره-مُسنَدة،غـير أن فيما سـاقه ابن عبد الـبر زيـادة **((وبنى على قـبره مسـجداً))** [1]،وهـذا موضع الشـاهد الـذي احتجَّ به القبوريـون كما فعل الغماري في رسالته إحياء المقبور حيث قال: **(**الدليل الثـامن**:** أن الصـحابة بنـوا مسـجداً على القـبر في حياته **)**[2]ثم سـاق القصة عن الاستيعاب وفيها تلك الزيادة.*

قلت: نعم ذكر ذلك ابن عبد الـبر في الاسـتيعاب ولكنه سـاق القصة من طريق عبد الـرزاق عن معمر –قـال الزهـري في حديثه -: غـير أن عبد الـرزاق لم يـذكر موضع الشـاهد وإنما وقف عند قولـه: (فأرسـلت قـريش إلى النـبي تناشـده الله والـرحم، إلاّ أرسل إليهم فمن أتـاه فهو آمن فأرسل النـبي إليهم)[3]، وإلى هنا سـاق القصة ابن عبد الـبر ثم قـال: (وذكر موسى بن عقبة هـذا الخـبر في أبي بصـير بـأتم ألفـاظٍ وأكمل سـياقه)، ثم ذكر القصة وفيها موضع الشـاهد (فقـدم كتـاب رسول الله على أبي جندل وأبو بصـير يمـوت فمـات وكتـاب رسـول الله بيـده يقـرأه فدفنه أبو جنـدل مكانه وصـلى عليه وبنى على قبره مسجداً)[4].

*فـأنت تـرى أن ابن عبد الـبر فـرَّق بين رواية عبد الـرزاق الموصولة الصـحيحة وبين هـذه الرواية الـتي نقلها عن موسى بن عقبة، وقد **دمجها** الغماري تدليساً على القارئ ليتـوهم أن القصة كلها بذلك الطريق الصحيح المسند والواقع خلاف ذلك.*

---

1 الاسـتيعاب في أسـماء الأصـحاب (4/21-23) ، للحافظ ابن عبد الـبر ،بهامش الإصابة لابن حجر طبع (دار الكتاب العربي)، بدون تاريخ .

2 إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور (38) 0

3 عبد الرزاق في مصنفه (5/ 337- 342) 0

4 ? الاستيعاب (4/22-23) .

وبعد أن عرفنا أن قصة المسجد إنما هي من رواية موسى بن عقبة نعود لنقول: هناك اعـتراض على الاستشـهاد والاسـتدلال بالقصة من ناحيتين:

الناحية الأولى من جهة السـنـد: *فموسى بن عقبة رواها عن الزهــري مرســلة، وقد رواها مـن طريق موسى بن عقبة البيهقي في دلائل النبوة من طريقين عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب مرسلة [1]، كما رواها ابن عسـاكر في تاريخــه،ذكــره الشـيخ الألبـاني وقـال: (رواية موسى بن عقبة في تـاريخ ابن عساكر(8/334/1)رواه بإسـنادين عنه عن ابن شـهاب مرسلاً أو معضلاً بلفظ: (وجعل عند قبره مسجدا) [2].*

وبناء على ما تقدم فإن هذا المرسل لا يحتج به كما هو مقرر عند علمـاء الحـديث، هـذا لوكـان سـالماً من المعارضـة،فكيف وهو مخالف لما في البخاري،حيث لم يذكر تلك الزيـادة هو ولا أحد ممن خـــرَّج تلك القصة ســـوى موسى بن عقبـــة، ثم هو مخالف للأحاديث التي تبلغ مبلغ التواتر المعنــوي في المنع من بنــاء المســاجد على القبــور ولعن فاعــلِ ذلــك،مع تــأخّر تلك الأحــاديث أو بعضـها عن هــذه الحادثــة؛إذ كــان لعن أولئك في مرض موت الرسول ﷺ.

الناحية الثانية من جهة المتن: *في اللفظ الذي ذكــره ابن عبد البر (وبنى على قــبره مسـجداً)،هـذا اللفظ قد خالفه ثلاثة من الحفــاظ، روَوه بلفــظ: (وجعل عند قــبره مســجداً)، وهم: البيهقي في دلائل النبوة،وابن عساكر في تاريخه وتقـدم العـزْو إليهما، والثالث الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قال في شرح الحديث الذي ساقه البخاري في كتـاب الشـروط من صـحيحه: (وفي رواية موسى بن عقبة عن الزهــري فكتب رســول الله ﷺ إلى أبي بصــير فقــدم كتابه وأبو بصــير يمــوت فمــات وكتــاب رسول الله ﷺ في يــده فدفنه أبو جنــدل مكانه وجعل عند قــبره مسجـداً) [3]،*

---

[1] دلائل النبــوة (4/172-175)ـ ، للإمــام الــبيهقي ،تحقيق الــدكتور عبد المعطي قلعجي ، طبع دار الكتب العلمية بــــيروت الطبعة الأولى ســــنة (1405هـ – 1985 م)

[2] تحذير الساجد ص (118)

[3] فتح الباري (5/351)

وظاهر أن (عند قبره) يختلف قطعاً عن (على قبره)، فبناء المسجد على القبر هو الذي فيه النزاع، والذي قد وردت الأحاديث بتحريمه ولعن فاعله، وأما البناء عند القبر فيختلف باختلاف قصد الباني وليس فيه نهي لذاته فلو فرضنا أن هذا اللفظ صحيح فإنه لا دليل فيه على مطلوب القبورية.

وهناك ناحية ثالثة وهي على افتراض أن السند صحيح وأن اللفظ هو كما أورده الغماري: (على قبره مسجداً)، فإن التعارض قائم لا شك ولا إمكان للجمع، والتاريخ معروف، فقصة أبي بصير قبل السنةِ الثامنة سنةِ الفتح،والأحاديث الناهية عن اتخاذ المساجد على القبور في آخر أيام النبي ،بعضها قبل موته بخمسة أيام[1] وبعضها وهو محتضر[2] فهي ناسخة لتلك القصة وبهذا لا يبقى للقبورية أي استدلال بهذه القصة.

الشبهة الثانية من شبهات القوم:أن عمر بن الخطاب ضرب خيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها.

قلت: قصة ضرب عمر الخيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها رواها ابن سعد من طريق محمد بن المنكدر،وعن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه، فلفظ محمد بن المنكدر عن عمر:(أنه مرَّ على حفارين يحفرون قبر زينب في يوم صائف فقال: (لو أني ضربت عليهم فسطاطاً، فكان أول فسطاط ضرب على قبر) [3]، ولفظ موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه (أمر بفسطاط فضرب على قبرها لشدة الحر يومئذ فكان أول فسطاط ضرب على قبر بالبقيع) [4]، وهناك لفظ ثالث عن عبدالله بن ربيعة قال: (رأيت عمر بن الخطاب صلى على قبر زينب بنت جحش

---

1 هو حديث جندب بن عبدالله تقدم تخريجه ص (19)0

2 هو حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وكلا الحديثين تقدم تخريجهما (17) .

3 ،[2]، [3]والثلاثة الآثار رواها ابن سعد في الطبقات الكبرى (8/112-113)، ، طبع دار صادر بيروت، وطريق موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث وهو التيمي رواه الحاكم في المستدرك (4/24) ، كتاب معرفة الصحابة (ذكر زينب بنت جحش) .

سنة عشرين في يـوم صـائف ورأيت ثوبـاً مد على قبرها وعمر جالس على شفير القبر) [1].

وهـذه الألفـاظ جميعها مبينة أن الفسـطاط الـذي ضـرب أو الثوب الذي مد كما في الرواية الثالثة؛إنما مُدَّ لإظلال الحفارين ووقايتهم من حر الشـمس في ذلك اليـوم الصـائف، فـأي دليل فيه على بناء المساجد والمشاهد على القبـور؟!، هـذا إن صـح، ولم أكلِّف نفسي البحث في أسـانيدها لأنها حـتى لو صـحت لم تـدل على قصد المسـتدل،وهـذا واضح فبطل الاسـتدلال بهـذه القصة.

الشبهة الثالثة من شبهات القوم: *قصة عثمان بن عفـان حين ضـــرب الفســـطاط على قـــبر الحكم بن أبي العـــاص، ولفظها عند ابن سـعد من طريق الواقـدي سـنده إلى ثعلبة بن أبي مالك قـال: (رأيت يـــوم مــات الحكم بن أبي العــاص في خلافة عثمـان بن عفـان ضـرب على قـبره فسـطاطاً في يـوم صائف، فتكلم الناس فأكثروا في الفسطاط فقـال عثمـان: (ما أسرع الناس إلى الشر وأشبه بعضـهم إلى بعض، أنشـدكم الله من حضر نشدتي: هل علمتم عمر بن الخطاب ضرب على قبر زينب بنت جحش فسـطاطاً؟ قـالوا: نعم،قـال: فهل سـمعتم عائباً؟ قـالوا: لا) [2]،قلت: الحـديث في سـنده الواقـدي ومع ذلك فهو من حيث الدلالة كالذي قبله لادليل فيه على ما يريدون.*

الشـبهة الرابعة من شـبهاتهم: *أن محمـداً بن الحنفية ضرب فسطاطاً على قـبر عبدالله بن عبـاس ،قلت: الأثر رواه ابن أبي شيبة من طريق هشيم عن عمران بن أبي عطاء قـال: (شهدت وفاة ابن عباس فوليه ابن الحنفية فبنى عليه بناءً ثلاثة أيـام) [3] وكـذلك أخرجه الحـاكم من طريق هشـيم إلا أنه قـال: (حدثنا أبـو حـمزة، ثنا عمـران بن أبي عطـاء، فجعلها اثـنين أبا حمزة وعمـران مع أن الصـحيح أن أبا حمـزة هو عمـران نفسه فلا أدري أهي غلطة مطبعية أم أنه وهم من الحــــاكم -رحمه الله-،ولم يعلق الذهبي على ذلـك،ولا محقق الكتـاب في طبعته*

---

[2] رواه ابن سعد في الطبقات (8/113) من طريق محمد بن عمر الواقـدي وهو متهم بالكذب .

[3] ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الجنائز (في الفسطاط يضرب على قبر) (3/335-336) 0

الجديـدة [1]، وكـذلك رواه الخطيب في "مُوضِـح أوهـام الجمع والتفريق" من طريقين: أحدهما عن سفيان عن عمران بن أبي عطـاء،وأخـرى عن هشـيم عن أبي حمـزة الأسـدي يريد بـذلك إثبـات أن عمـران بن أبي عطـاء هو أبو حمـزة الأسـدي) [2]، وعمـران الـذي يـدور عليه الأثر من رجـال مسـلم وقـال عنه الحافظ في التقـريب: (صـدوق له أوهـام) [3]، فـالأثر ثـابت رغم ذلك؛ لأنه يحكي مشاهدة ورؤية فلا يضر ما قيل عنه من أوهام، غـير أن الأثر لا يفيد القـوم شـيئاً إذ أنه لا يخـرج عما سـبق من الآثار،إذ بقاء الفسطاط -الذي جاء مصـرحاً به في رواية الجميع كان لمدة ثلاثة أيام فقط- دالٌّ أنه كان لغرض آخر غير ما تَرمِي إليه القبورية؛ فإما أن يكون بُنِي على الحفـارين ثم ظَـلَّ كـذلك وهـذا الأقـرب وإما لأمر آخـر، ولكن أن يحتج به على بنـاء المشاهد والمساجد على القبور فهذا لا يقوله عاقل منصف.

الشبهة الخامسة: *قصة فاطمة بنت الحسـين وضـربها القبة على قبر زوجها الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.*

قلت: هـذا الأثر قد علَّقه البخـاري في صـحيحه،في كتـاب الجنائز،في باب "ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور" قال: (ولما مـات الحسن بن الحسن بن علي ضـربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رُفعت فسمعوا صائحاً يقول: (ألا هل وجـدوا ما فقدوا؟ فأجابه الآخر: بل يئسوا فانقلبوا) [4]

وهذا الأثر قد حمَلَ نقدَه وتفنيدَه معَه؛ لأمور:

الأمر الأول - *إيـراد البخـاري له في هـذا البـاب دال على اسـتنكاره لـه، قـال الحافظ -رحمه اللـه-: (ومناسـبة هـذا الأثر لحـديث البـاب أن المقيم في الفسـطاط لا يخلو من الصـلاة هناك فيلزم اتخاذ المسجد عند القبر وقد يكـون في جهة القبلة فتزداد الكراهة) [5].*

---

[1] الحـاكم في المسـتدرك(4/702)، كتـاب معرفة الصـحابة (ذكر وفـاة عبدالله بن عباس).

[2] موضع أوهـام الجمع والتفريق (2/332)، للخطيب البغـدادي، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ،طبعة دار المعرفة بـيروت الطبعة الأولى سنة (1407هـ - 1987م).

[3] تقريب التهذيب(751)،للحافظ ابن حجر 0

[4] البخاري مع الفتح (3/200) .

[5] المصدر السابق (3 / 200)

والأمر الثاني *ذكـرُ الهـاتف فإنه مُشْـعِر بقبح ما صـنعت تلك المرأة.*

قال ابن المنير _كما نقل عنه الحافظ _: (إنما ضـربت الخيمة هنـاك للاسـتمتاع بـالميت بـالقرب منه تعليلاً للنفس، وتخيلاً باستصـحاب المـألوف من الأنس ومكـابرة للحس، كما يتعلل بـــــــالوقوف على الأطلال البالية ومخاطبة المنـــــــــازل الخاليــة،فجــاءتهم الموعظة على لســان الهــاتفين بتقــبيح ما صـنعوا، وكأنهما من الملائكة أومن مؤمـني الجن، وإنما ذكــره البخــاري لموافقته للأدلة الشــرعية لا لأنه دليل برأســه) [1]، إذاً فعلى رأي ابن المنير إنما أورد البخـاري ذلك للاسـتئناس به لما ذهب إليه من كراهة اتخـاذ المسـاجد على القبـور وليس لتأييد ذلك.

قــال القســطلاني -رحمه الله - في شــرحه على البخــاري: (ومطابقة الحديث للترجمة من جهة أن المقيم في الفســطاط لا يخلو من الصلاة فيه فيسلتزم اتخاذ المسجد عند القــبر، وقد يكـون القــبر في جهة القبلة فـتزداد الكراهية وإذا أنكر الصـائح بنـاءً زائلاً وهو الخيمة فالبنـاء الثـابت أجـدر، ولكن لا يُؤخَذ من كلام الصائح حكم لأن مسالك الأحكام الكتاب والسنة والقياس والإجماع ولا وحي بعده عليه الصلاة والسلام، وإنما هذا وأمثاله تنبيه على انتزاع الأدلة من مواضعها واستنباطها من مظانها) [2].

وبهذا يظهر أن الدليل هو لنا وليس للقبورية.

الشـبهة السادسة من شـبهات القـوم: *أن عائشة رضي الله عنها أدركت أخاها عبد الــــرحمن بعد موته -حين رفعــــوا أيديهم عن دفنه بـذي طـوى -فـأمرت بفسـطاط فضـرب على قبره.*

قلت: هذا الأثر علقه البخـاري -رحمه الله تعـالى- قـال: (رأى ابن عمر فسطاطاً على قبر عبدالرحمن فقال: انزعه يا غلام فإنما يظلّه عمله) [3].

وقــال الحافظ في شــرحه: (وعبد الــرحمن هو ابن أبي بكر الصديق بَيَّنَه ابن سعد في روايته له موصـولاً من طريق أيـوب

---

[1] المصدر السابق (3 / 200).

[2] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (2 / 430) ، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ، دار إحياء التراث بيروت بدون تاريخ .

[3] صحيح البخاري كتاب الجنائز باب (الجريدة على القبر) (2 / 457) .

بن عبدالله بن يسـار قـال: (مـرَّ عبدالله بن عمر على قـبر عبدالرحمن بن أبي بكر أخي عائشة وعليه فسطاط مضـروب فقـال: يا غلام انزعه فإنما يظله عملـه، قـال الغلام تضـربني مولاتي. قال: كلا فنزعه)،ومن طريق ابن عون عن رجل قـال: (قدمت عائشة ذا طوى حين رفعوا أيديهم عن عبـدالرحمن بن أبي بكر فأمرت بفسطاط فضرب على قبره ووكلت به إنسـاناً وارتحلت فقـدم ابن عمـر...) فـذكر نحـوه، وقد تقـدَّم توجيه إدخال هـذا الأثر في هـذه الترجمـة)، قلت: يعـني ما ذكـره في الأثر السـابق أثر فاطمة بنت الحسـين وهو أن البخـاري قـاس الفسطاط على المسجد في الكراهة.

وهـذا الأثر كـذلك يجب أن يسـتدل به على محاربة الصـحابة لتلك المظـاهر لا على إثباتها وتأصـيلها،فعائشة رضي الله عنها نصبت تلك الخيمة ولم يتبين لنا ما هو السبب في ذلك، ولا لأي غـرض كـان نصـبها،ثم ذهبت فلما جـاء ابن عمر اسـتنكر ذلك وعبّر عن اسـتنكاره بـالأمر بـنزع ذلك الفسـطاط، رغم إخبـار الغلام له بـأن من أمر به هو عائشة رضي الله عنهـا،ورغم ما يكنّه الصـحابة جميعـاً لعائشة رضي الله عنها من التقـدير والاحـترام،إلا أن ذلك لم يمنع ابن عمر من تغيـير ما رأى أنها أخطأت فيه.

ولم يـذكر بعد ذلك لنا محـدث ولامـؤرخ أن عائشة اعترضت على ما فعله ابن عمـر،وهـذا دليل على أنها رجعت إلى ما رآه ابن عمـر، خصوصـاً وأن عائشة رضي الله عنها ليست ممن يسكت على ما يرى خلافه، ومن أجل ذلك كـثرت اسـتدراكاتها على الصـحابة حـتى جمعها الزركشي - رحمه الله - في كتـاب مسـتقل سـماه (الإجابة لما اسـتدركته عائشة رضي الله عنها على الصـحابة) ولم يـذكر هو ولا غـيره أن عائشة رضي الله عنها اسـتدركت على ابن عمر ما فعـل، فسـقط هـذا الـدليل والحمد لله.

***الشـبهة السـابعة:** أثر خارجة بن زيد -رحمه اللـه- أحد الفقهاء السبعة أنه قال: (رأيتني ونحن شبان في زمن عثمان وإن أشـدنا وثبة الـذي يثب قـبر عثمـان بن مظعـون حـتى يجاوزه).*

قلت: الأثر علقه البخــاري [1] بنفس اللفــظ، وقد تعــرض له العلامة عبدالرحمن المعلمي اليماني [2] - رحمه الله- في كتــاب البنـاء على القبـور وردّه من أحد عشر وجهاً، وأكتفي بـوجهين اثنين فقط أراهما مزيلين للإشكال، قال رحمه اللـه: (ثانيـاً في تهذيب التهذيب في ترجمة خارجة: " قال ابن نمـير وعمـرو بن علي: مات سنة (99هـ) وقـال ابن المـديني وغـير واحـد: مـات سنة مائة "، فظاهر هذا أن الأكثر على أن موته كان سـنة مائة والجمع أولى بأنه مـات أواخر سـنة (99هـــ)، وفي تـاريخ ابن عساكر أنه تـوفي وعمـره سـبعون سـنة، وذكر لـذلك قصة أن خارجة قال:" رأيت كأني بنيت سبعين درجـة، فلما فـرغت منها هويت وهذا السنة لي سـبعون سـنة وقد أكملتهـا، قـال فمـات فيها ".

ونقل مثله ابن خلكان عن طبقات ابن سعد، فإذا أنقصنا سني عمـره من سـني الهجـرة لموته بقي تسع وعشـرون، فيكــون مولده آخر سـنة تسع وعشـرين،وعثمـان قتل سـابع ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فيكـون سن خارجة يـوم قتل عثمـان ست سنين تقريباً،فكيف يكون شاباً في زمن عثمان؟.

*وقد راجعت طبقــات ابن ســعد، "طبع أورُبَّا" فظهر أنه روى هذه القصة عن الواقدي) - قلت: والمعلمي -رحمه الله- يشـير بذلك إلى ضعف القصة حيث ظهر تناقضها- ثم قال (**ثالثـاً:** إذا سلم إسناده ولم نعتبر هــذه علة قادحة فيــه، فإنه ينبغي الجمع*

---

[1] في الصحيح كتاب الجنائز (الجريدة على القبر) (2/465).

[2] هو العلامة المحــدث المحقق عبد الــرحمن بن يحــيى المعلمي اليمــاني، رحل في طلب العلم والمعـاش ، فمكث مـدة في الهند ثم اسـتقر في مكة المكرمة أمينا لمكتبة الحــرم المكي ، حقق عــدداً كثــيراً من كتب الحــديث والرجال ، وألف في الرد على أهل البـدع والباطل من أشـهر كتبه " التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل "وله كتاب بعنوان " البناء على القبـور " لم يكمله، وفي الموجود منه ما يدل على تحقيق بــالغ وعلم غزير كما أن له كتابا بعنــوان " القائد إلى تصــحيح العقائد " تــوفي رحمه الله بمكة ســنة(1386هـــ) انظر ترجمته بقلم عبد الله ابن عبد الـــرحمن بن عبد الـــرحيم المعلمي في مقدمة التنكيل ص(9)طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحـوث العلمية والإفتـاء = = والـدعوة والإرشـاد بالريـاض (1403 هــ - 1983 م) وهجر العلم (3/1266) طبع دار الفكر المعاصـر بـــيروت ، ودار الفكـر سورية الطبعة الأولى (1416هـ - 1996 م) .

بأن يتأول الأثر بأن قوله:(شبّان) مجاز، أراد أننا غلمان أقوياء أصحاء كأننا شبان، ويؤيد هذا كلمة (غلمان) الثابتة في التاريخ وإن حذفت في التعليق، ويؤيده أيضاً أنه لو كانوا أبناء تسع سنين ونحوها لما ذهبوا يتواثبون على قبر رجل من أفاضل السابقين، ولاسيما وبجواره قبر ابن رسول الله ، وهذا ممنوع في الشرع اتفاقاً لأن من روى عنه إباحة الجلوس على القبر لا يبيح التوثب عليه. وقوله: (إن أشدنا وثبة... الخ).يدل أن أكثرهم يقصر فيقع على القبر والذي يجاوزه يقع على القبور المجاورة، وأبناء الصحابة لم يكونوا يبلغون التمييز إلاّ وهم عارفون آداب الدين ملتزمون لها مثل خارجة بن زيد، وعلى هذا فلا دلالة في الأثر لأن الغلام الذي عمرُه ست سنين –وإن كان قوياً – يشق عليه أن يثب أكثر من ذراعين ونصف على وجه الأرض وهذا هو عرض القبر عادة تقريباً.

ويشبه أن يكون قبر عثمان بن مظعون أعرض قليلاً من القبور المعتادة، ويكون خارجة أراد بذلك القول: الإخبار عن عرض القبر ليخبرهم أن السنة توسعة القبر) [1].

وبهذا تنقطع حجة القبوريين في جميع ما استدلوا به من وجود مظاهر القبورية في عهد السلف الصالح وسأثبت - إن شاء الله - إضافة لما سبق خلاف ذلك: وهو إنكار السلف لكل ما هو من هذا القبيل والتنصيص على منع إقامة الفساطيط وما هو أعلى منها في المطلب الرابع.

<u>المطلب الرابع</u>:التصريح بتسوية الصحابة لما ارتفع من القبور وإزالة ما استجد في المقابر من فساطيط ونحوها:

تقدم في الباب التمهيدي في الأسلوب السابع: أمر النبي بتسوية القبور المشرفة،وذلك عن فضالة بن عبيد، وعلي بن أبي طالب ،وكذلك تطبيقهما لذلك،فأمر فضالة بتسوية قبر [2]

---

[1] ? البناء على القبور ص (33-34) ، للعلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، تحقيق حاكم بن عبيسان المطيري ، الطبعة الأولى (1417هـ - 1996 م) ، دار أطلس الرياض ،وقد رد في هذا الكتاب وبأسلوب قوي وحجج رصينة ساطعة شبهة اتخاذ المسجد على أصحاب الكهف فليرجع إليها من أراد معرفة الحقيقة .

[2] انظر : ص (24) .

صاحبهم الذي مات برودس،كما بعث علي أبا الهياج الأسدي لذلك الغرض [1]،وكذلك عثمان بن عفان كان يأمر بتسوية القبور بما في ذلك قبر ابنته أم عمرو بنت عثمان [2]، ومن ذلك تعامل أبي موسى وأصحابه مع قبر دانيال وقد مر [3] وأما قضية الفساطيط فقد مرَّ معنا قصة عائشة في وضع فسطاط على قبر أخيها عبد الرحمن وكيف أزاله ابن عمر ولم تعترض على ذلك [4]، وكذلك ما فعلته فاطمة بنت الحسين ومانبه به على خطئها من الهاتفين، وكيف أدخل البخاري ذلك في باب كراهية اتخاذ المساجد على القبور [5].

وقد أوصى بعض الصحابة والتابعين بالمنع من إقامة الفسطاط على قبورهم أو رفعها، فأوصى أبو هريرة (ألا يضربوا على قبره فسطاطاً) [6]، وأوصى بمثل ذلك أبو سعيد الخدري [7]، وكذلك أوصى بمثل ذلك سعيد بن المسيب [8]، وقال محمد بن كعب القرظي (هذه الفساطيط التي على القبور

---

[1] انظر :ص (24).

[2] الباب التمهيدي ص (24).

[3] انظر : ص (37-38)

[4] انظر : ص (87)

[5] انظر : ص (87) .

[6] رواه عبد الرزاق (3/ 418) كتاب الجنائز باب لا يتبع بالجمرة ، وابن أبي شيبة في كتاب الجنائز : في الفسطاط يضرب على القبر (2/335) ، وزاد الشيخ الألباني -رحمه الله -عزوه إلى الربعي في وصايا العلماء (2/141) ، وابن سعد (4/338) قال : وإسناده صحيح تحذير الساجد ص (143).

[7] ابن أبي شيبة في نفس الباب السابق (2/335 – 336)، وعمر بن شبَّه في أخبار المدينة الطبعة التي علّق عليها الشيخ عبدالله الدويش (ص96 – 97) دار العليان بريدة الطبعة الأولى(1411هـ-1990م) ،وعزاه الشيخ الألباني إلى ابن عساكر (7 /96) وقال : إسناده ضعيف ، لكن له طرق أخرى عند ابن عساكر فهو بها صحيح . انظر : تحذير الساجد ص (143) . وقال الشيخ الدويّش معلقاً على سند ابن شبَّه : رجاله رجال الصحيح إلا عبد الرحمن بن الرجال قال في التقريب : (صدوق ربما أخطأ) . قلت : ومن كان هذا حاله فحديثه حسن عند ابن حجر -رحمه الله - .

[8] رواه ابن سعد في الطبقات (5/142) .

محدثة) [1]*، وقال عمر بن شرحبيل: (لا ترفعوا جدثي* [2] *فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك* [3]*).*

فهذه الآثار كافية لإثبات منهج الصحابة والتابعين في وضع القبور وتسويتها والمنع من عمل أي شيء يؤدي إلى تعظيمها والغلو في أصحابها.

المطلب الخامس:محاولات الشيعة المبكرة لإنشاء المشاهد وتصدي الخلفاء لذلك:

لقد نشأت الشيعة -يوم نشأت- غالية في حبها غالية في بغضها،وكانت الرافضة من أكثر فرق الشيعة غلواً،ولا عجب فإن مُنْشِئها ومؤسسها الأول كان يهودياً غالياً، يحمل أسوأ ما عند اليهود من عقائد، وينطوي على أبشع ما لديهم من حقد على الإسلام والمسلمين، ذلك هو أحد أهم رؤوس أهل الرفض عبدالله بن سبأ اليهودي [4]*، فلا غرابة أن تحمل تلك الفرقة*

---

[1] ابن أبي شيبة في مصنفه (3 /336) ، قال الشيخ الألباني في تحذير الساجد ص (143) : ورجاله ثقات غير ثعلبة وهو ابن الفرات ، قال أبو حاتم وأبو زرعة : (لا أعرفه) كما في " الجرح والتعديل " (2/464 - 465) طبع دار الفكر طبعة مصورة من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الهند سنة (1371هـ-1952م) .

[2] الجدث : القبر، انظر : القاموس المحيط ص (213) .

[3] رواه ابن سعد (6 / 108) وصحح إسناده الشيخ الألباني في تحذير الساجد (ص 134) .

[4] هو عبدالله بن سبأ الهمداني وقيل الحميري، اليماني النسب والدار، اليهودي الديانة، أسلم زمن عثمان وهاجر إلى الحجاز ثم إلى الشام ومصر، وهناك تحرك في تحريض الثوار على عثمان حتى قتلوه ،ثم عاد فاندس في أصحاب علي وغرس فيهم العقيدة الضالة عقيدة ألوهية علي ، فما كان من علي إلا أن زجرهم عن ذلك فلما لم ينزجروا أحرقهم بالنار0وهل أُحرق معهم ؟ ربما الأصح أنه هرب ولم يحرق، ثم كوَّن فرقة هي من أخبث فرق الشيعة وتسمى السبئية، أخرجها جمهور السنة والشيعة من فرق المسلمين، وقد أثبت وجود هذه الشخصية الخبيثة مؤرخو السنة والشيعة على السواء ، غير أن بعض المعاصرين من آيات الشيعة وجد أن ترقيع ذلك الثوب المهلهل لا يجدي ،فقرر عدم وجود شخص اسمه عبدالله بن سبأ ،واتهم سيف بن عمر الضبي الإخباري المشهور باختراع هذه الشخصية، غير أن باحثي أهل السنة فندوا تلك الدعوى ، ورد على ذلك المؤلف الشيعي عدد من باحثي أهل السنة في مواضع مختلفة ومناسبات مختلفة ، وأجمَعُ ذلك -حسب علمي- هي رسالة الشيخ سليمان بن حمد العودة التي تقدم بها لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض عام (1402 هـ) بعنوان (عبدالله

بـــذور القبورية والوثنية في طياتها منذ نشـــأتها الأولى، ففي الوقت الذي كـانت الأمة -كل الأمـة- تحـارب القبورية وتطمس آثارها،كان هؤلاء الغلاة يحاولون إنشاء المشـاهد والقبـاب على قـبر الحسـين في كـربلاء، ولكن يقظة الخلفـاء والأمـراء وما يجـري في عــروق الأمة من مقاومة لتلك القبورية كــان يقف حائلاً قوياً وسداً منيعاً دون تمكين الرافضة من تلك الغاية.

وبنظرة عابرة إلى تاريخ كربلاء يتـبين ذلـك، فقد زعم مؤرخو الرافضة أن أول بنـاء أقيم على قــبر الحسـين كـان بعد دفنه مباشـــرة [1]،ولم أرَ في تــواريخ أهل الســنة ما يؤيد ذلــك،وقد اختلفــوا فيمن أقــام تلك المبــاني فقيــل: بنوأسد الــذين تولّوا دفنــه، وقيل المختــار بن أبي عبيد الثقفي،وكلا الاحتمــالين لم يقيموا عليه دليلاً معتبراً،وعندي أنه إن كان ذلك ثابتاً فالمختــار أحرى به؛ لأنه كان شيعياً متعصباً نـذر نفسه للقضـاء على قتلة الحسين مع ما عنده من انحرافات وكـذب على الله حـتى زعم أنه يُوحى إليه [2].

ولكن كيف تم له ذلـك؟ وإن تم فكيف يُــقرّ ويُـترك في ظل دولة ابن الزبـير، ثم في ظل دولة بـني أميـة؟، وهم كما يقـول

بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام) ، ونشرتها دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض ، فليرجِع إليها من أراد الوقوف على حقيقة هذا الرجل .

[1] تـاريخ كـربلاء (حـائر الحسـين)،للـدكتور عبد الجـواد الكليـدار ، طبع مدبولي الصغير بالقاهرة بدون تاريخ ص (151) .

[2] هو كـذاب ثقيف المختـار بن أبي عبيد بن مسـعود الثقفي ، أظهر التشـيع أيام معاوية فنفي إلى الطائف ، فلما قام عبدالله بن الزبير وفد إليه فأرسله إلى العـراق ، وهنـاك اتصل بالشـيعة وزين لهم أمر إمامة محمد بن الحنفية بــدون أمــره ، وأظهر المخــاريق وزعم أن جبريل يأتيه بــالوحي ، وتتبع قتلة الحسين ثم قامت الحرب بينه وبين مصعب بن الزبير أمــير العـراق من قبل أخيه عبدالله وبعد جولات هزمه مصعب وقتله وقتل جمعاً من أصحابه، وفيه تقـول أسـماء بنت أبي بكر رضي الله عنها للحجـاج: سـمعت رسـول الله يقول : (إن في ثقيف كذاباً ومبيراً) أما الكذاب فرأينـاه – تعـني المختـار – وأما المبير فما أخالك إلا إياه) رواه مسلم .

وفيه يقول سراقة البارقي :

كفرت بوحيكم وجعلت نذراً   عليَّ جهادكم حتى الممات

أُرِي عينيَّ مــا لم تَـرَياه   كلانا عـالم بالترهـات

ترجمه الــذهبي في الســير (3/538) وما بعــدها ، وابن كثــير في البداية والنهاية (8/289) وما بعدها .

مـؤرخ كـربلاء: (أقـاموا المخـافر والمسـالح [1] المدججة بالعتـاد والسـلاح والرجـال على أطـراف كـربلاء لمطـاردة الـزوار ومعـاقبتهم بأقسى العقوبـات من القتل والصـلب والتمثيل بهم)[2].

إن أولئك الزوار المزعـومين - الـذين وضـعت دولة بـني أمية العتاد والسلاح والرجال لمنعهم من الزيارة -إنما كانوا يـزورون ذلك المكان المقدس المعلّم بالبنـاء المزعـوم، فكيف يُعقل أن يترك البناء طيلة تلك الفترة دون أن يتعرضـوا لـه،مع وجـود ما قيل من المنع من الزيارة والمعاقبة لمن ظُفر به من الزوار.

وقد زعم مؤرخ كربلاء أن أول من تعرَّض لهدم ما على القـبر من بناء هو أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء العباسيين، ولم يرجع ذلك إلى مصـدر معتمـد،وإنما عـزاه إلى منظومة بعنـوان " مجالي اللطف " للشيخ محمد السماوي[3].

قلت: إن صح هـذا فإنه قد يكـون هنـاك مبـانٍ يسـيرة بُـنيتْ خلسة في حال غفلة من الرقباء، فلما عرف بها المنصور بـادر إلى هدمها..

ثم زعم مؤرخ كربـلاء أنه في عهد هـارون الرشـيد وفي آخر أيامه بالذات:(هدَم الحائر وكَرَبَ موضَع [4]

القبر المطهر وقطع السدرة التي كـانت نابتة عنـده ليمحو بعد ذلك كل أثر لـه) [5]، وهـذا إن صح فهو شـبيه بما فعله أبو جعفر المنصور، وقد أورد بعد ذلك قصة توحي بأنه كان للحـائر نظـام معين وله خدم وسدنة موظفون للقيام بواجب الخدمة وأوقاف هي تلك الأمـوال الـتي أجرتها أم موسى وهي أم المهـدي ابنة يزيد بن منصور وقد عـزى تلك القصة إلى الطـبري في تاريخه في حوادث عام (193هـ) [6].

---

[1] المخـافر : جمع مخفر وهو مكـان الخفـارة والحراسة ، والمسـالح : جمع مسلحة وهم القوم ذوو السلاح . القاموس ص (287) ، والمعجم الوسيط (1/246) .

[2] تاريخ كربلاء ص (183-184) .

[3] المصدر السابق ص (184) .

[4] الحائر : موضع قبر الحسين ، وكرَبَه : أثاره للزرع . انظر : القاموس ص (166)

[5] المصدر السابق (ص186)

[6] المصدر السابق ص (186) .

وعلى كل حال فاحتمال أن يكون الشيعة - في الفترة ما بين عصر المنصـور والرشـيد - قد تمكنـوا من عمل شـيء ما من البدع وأحـدثوا شـيئاً ما من المعـالم على قـبر الحسـين - غـير بعيد، ولكن حينما فطن لها الرشيد فعل ما يجب عليه من إزالة لما أوجب الشـرع إزالتـه، وأما كـون القـبر قد صـار له نظـام معين وإدارة وسـدنة.... الخ فهـذه مـزاعم لادليل عليهـا، ولا تتماشى مع واقع ذلك العصر.

ثم ذكر أن القـــبر وما عليه من بنـــاء وما حوله من دور قد هـــدمت في أيـــام الخليفة المتوكل أربع مـــرات خلال خمسة عشرة سنة،وأطال في ذلك جـداً وكـانت مراجعه في ذلك في الغـالب كتب الشـيعة وبعض كتب مـؤرخي أهل السـنة، والـذي يظهر أن بنـاءً بشـكل ما قد أقيم على القـبر، وذلك بعد عهد الرشـيد وفي أيـام الخلفـاء الـذين تبنـوا مـذهب الشـيعة وهم المأمون والمعتصم والواثق،إما برضى منهم أو بانصـرافهم عن مراقبة تلك البقعة وما يدور فيها، لعدم الحساسية الـتي كـانت لدى أسلافهم، من ذلـك؛ فتمكن المتربصـون من الرافضة مما يريـــدون، حـــتى إذا كـــانت خلافة المتوكل ورجع عن التشـــيع والاعتزال وأحاط به أهل السنة قـام بما يجب عليه من طمس تلك المعالم المخالفة للشرع تنفيذاً لأمر الرسول الـذي رواه عنه على بن أبي طالب .

هذا الذي يمكن أن يكون قد حصل وأما ما كثَّر به الدكتور عبد الجـــواد الكلام وســـوَّد به الصـــفحات فهو مما لا تطمئن إليه النفس، إذ يبعد أن يحصل ذلك أربع مـــــــرات في خلال خمس عشرة سـنة مع إصـرار المتوكل على منع أي إحـداث في ذلك الموضـــع، وقد ذكر بعد ذلك أن المنتصر بن المتوكل كـــان قد أعـاد البنـاء على قـبر الحسـين ووضع عليه ميلاً عاليـاً يرشد الناس إليه، واعتمد في ذلك على مراجع شيعية فقط.

غـير أن مـؤرخي السـنة قد ذكـروا ميل المنتصر إلى آل أبي طـالب ومحبته لهم وإرجـاع بعض ما كـان لهم من الأوقـاف وغيرها [1]، ومن هنا فلا يستبعد أن يجيبهم إلى شـيء من ذلـك، غــير أن كل ما يمكن أن يقـال: أنه فعلــه، إنما هو وضع علامة

---

[1] تاريخ الخلفاء (356) لجلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة دار السعادة مصر ، الطبعة الأولى (1371 هـ 1952م)

على قبر الحسين فقط، ليعرف موضع القبر، والشيعة عنـدما يستميتون في إثبات ذلك إنما يريدون الاستدلال على عراقة ما هم عليه من القبورية المعاصـــرة وأن جـــذورها ممتــــدة إلى القرون المفضلة.

وبهـذا تعـرف أن القــرون الثلاثة المفضـلة مضت وليس هناك قبـور معظمـة، ولا مشـاهد أو قبـاب ولا غيرها من مظـاهر القبوريـة،ولا شـيء من طقـوس ومراســيم العبـــادات القبوريـــة، وما حـــاول فعله الرافضة من ذلك فقد جُوبِـهَ بـردع قــوي من خلفــاء المسلمين وأمرائهم.

ولا يقـدح فيما قـرره العلمـاء من خلو القـرون المفضـلة من مظـاهر القبوريـة، وجـود بعض قبـور للخلفـاء قد أبـرزت وبـنيَ عليها، إذ أن ذلك لم يدخل فيما قصدوه بـالنفي،حيث إن الكلام هو في مشاهد من يعتقد فيهم الصلاح ويُقْصدون للتـبرك،وذلك غير موجود في قبور الأمراء والسـلاطين، على أن هـذه القبـور التي بُـني عليها إنما كـانت في القـرن الثـالث بعد الجولة الـتي ظهر فيها الـرفض والتجهم أيـام المـأمون والمعتصم والواثـق، وقد نص المؤرخـون على أن أول خليفة أبـرز قـبره هو الخليفة محمد المنتصر بن المتوكل العباسي المتـوفى سـنة (248هــ) بطلب من أمّه الرومية الأصل [1].

ثم بنيت عليه قبّة عرفت فيما بعد باسم القبّة الصـليبية ودفن مع المنتصر فيها الخليفتـان المعـتز (ت 255هــ) والمهتـدي (256 هــ)،وقد قـرر المستشـرق (هرسـتفيلد) أنها أول قبّة في الإسلام،وأقره على ذلك عدد من المؤرخين المعاصرين [2]،وهـذا

---

[1] ذكر ذلك الطبري في حوادث سنة (248هـ) . وعنه ابن كثير في البداية والنهاية نفس السنة (10/ 354) ونص كلام ابن كثير في ترجمة المنتصر ابن المتوكل: (وهو أول خليفة من بني العباس أبرز قبره بإشارة من أمّه حبشية الرومية) ،قلت: اسمها حبشية وأصلها رومية فهي نصرانية قبورية .

[2] مساجد مصر وأوليائها الصالحون (1/46)للدكتورة سعادة ماهر محمد طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية مصر بدون تاريخ، وموسوعة العتبات المقدسة (12 / 229)لجعفر الخليلي الطبعة الثانية (1407هـ-1987م) مؤسسة الأعلمي بيروت ، ومعالم الحضارة العربية الإسلامية ص (34) للدكتور قصي الحسين الطبعة الأولى (1414هـ-1993م) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، والعمارة الإسلامية ص (43) للدكتور كامل حيدر دار الفكر اللبناني بيروت.

تأكيد ثان على ما سبق تقريره من أن القرون المفضـلة مـرت وليس فيها مشـاهد ولا قبـاب على قبـور الأئمة والأوليـاء ومن يُرى فيهم الصلاح.

بين يــدي هذا الفصل

إننا عندما نبحث عن القبورية في العالم لسنا مجرد مؤرخين، يطيب لهم أن يتعرفوا على أحداث ويصوروا مجتمعات،ويصفوا ما وصلوا إليه من أحوال العالم لمجـرد السـرد التـاريخي،وإنما نبحث ذلك منطلقين من سـنة كونية ثابتة أخبرنا عنها الرسـول ، وهي أن هذه الأمة سـتأخذ مأخذ الأمم السـابقة، وستسـلك سـبيلها في كل جـوانب حياتها بما في ذلك الجـوانب الاعتقادية والتعبدية والأخلاقية.

فـإذا ثبت أن تلك الأمم عظَّمت القبـور وآثـار الصـالحين وتدرجت في ذلك حتى عبدت أولئك الصالحين-في نظرها- فإن من هذه الأمة من سيفعل ذلك، وهذا ما أخبر عنه رسول الله وما يشاهد على أرض الواقع.

فأما ما أخـبر به النـبي ففيما رواه البخـاري من حـديث أبى هريرة قال: قال رسـول الله : ((**لا تقوم السـاعة حـتى تأخذ أمـتي مأخذ القـرون قبلها شـبراً بشـبر وذراعـاً بذراع، فقيل: يا رسول الله كفارس والـروم؟ فقـال ومَنْ الناس إلا أولئك**)) [1].

وروى البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله : ((**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعـاً بـذراع، حـتى لو دخلـوا جحر ضب لـدخلتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمَنْ؟**)) [2].

وقد وقع ما أخـبر به النـبي كـاملاً 0 والـذي يهمنا إثباته هو مشابهة هذه الأمة للأمم قبلها في قبوريتهم،وتعظيمهم للأنبيـاء والصالحين،وانتشار عقائدهم الباطلة لدى كثـير منهم، وهـذا ما سوف نبيّنه في هذا الفصل إن شاء الله.

---

[1] البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي لتتبعن سنن من كان قبلكم الفتح(13/ 300) .

[2] المصدر السابق (13/ 300) .

الفصل الأول
نشأة القبورية في العالم
وفيه أربعة مباحث:
المبحث الأول
نشأة القبورية في العالم بأسره
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إثبــات أن البشــرية كــانت على التوحيد قبل طروء الشرك.

من المعلـوم المتفق عليه أن الله تعـالى خلق الخلق جميعـاً على فطرة التوحيد،فآدم عليه السلام هو الذي خلقه الله بيــده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، وجـرى له في الجنة ما جرى، ولم يكن من ذلك شـيء يخـالف التوحيد أو يقدح فيه،ثم أهبطه إلى الأرض نبياً كريماً ورسولاً مرشداً إلى ذريته،و هو قول جمع من العلماء.

وعلى تعاليم رسالة آدم نشأ بنوه وعلى نهجه ساروا، حتى لقد صـرح عكرمة بـأنهم دامـوا على ذلك عشـرة قـرون، [1] وهـذا الــذي ذكرنــاه من نشــأة البشــرية على التوحيد هو ما قــرره القرآن وشهدت به السنة المطهرة.

أما القـرآن ففي قـول الله تعـالى: **فـأقم وجهك للـدين حنيفاً فطرت الله الـتي فطر النـاس عليها لا تبـديل لخلق الله ذلك الــدين القيم ولكن أكـــثر النـــاس لا يعلمون** [2].

ففي الآية الكريمة أن الـدين الـذي أمر الله رسـوله أن يقيم وجهه عليه هو فطـرة الله الـتي فطر النـاس عليها ثم أكّد ذلك

---

[1] تفسير الطبري (29 /62) .

[2] الروم ((30) .

بقوله **ذلك الدين القيم** فالدين الحـنيف والـدين القيم هو التوحيد وهو الذي فطر الله الناس عليه.

قـــال ابن كثـــير - رحمه الله -: (فإنه تعـــالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره) [1].

وقد أكـدت ذلك السـنة وفصَّـلته وذلك فيما رواه البخــاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسـول الله : ((**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصـرانه، أو يمجسـانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمـة، هل تـرون فيها من جدعاء؟**[2])) [3] **ثم يقول أبو هريرة:** (**واقرأوا إن شئتم فطرت الله التي فطر النـاس عليها لا تبـديل لخلق الله **[4]).

قال ابن حجر - رحمه الله - في شـرح هـذا الحـديث: (وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المـــراد بقوله تعــالى: **فطـــرت الله التي فطر الناس عليها** الإسلام واحتجـوا بقـول أبي هريرة وبحـديث عيـاض بن حمـار عن النـبي فيما يرويه عن ربـــه:((**وإني خلقت عبــادي حنفــاء كلهم، فاجتــالتهم الشياطين عن دينهم**))[5] الحـديث وقد رواه غـيره فـزاد فيه **((حنفاء مسلمين))** ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعـالى: فطرت الله لأنها إضـافة مـدح وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام) [6].

ونكتفي بهذه النصـوص الواضـحة الصـريحة الـتي لاخلاف على معناهــا، لإثبــات أن البشـــرية كــانت على التوحيد قبل طـــروء الشرك عليها.

المطلب الثـــاني: إثبـــات أن أول شـــرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في الصالحين:

---

[1] تفسير ابن كثير ، طبعة دار الشعب (6 / 320) .

[2] أي مقطوعة الأنف أو الأذن أو الشفة القاموس المحيط ص (914) 0

[3] البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين الفتح (3/245-246) ، ومسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (4/2047) .0

[4] الروم (30) 0

[5] سيأتي تخريجه في الصفحة القادمة0

[6] فتح الباري (3/248) .

كـانت عـداوة إبليس لآدم قديمة منذ أن أمـره الله بالسـجود له،فـأبى فلعنه الله وطـرده بسـبب ذلـك، ومنذ ذلك الحين أخذ على نفسـه: أن يعمل على كل ما فيه الإسـاءة إليه وإلى جلب سـخط الله عليـه، وكـان أول عمل عمله إغـراؤه بالأكل من الشـجرة،ذلك العمل الـذي كـان سـبباً لإخراجه من الجنة وإهباطه إلى الأرض هو وإبليس معاً، ولم يكتـفِ إبليس بعـداوة آدم وحـده بل ضـمّ إلى ذلك عـداوة ذريته وأعلنها صـريحة بأنه لن يدخر جهداً لإغوائهم وصدّهم عن السبيل،والعمل على جعل مصـيرهم مقترنـاً بمصـيره هو إلى نـار جهنم **قـال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المسـتقيم، ثم لآتينهم من بين أيـديهم ومن خلفهم وعن أيمـانهم وعن شـمائلهم ولا تجد أكـثرهم شـاكرين، قـال اخـرج منها مـذءوماً مـدحوراً** لمن تبعك **منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** ،[1] **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلاّ عبـادك منهم المخلصـين، قـال فـالحق والحق أقـول، لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** [2].

وقد حذر الله عباده المؤمنين وجميع بني آدم من تلك العداوة وخطورتها، وخطـورة الهـدف الـذي يسـعى إبليس لتحقيقه من خلال عداوته لهم، فقال سبحانه وتعالى: **إن الشيطان لكم عـدو فاتخـذوه عـدواً إنما يـدعوا حزبه ليكونـوا من أصحاب السعير** [3] وقـال: **ألم أعهد إليكم يا بـني آدم أن لا تعبـدوا الشـيطان إنه لكم عـدو مـبين، وأن اعبدوني هذا صـراط مسـتقيم، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون** [4].

ولكن لأمرٍ أراده الله نسي بنو آدم تلك العـداوة، وجهلـوا ذلك التحذير الذي حذرهم الله إياه ولم ينسَ هو ذلك، بل عمل على جلب الأنصـار والجنـود من الإنس والجن، فسـلطهم على بـني آدم حين غفلوا عما أوصاهم به الله، فأجلب عليهم هو وجنـوده فاجتالوهم عن دينهم وأوقعوهم في الشرك، وهو ما رواه النبي عن ربه عز وجل كما في حديث عياض بن حمـار المجاشـعي

---

[1] الأعراف (16-18)0

[2] سورة ص (82-85)0

[3] فاطـر (6) .

[4] يس (60-62) .

أن رســـول الله قـــال ذات يـــوم في خطبته ((**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمـني يـومي هـذا، كـــلّ مــال نحلته [1] عبـــداً حلال، وإني خلقت عبـــادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشـياطين فاجتـالتهم [2]عن دينهم،وحـــرمت عليهم ما أحللت لهم،وأمـــرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سـلطاناً،وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عـــــربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**)) [3]

ولم يكن ذلك في عهد النـبي وإنما من فجر التـاريخ قبل أن يبعث نــوح عليه الســلام، بل إن مبعث نــوح إنما كـان لإرجــاع الناس إلى الجادة بعد ذلك الانحراف الخطير، وكان الباب الذي دخل منه الشــيطان إلى إغــواء أولئك النــاس:بــاب الغلو في الصالحين، فكانت أول أصنام عبدت على وجه الأرض هي صور وتماثيل لرجال صالحين أحبهم قومهم وغلَـوا فيهم فصـوّروهم، ثم تـدرج بهم الحـال حـتى عبـدوهم من دون الله تعـالى! ولما جاءهم نوح ينعى عليهم ذلك المسلك الخاطىء، ويـدعوهم إلى العودة إلى الصراط المسـتقيم أبـوا وعانـدوا وتواصـوا بالصـبر على تلك الآلهة والاســتمرار على الإشـــراك بالله المتمثل في عبادتها من دون الله **وقـالوا لاتــذرن آلهتكم ولا تــذرن وداً ولاسواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً** [4].

وهذه كما هو واضح أسماء بشر كانوا صالحين محبـوبين لـدى قـومهم،حملهم ذلك على الغلو فيهم وإنـزالهم فـوق مـنزلتهم، وتطور الأمر حتى عبدوهم،كما ورد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنه قال: (أسماء رجال صـالحين من قـوم نـوح، فلما هلكـوا أوحى الشـيطان إلى قـومهم أن انصـبوا إلى مجالسـهم الـتي كـانوا يجلسـون أنصـاباً، وسـموها بأسـمائهم ففعلـوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسِخ العلم عبدت)[5]

---

[1] نحلته أعطيته النووي على مسلم (17/197) .

[2] اجتالتهم (أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطن) نفس المصدر (17/197)

[3] مسلم مع الشرح ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار)(17/197)

[4] نوح (23) .

[5] البخاري والفتح (2/667)0

قــال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شــرح هــذا الحــديث: (وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نـوح هـذه الأصـنام ثم تبعهم من بعــــدهم على ذلــــك) [1] وقد تواطأ المفســـرون عند تفسـير هـذه الآية على ذكر هـذا الأثر وأثـاراً أخـرى كلها تـؤدي نفس المعنى. [2]

وقد صــرح القرطــبي - رحمه الله تعــالى -:بأنه من أجل أن عبادة الأوثان ابتدأت بسـبب الغلو في الصـالحين حـذر النـبي ﷺ من اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك، قال: (قلت:وبهـذا المعنى فسِّر ماجاء في صحيح مسلم من حــديث عائشة أن أم حبيبة وأم ســلمه ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشــة- تســمى مارية فيها تصـاوير- لرسـول الله ﷺ فقـال رسـول ﷺ: ((**إن أولئك إذا كــان فيهم الرجل الصــالح فمــات بنــوا على قــبره مسجداً وصـوروا فيه تلك الصـور أولئك شـرار الخلق عند الله يوم القيامة**)) [3].

وقــال ابن القيم - رحمه الله تعــالى -: (وقــال غــير واحد من السلف: " كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح ﷺ، فلما مــاتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تمــاثيلهم ثم طــال عليهم الأمد فعبــدوهم" فهــؤلاء جمعــوا بين الفتنــتين، فتنة القبــور وفتنة التماثيـل، وهما الفتنتـان اللتـان أشـار إليهما رسـول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته: عن عائشة - رضي الله عنها – ثم

---

[1] الفتح (8/669) .

[2] انظـر: تفسـير الطـبري (29/62) للإمـام الطـبري، معـالم التنزيل (8/ 232-233) للإمام الحسـين بن مسـعود البغـوي تحقيق وتخـريج محمد عبد الله النمر وعثمـان جمعة ضـميرية وسـليمان مسـلم الحـرش طبع دار طيبة بالرياض الطبعة الرابعة (1417هـ-1997م) ، زاد المسـير (8/373) لأبي الفرج ابن الجـوزي طبع المكتب الإسـلامي بـيروت الطبعة الثالثة (1404هـ-1984م) والكشـاف (4/414) للشـيخ محمـود بن عمر الزمخشـري طبع دار الكتـاب العـربي ببـيروت (1407هــ- 1987م) ،والمحـرر الوجـيز (15/122) لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق الرحــــــــالي الفاروق وآخرين ، الطبعة الأولى قطر سنة (1401هـ-1981م) . وتفسير القرطبي (18/307-310) وتفسير القرآن العظيم (8/262) لابن كثـير . الــدر المنثــور (8/293-295) لعبد الــرحمن بن أبى بكر الســيوطي (دار الفكر – بـــيروت ط الأولى ســـنه 1403هــــ- 1983م) . وفتح القـــدير (5/300) للشوكاني 0

[3] الجامع لأحكام القرآن (18/ 308) ، والحديث تقدم تخريجه(ص 18).

ذكر الحديث السابق في كلام القرطبي – ثم قال: " فجمع في هـذا الحـديث بين التماثيل والقبـور "وهـذا كـان سـبب عبـادة اللات، فقد روى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصـور عن مجاهد: **أفرأيتم اللات والعزى** [1] قال:(كان يلت السويق فمات فعكفـوا على قـبره) [2]،وكـذلك قـال أبو الجـوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: (كان يلت السويق للحاج) [3] فقد رأيت أن سبب عبادة ودّ، ويغوث، ويعـوق،ونسـر، واللات، إنما كـانت من تعظيم قبورهم ثم اتخـذوا لها التماثيل وعبـدوها، كما أشـار إليه النبي قال شيخنا [4]: وهذه العلة الـتي لأجلها نهى الشـارع عن اتخـاذ المسـاجد على القبـور هي الـتي أوقعت كثـيراً من الأمم إما في الشــرك الأكــبر،أو فيما دونه من الشــرك،فــإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الـذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشـرك بخشـبةٍ أو حجـر، ولهـذا نجد أهل الشـرك كثـيراً يتضـرعون عنـدها، ويخشـعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيـوت الله ولا وقت السـحر، ومنهم من يسـجد لها وأكـثرهم يرجـون من بركة الصلاة عنـدها والـدعاء مـالا يرجونه في المسـاجد فلأجل هذه المفسدة حسَم النبي مادتهـا، حـتى نهى عن الصـلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصـلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصـلاة وقت طلـوع الشمس وغروبهـا؛ لأنها أوقـات يقصد المشـركون الصـلاة فيها للشمس، فنهى أمته عن الصـلاة حينئـذ، وألا يقصد المصـلي ما قصده المشركون سداً للذريعة)[5].

وبهـذه الآيـات المحكمة والأحـاديث الصـحيحة الصـريحة، وما علق به عليها أهل العلم؛ تعلم أن القبورية هي أســـــــاس الوثنية،وأن الوثنية هي الوعاء الـذي أحتـوى على الشـرك بالله عز وجل وجسَّدَه.

---

[1] سورة النجم آية (19).
[2] سيأتي تخريج الأثرين لاحقاً .
[3] سيأتي تخريجه (ص 64) .
[4] هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .
[5] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/184) لابن القيم .

المبحث الثاني

القبورية عند اليهود والنصارى:

وفيه مطلبــان:

<u>المطلب الأول</u>: القبوريـة عند اليهـود:

لست بحاجة إلى الإطالة في إثبات قبورية اليهـود، فقد أغنتنا الأحاديث المصرحة بـذلك عن الصـادق المصـدوق والمخرجة في الصحيحين وغيرهمـا،ومنها حـديث أبي هريـرة أن رسـول الله قـال: ((**قاتل الله اليهـود اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مســاجد**)) [1] وحـــديث عائشة رضي الله عنها عن النـــبي قـــال:**في مرضه الــذي مــات فيه** ((**لعن الله اليهــود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**))[2].

فهذان الحديثان في الصحيحين - وسيأتي غيرهما في المطلب الثـاني- قاطعـان على قبورية اليهـود، وأزيد أن اليهـود ليسـوا قبوريين فقط ولكنهم أيضاً ميالون إلى عبـادة غـير الله بشـكل أوضح وأصرح، كما نقل ذلك عنهم القـرآن وذلك في موضـعين من قصة موسى .

الموضع الأول: بعد نجاتهم من ملاحقة فرعـون وخـروجهم من البحر وإهلاك الله لعـــدوهم وهي نعم عظيمة تســـتوجب شكر مسديها وإفراده بالعبادة وعدم الالتفـات إلى غـيره، لكن النفـوس الدنيئة لا تكـون نظرتها إلا إلى الأسـفل دائمـاً،لـذلك عنـدما مـروا على القـوم المشـركين العـاكفين على أصـنامهم مالت نفوسهم إلى تقليدهم ومحاكاتهم في ذلك،قـال تعـالى: **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصـنام لهم قـالوا يا موسى اجعل لنا إلهـاً كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون. إن هـؤلاء متـبر ما هم فيه وباطل ما كـانوا يعملـون. قــال أغــير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين** [3]

وهذا في غاية الصراحة فهم طلبـوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً آخر كما أن أولئك لهم آلهة فهو طلب الشـرك والاسـتعداد النفسي له.

---

[1] ? أخرجه البخاري (1/532) مع الفتح كتاب الصلاة باب " حدثنا أبو اليمان " ، ومسلم (5/12) مع النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور0

[2] تقدم تخريجه (ص 17)0

[3] 3 الأعراف (138-140)0

الموضع الثاني: حينما ذهب موسى لميقات ربه وتركهم مع هارون فصنع لهم السامري العجل ودعاهم إلى عبادته، فبادروا إلى ذلك ولما يأبهوا لتحذير هارون من ذلك بل واجهوه بـالتمرد وكـادوا يقتلونه حينما وقف في طـريقهم قـال تعـالى: **وما أعجلك عن قومك يا موسى. قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك ربِّ لترضـــى. قـــال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري. فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطـــال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعـدي. قـالوا ما أخلفنا موعـدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القــوم فقـذفناها فكـذلك ألقى السـامري. فـأخرج لهم عجلاً جسـداً له خــوار فقــالوا هــذا إلهكم وإله موسى فنســي. أفلا يـــرون ألا يرجع إليهم قـــولاً ولا يملك لهم ضـــراً ولا نفعــاً. ولقد قــال لهم هــارون من قبل يا قــوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى** [1].

وبهذا العرض اليسير تتضح قبورية اليهود وشـركهم واتخـاذهم الآلهة من دون الله.

<u>المطلب الثاني</u>: القبورية عند النصـارى:

الأمة النصرانية أمة غالية فيمن تعظمه من الأنبياء والصالحين ولقد حملهم ذلك على تأليه المسـيح وأمه وغيرهما من الأحبـار والرهبان،وهذا صريحُ نصِّ القرآن،حيث يقول الله تعــالى فيهم: **اتخـــذوا أحبـــارهم ورهبـــانهم أربابـــاً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** [2].

وقد أمر الله رســـوله أن يقيم عليهم الحجة ببطلان ما هم عليه من عبادة غير الله فقال: **قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم** [3]، ثم أمــره أن ينهــاهم عن الغلو في الــدين وتقليد ســلفهم

---

[1] طه من (83 – 91) .

[2] التوبة (31) .

[3] المائدة (76) .

الغالين فيه؛ لأن الغلو هو سبب عبادتهم لغير الله فقـال: **قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلّوا عن سـواء السـبيل** [1]، فمن غلـوِّهم أنهم اتخـذوا المسـيح وأمه إلهين من دون الله،واتخذوا أحبـارهم ورهبـانهم أربابـاً من دونه وتلك العلـــة- الـــتي هي الغلو -هي العلة المشـــتركة بين جميع المشركين.

ومن الغلو كذلك اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمه ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير فـذكرتا ذلك للنـبي فقـال: ((**إن أولئك إذا كـان فيهم الرجل الصـالح فمـات بنـوا على قبره مسجداً وصـوروا فيه تلك الصـور، فأولئـكِ شرار الخلق عند الله يوم القيامه**)) [2]

وهذه الكنيسة التي رأتها أم حبيبة وأم سلمه هي قطعـاً كنيسة نصـارى فهـذا إثبـات قـاطع لقبـوريتهم وقد حـذر النـبي من الاقتداء بهم في ذلك كما في حديث عائشة وعبدالله بن عباس قالا: (**لما نُزِل برسول الله طفق يطــرح خميصة له على وجهه فـإذا اغتم كشـفها عن وجهه فقـال وهو كذلك:** ((**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبـور أنبيائهم مساجد**)) **يحذر ما صنعوا**) [3].

وقد بيّن ابن كثير رحمه الله في تاريخه: أن تلك القبورية عند النصـــارى 0إنما حـــدثت فيهم بعد أن حرفـــوا دينهم، وقـــالوا بالتثليث، قال رحمه الله تعالى: (ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة؛ حدثت فيهم الطامة العظمى، والبليّة الكـبرى، واختلف البتاركة [4] الأربعة وجميع الاســـــــــاقفة [5] والقساوسة [6] والشماسة [7]

---

[1] المائدة (77) .

[2] تقدم تخريجه (18).

[3] تقدم تخريجه (18) .

[4] ويقال البطارقة جمع بطريق وهو رئيس رؤساء الأساقفة انظر : المعجم الوسيط (1/61) .

[5] جمع أسقف وهو رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران ، المصدر السابق (1/ 436) .

[6] جمع قس وهو رئيس من رؤساء النصارى بين الأسقف والشماس ، المصدر السابق (2/734) .

والرَهَــابين [1] في المســيح على أقــوال متعــددة لا تنحصر ولا تنضــبط، واجتمعــوا وتحــاكموا إلى الملك قســطنطين بــاني القسطنطينية، وهو المجمع الأول فصـار الملك إلى قـول أكـثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقـالات فسـموا "الملائكـة"، ودحَضَ من عـداهم وأبعـدهم، وتفـردتْ الفرقة التابعة لعبدالله بن أديوس الذي اثبت أن عيسى عبد من عباد الله،ورسول من رسله، فسكنوا البراري، والبوادي، وبنوا الصـوامع [2]،والـديارات [3]،

والقلايات [4]،وقنعوا بـالعيش الزهيـد، ولم يخـالطوا أولئك الملل والنحـل، وبنت الملائكة [5] الكنـائس الهائلـة، عمـدوا إلى ماكـان من بنـاء اليونـان فحولـوا محاريبها إلى الشـرق وقد كـانت إلى الشمال إلى الجدي[6]) [7].

ثم قال: رحمه الله تحت عنوان " بنـاء بيت لحم والقمامة [8] " (وبــني الملك قســطنطين بيت لحم على محل مولد المســيح وبنت أمه هيلانة القمامة يعــــني على قــــبر المصــــلوب وهم يسلّمون لليهود أنه المسيح).[9]

وبما مر من نصـــــوص قرآنية ونبوية وتاريخية تتضح قبورية النصارى وغلوّهم في أنبيائهم وصالحيهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى.

---

[7] جمع شماس من يقوم بالخدمة الكنيسة ومرتبته دون القسيس ، المصدر السابق (1/ 494) .

[1] جمع راهب المتعبد في صومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهداً فيها معتزلاً أهلها. ، المصدر السابق (1/ 376) .

[2] جمع صومعة و صومع وهو بيت العبادة عند النصارى ، المصدر السابق (1/ 523) .

[3] جمع دير وهو دار الرهبان ، المعجم الوسيط (1/ 307) .

[4] القلايات جمع قلاية وهي الصومعة . المصدر السابق (2/757)

[5] أي الفرقة التي سميت الملائكة .

[6] الجدي نجم قريب من القطب تعرف به القبلة ، المصدر السابق (1/ 112) .

[7] البداية والنهاية (2/101) .

[8] وهي التي يطلق عليها الناس اليوم كنيسة القيامة 0

[9] المصدر السابق (2/ 101) .

المبحث الثالث
قبورية اليونــان
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قبورية الأمة اليونانية:

الأمة اليونانية أمة عظيمة سادت وظهرت على مسرح التاريخ القديم قروناً من الـزمن، وقد أنشـأت حضـارة متمـيزة وظهر فيها علــوم ومعــارف وفلســفة وصــلت إلى الأمم الأخـــرى، وتناقلتها الأجيال إلى العصر الحاضر، وهـذا لا مـراء فيه، ولكن مع كل ذلك فقد كـانت هـذه الأمة أمة وثنية قبورية تُألِّه كل ما أعجبت به من مظــاهر الكــون، وعبــاقرة وأبطــال البشــر،بل وجميلات النســاء!فهنـاك (آلهة السـماء) و(آلهة الأرض) و(آلهة الخصــب) و(الآلهة الحيوانيــة) و(آلهة ما تحت الأرض) إلى آخر القائمة، وقد ذكر المؤرخـون كيف تنشأ تلك الآلهة وكيف تعبد [1]

---

[1] انظر : الفكر الإغــريقي تــأليف محمد الخطيب (دمشق ، الطبعة الأولى عام (1999م) ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ص (28 – 52)

وكانت كذلك أمة قبورية تقدس قبور موتاها، فقد كـان المـوتى في العصور المبكرة من تاريخ اليونـان يُعْتَـبرون أرواحـاً قـادرة على أن تفعل للنـــاس الخـــير والشر وتسترضى بـــالقرابين والصـلاة [1]. وكـان اليونـان في عصـرهم الزاهر يرهبـون هـذه الأشباح الغامضة أكثر مما يحبونها، وكانوا يسترضونها بطقـوس ومراسم يقصد بها إبعادها واتقـاء شـرها [2]، وكـان الإله في أول الأمر من الأسـلاف والأبطـال المـوتى، كما كــان المعبد في الأصل قبراً، ولا تزال الكنيسة حتى الآن في معظم البلاد مكاناً تحفظ فيه آثار الموتى القديسين [3].

هذه هي أمة اليونان وتلك آلهتها كانت في بـدايتها أمواتـاً من ذوي التميز في جوانب مختلفة من الحياة،تـدرج بهم الشـيطان حـتى صـيروهم آلهة من دون اللـه، وقبـور أولئك المـوتى هي الأصل في المعابد التي تتربع فيها تلك الآلهة.

<u>المطلب الثاني</u>: قبورية فلاسفة اليونـــان:

في تلك الأمة وذلك الجو نشأ فلاســفة اليونـــان على الوثنية والقبوريـــة، وبقي ذلك هو اعتقــادهم وتفكـيرهم ولم يغنِهم ما وصــلوا إليه في مختلف العلــوم- الـتي أصـبحوا فيها أســاتذة العالم- لم تغنهم تلك العلوم، ولم ترتفع بتفكـيرهم في الجـانب الإلهي من حيــاتهم،بل ظلــوا يتخبطــون في ظلمــات الجهل ومسـالك الضـلال، ذلك أن هـذا الجـانب ليس بمقـدور العقـول تصوّره التصوّر الصحيح، والوصـول إلى حقيقتـه، وإنما مصـدره هو الـــوحي الـــذي ينزله الله على رســـله،فيبلغونه للنـــاس ويقـــــودونهم به إلى معرفة ربهم وما يجب عليهم، وما يلتحق بذلك من أركان الإيمـان ومقوماتـه، وحيث إن أولئك الفلاسـفة مصدرهم في بحثهم عن الحقيقة هو العقـل، والعقل قاصر عن إدراكها فقد تاهوا في أودية الضلال وما وصلوا إلا إلى نظريـات متناقضــة، وقضـايا فجّة غـير ناضـجة، وبقي ما تربَّوا عليه من الوثنية والقبوريـــة؛ هو الــذي يوجه تفكـيرهم ويســتحوذ على أعمالهم وطقوسهم، وقد شهد المتلقفون لفلسفة اليونـــان من علماء المسلمين على قـدواتهم من فلاسـفة اليونـان بالقبورية

.

1 المصدر السابق ص(35-36) .
2 المصدر السابق ص (35-36) .
3 المصدر السابق ص (36) 0

وأبانوا كيف يتصـور أولئك الفلاسـفة إمـداد أرواح المـوتى لمن دعاهم وتشفع بهم.
يقـول الفخر الـرازي في كتابه المطـالب العاليـة: (إن فلاسـفة اليونان كانوا يستمدون الفيوض من القبور وأهلها، إذا اعـترتهم مشكلة من المشكلات، وكان الفلاسـفة من تلاميذ أرسـطو إذا دهمتهم نازلة ذهبوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض) [1].
وبما أن القوم فلاسـفة وليسـوا مقلـدين لما كـان عليه الآبـاء والأجداد فقد خرَّجوا تعلقهم بالقبور تخريجـاً علميـاً مبنيـاً على نظريتهم العامة في الإلهيـات، حيث يؤمنـون بنظرية الفيض أي أن " العقل الفعال " الـذي هو مـوازٍ للإله يفيض على من دونه من المخلوقات.
وبما أن أرواح الموتى القديسين هي كذلك آلهة صغيرة حسب العقيدة اليونانية العامة فـإن تلك الأرواح تفيض على من زارها طالبـــاً منها الشـــفاعة، وذلك بحسب يقين الزائر وفنائه في المزور واستعداد نفسه لتقبل ذلك الفيض، وهي بــدورها تتلقى الفيض من الإله الأعظم، وقد مثلـــوا ذلك بانعكـــاس شـــعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فـإن الشمس إذا وقعت على المـاء أو مـرآة وانعكس شـعاعها على حائط أو غيره حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشـعاع المنعكس على المـــرآة، قـــالوا: فهكـــذا الرحمة تفيض على النفـــوس الفاضـــلة كنفـــوس الأنبيـــاء والصـــالحين، ثم تفيض بتوســـطهم على نفـــوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكـــاس الشعاع يحتاج إلى المحـاذاة فكـذلك الفيض لابـدّ فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة [2].

---

[1] المطالب العالية (7-228) بواسطة جهود الحنفية في إبطال عقائد القبورية (1-416) للدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني ، دار الصميعي الرياض ، الطبعة الأولى (1416هـ - 1996 م) .
[2] انظر الاستغاثة في الرد على البكر ي (2/410-411) لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق عبد الله بن دجين السهيلي ، دار الوطن ، الطبعة الأولى (1417 هـ - 1997م)

المطلب الثالث: اِتَّباع قبورية المسلمين لفلاسفة اليونان في علة زيارة القبور:

إن معظم ما يأتيه القبورية وما يعتقدونه تجـاه القبـور وأهلها وإنما هو اتباع للأمم السـابقة، تصـديقاً لحـديث الرسـول في حديث ذات أنواط حيث طلب بعض أصـحابه أن يجعل لهم ذات أنـواط كما للمشـركين ذات أنـواط فقـال لهم: ((**الله أكـبر! إنها السـنن،قلتم والـذي نفسي بيـده كما قـالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم ءالهه قال: إنكم قوم تجهلون [1] لتركبن سـنن من كـان قبلكم**)) [2]، وجاء من حديث أبي سـعيد رضي الله عنه بلفـظ: ((**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعـاً بـذراع حـتى لو دخلـوا جحر ضب لتبعتمـوهم، قلنـا: يارسـول الله اليهود والنصارى قال فمن؟**)) [3]، ومن حـديث أبي هريـرة رضي الله عنه ((**لا تقوم الساعة حـتى تأخذ أمـتي مأخذ القـرون قبلها شـبراً بشـبر وذراعـاً بـذراع،قيـل: يا رسـول اللـه،كفـارس والـروم؟ قـال: مَنْ النـاس إلا أولئك**)) [4].

ويظهر من سبب ورود الحديث الأول أن بعضاً من هـذه الأمة سـتتبع اليهـود فيما انحرفـوا فيه من التفـاتهم إلى التعلق بالمخلوقين،وهذا هو أساس القبورية.

كما يظهر من الحديث الثالث أن اتباع الأمم السابقة لا يقتصر على اليهـود والنصـارى وإنما يتعـداه إلى سـائر فـارس والـروم،ومن الـروم اليونـان الـذين نُقِلت فلسـفتهم إلى الأمة الإسلامية فأفسدت عقائد قوم من المسلمين.

وممن تلقى عقائد الفلاسفة وألبسها رداء الإسلام ونشرها في الأمة المحمدية قبورية المسلمين من فلاسفة وباطنية شيعية وصوفية.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو يتكلم عن الوسـائل المشـروعة وغيرهـا: " الوجه الثـاني أن يـدعو له

---

[1] ا لأعراف (138) .

[2] الترمذي في الفتن باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم (4/475) . وأحمد (5/218) .

[3] تقدم تخريجه ص (47)

[4] تقدم تخريجه ص (47).

الرســول فهــذه أيضــاً مما يتوسل به إلى الله تعــالى، فــإن دعـــاءه وشـــفاعته عند الله من أعظم الوســـائل فأما إذا لم يتوسل العبد بفعل واجب، ولا مسـتحب، ولا الرسـول دعا لـه، فليس في عظم قـدر الرسـول ما ينفعـه، ولكن بعض النـاس الــذين دخلــوا في دين الصــابئة والمشــركين،ظنــوا شــفاعة الرسول لأمته لا تحتاج إلى دعاء منه، بل الرحمة الـتي تفيض على الرســول تفيض على المستشــفع من غــير شــعور من الرسول ولا دعاء منه، ومثلوا ذلك بانعكـاس شـعاع الشـمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فإن الشـمس إذا وقعت على الماء أو مـرآة، وانعكس شـعاعها على حائط أو غــيره؛ حصل النــور في الموضع الثــاني بواســطة الشــعاع المنعكس على المرآة،قالوا: فهكـذا الرحمة تفيض على النفس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصـالحين، ثم تفيض بتوسـطهم على نفــوس المتعلقين بهم،وكما أن انعكــاس الشــعاع يحتــاج إلى المحــــاذاة فكــــذلك الفيض لابد فيه من توجه الإنســــان إلى النفوس الفاضلة وجعل هـؤلاء الفائـدة في زيـارة قبـورهم من هذا الوجه.

وقالوا أن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة فيقوى تأثيرها وهــذه المعــاني ذكرها طائفة من الفلاســفة ومن أخذ عنهم كابن سيناء وأبي حامد وغيرهم) [1].

قلت: هــذا فــرع من فــروع نظرية الفيض الــتي يعتقــدها الفلاسفة،وطبيعي على هذا الاعتقـاد أن يكـون هنـاك توجه إلى النفــوس الفاضــلة لتكــون واســطة بين المستشــفع والخــالق المعطي سبحانه، تلك الواسطة هي ” الشافع “ وقد قــرر ذلك من أتباع الفلاسفة قوم كما ذكره شـيخ الإسـلام - رحمه الله - منهم أبو حامد الغزالي وذلك في كتابه " المظنون به على غير أهله " والفخر الـرازي في كتابه "المطـالب العليـة" ونقل عن الاثـــنين أحد قبورية حضـــرموت وهو عبد الـــرحمن بن محمد العيدروس في كتابه " بذل المجهود في خدمة ضـريح نـبي الله هــود "وجعل ذلك هو علة زيــارة القبــور، وســيأتي نص كلام الغـزالي منقـولاً من كتابـه، وكلام الـرازي عن العيـدروس في

---

[1] الاستغاثة (2/411-412) .

مطلب علة الزيــارة عند القبورية [1]، وبهــذا يتضح أن زيــارات القبورية لم تكن هي الزيـارات الشـرعية الـتي علتها الاعتبـار والاتعـاض بحـال المـوتى ورقة القلب وتـذكر الآخـرة والـدعاء للأمــوات والســلام، عليهم وإنما لاســتمداد من الأمــوات على طريقة الفلاسفة.

وأما تشبههم باليهود والنصارى في البنـاء على القبـور واتخـاذ المساجد عليها فظاهر، وحـتى لا يقـول قائل إن ذلك من أتبـاع الفلاسفة في علة الزيـارة إنما هو مـذهب مهجـور لـدى قبورية اليوم لا وجود له عندهم 0

أقول له ولكل من يدافع عنهم:انظر إلى محمد علوي مالكي - بـــاعث القبورية في مكة من جديد ووارث أحمد زيـــني دحلان ويوسف النبهاني- انظر إليه وهو يحكي أحـوال الزائـرين للنـبي ﷺ: (تختلف أحـــوال الزائـــرين في اســـتفادتهم من زيـــارتهم واســتمدادهم من الله بواســطة نــبيهم المصــطفى وحــبيبهم المجتــبى ﷺ وبحسب اســتعدادهم في تلقي الفيوضــات الإلهية والواردات الربانية بواسطة الحضرة المحمدية،) 0[2]

ويقول في موطن آخر: (اللهم صلِّ وسـلم على سـيدنا محمد أول متلق لفيضك الأول. صلاة نشهدك بها من مرآته،ونصل بها إلى حضـــرتك من حضـــرة ذاتـــه، قـــائمين لك وله بـــالأدب الوافر،مغمورين منك ومنه بالمدد الباطن والظاهر) 0[3]

وأما تشبههم باليهود والنصارى في البنـاء على القبـور واتخـاذ المساجد عليها فظاهر ليس به خفاء.

---

[1] انظر ص (324)

[2] شفاء الفؤاد بزيارة خـير العبـاد (124)السـيد محمد بن السـيد علـوي بن السيد عباس المالكي الحسني،ط الأولى(1411 هـ-1991م).

[3] المصدر السابق (117) .

المبحث الرابع

القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إثبات أن العرب كانوا على ملة إبراهيم الحنيفية السمحة:

كانت العرب وبالأخص عرب الحجاز على ملة أبيهم إبراهيم ، ملة التوحيد الحنيفية السمحة، برآء من الشرك وأهله، كما حكى الله تعالى عن إبراهيم مثنياً عليه وعلى أتباعه بذلك: **إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من**

المشركين. شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين. ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ [1] وقال تعالى مبرئاً إبراهيم والذين معه من الشرك،ومقدِّمَهم لنا قدوةً، وجاعلاً لنا الأسوة فيهم ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنَّا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ [2]..

وقد ذكّر الله العرب بهذا الإرث العظيم الذي ورثوه من أبيهم إبراهيم فقال: ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** ﴾ [3]

وقد بقي العرب على تلك الملة قروناً، حتى ظهر عمرو بن لحي الخزاعي فغيرها، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، قال رسول الله ﷺ: ((**وعرضت عليَّ النار فلما وجدت سفعتها تأخرت عنها، وأكثر من رأيت فيها النساء إنِ ائتمن أفشين،وإن سألن ألحفن، وإذا سئلن بخلن، وإذا أعطين لم يشكرن،ورأيت فيها عمرو بن لحي يجر قُصبه في النار وأشبه من رأيت به معبد بن أكثم الخزاعي، فقال معبد: يا رسول أتخشى عليَّ من شَبَهِه فإنه والدي، فقال: لا، أنت مؤمن وهو كافر، وهو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام**)) [4]،وهناك ألفاظ أخرى بنفس المعنى في الصحيحين وغيرهما [5].

---

[1] النحل (120 – 123) .
[2] الممتحنة (4) .
[3] الحج (78) .
[4] الحاكم في المستدرك (4/605) وقال :حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، طبع دار المعرفةبيروت بإشراف د. يوسف المرعشلي .
[5] انظر: السلسة الصحيحة للشيخ الألباني (4/ 242-244) .

وكـان سـبب انحـرافهم ووقـوعهم في الشـرك هو الغلو في الصـــالحين كما ســيأتي في قصة عبـــادتهم للّات أو للأمـــاكن المقدسة كما في قصة نقلهم حجـــارة الحـــرم والطـــواف بها حيثما حلّوا.

المطلب الثـــــــاني: القبورية هي أصل الوثنية عند العرب:

كما هو الشأن -بعد كل رسالة من الرسـالات السـابقة- تـأتي بعدها فـترة ينقص العلم ويثبت الجهـل، ويجد الشـيطان سـبيلاً إلى نفــوس النــاس وعقــولهم، فينحـــرف بهم عن الصـــراط المستقيم، وقد مرّ معنا أن دين إبراهيم ظل قائماً حتى ظهــور عمــرو بن لحي الخــزاعي الــذي كـان أول من غيّـره وحــرَف العرب عنه إلى عبادة الأصنام، وكان سبب وقوعهم في الوثنية هو الغلو في الصـالحين منهم وتعظيم قبـورهم حـتى اتخـذوها أصناماً،قـال ابن عبـاس في قوله تعـالى ﴿ **اللات والعزى** ﴾[1]: (كان اللات رجلاً يلت السويق للحاج) [2].

والذي أمرهم بذلك هو عمرو بن لحي.

قال الحافظ ابن حجر في شـرح هـذا الحـديث -راداً على من زعم أن اللات هو عمـــرو بن لحي: (والصـــحيح أن اللات غـــير عمـــرو بن لحي، فقد أخـــرج الفـــاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمـرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتاً، وتقدم في مناقب قـريش أن عمـرو بن لحي هو الـذي حمل العـرب على عبـادة الأصنام، وهو يؤيد هذه الرواية) [3].

فهـــذا وجه من أوجه القبورية المؤدية إلى الوثنية عند العرب،**وهناك وجه آخر** وهو تعظيم آثار الصالحين ومنــازلهم وبيوت عباداتهم تعظيماً زائداً على الحد المشروع.

قال ابن هشام في سيرته: قال: ابن إسـحاق: (ويزعمـون أن أول ما كـانت عبـادة الحجـارة في بـني إسـماعيل أنه كـان لا يظعن من مكة ظـــاعن منهم -حين ضـــاقت عليهم والتمســـوا الفسح في البلاد- إلا حمل معه حجـــراً من حجـــارة الحـــرم

---

1 النجم (19)0

2 البخاري كتاب التفسير باب (أفرأيتم اللات والعزى) (8/611) مع الفتح .

3 الفتح (8/ 612) .

تعظيمــاً للحــرم،فحيثما نزلــوا وضــعوه فطــافوا به كطــوافهم بالكعبة،حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحســنوا من الحجــارة، وأعجبهم،حــتى خلف الخلــوف ونســوا ما كــانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبــدوا الأوثــان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات) [1]

فهــذا الســبب كما تــرى كــان ناتجــاً عن تعظيم آثــار إبــراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فالحرم شرَّفه الله تعالى بهما حيث بَنَيَا فيه بيت الله الحـــرام والكعبة المشـــرفة، فكـــان تعظيم المكان ناتج عن تعظيم من اشــتهر به وهو إبــراهيم وإســماعيل عليهما السلام، ذلك الغلو فيهما وفي البيت الــذي ينسب إليهما كان سبباً في ضلال طوائف من العــرب والــزج بهم في الوثنية والشرك.

<u>المطلب الثالث</u>: انتشار الأصنــام في جزيــرة العــرب:

بعد تلك البدايات البسيطة والبدائية أخذ إبليس يــرقّي العــرب في ســلّم الوثنية حــتى أصــبحت دينــاً تــدين بــه، له شــعائره [2] ومشاعره [3] وطقوسه [4] وعقائده وتنوعت العبادات من طــواف وتمسح ودعاء واستشــفاع واستقســام [5] بــالأزلام بين يــدي تلك الأصنام إلى نذر الأمــوال ونحر النعم وغــير ذلــك، كما انتشــرت الأصنام في الجزيرة العربية انتشار النار في الهشيم بدءاً ببيت الله الــذي أنشئ على التوحيد ولأجل التوحيــد،حيث يقــول الله تعــالى عنــه: ﴿ **وإذ بوأنا لإبــراهيم مكــان الــبيت أن لا**

---

[1] سيرة ابن هشام (1/77)طبع مؤسسة علوم القرآن بدون تاريخ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي

[2] جمع شعيرة مناسك العبادة ومعالمها انظر القاموس المحيط ص (535) .

[3] جمع مشعر موطن العبادة . المصدر السابق ص (535)

[4] جمع طقس وهو نظام الخدمة الدينية عند النصارى .انظر : المعجم الوسيط (2/ 561) .

[5] قال ابن جرير(6/49) : (وأن تستقسموا بالأزلام " وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام وهو استفعلت من القسم ، قسم الرزق والحاجات وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو نحو ذلك أجال القداح وهي الأزلام وكانت قداحاً مكتوباً على بعضها "نهاني ربي" وعلى بعضها "أمرني ربي" فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه أمرني ربي مضى لذلك لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك وإن خرج الذي عليه "نهاني ربي" كف عن المعنى لذلك وأمسك ،وأما الأزلام فإن واحدها زلم ويقال زلم وهي القداح التي وصفنا أمرها) .

تشـرك بي شـيئاً وطهر بيـتي للطـائفين والقـائمين والركع السجود ﴾ [1].

هذا البيت كان فيه أكبر تجمع للأصنام في جزيرة العرب حيث كان عدد الأصنام -التي كسرها رسول الله ﷺ يـوم فتح مكة في جـوف الكعبة وحولهـا- ثلاثمائة وسـتين صـنماً [2]،كما كـان في جـوف الكعبة أشـهر أصـنام قـريش على الإطلاق (هبـل) [3]،ولم تبق قبيلة من قبائل العـرب إلا ولها صـنمها الـذي يعـرف بها وتعرف به وتعبّد له أبناءها [4]،بل تجاوز الأمر إلى أن أصـبح لكل بيت صنمه الخاص به،[5] وحتى المسافر لا يقيم أثناء سـفره في بقعة إلا تخيّر من أحجارها ما يعجبه فينصبه إلهاً له.[6]

ولم يكتف الشيطان بذلك بل دلّهم على أصنام قوم نوح التي كـانت مطمـورة في رمـال سـاحل جـدّة فاسـتخرجها مؤسس الوثنية في الجزيـرة العربية عمـرو بن لحي الخـزاعي وفرقها على العرب فعظمت وعبدت فيهم [7].

وبـذلك انطمست ملة إبـراهيم وغـاب التوحيد وحل الشـرك محله،حـتى صـارت الـدعوة إلى إخلاص العبـادة لله تعـالى من العجائب لديهم حينما صدع بها النبي ﷺ فقالوا -كما حكاه القرآن-: ﴿ أجعل الآلهة إلهـاً واحـداً إن هـذا لشـيء عجـاب، وانطلق الملأ منهم أن امشـوا واصـبروا على آلهتكم إن هـذا لشـيء يراد،ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلاّ اختلاق ﴾ [8].

المطلب الرابـع: الحنفاء من العـرب:

ذلك هو الجـوّ المظلم الـذي وصـلت إليه الأمة العربية قبل البعثة وهو الغـالب عليهـا، ولكن بقي بصـيص ضـئيل من النـور الخـافت الـذي نجا من أطبـاق الظلمـة، ولكنه لم يهـدِ أصـحابه

---

1 الحج (26) .

2 البخاري كتاب التفسير سورة الإسراء باب (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) (8 / 400) من حديث ابن مسعود ﷺ .

3 الأصنام لابن الكلبي ص (27) .

4 انظر : الأصنام ص(13) و(16) و(18) الدار القومية بالقاهرة نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة(1343هـ-1924م) .

5 المصدر السابق ص (33) .

6 االمصدر السابق ص (33) .

7 أصله في البخاري كتاب التفسير سورة نوح باب " ود اً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق " وانظر : ابن هشام (1/78-80).

8 سورة ص (5- 7) .

صـراطاً مسـتقيماً، ولم يسـلك بهم سـبيلاً قويمـاً [1]، وقد تمثّل ذلك في بقاء مجموعة صغيرة جداً متفرقة في أنحـاء الجزيـرة العربيــة، وربما كــان بمكة منهم نصــيب أوفــر، أولئك هم من سُمّوا بالحنفاء نسبة إلى الحنيفية ملة إبراهيم، وتمثل تمسكهم بالحنيفية في رفضهم للوثنية من حيث عبـادة الأوثـان وتقـريب القــرابين لهــا،واعتقــاد نفعها وضـرّها وشـفاعتها كما هو شـأن الوثنيين، هداهم إلى ذلك فطـرتهم الـتي مَنَّ الله عليهم ببقائها صافية نقية من كَدُورات الوثنية، غير أنهم لم يهتـدوا إلى مـراد الله تعـالى وما يجب له من العبـادة،حـتى لقد نقل أهل السـير عن زيد بن عمـــــرو بن نقيل قولـــــه: (اللهم إني لو أعلم أيّ الوجوه إليك أحب عبدتك به ولكني لا أعلمـه) [2] ولـذلك تفرقـوا في البلاد يبحثون عن دين إبـراهيم، فمنهم من دخل النصـرانية كورقة بن نوفل، ومنهم من لم يدخل أيّ دين وبقي على ما هو عليه كزيد بن عمرو بن نفيل.

---

[1] لأن الهداية التامة لا تكون إلا بالوحي لا غير .

[2] ابن هشام (1/225) عن ابن إسحاق قال حدثني : هشـام بن عـروة عن أبيه عن أمه أســماء ، وهــذا حــديث حسن لمكــان ابن إســحاق وأما بقية أصحاب السند فمن أصح الأسانيد .

وقد ذكرت أسماء بعض هؤلاء فمنهم: قس بن ساعدة الأيادي، وزيد بن عمـرو بن نفيـل، وأمية بن أبي الصـلت، وأبو قيس بن أبى أنس، وخالد بن ســنان، والنابغة الــذبياني، وزهــير بن أبي سُلمى، وكعب بن لؤي بن غالب أحد أجـداد النـبي [1] وقد ذكر غيرهم أيضاً [2]، غير أن من هؤلاء الـذين ذكـروا من تنصـر، وكل هؤلاء لم يـدركوا الإسـلام إلا ورقة بن نوفل حيث أدرك الفـترة الأولى من الوحي ففرح واستبشر وتمنى أن يعيش ليرى دعوة النبي وينصره ولكنه مات في فترة الوحي. [3]

---

[1] السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصـلية (دراسة وتحليل) ص (72) للدكتور مهـدي رزق الله أحمد الأسـتاذ المشـارك بكلية التربية جامعة الملك ســـعود الطبعة الأولى ، (1412هـــ - 1992م) نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض .

[2] نفس المصدر (77) .

[3] انظر خبره في البخاري كتاب بدء الوحي (1/ 22) مع الفتح .

الفصـل الرابـع

نشـأة القبـورية في اليمـن

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول:

حال اليمن قبل نشوء القبورية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إسلام أهل اليمن:

من مناقب اليمنيين التي سجلها لهم التاريخ بـأحرف من نـور مبادرتهم إلى اعتناق الإسـلام بشـكل لم يشـابههم فيه أحد من قبائل وأقطار الجزيـرة العربية الأخـرى، وقد تعـددت التـأويلات لسـبب تلك المسـارعة لاعتنـاق الإسـلام من قبل اليمنـيين، وأقـوى تأويل - والله أعلم - هو ما جعل الله في نفوسـهم من الإيمان، وفي قلـوبهم من الرقة ومحبة الخـير، وما ادَّخـره الله لهم بمحض فضله من إنعام وفضل.

ودليل ذلك الأحاديث المستفيضة في فضائل أهل اليمن [1]، كما كان لقـرب اليمن من مكة مهبط الـوحي على النـبي وموضع بعثته علاقة بـذلك، وإن كـان هـذا لم ينفع بعض القبائل الـتي كـانت أقـرب إلى مكة من اليمن، وبحسب طبيعة البشر في الاختلاط والتعايش والتفاعل كان وصـول أخبـار الرسـول إلى اليمن وتأثر أهلها به في وقت مبكر من حياة الدعوة الإسلامية،

---

[1] ? منها حديث عقبة بن عمرو أبي مسعود الأنصاري قال : (أشار رسول الله بيده نحو اليمن فقال : (الإيمان يمان هاهنا ، ألا إن القسوة وغلو القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعة ومضر) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومسلم في كتاب الإيمان ،باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه . وحديث أبي هريرة عن النبي قال : (أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية) رواه البخاري في كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب فضائل أهل اليمن ، وغيرها كثير .

وقد كان الوافـدون من اليمنـيين إلى مكة لأغـراض مختلفة هم الرواد الذين رجعوا إلى قومهم مبشرين بهذا الدين ودعاة إليه، بعد أن أسلموا وعرفـوا شـيئاً من الإسـلام على يد الرسـول ، ومن أشهر أولئك:

1)ضماد بن ثعلبة الأزدي [1]

2) الطفيل بن عمرو الدوسي [2].
3)عمرو بن أمية الدوسي [3].
4)قيس بن نمط بن قيس بن مالك الهمداني [4].
5)عبد الله بن قيس بن أم غزال الأرحبي [5].
6)ذباب بن الحارث بن عمرو السعدي [6].

وكان في إسلام هؤلاء ورجـوعهم أثر فـي انتشـار الإسـلام في قومـهم، وتهيئتهم لقبوله.

وممن وفد عليه وتـــوطَّن المدينة مهـــاجراً أبو موسى الأشعري ورفقته الأشعـريون [7] وأبو هريرة [8] وغيرهم.

وفي عام الوفود بشَّر النبي أصحابه بقدوم وفـود اليمن، وبالفعل توالت تلك الوفود وكانت من أفضل الوفود العربية، فسُـرَّ بها رسـول الله ، ودعا لهـا، وعـادت مؤمنة صـادقة، فنشرت الإيمان والإسلام في ربوع اليمن.

المطلب الثاني رسل النبي إلى اليمن:

ولما ظهر لرسول الله ما يتمتع به اليمنيون من نفوس طيبة قابلة للإيمـان والإسـلام، وتأكد لديه صـدق توجه اليمنـيين نحو دين الله، وأن الإسلام قد أصبح منتشراً فيهم، أحب أن يعمق مفاهيم الإسـلام في نفوسـهم، وينشر تعاليمه بينهم، ويضع لهم

---

[1] الحديث والمحدثون في اليمن في عصر الصحابة (3/1751) تأليف الدكتور عبدالله الحميري ، طبع مكتبة الرشد الرياض ، الطبعة الأولى (1421 هـ – 2000 م)
[2] المصدر السابق (3/1752)
[3] المصدر السابق (3/1753)
[4] المصدر السابق (3/1754)
[5] المصدر السابق (3/1754)
[6] المصدر السابق (3/1756)
[7] المصدر السابق (3/1768-1771) .
[8] المصدر السابق (3/1763) .

من يعلمهم ويرشـــدهم ويحكم بينهم بشـــرع الله ويسوســـهم بنظامه الخالد، فأرسل رسله معلمين ودعـاة وحكاماً ، فأحسن اليمـنيون وفـادتهم، وأكرمـوا نـزلهم، وأخـذوا عنهم دين اللـه، وعملوا به، وتحاكموا إليه.

وكان من أشهر من أرسلهم رسول الله إلى اليمن معـاذ بن جبل، اليمن الأعلى بما في ذلك الجند[1]،وأبو موسـى الأشـعري وكان عاملاً على زبيد وعدن

وساحل اليمن كله [2].

ومهَّد النـبي لمعـاذ طريقـه، وكشف له حقيقة الجهة الـتي وجهه إليهـا، وزوّده بـأروع التوجيهـات والوصـايا فقـال: ((**إنَّك تقـــدم على قـــوم من أهل الكتـــاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعـالى، فـإذ عرفـوا ذلك فــأخبرهم أن الله فــرض عليهم خمس صــلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افــترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غـنيهم فـترد على فقيرهم، فإذا أقـروا بـذلك فخذ منهم، وتـوقَّ كـرائم أموال الناس**)) [3].

ولعل النبي خص معاذاً بهذا دون أبي موسى؛ لأن أبا موسى من أهل البلد، ويعرف طبيعتها وطبيعة أهلها، ثم وصى النــبي معاذاً وأبا موسى معاً فقال: ((**بشِّرا،ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسـرا، وتطاوعا ولا تختلفا**)) [4]، فخرجا مسـتلهمَين هـذه الوصايا، ناصـحين مخلصـين لمن أُرسِـلا إليهم، واتجه كل منهما إلى عمله،وكانا يتزاوران ويتعهد أحدهما الآخر.

---

[1] فتح الباري (8/61).

[2] الحديث والمحدثون (1/385-386) .

[3] البخاري (6/96 – 97) كتاب التوحيد باب ما جاء في دعـوة النـبي أمته إلى توحيد الله،ومسلم (1/196-ـ 197) مع شرح النووي بـاب الـدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

[4] البخاري (3/1104) كتاب الجهاد باب ما يكره من التنـازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه ، ومسلـم (3/1359) كتاب الجهاد والسير باب الأمر بالتيسير وترك التنفير .

فدخل في الإسلام على أيديهما من لم يكن قد أسلم من قبل، وتعلم العلم منهما من كان مسلماً مؤمناً، وعمَّ الإيمــان والعلم أرض الفقه والإيمان.

كما أرسل رسلاً آخـرين لأغـراض مختلفة منهم: علي بن أبي طالب [1]، وخالد بن الوليد [2]، وجرير بن عبدالله البجلي [3]، وخالد بن سعيد بن العاص [4]، وطاهر بن أبي هالة [5]، ويعلى بن أمية [6]، وعمرو بن حزم [7]، وزيـاد بن لبيد البياضي [8]، وعكاشة بن ثـور [9] أجمعين، وكان لهم أعظم الأثر على اليمنيين، وقد لقـوا منهم المحبة والوفاء والتعاون الذي يعزّ مثاله.

المطلب الثالث: مـذاهب اليمنـيين منذ فجر الإسـلام حـتى قيام الدولة الصليحية:

وصل الإسلام إلى اليمن نقياً صافياً لم تشُـبْه أي شـائبة، فلم يدخل على يد مذهب فقهي أو فرقة عقائدية أو طريقة صـوفية كما حصل في بعض البلاد الإســـلامية، وإنما دخل على أيـــدي أصحاب رسول الله سادات أهل السنة وقـدوتهم الـذين أمرنا رسول الله بالرجوع إلى ما كانوا عليه عند الاختلاف [10]، وبقي منهجهم وسـبيلهم محفوظـاً بحفظ الله في هـذا البلد المبـارك إلى اليوم، وإن زاحمه غـيره من المـذاهب والمنـاهج في بعض الفترات، وإن حاولت السلطات المتنفذة في كثير من الأحيــان طمسه وإحلال مذاهبها محله إلا أنها لم تفلح في ذلك.

---

[1] الحديث والمحدثون (3/1724) .
[2] المصدر السابق (3/ 1722) .
[3] ا المصدر السابق (3/1729).
[4] المصدر السابق(3/1729)?
[5] المصدر السابق(3/1729)
[6] المصدر السابق (3/1735)
[7] المصدر السابق (3/1733)
[8] ?تاريخ حضرموت للحامد (1/135)
[9] ? الحديث والمحدثون (3/1732)
[10] وذلك في قوله : ((وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشـدين المهـديين من بعـدي تمسـكوا بها ، وعضـوا عليها بالنواجذ ، وإيــاكم ومحــدثات الأمــور فــإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضـــلالة)) رواه أبو داود (2/611) ،و الترمــــذي (5/44) ،وابن ماجه (1/15) وقـال الترمـذي :هـذا حـديث حسن صـحيح ، وصـححه الشـيخ الألباني في صحيح الترمذي (2/241).

التشيع:

ومن المذاهب التي وصلت إلى اليمن في وقت مبكر التشيع؛ وذلك أن أهل اليمن قد كان موقفهم مع أمير المؤمنين علي واضحاً ومعروفاً، فهم أقوى القبائل التي كانت معه وأكثرها عدداً [1]، ولاشك أن ذلك سوف يعكس نفسه على قبائلهم وأهاليهم الباقين في اليمن؛ ولذلك تحدثت مصادر التاريخ اليمنية عن تعسف بسر بن أرطأة [2] والي معاوية على اليمن،وشدته في معاملة بعض القبائل اليمنية، وبالخصوص قبيلة همدان التي كانت من أكثر القبائل مناصرة لأمير المؤمنين علي حتى نسبوا إليه ذلك البيت الذائع:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام [3]

فالتشيع في اليمن لا يستطيع أحد إنكاره، ولكن أي فرق الشيعة كانت في اليمن في ذلك الوقت؟ يتضح مما مرّ في بحث نشأة الشيعة أن الفرق الشيعية لم تتميز عن بعضها إلا في وقت متأخر، ولذا فإنني أرجح أن التشيع الذي كان موجوداً في اليمن قبل وفود الزيدية والإسماعيلية إنما كان التشيع السالم من الغلو كما سبق وصفه.

نعم هناك إشارة إلى وجود شيعة اثني عشرية في اليمن في حوالي النصف الثاني من القرن الثالث، وذلك عندما ذكر المؤرخون علي بن الفضل الجدني، والذي أصبح زعيم القرامطة في اليمن، فقد ذكروا أنه كان شيعياً اثني عشرياً، وأنه حجّ ثم زار قبر الحسين بعد الحج، وهناك التقى بميمون القداح[4]، كما قيل: إن ابن الفضل أخذ ذلك المذهب في عدن من قوم من الاثني عشرية، لقيهم هناك [5].

---

[1] 2 الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص (17) .

[2] بسر بن أرطأة (ت 86) ، انظر ترجمته : تاريخ بغداد (1/210) ، والسير (3/409) .

[3] الصليحيون في اليمن ص (18) .

[4] 1 كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص (81) ، وقرة العيون في أخبار اليمن الميمون،لابن الديبع الشيباني تحقيق القاضي الأكوع الطبعة الثانية (1409 هـ).

[5] انظر: لترجمة علي بن الفضل وتفصيل فتنته: كشف أسرار الباطنية (81-82و94- 114) ، وقرة العيون ص (131-151) ، وقد تحدث عن هذه الفتنة كل مؤرخي اليمن الذين أرّخوا لهذه الفترة .

قلت: إن صح هذا فالاحتمال بوجود فئة صغيرة في عدن وارد ولم تشتهر، أو يعطها المؤرخون اهتماماً، كما أن هناك احتمـالاً آخرَ، وهو أن أولئك القوم كانوا من التجار الـذين يـنزلون عـدن لفـترة ثم يغادرونهـا، وماعـدا ذلك فإنه لم يـرد تفصـيل عن أي فرقة شيعية واضحة في اليمن في تلك الفترة.

الدعوة الإسماعيلية:

أ- القرامطة:

كـان المـذهب الإسـماعيلي هو أول مـذهب واضح متمـيز من مذاهب الشيعة وصل إلى اليمن، حيث وصل الداعيان: علي بن الفضل الجـــدني، والحسن بن فـــرج بن حوشب [1] إلى مينـــاء غلافقة سـنة (268 هــ) مبعـوثَين من قبل داعية الإسـماعيلية ميمون القداح، غـير أنهما لم يعلنا الـدعوة إلاّ سـنة (270هــ)، وكــانت دعوتهما في غاية السـرية والحيطة والحــذر، ثم أعلن الثـــورة علي بن الفضل وكشف عن وجهه الحقيقي، وفعل ما هو مشـهور في تـاريخ اليمن مما ليس هنا محل تفصـيله إذ لا يتعلق بموضـوعنا، غـير أن المهم أن علي بن الفضل قد سـلك طريق القرامطة أصحاب البحـرين، وكشف عما يعتقـده وفعل ما أمْلته عليه نزواته وأحبه هـــواه، وبـــذلك كـــان أمَـــدُ دعوته قصـيراً، وإن كـان شـرها مسـتطيراً، ولم يقم أحد بدعوته بعد موته والقضاء على دولته [2].

ب _ العبيديون (الفاطميون):

أما الحسن بن حوشب المشـهور بــ " بمنصـور اليمن " فقد بقي محافظاً على تعليـمات ميمـون القـداح، ملتزمـاً بالانتمـاء إليه وإلى ذريته الـتي ملكت المغـرب العـربي، وأنشـأت هنـاك الدولة الإسماعيلية الباطنية، وكان على اتصال مستمر معهم [3]، إلا أن دولته لم تـدم طـويلاً إذ قُضي عليها ككيـان سياسي في

---

[1] أبو القاسم الحسن بن حوشب،المشهور بمنصور اليمن توفي سنة(302هـ)انظر أخباره:افتتاح الدعوة ص (16–37) للقاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي دار الأضواء بيروت الطبعة الأولى (1416هـ -1996 م) ، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ص (37) تأليف شمس الدين علي بن الحسين الخزرجي الأنصاري دار الفكر دمشق ط الثانية مصورة (1401هـ -1981م).

[2] الصليحيون في اليمن ص (48) .

[3] الصليحيون ص (43) .

حياة علي بن الفضل، واضـطر منصـور إلى التخفِّي والبعد عن المعـترك السياسي حـتى مـات سـنة (302 هــ) [1]، ثم عـادت الــدعوة الإسـماعيلية إلى دور السِّـتر والسـرية، وقد رتب لها الدعاة الذين يقومـون بهـا، ويبثـون تعاليمهـا، ويحـافظون على أتباعها، ويواصلون العلاقة مع أصلهم في المغـرب ثم في مصر بطرقهم الذكية المعروفة وذلك من سنة (303-439هـ)، حـتى عــادوا إلى الظهــور حين أمكنــتهم الظــروف، وتهيــأت لهم الأسباب على يد علي بن محمد الصليحي كما سيأتي [2].

هذه هي الفترة الأولى للدعوة الإسماعيلية العلنية في اليمن، وهي لم يكن لها تــأثير ظــاهر في مســألة القبورية حيث لم تتمكَّن من التفـرغ لـذلك، ولم يكن لها من النفـوذ والقبـول ما يمكِّنها من ذلك، بل عاش قادتها محـارَبين ودعاتها مضـطهدين، فلم يسـتطيعوا عمل شـيء مما يتعلق القبوريـة، كما أن هـذه الفرقة لم يكن لها مذهب ظاهر وشائع بين الناس كأي مـذهب من المـذاهب الأخـرى، إلا أنها كـانت أخطر من تلك المـذاهب من حيث تماسك أصحابها والحفاظ على كيـانهم رغم المحاربة الشاملة لهم من كافة فئات الشـعب والحكـام على حد سـواء، مما كــان له الأثر البــالغ في تمكنهم من إعلان دولتهم مــرة أخرى في أيام الصليحي، ثم العودة مرة أخرى إلى السـتر منذ زوال دولة الصليحي إلى يوم الناس هذا.

<u>الزيــدية:</u>

الفرقة الشيعية الثانية التي دخلت اليمن في هذه الفـترة هي الزيديــة، وقد ســبق التعريف بها في المبحث الأول من الفصل الثالث [3]،وكان وصول الزيدية واسـتقرارها في اليمن سـنة أربع وثمانين ومائتــين

---

1 المصدر السابق ص (47).

2 المصدر السابق ص (49- 58) .

3 انظر ص (101).

هجرية [1]، وذلك بوصــول الإمــام الهــادي إلى الحق يحــيى بن الحسين إلى صعدة للمرة الثانية وإقامة دولته هناك، ثم العمل على نشــرها ومواصــلة أبنائه وأحفــاده وبعض الأئمة من أهل الـبيت المعتنقين للمـذهب الزيـدي، حيث اسـتقرت دولة الأئمة الزيدية من ذلك التــاريخ إلى أن أطيح بــآخر إمــام من أئمتها محمد البــدر ســنة (1382هــ- 1962 م) وذلك بقيــام الثــورة وتأسيس الجمهورية العربية اليمنية.

وهــذه الفرقة قد سـخَّرت دولتها وسـلطانها لـدعم عقائـدها ومذاهبها،كما أنها قد طوَّعت فِقهها وأصـولها لمآربها السياسـية [2]، ولكنها بـرغم قِـدَم دخولها وامتـداد فـترة حكمها بما لم تبلغه أي دولة أو فرقة أخــرى، ظلَّت منــــزوية في مــواطن نفوذها السياسي يمتد وجودها بامتداد سـلطانها ظـاهراً ورسـمياً، وأما في البـاطن فـإن النـاس يكرهـون ما تفرضه عليهم، ويهللــون فرحــاً عنــدما ينــــزاح عنهم كــابوس حكمهم؛ ليعلنــوا ما في نفوسـهم من عقائد ومبـادئ، ويزيلـون ما فـرض من شـعارات خاصة بالزيدية، فرضتها السلطة [3].

---

[1] سيرة الهـادي إلى الحق يحـيى بن الحسـين ، وقيـام الدولة الزيدية في اليمن ص (58) د. حسن خضــيري أحمد ، طبع مكتبة مــدبولي بالقــاهرة الطبعة الأولى (1996 م).

[2] انظر: الإمامة وخطرها على وحدة اليمن (16 – 23)، للأستاذ . محمد محمود الزبيري -رحمه الله - طبع دار الكلمة صـنعاء بـدون تـاريخ ، وتيـارات معتزلة اليمن في القـرن السـادس الهجـري (168-172)، للـدكتور علي محمد زيد ،طبع المركز الفرنسي للدراسات اليمنية صنعاء ، الطبعة الأولى (1997م).

[3] ?والأمثلة في ذلك كثيرة وفي نواحي متعددة وانظر : مؤلفات الإمام عبدالله حمزة ستجد منها ما يؤكد ما نقول ، وانظر: كذلك هجر العلم للأكوع (1075/2-1078) .

يقــول القاضي محمد بن علي الأكــوع [1] -رحمه الله تعــالى -: (وكان مذهب الهادي قابعـاً في صـعدة، ومنكمشـاً عليها وعلى بلادها وبعض ظــاهر همــدان، ولم يغــزُ ســنام نجد اليمن وبلاد حجة ومغارب حمير إلا في القرن الحادي عشر الهجري، عندما تمت سيطرة القواسم على اليمن،وتغلبت الأسرة الزيدية على ناصية الأمور، وخلت البلاد من التيارات السياسية التي تجابهها، كما قحط اليمن من قادته ورؤسائه، وأصبحوا قـانعين بالتبعيـة؛ إذ فقدوا كل مقوِّمات الطموح والشعور بأنهم سادة البلاد) [2].

قلت: وذلك في عهد الإمــام المتوكل على الله إســماعيل بن القاسم الــذي وحَّد اليمن الطــبيعي، وفــرض المــذهب الزيــدي على كل من دخل تحت حكمه حــتى في حضــرموت الــتي تعد من أشد البلاد منافرة لمذهبه؛ وذلك لسـيطرة العلـويين الـذين يتبعــون المــذهب الشــافعي والعقيــدة الأشــعرية والمشــرب الصوفي، والذين يتعصـبون لـذلك غاية التعصـب، ولست بحاجة إلى مزيد بسط وتفصـيل عن الزيديـة؛ لما سـبق من شـرح لها في الفصل الثالث من هذا الباب.

وأما قبورية الزيدية فــالحق أن زيدية اليمن لم تكن لــديهم قبورية ظاهرة في هذه الفترة، ولـذلك فسـوف أرجئ الحـديث عن قبور يتهم إلى المطلب التالي إن شاء الله.

الخـوارج:

سبق تعريف الخوارج وهم فرق كثيرة، والفرقة التي اشتهرت في اليمن من فــرق الخــوارج هي فرقة الإباضــية أصــحاب

---

[1] أشهر مؤرخي اليمن في العصر الحاضر ،ألـّف وحقق الكثير من كتب التاريخ وغيرها من نفائس علوم اليمنيين، كان من جملة الثوار الذي زَجّ بهم الإمام في سجن قاهرة حجة ،وبعد الثورة تقلب في عدد من الوظائف الوزارية وغيرها ، وقد عرفته و استفدت منه و أجازني إجازة أعتز بها ،حثَّ فيها على التمسك بالسنة قولاً وعملاً ،والاعتماد على الدليل ونبذ التقليد مما يبين استقامة منهجه رحمه الله رحمة واسعة وقد توفي عام(1419 هـ) انظر: ترجمته: في موسوعة (هجر العلم) لأخيه القاضي إسماعيل (2/870-83)و كتاب " القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي" مؤرخ اليمن الذي صدر بعد وفاته مباشرة وطبع في مؤسسة الثورة للطباعة والنشر عام (2000).

[2] اليمن الخضراء مهد الحضارة ص (106) للقاضي محمد بن علي الأكوع ، طبع مطبعة السعادة بالقاهرة الطبعة الأولى (1391 هـ 1971 م)

عبدالله بن إباض [1]،وهم أخف فــرق الخــوارج انحرافــاً وأقربها إلى السنة [2].

ومعلوم أن نشأة الخوارج كــانت على أثر حادثة التحكيم، وأن علـــياً قــاتلهم في النهــروان عــام (37) أو (38 هـ)،وقتل معظمهم،ولكن الفئة الباقية انتشــرت في البلاد بشــكل خفي، ثم أصــبح كل من حل بــأرض يــدعو أبناءها إلى رأيه، ولــذلك كـثرت الخـوارج مـرة أخـــرى، وأصـبحت قـوة لا يسـتهان بها، وشــكلت مصــدر قلق كبــير للدولة الأموية إلى نهايتها، ومطلع الدولة العباســـية. فهل وصل إلى اليمن أحــــدٌ منهم في بداية أمرهم؟ وهل انتشرت الدعوة الخارجية بين اليمنيين بشــكل أو بآخر قبل العقد الثالث من القرن الثاني؟.

هذا مالا يمكن الجزم به، ولكن هناك إشـارات إلى شـيء من ذلك، منه ما حكـاه الخـزرجي من أن الخـوارج هـاجموا صـنعاء فحـــاول وهب بن منبه قتـــالهم بأهل صـــنعاء، فلم يســـتطع، فصالحهم أهل صنعاء على مائة ألف دينار، فأخــذوها، ورجعــوا، واستعان أهل صنعاء لسدادها بأهل المخاليف، فأعانوهم [3].

ومنها أن عبدالله بن يحــيى الكنــدي [4] زعيم الخــوارج الأول عنـدما أقـام دولته في حضـرموت، كـاتب إخوانه الإباضـية في صـنعاء، فانضـموا إليه [5]، هاتــان الإشــارتان توحيــان بوجــود ما للخـــوارج قبل إعلان دولتهم في شـــبام حضـــرموت ســـنة (128هـ)، وأما البداية الحقيقية المتفق عليها فهي في هـــــــذه السنة.

وملخص قصة الخوارج في اليمن أن عبدالله بن يحيى الكندي - وكان رجلاً من أعيان حضرموت - حج ســنة (127 هــ)، وفي

---

[1] هو عبدالله بن إباض المقاعسي التميمي ، عاصر معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى خلافة عبدالملك بن مروان ، وهو رأس الفرقة الإباضية من الخوارج . انظر : الملل والنحل (1/98) ، و الأعلام (4/61-62)

[2] انظر: لتفاصيل أقوالهم :الملل والنحل للشهرستاني (1/98-99) ، والفرق بين الفِرق ص) 103 –109) .

[3] العسجد المسبوك ص (22) .

[4] عبدالله بن يحيى بن عمر الكندي الحضرمي ، الملقب بطالب الحق ، مؤسس الدولة الإباضية في حضرموت ، توفي سنة (130 هـ) انظر ترجمته : في تاريخ حضرموت للحامد ص (262) ، وصفحات من التاريخ الحضرمي لسعيد عوض باوزير ، طبع مكتبة الثقافة عدن بدون تاريخ .

[5] تاريخ حضرموت للحامد ص (207)

مكة التقى ببعض دعاة الخوارج الذين كانوا يحضـرون المواسم لبث دعوتهم، فكلمـوه في الأمـر، وذكـروا له مظـالم بـني أمية وانحـــرافهم، وأن الـــواجب هو الخـــروج عليهم وإزالة دولتهم وإقامة دولة الحق التي تحكم بالعدل وتعيد الأمـور إلى نصـابها إلى آخر ما ذكر، فقال له عبدالله بن يحيى: (إنـني رجل مطـاع في قـومي، ولو دعـوتهم إلى ذلك أجـابوني إليه). فعاهـده أبو حمزة على ذلك، فعاد عبدالله بن يحيى ومعه أبو حمزة الأزدي إلى حضرموت، وكتب إلى إخوانه أباضية البصرة يشاورهم في الخـروج على الخليفة الأمـوي،فكتبـوا إليـه: (إن اسـتطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعـل، فـإن المبـادرة بالعمل الصـالح أفضل ولست تدري متى يـأتي عليك أجلـك...)، فـأعلن عبدالله نفسه أميراً وبايعه أبو حمـزة وتبعه النـاس في حضـرموت من سـائر القبائل، وقبَضَ على والي بني أمية، وحبسه ثم أطلق سـراحه، وما إن اسـتقرت له الأمـور في حضـرموت حـتى اتجه صـوب مكة، فقدم ومعه زهـاء تسـعمائة وقيل ألف ومائة من أصـحابه يـوم عرفـة إلى صـعيد عرفـة، والنـاس بها يـوم الوقـوف فما شـــعروا إلا بخيل الخـــوارج وعليها الرجـــال معممين رافعين ألــويتهم، فما كــان من أمــير مكة إلا أن ســلّم لهم الأمر دون قتال، وفي يوم النحر دخلوا مكة كذلك، وبذلك صـفت لهم مكة دون أي مقاومــة، ولكن أخبـارهم انتشـرت، واسـتعد لهم أهل المدينـة، وبعد اسـتقرار الوضع في مكة خلّفـوا عليها واليـاً من قبلهم، ثم توجهـوا إلى المدينـة، وكـان أهل المدينة قد جهـزوا جيشاً لمقاومتهم، وكان أكـثر الجيش من عامة النـاس وليسـوا من الجنود المدربين أو ذوي الخبرة بـالحرب، والتقى الجيشـان في منطقة قديد، وهُزِم جيش المدينة هزيمة منكـرة وقتل منه ألفان ومئتان وثلاثون رجلاً [1]

وعلى إثر ذلك دخل جيش الخـوارج المدينــة، واحتلوها ورتبــوا الأمر فيها، وطـارت الأخبـار إلى دمشق، فجهز الخليفة جيشــاً كبيراً وحشد فيه مقاتلين أقوياء مدربين، فسار الجيش الأمـوي صوب المدينـة، وتقـدم جيش الخـوارج باتجـاه الشـام، فـالتقى الجيشان في وادي القرى، فانهزم جيش الخـوارج وقتل قائـده

[1] تاريخ حضرموت ص(209) ، وصفحات من التاريخ الحضرمي ص (50) .

أبو حمزة، ثم واصل الجيش الأموي طريقه إلى المدينة ثم إلى مكـة،ولم يقم له واليهـا، ثم إلى صـنعاء وقد خـرج عبدالله بن يحـيى ومن معه لملاقـاة الجيش الأمـوي في الطريـق، وفعلاً التقيا، وهُزم الجيش الخارجي، وقُتل عبدالله بن يحـيى، وهكـذا واصل الجيش الأمـوي الطريق إلى عاصـمة دولة الخـوارج (شبام)، والتقى بأميرها ومن معه وهزم الخـوارج، وقتل واليهم وفتك قائد الجيش بالحضارم فتكاً ذريعاً، وقتل الرجال والنساء وفعل الأفاعيل، وبهـذا انتهى كيـان دولة الخـوارج ولم يبق لهم نفوذ، غير أن فكرهم وعقائدهم ظلت موجودة ويـدين بها كثـير من أبناء حضـرموت حـتى نهاية القـرن السـادس تقريبـاً، ونشأ لهم كيان غير محدد المعالم أواخر القرن الخامس، قضى عليه الصليحي عنـدما مد نفـوذه إلى حضـرموت، ولم يكن للخـوارج أي دور في انتشار القبورية في اليمن حسب علمي [1].

التصـوُّف:

حتى لا تختلط علينا المفاهيم، يجب أن نفرِّق بين الزهد الـذي دعا إليه الإسـلام، وحث عليه الرسـول ، وحمـده أئمة المسـلمين، ولم يذمه أحد ممن يعتد بقوله، وبين التصـوف الـمُحدَث المجلـوب من خـارج حـدود الإسـلام، والمضـبوط بضوابطه المعروفة، والمحدّد بحدوده الواضـحة، والمبـني على فلسفة خاصة، فهذا لون والزهد الذي جاءت به شريعة الإسلام لـون آخـر، وإن الخلط بين الأمـرين قد أوقع لبسـاً كبـيراً على عوام الناس، واستغلّه دعـاة التصـوف وتزينـوا بـه، بل اتخـذوه درعاً واقياً من سهام الطـاعنين عليهم وعلى فلسـفته الضـالة وبدعهم المحدثة الخارجة عما جاء به الإسلام، فإذا تكلّم متكلم عن مخـازي التصـوف ومثالبه، عارضه المتصـوفة بـإبراز الشخصـيات النظيفة الطـاهرة على أنها أئمته ومؤسسوه،فيذكرون أباذر وأبا الدرداء ، ومن التابعين أويس

[1] انظر: لأخبار الخوارج وقيام دولتهم وانتهائها كلاً من: تـاريخ حضـرموت (1/206 –ـ 213) لصـالح بن علي الحامد ، و صـفحات من التـاريخ الحضـرمي ص (47-55)ـ ، و تـاريخ حضـرموت السياسي (1/64/72) لصلاح عبد القادر البكري، طبع دار الآفاق العربية بالقاهرة ، الطبعة الأولى (1421 هـ - 2001 م) ، و أدوار التاريخ الحضرمي ص (127-140) ، وانظر خبر دولتهم الأخيرة في : صفحات من التـاريخ الحضـرمي ص (66-79) .

القرني، والحسن البصري ومن شابههما، ثم يذكرون مالك بن دينار، والفضيل بن عياض،ومن أهل اليمن: عمرو بن ميمون الأودي، وطاووس بن كيسان اليماني، ووهب بن منبه، ونحوهم، وهؤلاء لا علاقة لهم ألبتة بما أحدث بعد من تصوف مبتدَع فلسفي محتوٍ على إلحاد أصحاب الحلول والاتحاد، ومكائد المتاجرين بالولاية والكرامات.

فإذا بينا هذه الحقيقة، وعرفنا الفرق الواسع بين الزهد بمفهومه الصحيح، وبين التصوف المنحرف، استطعنا أن نجزم بلا أي تردد أن هذه الفترة التي نتحدث عنها لم يكن فيها باليمن شيء مما يصح أن يطلق عليه تصوف بالمعنى الصحيح الدقيق، وبالتالي فليس للتصوف في هذه الفترة أي دور في نشر القبورية.

المذاهب الفقهية:

(كان المذهب السائد في اليمن إلى انتهاء القرن الثالث الهجري هو العمل بالكتاب العزيز والسنة النبوية، ولم يتقيد أهل اليمن حينئذ بكلام واحد من الأعلام، واعتمدوا في دراسة الفقه النبوي على مثل مسند الإمام الحافظ عبدالرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة (210هـ)، وعلى مسند أبي قرة موسى بن طارق الجندي، ومسند عبدالملك بن عبدالرحمن الذماري، ومسند الحافظ محمد ابن يحيى بن أبي عمر العدني، ثم غزت المذاهب العقائدية والفقهية) [1].

ويؤكد ذلك الإمام المؤرخ ابن سمرة الجعدي [2] في "طبقات فقهاء اليمن " حيث يقول: (وكان الغالب في اليمن مذهب مالك وأبي حنيفة، ولم يكن علم السنة مأخوذاً في هذا المخلاف إلا من جامع معمر بن راشد البصري، وهو مصنف في صنعاء، وجامع سفيان بن عيينة، وجامع أبي قرة موسى ابن طارق اللحجي الجندي، ومن المرويات عن مالك في الموطأ وغيره مثل كتاب أبي مصعب، أو عما يُروى عن

---

[1] ? اليمن الخضراء ص (106) .

[2] عمر بن علي بن سمرة الجعدي ، رائد مؤرخي علماء الشافعية باليمن ، صاحب طبقات فقهاء اليمن الذي خصصه لعلماء الشافعية ، ثم صار من بعده من المؤرخين يبنون على ما أسس ويفرعون على ما أصل ، لم تذكر سنة وفاته . انظر : ترجمته لنفسه في مطلع الطبقات ص (13) وما بعدها .

طاووس وابنه وقدماء فقهـاء اليمن الـذين ذكـرت أطرافـاً من فضلهم وشيوخاً من جلهم) [1].

ومن هــذين النصــين يتــبين أن الأصل في أهل اليمن اتبــاع الكتاب والسنة على مـذهب المحـدثين، وبعد انتشـار المـذاهب الإسلامية وصـلت تلك المـذاهب المالكية والحنفية والشـافعية، وأما المــذهب الحنبلي في الفــروع فلم يســجّل له وجــود في اليمن تلك الفـــترة، وكـــان المـــذهب المـــالكي هو أول تلك المــذاهب انتشــاراً ثم الحنفي ثم الشــافعي، وليس للمــذهب المالكي وجود في اليمن الآن، وبقي المـذهب الحنفي في زبيد بشكل محدود، بينما انتشر المذهب الشافعي في عمـوم اليمن بما في ذلك صــنعاء وذمــار وما والاهما حــتى القــرن الحــادي عشر، حينما فرض المذهب الهادوي الـذي يتبنـاه الأئمة الزيدية على تلك النواحي، وانقسمت اليمن بعد ذلك انقسـاماً ظـاهراً، حيث ساد المـذهب الشـافعي اليمن الأسـفل وتهامة وما والاها من البلاد الجبليـــة، والجند ومــاحو لها بما في ذلك معظم مخا ليــف، إب والحجرية كاملة، والبيضــاء وما يلتحق بها، ومــأرب والجوف، هذا فيما كان يعـرف بـاليمن الشـمالي، وأما ما كـان يعرف باليمن الجنوبي فكله شافعي ولاوجود للمذهب الهـادوي فيه، وماعدا ذلك فالسائد فيه المـذهب الهـادوي، وهو يمتد من صــعدة شــمالاً إلى يــريم وما جاورها جنوبــاً مقتصــراً على المنطقة الجبلية إلى مشارف تهامة غرباً.

هذه صـورة مختصـرة للمـذاهب الفقهية الـتي سـادت اليمن، ولكن يجب ألا نغفل حقيقة مهمة، هي أن اتباع الكتاب والســنة والتجرد لهمـا، ونبذ التعصب المـذهبي بل نبذ التمـذهب بشـكل تام بقي مستمراً في اليمن، ولم يلغه وجـود المـذاهب الفقهية وانتشارها، بل ظل حيـاً حاضـراً وإن ضـعف في بعض الأحيـان وخفَتَ صــوته إلا أنه مــازال موجــوداً خصوصــاً في المنــاطق الزيدية، وقد اشــتهر جماعة من المجتهــدين النابــذين للتقليد الذين كان لهم الأثر الطيب على العلم والعلماء، وكانوا نبراســاً مضــيئاً في حوالك الظلم الــتي لبَّدت ســماء الأمة الإســلامية قرونــاً عديــدة، وأصــبحوا أســاتذة الاجتهــاد، والتجديد، وحرية

---

[1] طبقات فقهاء اليمن ص (34)ـ تأليف عمر بن علي بن سمرة الجعـدي تحقيق فؤاد سيد نشر دار القلم بيروت بدون تاريخ.

الـرأي، ورمز الاقتـداء بالسـلف الصـالح ليس في اليمن فقط ولكن في العـــالم كله، حيث تتـــداول كتبهم بل وتصـــبح من المقررات الأساسـية في أشـهر الجامعـات الشـرعية والمعاهد الدينية في العالم الإسلامي، من أشهر أولئك:

1) محمد بن إبراهيـم الوزير [1].

2) صالح بن مهدي المقـبلي [2].

3) الحسـن بن أحمد الجلال [3].

---

[1] هو إمام أهل السنة في زمانه ، بل مجدد الإسلام في اليمن في القرن الثامن محمد بن إبراهيم الوزير مولده سنة (775 هـ) وقد نشأ على طريقة قومه الزيدية المعتزلة ، ثم رغب عنها وتحول إلى الطريقة السلفية ،فبرع في علوم الكتاب والسنة ، واستكمل أدوات الاجتهاد ، واضطهد لذلك ، فصبر ، وصابر ، وألف ، وناظر ، ولو لم يكن له إلا كتابه العظيم العواصم و القواصم لكفى ، كيف وله مؤلفات فائقة كثيرة سواه ، وهو رأس المدرسة السلفية التي مازالت - والحمد لله - قائمة إلى اليوم ، لا يكاد مؤرخ من مؤرخي اليمن إلا وهو يشيد بفضله ، وقد ترجم له من يصعب حصرهم ، وأثنى عليه حتى من يخالفه من الزيدية وغيرهم ، وألفت رسالة علمية بعنوان " ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنة النبوية " ، قدمت لجامعة أم القرى بمكة للشيخ علي بن علي جابر الحربي توزيع عالم الكتب ط الأولى (1417). وانظر ترجمته كذلك : البدر الطالع (1/81-93) ، وهجر العلم للقاضي إسماعيل الأكوع (3/1367-1376) ، والبحث الضافي الذي بعنوان الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم و القواصم في مقدمة العواصم والقواصم (1/7-100) ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت (1418هـ-1992م) للقاضي إسماعيل الأكوع .

[2] صالح بن مهدي بن علي المقبلي ، أحد أعلام علماء اليمن والمجتهدين فيه ، تجرد عن التقليد والتزم الأخذ بالكتاب والسنة ، وله مواقف عظيمة مع مقلدي وقته ، اشتد عليه بسببها الأذى فهاجر إلى مكة ،وهناك ألف بعض مؤلفاته ومنها العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشائخ ، وذيله الأرواح النوافح توفي سنة (1108هـ) . انظر : البدر الطالع (1/288) ، ومقدمة العلم الشامخ للقاضي عبدالرحمن الإرياني (ص أ – د) طبع مكتبة دار البيان دمشق بدون تاريخ.

[3] الحسن بن أحمد الجلال من الأئمة المجتهدين في اليمن ، كبير القدر كثير الإنتاج العلمي ، أثنى عليه الشوكاني -رحمه الله – ثناءً كثيراً وهو في الفقه من الأئمة ، وإن كان لم يتخلص مما كان عليه مجتمعه في الجوانب الأخرى من منهجه ، توفي سنة (1084 هـ) . انظر :البدر الطالع 0(1/191) ، وهجر العلم (1/342) .

4) محمد بن إسماعيل الصنعاني.
5) محمد بن علي الشوكاني.

وغيرهم الكثير، وإن كانوا أقل شهرة منهم؛تضمنهم " البدر الطالع " لشيخ الإسلام الشوكاني، "ونشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف "،وغيرهما من كتب التواريخ والتراجم، وما تزال هذه المدرسة قائمة إلى اليوم، وعميدها وأشهر علمائها في هذا العصر القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني - حفظه الله - وهو في اليمن أشهر من نار على علم.

هذا وأما الاجتهاد الفقهي في المناطق الشافعية فقليل إن لم يكن معدوماً، ولعلّ السبب في كثرة المجتهدين في الجهات الزيدية طبيعة المذهب الهادوي الذي أبقى باب الاجتهاد مفتوحاً، بل حرَّم التقليد في بعض المواضع من أصله، بعكس أتباع المذاهب الأخرى الذين أغلقوا باب الاجتهاد من بعد القرن الرابع، وصاحوا بكل من ادعاه بأنه جاهل متعالم، أو مارق منحرف.

هذا وقد أطلتُ في هذا الموضع لأنني رأيت جمع كل ما يتعلق بالمذاهب الفقهية فيه ولن أعود إلى شيء من ذلك فيما بعد لعدم اقتضاء الموضوع له.

الفرق العقائدية غير ما تقدم:

لقد ذكرنا فيما تقدم فرق الشيعة الإسماعيلية والزيدية وفرقة الخوارج الإباضية، وإكمالاً للبحث ينبغي أن نلمَّ ببقية الفرق التي طرأت على اليمن وعلى أهله الذين مازالوا متمسكين بمنهج السلف الصالح في عقيدتهم إلى اليوم، نعم إن منهج السلف الصالح منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هو الأصل في اليمن، والمناهج الأخرى إنما هي طارئة عليه، وكان هذا المنهج هو منهج الأمة بكاملها حينما كانت الأمة هي الصحابة الكرام وتابعوهم بإحسان، ثم بدأت الفرق الضالة تخرج عن هذا السبيل، وتفارق ذلك المنهج؛ فخرجت الخوارج ثم الروافض ثم القدرية في عهد الصحابة أنفسهم، ثم توالت تلك الفرق في الانحراف ومفارقة المنهج القويم والصراط المستقيم، وقد تفرقت تلك الفرق نفسها إلى فرق فرعية كثيرة جداً، وظهرت فرق جديدة ذات أثر في الساحة الإسلامية؛ منها الجهمية ثم المعتزلة ثم الكلّابية والماتريدية

والأشاعرة،وهذه الثلاث الفرق الأخـيرة في الواقع قد تـبيّن لها ضلال الفرق السابقة عليها وخصوصاً الجهمية والمعتزلة اللتين تشتركان في الانتساب إلى علم الكلام.

وقد حـاول أئمة تلك الفـرق الثلاث العـودة إلى النبع الصـافي والمنهل العـذب، ولكن آثـار علم الكلام لم تمكن الإمـامين ابن كلاب [1]، والماتريـــدي [2] من ذلك، فتخلصا من كثـــير من بـــدع وعقائد الجهمية والمعتزلـة، وبقي لـديهما بعضـها وأخـذا ببعض أصـول السـلف أهل السـنة، وقصّـرا في بعضـها، والله تعـالى يتولاهما، وهو أعلم بما في نفوسهما سبحانه، أما نحن فنـدعوه سـبحانه أن يغفر لهما وللمخلصـين من أتباعهمـا، وأن يتجـاوز عمَّا أخطـآ فيه، ما دام الحامل لهما عليه حب التنـزيه والخشية من التشبيه، ولكن حبنا لهما ورغبتنا الصـــادقة في أن يتجـــاوز الله عنهما لا يجعلنا نصحح مذهبهما ونسكت عن خطئهما.

وأما أبو الحسن الأشـــــعري -رحمه الله - فله ثلاثة أطوار:

الطور الأول: الاعـتزال المحض على طريقة أبي علي الجبّـائي الذي كان متزوجاً بأمه وكافلاً له.

الطور الثاني: تقرير ما كان عليه ابن كُـلّاب وأصحابه.

الطور الثالث: رجوعه الكامل إلى ما كان عليه السلف الصـالح وذلك في كتبـــه: " الإبانة عن أصـــول الديانة "، " ومقـــالات الإسلاميين "، " ورسـالتي إلى أهل الثغر "، وهنـاك من يخـالف في ترتيب الطوْرَين الأخيرين، أو يجعلهما طوراً واحداً [3].

---

[1] هو عبدالله بن سعيد بن كُلّاب القطـان البصـري رأس المتكلمين بالبصـرة في زمانه وإمـام الطائفة المعروفة بالكلابية ، تـوفي سـنة (245) . انظر : السير (11/174)ـ ، وطبقات الشافعية (2/245)ـ ، ولسـان المـيزان (3/360)لابن حجر طبع دار الفكر بيروت ط الأولى (1407هـ - 1987م) .

[2] هو أبو منصـور محمد بن محمد بن محمـود السـمرقندي ، يلقب بإمـام الهـدى وإمـام المتكلمين ، تـوفي سـنة (333 هــ) ، وهو مؤسس المدرسة المشـــهورة بالماتريدية نســـبة إليه ، وله عند أتباعه منزلة عظيمة . انظر : مقدمة كتاب الماتريدية ص (93 – 99) للشيخ أحمد بن عـوض الله بن داخل اللهيبي الحربي ، طبع دار العاصمة بالرياض ، والأعلام (7/19).

[3] انظر لتحقيق تلك الأقـوال والـترجيح فيها : كتـاب موقف ابن تيميه من الأشاعرة ، للـدكتور عبـدالرحمن بن صـالح ابن المحمـود ، طبع مكتبة الرشد بالرياض ، الطبعة الأولى (1415هـ-1995هـ)

لكن عامة من ينتسـبون إليه إنما ينتسـبون إلى ما كـان عليه في الطـور الوسـط، فهم في حقيقتهم كُلَّابية أو قريبـاً منهـا، وليسوا على السنة المحضة الـتي كـان عليها السـلف الصـالح، والتي عرفت فيما بعد خصوصاً بعد محنة القـول بخلق القـرآن عرفت (بمذهب أحمد بن حنبل) أو (بالحنابلة)، ولم يكن الإمـام أحمد -رحمه الله- متفـرداً بهـا، بل هي عقيـدة سـائر أئمة أهل السـنة وأصـحاب الحـديث، وعلى رأسـهم الإمامـان مالك والشافعي وكذلك الإمام أبو حنيفة، إلا ما يذكر عنه في مسـألة الإيمـان، هـذا وإن كثـيراً من علمـاء الحـديث وأئمة الفقه والمفسـرين وغـيرهم هم في الأصل من أهل السـنة وأتبـاع السـلف الصـالح، ولكنهم قد تـأثروا ببعض أقـوال الأشـاعرة أو الماتريدية خصوصـاً في تأويل بعض الصـفات، وهـذا لا يجعلهم أشـاعرة ولا ماتريدية، لأنهم من أهل الحـديث والآخـذين به والمقـدمين له على كل الأصـول، بخلاف الأشـاعرة المتكلمين وكذلك الماتريدية المتكلمين فإنهم يقدِّمون العقل، ويتحـاكمون إلى قواعد المنطق وعلم الكلام مقـدمين ذلك على الكتـاب والسـنة، وهـذا فـارق كبـير بينهم وبين المتمسـكين بالآثـار، والمقدمين للأخبار، والتابعين للسلف الأخيار، الـذين وقعـوا في تقليد أولئك في بعض المسائل[1].

بعد هذه المقدمة المهمة في نظري أعود فأقول: إنه لم يثبت بشكل جلي وجـود للماتريدية أو الأشـعرية في اليمن في هـذه الفترة.

وأما المعتزلة فالصحيح أن الذي أتى بها إلى اليمن هو الهادي إلى الحق يحـيى بن الحسـين سـنة (285هـ)، فالزيدية في العقيـدة معتزلـة، وإن خـالفوا المعتزلة في المنزلة بين المنزلـتين، فجعلـوا مكانها الإمامة، ويقـول بعض البـاحثين: إن اعـتزال زيدية اليمن في بداية أمـرهم كـان على طـريقتهم الخاصة بهم، وليس هو الاعـتزال المعـروف المنسـوب إلى واصل بن عطاء وأتباعه.

---

[1] انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة ص (15 -17)، للدكتورسفر بن عبد الرحمن الحوالي ،طبع مكتبة العلم بالقاهرة (1415هـ-1995م).

وقد ظلت الزيدية على ذلك إلى أن ظهـــرت المطرفيَّة [1]، وانتشـرت، وفشت بين النـاس، وأصـبحت تشـكل قـوة علمية وبشـرية يحسب لها ألف حسـاب، وخصوصـاً أنهم قد خـالفوا السـائد من عقائد الاعـتزال وعقائد الزيدية في أمــور أهمها: مسـألة الإمامة وأنهم لا يحصـرونها في أبنـاء علي ، وإنما من جمع صـفاتها من المسـلمين، فهو أهل لهـا، وكـذلك التفضـيل بمجــرد النسب لا يقرونه، فتــدخلت الغـيرة على العقيــدة مع الغـيرة على المـيزة الـتي اكتسـبها بعض النـاس في مسـألتي الإمامة والنسب، وعند ذلك رغب القـــائمون على المــــذهب الزيدي وعقيدته الموروثة في التصـدي لهـذه الفرقة، وهزيمتها فكريـاً عن طريق المنـاظرة،ولما كـان رجـال المطرفية أكـثر علمـاً وأنضج فكـراً؛ وشـعر الطـرف الثـاني بـذلك؛ رغب في تسليح فريقه برجـال على نفس المسـتوى، بل أقـوى ليحملـوا فكره، ويدافعوا عن أصوله ومبادئه بالطريقة الـتي يريـدها هو، وعنـدما علم الإمـام المتوكل أحمد بن سـليمان أن أحد علمـاء المعتزلة وصل إلى مكة لأداء الحج عــام (540 هـــ) ســارع باستدعائه إلى اليمن، فأجاب إلى ذلك، ووافى الإمام في محل إقامته حينها هجرة محنكة من خـولان صـعدة في مطلع عـام (541هـ)، ومعه كتب الاعـتزال، وبقي في اليمن سـنتين ونصف لنشر الاعـــتزال على طريقة معتزلة البصـــرة، وهي تخـــالف الاعتزال الذي كـان في اليمن من قبل والـذي كـان أقـرب إلى معتزلة بغداد، وقد التقى في هذه الفترة القاضي جعفر بن عبد السلام الأبناوي بالبيهقي [2]، وأخذ عنه علوم الاعـتزال وأسـلوب المحاجة والمناظرة استعداداً لمناظرة المطرفية، ثم لما عــزم

---

[1] الـمُطَـرِّفِيـَّة :هي فرقة من فرق الزيدية منسوبة إلى مطرف بن شهاب من أعلام أواخر المائة الرابعة وأوائل المائة الخامسة ، وكانوا على جانب عظيم من الإقبال على العلم والاشتغال به والإخلاص في الطاعة والعبادة ، حصل بينهم وبين الإمام عبدالله بن حمزة شقاق فقضى عليهم قضاء مبرماً .انظر : الزيدية للأكوع ص (76 – 77) وتيارات معتزلة اليمن ص (187 ، 192) .

[2] هو زيد بن علي بن الحسن البيهقي المعتزلي ، حج سنة (540 هـ) فاستدعاه الإمام أحمد بن سليمان إلى اليمن فوصل صعدة سنة (541 هـ) ومكث يدرس كيب الاعتزال في مسجد الهادي بصعدة سنتين ونصف ثم رحل إلى بلاده فمات في تهامة . انظر : تيارات معتزلة اليمن ص (132 – 134) .

الــبيهقي على العــودة إلى العــراق عــزم معه جعفر بن عبد السلام ليتزود من المنبع الأصلي للاعتزال،غير أن البيهقي مات في تهامة في طريق العـــــودة، فلم يثنِ ذلك عزيمة ابن عبد السلام، بل واصل المسـير إلى العـراق وفـارس، وأخذ في كل بلد حلّه عن علماء المعتزلة فيه [1]، ثم عاد يحمل كتب المعتزلة معـــه، وبهـــذا تكامل وجـــود المعتزلة في اليمن، بل إن من البــاحثين من يــرى أن المعتزلة لم تــدخل اليمن إلا من ذلك التاريخ.

ولكن الحق أن الـذي دخل في ذلك التـاريخ هو فكر وعقيـدة معتزلة البصــرة الـتي تخـالف الاعـتزال الـذي ظل قائمـاً في المجتمع منذ دخل الهــادي إلى أن ظهر جعفر بن عبدالســلام في أيام المتوكل على الله أحمد ابن سليمان المتـوفى سـنة (566 هـ) [2].

المطلب الرابع:استمرار منهج السلف الصالح رغم مزاحمة المناهج المختلفة له:

لقد تكفل الله بحفظ دينه وكتابه الكريم، فقال جلّ من قائل:] **إنا نحن نزلنا الـــذكر وإنا له لحـــافظون**[[3]، ومقتضى حفظه أن يبقى ظاهراً قائمـاً، وأن تقـوم به طائفة تمثله بحق، وتعمل به بصــدق، وتــدعو إليه بــإخلاص، على وفق ما نــزل الكتاب وما بلغ الرسول ووفق ما فهمه الصحابة الكـرام من الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصـان أو انحـراف، وقد أكد هـذا المعنى الرسـول في قولـه: ((**لا تزال طائفة من أمـتي على الحق ظـــاهرين لا يضـــرهم من خـــذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**)) [4].

وإذا كان هذا الوعد يشمل جميع بلاد الله التي يظللها الإسلام، فـإنَّ يمن الإيمـان والحكمة من أحق البلاد بتحقيق هـذا الوعـد، وبالفعل فإن تاريخ اليمن لمليء بالأدلة على هذه الدعوى، فلم يخلُ جانب من جـوانب منهج أهل السـنة والجماعة ممن يقـوم

---

[1] ملخص من تيارات معتزلة اليمن ص (132-135) .

[2] انظر الصــلة بين الزيدية والمعتزلة ص (71)ـ ، للــدكتور أحمد عبدالله عـــارف ، طبع المكتبة اليمنية صـــنعاء ودار أزال بـــيروت ، الطبعة الأولى (1407هـ –1987 م).

[3] سورة الحجر آية (9) .

[4] تقدم تخريجه ص (73)

به،ويدافع عنه طوال التاريخ اليمني، أو على سبيل الاحتياط في معظم مراحل التاريخ.

وإذا كان قد مرَّ بنا أن غالب القرون الثلاثة كان الظاهر فيه مذهب أهل السنة والجماعة في اليمن، فإن الفترات اللاحقة لم تشهد غياباً كاملاً لهذا المذهب، وإنما قد يضعف، ويضايق، ويضطهد دعاته في بعض الأحيان، ثم لا يلبث أن يظهر، وما إن تُرفع الحجب، وتزال العقبات من أمامه حتى يهرع الناسُ إليه، يتسابقون عليه، ويسيرون تحت لوائه، وذلك أنه الوحيد المنسجم مع الفطرة والذي تميل إليه الأنفس والقلوب التي لم تعمَ بظلمات البدع، ولم يعكر عليها غبار الشبهات، ومن الأدلة الناصعة على أن منهج السلف الصالح هو المنهج المنسجم مع الفطرة السليمة أن جميع المذاهب الوافدة على اليمن لم تظهر، وتنتشر بين الناس إلا في ظل دول قوية وسلطات قاهرة، ماعدا منهج أهل السنة والجماعة فإنه يقوم بنفسه، وينتشر بما جعل الله فيه من عوامل البقاء والخلود والانتشار، وسيظهر ذلك مما سنورده في المباحث القادمة عند الكلام على تلك المناهج.

وإذا علمنا أن الأصل الذي كان عليه أهل اليمن هو مذهب أهل السنة والجماعة وأن المذاهب الأخرى إنما طرأت عليه، فإن المعروف المقرر هو بقاء ما كان على ما كان حتى يثبت خلافه، ولم يثبت أن مذهباً من تلك المذاهب الوافدة قد طبق اليمن قاطبة، ولم يدّعِ أحد من أهل تلك المذاهب ذلك، وهذا وحده يكفي دليلاً على استمرار مذهب السلف الصالح وعدم انقطاعه إلى يومنا هذا.

وهذا ما نلمحه جلياً في كلام المؤرخين، والشهادة الأولى لمؤرخ زيدي هو يحيى بن الحسين ابن القاسم في طبقات الزيدية حيث يقول: (قلت: وكان اليمن في هذا التاريخ – وهو سنة أربعمائة إلى خمسمائة - فيه اختلاف شديد في المذاهب، واضطراب وفتن وشبه يوردها كل فريق، فكان فيه الزيدية فريقين: مخترعة ومطرفية، وفي اليمن الأسفل حنبلية وشافعية، ولما كان رأس خمسمائة فما بعدها غلب على اليمن الأسفل مذهب الأشعري لما خرج من الشام مع بني أيوب، فإنهم أخرجوا معهم " المقالة القدسية " أول إحياء علوم

الدين في عقيدة الأشعري فمـال إليه أكـثر الشـافعية في ذلك الــوقت؛ لأن الأشــعري في ثلاثمائة ســنة وكــانت وفاته أربع وعشـرين وثلاثمائة... ثم اختلفت الشـافعية بـاليمن فمنهم من قال بمقالة أحمد بن حنبل بأن المتشـابهات تمر من غـير تأويل مع اعتقـاد أن الله ليس كمثله شـيء، واحتجـوا بقـراءة الوقف على قولـــه:]**وما يعلم تأويله إلا الله** [[1]، ومنهم من تـــأول ذلك كما يقــول الأشــعري، وجــرت بينهم منــاظرات في ذلك الـزمن لاسـيما العمـراني الشـافعي صـاحب " البيـان " على مــذهب الشـــافعي فإنه بنى على أصـــول أحمــد) انتهى محل الغـــرض منه [2]، وقد عقَّب القاضي الأكـــوع على هـــذا الكلام بقولـه: (ورغم هـذه التيـارات المتعاكسة المتضـاربة فقد ظل اليمن صــامداً أمــامهم لم تــتزعزع عقائــده أو يهــدم بنيانه المـتراص إلا بعد فـترة متراخية، ثم ذكر نحـواً مما ذكـره في كتابه اليمن الخضراء ونقلناه سـابقاً [3]،ثم قـال: (هـذا هو العمل الســـائد في العقائد والمقامـــات في عمـــوم اليمن ماعـــدا حضرموت فالغالب عليها مذهب الخوارج.

ولما تغلغلت هــذه المــذاهب في النفــوس بطبيعة التفاعل والامتزاج انبثق عنها في القرن الرابع الهجري مذاهب متشـعبة فمن حنفية إلى مالكية إلى شـــافعية إلى هادوية في صـــعدة، والمذهب السـائد هو مـذهب السـلف الـذين لا ينتمـون إلى أي إمام من أئمة المذاهب) [4].

ويقول شيخ الإسلام الشـوكاني -رحمه الله تعـالى-: (ولا ريب أن علمـــاء الطوائف لا يكـــثرون العناية بأهل هـــذه الـــديار لاعتقادهم في الزيدية مالا مقتضى له إلا مجـرد التقليد لمن لم يطلع على الأحــوال، فــإن في ديــار الزيدية من أئمة الكتــاب والسنة عدداً يجاوز الوصـف، يتقيـدون بالعمل بنصـوص الأدلة، ويعتمدون على ما صح في الأمهات الحديثية، وما يلحق بها من دواوين الإسلام المشـتملة على سـنة خـير الأنـام، ولا يرفعـون

---

[1] آل عمران(7) .

[2] طبقات الزيدية مخطوطة ، بواسطة مقدمة السلوك في طبقات العلماء والملوك ص (34) للقاضي بهاء الدين الجندي ، الطبعة الثانية (1416هــ - 1995م) مكتبة الإرشاد صنعاء ، والمقدمة للقاضي الأكوع.

[3] انظر : ص (183)

[4] المصدر السابق (1/ 33) .

إلى التقليد رأساً، ولا يشوبون دينهم بشيء من البدع التي لا يخلو أهل مذهب من المذاهب من شيء منها، بل هم على نمط السلف الصالح في العمل بما يدل عليه كتاب الله وما صح من سنة رسول الله مع كثرة انشغالهم بالعلوم التي هي آلات علم الكتاب والسنة من نحو وصرف وبيان وأصول ولغة مع عدم إخلالهم بما عدا ذلك من العلوم العقلية، ولو لم يكن لهم من المزية إلا التقيَّد بنصوص الكتاب والسنة وطرح التقليد،فإن هذه خصيصة خص الله بها أهل هذه الديار في هذه الأزمنة الأخيرة، ولا توجد في غيرهم إلا نادراً) [1]..

وفي القرن الرابع نرى من يحمل منهج أهل السنة والجماعة ومذهبهم، ويرد على من خالفهم، فهذا الحسين بن عبدالله المراغي له كتاب يردّ به على المعتزلة باسم " الحروف السبعة في الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الضلال والبدعة " وقد عاش آخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع حيث توفي سن (324هـ) [2]، وهو وافد على اليمن وليس من أهلها، ولكنه استقر بها، وصار له أتباع أخذوا عنه ذلك المذهب الذي كان في الأصل موجوداً قبل وروده [3].

وفي القرن الخامس يمر بنا الفقيه عبدالله بن يزيد اللَعفي، قال الجندي: (له تصانيف على معتقد السلف)، وكان يعيش في القرن الخامس ووفاته (بعد خمسمائة بيسير) [4].

وفي القرن الخامس أيضاً كانت مدرسة الإمام زيد بن عبدالله اليفاعي [5]، وهي مدرسة عظيمة جليلة، يدرس فيها فنون مختلفة، ومن أعظمها علوم العقيدة على مذهب السلف الصالح والفقه على مذهب الإمام الشافعي -رحمه الله-، وكان أصحابه فوق ثلاثمائة متفقه في غالب الأيام، حتى لقد خشي منه ومن أتباعه وأتباع شيخه أبي بكر بن جعفر المحابي أمير الجند من قبل الصليحي، فعمل الحيلة للإيقاع بين الشيخين

[1] البدر الطالع (2/83) .
[2] طبقات فقهاء اليمن ص (83) .
[3] انظر: السلوك (1/232) .
[4] المصدر السابق (1/ 251) .
[5] زيد بن عبدالله اليفاعي ، من فقهاء الجند السائرين على منهج السلف الصالح في الأسماء والصفات ، صاحب مدرسة متميزة في الفقه وله أتباع وتلاميذ كثيرون توفي (514هـ)،طبقات فقهاء اليمن ص (119) ، هجر العلم (4/2377) .

وأتباعهما؛ مما اضطر الشيخ زيد للرحيل إلى مكة تجنبــاً للفتنة [1].

وعاصـــره وكــــان على نفس المنهج الإمــــام زيد بن الحسن الفايشي [2]، غــير أن الأول كــان بالجند والثــاني بالجعــامي من أعمال إب، وتوفي سنة (528هـ) وقيل (527هـ) [3] -رحمه الله- وفي مدرستيهما كان يدرس علم التوحيد على مـذهب السـلف الصالح - رضوان الله عليهم - وعنهما وعن غيرهما من العلمـاء أخذ الإمام يحـيى بن أبي الخـير [4] ذلك المـذهب [5]، والإمـام ابن أبي الخير هو رأس أهل السنة في اليمن في القرن السـادس، فقد تبنـــاه ودافع عنه وكـــافح وألّف ونـــاظر وخـــرّج الطلاب عليـه،وقد عــني بــالرد على المعتزلة حين وفــودهم إلى اليمن يمثلهم القاضي جعفر بن عبد السـلام المعـتزلي فـألّف كتابه " الانتصار في الرد على القدرية الأشرار "، ثم ظهرت الأشـاعرة فأضـاف - رحمه الله - إلى ما ذكــره في الانتصــار من مسـائل القدرية مـــذهب الأشـــعرية والــــرد عليهم، قـــال ابن سَـــمُرة: (فأجحف فيه على الأشعرية وقطع حلوقهم وأفحمهم خصوصــاً بذلك من يقول[: **مــــا أنــزل الله عــــلى بشـــــــر من شيء** { [6].

ففــرح الفقهــاء بكتابه " الانتصــار " وانتســخوه ودانــوا به واعتقدوه) [7].

---

[1] انظر: طبقات الفقهاء ص (120) ، والسلوك (1/263) .

[2] هو زيد بن الحسن الفايشي ، من فقهاء الشافعية المنتمين لمذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات ، كبير القدر عظيم الأثر في منطقة الجعامي بإب توفي سنة (528 هـ) انظر ترجمته : طبقات فقهاء اليمن ص (155)،وهجر العلم (1/389).

[3] انظر: السلوك (1/285 – 287) وهجر العلم (1/391 – 392) .

[4] هو يحيى بن أبي الخير العمراني ، إمام شهير من أئمة علماء اليمن ، إمام في الفقه وهو صاحب كتاب " البيان" الشهيرالذي اعتنى بطبعه قاسم محمد النوري وطبع الطبعة الأولى بدار المنهاج بيروت سنة (1421هـ -2000م) ، وإمام في السنة على منهج السلف الصالح ، رأس علماء الحنابلة في اليمن وصاحب كتاب" الإنتصار في الرد على القدرية الأشرار " الذي حققه سعود بن عبد العزيز الخلف وطبع بدار أضواء السلف بالرياض الطبعة الأولى سنة (1419هـ -1999م) .

[5] انظر: طبقات الفقهاء ص (175 – 177) .

[6] الأنعام(91).

وقال ابن سمرة قبل ذلـك: (وكـان الإمـام يحـيى قد سـمع في مدرســـتي الشـــيخين الإمـــامين زيد بن حسن الفايشي وزيد اليفـاعي " كتـاب التبصــرة " في علم الكلام وأصــول الــدين تصنيف أبي الفتوح [1] على مذهب السلف الصـالح، وهما ينقلانه جميعاً عن الشيخ أبي نصر البنـدنيجي مصـنف " المعتمد " في الخلاف، فإنهما صحباه جميعاً في مكة، وعن الإمـام يحـيى أخذ مشايخنا " التبصرة " في أصـول الـدين ورويناها عنهم وكـان - رحمه الله - يُسمعها في مدرسـته، ويعلمها من طلبهـا، فنـاظر الشــريف العثمــاني وهو أشــعري، ونصر مــذهب الحنابلة أهل السنة) [2].

وقد ملأ أطـراف اليمن أصـحاب وتلاميذ الإمـام يحـيى بن أبي الخـير، ونشـروا ما أخـذوا عنه في كل مكـان حلّـوا فيـه، ومن أشـــهر من خلفه في ذلك الطريق الفقيه مســـعود بن علي بن مسعود العنسي [3]،وقد كـان شـديد الغـيرة على ذلك المـذهب، حـتى أنه عنـدما أظهر طـاهر بن يحـيى بن أبي الخــير القــول بمذهب الأشاعرة بعد موت أبيه، غضب لذلك، وقـام فيه قيامـاً حســناً، وألّف في الــرد عليــه، قــال الجنــدي وهو يتكلم على انحــراف طــاهر ونقض توبته الــتي أعلنها في حيـاة أبيه أثنــاء ترجمته لسـيف السـنة الـبر يهي: (ولـذلك أجمع الفقهـاء على هجـره والإنكـار عليه مشـافهةً ومراسـلة ومكاتبـةً، وكـان من أعظمهم في ذلك القاضي مسعود، ولهذا في الــرد عليه كتـاب كبير وأخباره يطـول ذكرهـا) [4]، وبهـذا تعـرف غـيرة هـذا الفقيه على مذهب أهل السنة، وليس وحده ولكن أجمع جميع الفقهاء الحضارين في ذلك الوقت على ما أبـدى على طـاهر بن يحـيى بن أبي الخــير من الإنكـار والهجـر، ثم تسـلمت الراية مدرسة

---

[7] طبقات الفقهاء ص (181) وقد أخرج كتاب الانتصار وطبع بعد أن حقق وقدم رسالة جامعية للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

[1] انظر ترجمته : طبقات الفقهاء ص (91) والسلوك (1/230)

[2] طبقات الفقهاء ص (177) .

[3] مسعود بن علي العنسي أحد كبار أصحاب الإمام يحيى بن أبي الخير والسائرين على منهاجه منهاج أهل السنة ، وله في ذلك مواقف مشهورة ومؤلفات في الرد على من خالف مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات ، توفي سنة (604 هـ) .انظر ترجمته : طبقات فقهاء اليمن ص (216) ، وهجر العلم (2/731) .

[4] السلوك (1/322) .

أخـرى هي مدرسة الإمـام سـيف السـنة أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله البر يهي السكسكي.

قـال الجنـدي: (وله كتب عـدة في الأصـول، يـرد بها على المعتزلة والأشعرية، وكان كبـير القـدر، شـهير الـذكر، صـاحب كرامات عديدة، وكتب مفيدة) [1]، وقد حذا طلابه حذوه في الرد على الأشاعرة وغيرهم [2]، وبأصحاب الإمـام الـبر يهي نقطع أن مذهب أهل السنة كان ظاهراً قويـاً إلى ما بعد منتصف القـرن السابع، أي إلى بعد دخول الأيوبـيين إلى اليمن بنحو مائة سـنة حيث كان دخولهم سنة (569هـ) [3].

وبعد منتصف القرن السابع بدأت تقل المعلومـات عن وجـود قائمين بمذهب السـلف، ولكن مـذهب السـلف الصـالح ما كاد ينحسر عن المنـاطق الشـافعية حـتى لمع نجمه زاهـراً مضـيئاً في المنـــاطق الزيدية على يد مفخـــرة اليمن الإمـــام العظيم محمد بن إبراهيم الوزير الذي عـاش في أواخر القـرن الثـامن وأوائل القـرن التاسع، فقد جـدد هـذا الإمـام العظيم مـذهب السـلف الصـالح في تلك المنـاطق، وأشـاد أركانـه، وأوضح معالمه؛ مما جعل كتبه مرجعاً لأهل السنة وعلماء السلفية في مختلف بلاد العالم الإسلامي، رغم ما لاقى في سـبيل ذلك من محن وأذى، قابلها بالصبر والاحتساب وسـعة الصـدر والإصـرار على التمسك بالحق الذي آمن به.

وقد كتب الله له النجاح في دعوتـه، وأثمـرت جهـوده بإنشـاء مدرسة علمية سـلفية، راسـخة القواعد طيبة الثمـار، مـازال سـبيلها معمـوراً إلى الآن، وقد سقنا الحـديث عنها في هـذا المبحث، والغـــرض هو تقرير أن منهج السـلف الصـالح في العقيدة مازال موجـوداً حاضـراً فـاعلاً في اليمن منذ أن دخلها على يد معـــاذ وأبي موسى - رضي الله عنهما - إلى اليـــوم، وذلك تصديقاً لقـول النـبي ﷺ: ((**لا تزال طائفة من أمـتي على الحق ظـاهرين لا يضـرهم من خـذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**))[4]0

---

[1] انظر ترجمته : طبقات فقهاء اليمن ص (190) والسلوك (1/318).

[2] انظر:ترجمة صاحبه وتلميذه محمد بن مضمون بن عمر بن أبي عمران في هجر العلم (3/2134)،وقد توفي سنة (663)

[3] انظر: قرة العيون ص (265) .

[4] تقدم تخريجه ص (73) .

المبحث الثاني
الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في ال

المبحث الثاني

الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: طوائف الإسماعيلية التي دخلت اليمن:

سبق في المبحث الأول أن الإسماعيلية التي دخلت اليمن فصيلان: أما الفصيل الأول فهم القرامطة، ويمثلهم علي بن الفضل الجدني، وقد انتهى هذا الفصيل بانتها ء دولة علي بن الفضل وابنه الفأفاء سنة (304هـ) كما سبق على يد آل يعفر الحواليين السُنيين.

وأما الفصيل الثاني فهو المنتمي إلى العبيديين أصحاب الدولة الفاطمية بمصر، وكان يمثل هذا الفصيل منصور اليمن.

وحينما قضى أهل السنة على الدولة الإسماعيلية ككيان سياسي، وانتهى بذلك أثر علي بن الفضل، لم ينتهِ أثر ابن حوشب أو منصور اليمن، بل إنه عهِدَ بالدعوة من بعده إلى من يقوم بها كما سيأتي في المطلب الثالث، ولكن الذي يهمنا هنا أن الإسماعيلية في مصر في آخر عهد الدولة العبيدية انقسمت إلى قسمين: مستعلية، ونزارية، تبعاً للإمام الذي تبعته كل فرقة منها، وذلك أنه بعد موت الخليفة " المستنصر "

اختلف على من يخلفه في الإمامة، فبايع قوم ابنه الأكبر "نـزار " وهم النزاريـــة، وبــايع قـــوم آخـــرون ابنه الأصــغر " أحمد " وسموه " المستعلي " وهم المستعلية، والـذي يهمنا أن الـذين في اليمن من الإســماعيلية ومنهم الصـليحيون هم من فرقة " المستعلية " [1].

ثم انقسمت المستعلية باليمن إلى قسمين همـا: " الداودية " أتباع الداعي " داهود قطب شاه " والسليمانية أتباع " سـليمان بن حسن "، فالداودية هم البُهرة، والـــــذين ولاؤهم للزعامة الإسماعيلية بالهند، وهم الظاهرون والذين ينصــبُّ الكلام عنهم كلما ذكـرت الحركة الإســماعيلية المعاصـرة، وهم أشد تطرفـاً وأكـــثر قبوريـــة، وأما الســـليمانية فهم الـــذين يطلق عليهم المكارمة وولاؤهم لـزعيمهم المتواجد بنجـران، وهم أقل عـدداً وأثراً من البهرة [2].

المطلب الثـاني: لمحة عن الدولة الصـليحية مؤسسة القبورية في اليمن:

بعد مـوت ابن حوشب أو منصـور اليمن، ظل التواصل جاريـاً بين خليفته في اليمن عبد الله ابن عبـــــاس الشـــــاوري وبين المهدي " المزعـوم " القـائم بـالمغرب، وكـان قد وصل تكليف رسمي من المهدي للشاوري بالقيام بـأمر الـدِّعوة، وفعلاً قـام بهـا، ولكن الحسن بن منصــور اليمن لم يســلِّم لــه، وأحب أن يكـون هو قائمــاً مقـام أبيـه، وتـربص بالشـاوري حـتى أمكنته الفرصة فـوثب عليه فقتلـه، ثم أعلن نفسه قائمــاً مقـام أبيـه، وتتبع من كان مع الشاوري فقضى عليهم.

ثم أعلن تخليه عن مـــذهب أبيه ورجوعه إلى مـــذهب أهل السنة، وكان قد قضى على معظم الرجال البارزين من أعـوان أبيه، ولم يبق إلا من أمكنه الاســتتار، وكـان من هـؤلاء: يوسف

---

[1] الإسماعيلية لإحسان الهي ظهير ص (735-736) .

[2] الفرقة الباطنية الإسماعيلية (رؤية من الـداخل) قـراءة جديـدة وحقـائق معاصــرة وهـذا الكتـاب مصـفوف بـالكمبيوتر ولم يطبع بعد ،وفيه حقـائق عظيمة جـــديرة بـــالاطلاع و الاعتبـــار بما فيها قبل أن تفـــوت الفرصة ويقع الفأس في الرأس ، ومؤلفه يبدو أنه انتحل اسـماً مسـتعاراً هو (علـوي طه الجبل) ويحق له ذلك ؛ لما يخشى عليه من شر وكيد تلك الطائفة ، وكـــان من المفيد أن يعجل بنشره بين الناس .

بن موسى ابن أبي الطفيل فقـام بـأمر الـدعوة، ثم قـام بعـده جعفر بن أحمد بن عبـــــاس ثم عبدالله بن محمد بن بشر ثم محمد بن أحمد الشـــاوري ثم هـــارون بن محمد بن رحيم ثم يوسف بن أحمد بن الأشج ثم ســليمان ابن عبدالله بن عـــامر الزواحي، وكان هذا الرجل عظيم الجاه كثـير المـال، فكلما همَّ به أحد من الناس رد عليه قـائلاً: (أنا رجل مسـلم، أقـول: لاإله إلا الله محمد رســول اللـــه، فكيف يحل لكم دمي ومـــالي؟ فيمسكون عنه)،وهو الذي سلم الأمر إلى الصليحي.[1].

وكـان أبو الصـليحي محمد بن علي الصـليحي قاضـياً سـنياً فاضلاً ذا مكانة في قومه، وكـان الشـاوري يـزور هـذا القاضي الفاضــــل، فلحظ ابنه وما عليه من مخايل النجابة والـــــذكاء والشـجاعة وغيرها من مـؤهلات القيـام بالـدعوة بل بالإمـارة، فكان يجالسه، ويفضي إليه بالدعوة، ويرغبه فيها حتى أقنعه.

ولم يتعجل الشاب علي بن محمد الصليحي الأمـر، ولكنه بـدأ يمهد لنفسه بخطوات وئيدة ثابتة، فأخذ يحج بالناس عن طريق السراة والطـائف لمـدة خمسة عشر عامـاً حـتى شـاع ذكـره، وظهرت شخصيته، وعرف مكانـه، وكـان قد تـردد على ألسـنة الناس أن ذلك الشـاب سـوف يملك اليمن، فكـان يسـمعه من كثير من الناس ولكن يجيب باستبعاد ذلك، وإن كان في قـرارة نفسه يتـوْقُ إليه ويزيد تصـميماً على بلوغـه،وعنـدما حضـرت الوفاة سـليمان الـزواحي أوصى بكتبه وأموالـه، وكـانت كثـيرة لعلي ابن محمد الصـليحي، فـانكب على تلك الكتب، فقرأهـا، وفهمهـا، وصـار من العلمـاء بما فيهـا، وبعد أن بث دعوتـه، واسـتجاب له أعـداد كبـيرة من النـاس، أعلن ثورته وتبعيته للخليفة الفـاطمي " المستنصر بالله "، وذلك من جبل مســار سنة (439هـ) [2].

وهكـذا تأسست الدولة الصـليحية، وما زال الصـليحي يتوسع حتى ملك اليمن كله، ولم يكتف بذلك، بل أدخل الحجـاز ضـمن دولتـه، وملك مكة وما والاهـا باسم الفـاطميين، وبعد مكاتبـات مع خليفته في مصر ولّى العهد لابنه محمــد، ولكنه ما لبث أن

---

[1] الصليحيون ص (49- 58)

[2] المفيد من أخبـار صـنعاء وزبيد ص (95-ـ 100) تـأليف عمـارة بن علي اليمــني ،طبع دار الســعادة بالقــاهرة ،الطبعة الثانية (1396هــ - 1976م) .

مات مبكراً في حياة أبيه، فأُخبر الخليفة بذلك وطلب أن يقـوم بولاية العهد ابنه الآخر المكرم أحمـد، فوافق الخليفة على ذلك .[1]

وفي سـنة (459هـ) عـزم على الحج، وأخذ معه من الأمـوال والنفائس مالا يقدّر بثمن، كما حمل معه جميع الملوك والأمراء الذين أجلاهم عن الملـك، وحبسـهم لديـه؛ خوفـاً من تمـردهم، أخذهم جميعـاً معه إلى الحج، وعـددهم خمسـون ملكـاً، وتـرك ابنه ولي العهد بصـنعاء، وسـار من طريق تهامة في مـرافقين آخرين، وكان في موكبه ألفا فارس، غير أن أولئك الفرسان لم يكونوا مرافقين له، وإنما كان قد قدّمهم أمامـه، وسـار هو في مجموعة صغيرة من آل الصليحي وبعض المقربين [2].

وكـان من جملة الموتـورين منه آل نجـاح حكـام زبيد الـذين أزالهم عنها، وسلبهم دولتهم؛ فكانوا يتربصون به الـدوائر، فلما علموا بسفره رصدوه، ثم تجهـزوا في جهـاز غـير طائـل، ولكنّ توفيق الله صحبهم، ونصره تنـزل عليهم ففاجأوه بمنطقة يقال لها "المهجم" من تهامـــة، فـــأعملوا في معســـكره ســـلاحهم البسيط، فقتلوه، وقتلوا أخاه، وغنمـوا جميع ما في المخيم من أموال ومجوهرات ونفائس وسلاح وخيل وغير ذلـك، ثم احـتزوا رأسه ورأس أخيـــه، وحملوهما مع النســـاء اللاتي أســـروهن، ومنهن أســـــماء بنت شـــــهاب زوجة الملك علي بن محمد الصــليحي وأم أولاده، وقد نصــبوا رأس الصــليحي وأخيه على رمحين، ووضـعوهما أمــام أسـماء على الراحلــة، ثم بعد ذلك نصـبوهما أمـام الطـاق الـذي تسـكنه بحيث كلما نظـرت من الطاقة رأتهما أمامهـا، وتم لسـعيد الأحـول النجـاحي وإخوانه الاستيلاء على زبيد وإقامة الدولة النجاحية السنية هناك، وكـان قتله يوم السبت الحادي عشر من ذي القعـدة سـنة (459هـ)[3] ودام الأمر لبني نجاح سنة واحدة، وقيل أقل من ذلك [4].

في أثنـــاء ذلك كـــانت أم الملك المكـــرم قد هـــرَّبت إليه رسالة،تحثه فيها على العمل على فك أسارها، وبالغت في ذلك

---

[1] الصليحيون ص (95- 98) .

[2] المصدر السابق ص (99) .

[3] المفيد من أخبار صنعاء وزبيد ص (126-127) .

[4] المصدر السابق ص (128) ، وانظر : التعليق رقم (1) على نفس الصفحة

حتى قالت في الرسـالة: (أنها حبلى من العبد سـعيد الأحـول)، ولم يكن شيء من ذلك، وإنما قصـدها حثه على الإسـراع حيث قـــالت: إن تـــأخرت عن إطلاقي تمت الفضـــيحة حين ألد بولد لـذلك العبـد، واسـتغلَّ المكـرم تلك الرسـالة أحسن اسـتغلال، فكـان يقرأها على النـاس في المسـاجد والمجـامع، ويثـير بها نخـوتهم، فـألّب النـاس، وجهز لاسـتعادة زبيـد، وفك أسر أمـه، وسار في عشرة آلاف شخص حـتى داهمـوا زبيـد، واقتحموهـا، وهزموا بني نجاح ومن معهم، ويمم المكرم تحت الطاق الـــذي فيه أمه، فأطلقها، وأنزل الرأسين المنصوبين أمام ذلك الطاق، فغسـلهما، ودفنهما في زبيـد، وبـنى عليهما مشـهداً، هو ثـاني مشهد يثبته التاريخ في اليمن [1]، وعند عودته مرّ بالمكان الـــذي قتل فيه أبـــوه وعمـــه، فأخذ جثتيهما معه إلى صـــنعاء [2]،وبـــنى عليهما مشهداً في صنعاء، ثم حاول استعادة ملك أبيـه، فـأفلح في البعض، وأخفق في البعض الآخر.

وكـان قد أصـابه الـريح حين كشف عن وجهه أمـام أمه[3] في زبيد، وبقي مريضاً بذلك، ولكنه بقي ماسكاً بزمام الملك حـتى مـاتت أمه أسـماء سـنة (479 هــ)، بعد ذلك فـوّض الأمر إلى الملكة السيدة بنت أحمد الصليحية، وهي الـتي يسـميها العامة وأشـباههم " الملكة أروى "، ثم انتقلا إلى ذي جبلة من مخلاف جعفر، وهو الذي يسمى اليوم " إب ".

وفي عـام (484 هــ) مـات المكـرم، فأسـند أمر الـدعوة إلى الأمـير أبي حمـير سـبأ بن أحمد بن المظفر الصـليحي، وبقي الملك بيد السـيدة بنت أحمد حـتى مـاتت سـنة (532 هــ)، ودفنت في جـامع جبلة يسـار القبلـة،وقيل أن قبرها كـان في موضع خاص قد استثنته من الوقف حين أوقفت أرض المسجد على العموم،فهو يعتبر ضمن المسجد.

---

[1] المصدر السابق ص (134) .

[2] االصليحيون ص (134) . وانظر: الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري " العاشر الميلادي "وحتى نهاية القرن العاشر العاشر الهجري "السادس عشر الميلادي " "دراسة أثرية معمارية "ص (39) ، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الآثار الإسلامية من قسم الآثار كلية الآداب جامعة صنعاء د.علي سعيد سيف ، كتاب مصفوف بالكمبيوتر (1419 هـ - 1998 م) .

[3] ? المفيد ص (133)

وبعد مـوت الملكة بـدأ التحلل في الدولة الصـليحية وبـدأت النـواحي تسـتقل، فبعد اسـتقلال النجـاحيين بتهامة وعاصـمتها زبيد في حياة الملكة استقل بعد موتها الزريعيون بعـدن والجند وما بينهما واليامبون بصنعاء ومخا ليفهـا ومعظم اليمن الأعلى، وهكذا تساقطت مدنهم وحصونهم حـتى كـانت نهـايتهم سـنة (532هـ).

سياسة الدولة الصـــــــليحية في تبـــــــــني ونشر الإسماعيلية:

مـرَّ بنا أن الـدعاة الإسـماعيليين توارثـوا الـدعوة بعد منصـور اليمن على نفس المنهج، وكان آخرهم سليمان الزواحي، الذي سـلَّم الراية لعلي بن محمد الصـليحي، ودرّس علي بن محمد الصـليحي الإرث الإسـماعيلي، وفهمه حـتى صـار من دعاتـه، ولكنه بعد أن أقام دولته انشغل بالسياسة عن الـدعوة، وهكـذا خلفاؤه: ابنه المكرم وسبأ بن أحمد لم يعـرف عنهما الانشـغال بالـدعوة بأنفسـهما، ولكن هنـاك دعـاة عاصـروهما، قـاموا بما يجب نحوهـــا، ومع ذلك لم يظهر من الصـــليحيين إجبـــار لأهل السنة أو الزيدية الذين دخلوا تحت حكمهم على اتباع مـذهبهم، والذي يبدو أن الشعار الظاهر هو ترك أهل كل مذهب يعملـون بمـــذهبهم في خاصة أنفســهم، ولكن ولاتهم ودعـــاتهم كـــانوا يعملون في الخفاء؛ للإيقاع بخصـومهم الـذين يعلمـون بغضـهم لهم وتكفـيرهم إيـاهم، ويعملـون المكائد لتفـريقهم وإشـغال بعضهم ببعض، ومن الأمثلة الناصعة على ذلك ما ذكره الجنـدي في ترجمة الفقيه زيد بن عبدالله اليفـــاعي بعد أن ذكر فضل الشـيخ وسـعة علمه وكـثرة طلابه حـتى لقد أصـبح طلابه أكـثر عـــدداً من طلاب شـــيخه أبي بكر ابن جعفر بن عبـــدالرحيم المحـابي، وقد كانا يدرّسـان في مسـجد الجند جنبـاً إلى جنب، ولم يكن بينهما شيء من المنافسـة، قـال: (ولم يـزل ذلك من شأنهم حتى تمت الحيلة من المفضل في التفريق بينهم، وذلك أنه مات ميت من أهل الجند، فخرج الإمام زيد والإمـام أبو بكر بن جعفر في أصـحابهما، يقـبرون وعليهم الثيـاب الـبيض لبس الحواريين، والمفضل يومئذ بقصر الجند، فحانت منه نظرة إلى المقـبرة، فـرأى فيها جمعـاً عظيمـاً مبيضـين، فسـأل عن ذلك

فقيل: قبر ميت غالب من حضره من الفقهاء، فعرَض بذهنه ما فعله ابن المصوع مع أخيه حيث قتلـه،وقـال: " هـؤلاء يكفروننا ولا نأمن خـروجهم علينا مع القلـة، فكيف مع الكـثرة؟ ثم قـال لحاضـري مجلسـه: انظـروا كيف تفرقـون بينهم، وتـدخلون البغضاء عليهم بالوجه اللطيف "، فجعلـوا يولّـون القضـاء بعض أصحاب الإمام زيد أياماً، ويعزلونه، ويولـون مكانه من أصـحاب الإمـام أبي بكر بن جعفـر، ثم يولـون إمامة الجـامع كـذلك، ثم النظر في أمر المسجد كذلك، حتى ظهر السباب بين الحزبَين، وكادَ يكون بين الإمامين، فعلم الإمام زيد ذلك فارتحل مهـاجراً إلى مكـة) [1]، فالكيد والـدس ثـابت عليهم، ولعـلّ الجو لم يسـاعدهم بشـكل كبـير وواضح على دعـوة عامة النـاس إلى مذهبهم، أما الـدعوة السـرية والفردية فهي قائمة لاشـك، وقد كسبوا لهم أتباعاً مازالوا يسيرون على منهجهم إلى اليوم.

<u>ما ينسب إلى الصـليحيين من إباحة المحرمـات وحط الواجبات:</u>

ذكر الحمادي اليماني -رحمه الله- أنه كان يسمع ما يقوله الناس عن هذه الفئة " الصليحية الباطنية "، وأنه كلما سأل أحداً ممن أشاع تلك الأخبار: أتشهد بذلك؟ قال: لا، إنما سمعت الناس يقولون ذلك فقلته، قال: (فرأيت أن أدخل في مذهبه؛ لأتيقن صدق ما قيل من كذبه؛ ولأطلع على سرائره وكتبه) [2]، ثم بدأ بذكر كيفية الدعوة إلى أن ذكر كيف يحطون عنه الصلاة ثم الصوم، وكيف يحلون له الخمر، وهم في كل ذلك يستدلون بالآيات بعد أن يحرفونها عن مواضعها، ثم بعد اجتياز تلك المراحل، يترقون به إلى ذلك الفعل الشنيع الذي أشيع عنهم، فقال: (فإذا صح عندك حاله، فاذهب به إلى زوجتك، فاجمع بينه وبينها، فيقول: سمعاً وطاعة لله ولمولانا، فيمضي به إلى بيته، ويبيت مع زوجته حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب، وقال: " قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس، فيشكر ذلك المخدوع له فيقول: " ليس هذا من فضلي. هذا فضل مولانا "، فإذا خرج من عنده تسمع به أهل

---

[1] السلوك (1/263) ، ملاحظة : على العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله الاعتبـار بهـذه الحادثة و الانتبـاه لمكائد الخصـوم الـذين يعملـون على تفريق الكلمة وتشتيت صف أهل العلم والدعوة إلى الله .

[2] كشف أسرار الباطنية (63) .

هذه الدعوة الملعونة، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعي الملعون، ثم يقول: " لابد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا، فادفع قربانك "، فيدفع اثني عشر ديناراً، ويصل به ويقول: يا مولانا إن عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم وهذا قربانه حتى إذا جن الليل ودارت الكؤوس وحميت الرؤوس، وطابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم، فيدخلن عليهم من كل باب، وأطفئت السرج والشموع، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه يده، ثم أمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون وجميع المستجيبين، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له، فيقول له: " ليس هذا من فضلي، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكره ولا تكفره على ما أطلق من وثاقكم، ووضع عنكم أوزاركم، وحط عنكم آصاركم، ووضع عنكم أثقالكم، وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم: ﴿ **وما يلقاها إلاّ الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم** ﴾ ")[1] .

قال محمد بن مالك -رحمه الله تعالى-: (هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله تعالى لهم بالمرصـاد، والله تعـالى عليَّ شـــــــهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفـرهم وجهلهم، والله يشـهد عليّ بجميع ما ذكرته عـالم بـه، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله تعـالى ولعنة اللاعــنين والملائكة والناس أجمعين، وأخـزى الله من كـذب عليهم، وأعد له جهنم، وسـاءت مصـيراً، ومن حكى عنهم بغـير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته)[2]

هذا ما ذكره الحمـادي عن علم وخـبرة، فهل يسـلّم له ذلك ويتابع عليه؟

أقول: أما الحمادي فلم تُـروَ له ترجمة مفصـلة في أي كتـاب من كتب تواريخ اليمن الـتي يتـداولها النـاس، حـتى إن القاضي محمد بن علي الأكـــوع عند تحقيق كتابه ذلك لم يعــثر له على ذكر إلا في طبقــات فقهــاء اليمن للجعـدي، حيث قــال: (وفي رسـالة محمد بن مالك الحمـادي)، وكـذلك في كتـاب السـلوك للجنـدي، قـال في سـياق كلامه عن علي بن الفضـل: (على ما

---

[1] فصلت الآية(35) .

[2] كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص (63-70)

ذكـــــره الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك ابن أبي القبائل أحد فقهـاء اليمن وعلمـاء السـنة، وكـان ممن دخل في مـذهبهما " منصور و"ابن الفضل " أيـام الصـليحي وتحقق أصل مـذهبهما، فلما تحقق فساد ذلك، رجع عنه، وعمل رسالة مشـهورة يخـبر بأصل مــذهبهم، ويــبيْن عــوارهم ويحــذر من الاغــترار بهم) [1]، ولذلك فإن الجزم بصـدق ما يقـول لا يليق بالبـاحث المنصـف، غير أن بعض ما ذكـره قد توبع عليه ممن لا يظن أنه نقل عنـه، فترتيب الدعوة عند الفاطمية الإسماعيلية بمصر تشـبه إلى حد بعيد ما ذكره الحمادي، وقد ذكر ذلك المقريزي، وهو غير متهم عليهم؛ لأن نقله عنهم وحكايته لتـــــــــــاريخهم لا يفهم منه إلا احترامهم واعتبارهم من خيـار الخلفـاء، كما أن له كتابـاً خاصـاً بتـاريخهم أسـماه " اتعـاظ الحنفـاء بأخبـار الأئمة الفـاطميين الخلفاء" [2]، وهو من بين العلمـاء القلائل الـذين أثبتـوا انتسـاب الفاطميين إلى علي ، فأرى أن شهادته عليهم مقبولة قطعاً.

وقد وصف المقريـزي في خططه تـرتيب الـدعوة، وقد جعلها تسع مــراتب، وفي المرتبة التاســعة قــال: (هي النتيجة الــتي يحــاول الــداعي بتقرير جميع ما تقــدم رســوخها في نفس من يدعوه، فإذا تيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والإفصــاح عن الرمـــــوز أحاله على ما تقـــــرر في كتب الفلاســـــفة من علم الطبيعيـــات وما بعد الطبيعـــة، والعلم الإلهي وغـــير ذلك من أقسـام العلـوم الفلسـفية، حـتى إذا تمكن المـدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه، وقال: ما ذكر من الحدوث والأصول رموز إلى معاني المبادئ وتقلب الجـواهر، وأن الـوحي إنما هو صفاء النفس؛ فيجد النبي في فهمه ما يلقى إليه، ويتنزل عليه؛ فيبرزه إلى النـاس، ويعـبر عنه بكلام الله الـذي ينظم به النـبي شريعته بحسب ما يـراه من المصـلحة في سياسة الكافـة، ولا يجب حينئذ العمل إلا بحسب الحاجة من رعاية مصـــــــــــالح الـــدهماء، بخلاف العـــارف فإنه لا يلزمه العمل بهـــا، ويكفيه معرفته؛ فإنها اليقين الذي يجب المصير إليـه، وماعـدا المعرفة من سـائر المشـروعات فإنما هي أثقـال وآصـار حملها الكفـار أهل الجهالة، لمعرفة الأعراض والأســباب، ومن جملة المعرفة

---

[1] مقدمة كشف أسرار الباطنية ص (45-46) .

[2] طبع في القاهرة سنة (1387هـ) .

عندهم أن الأنبيـاء النطقـاء أصـحاب الشـرائع إنما هم لسياسة العامـة، وأن الفلاسـفة أنبيـاء حكمة الخاصـة، وأن الإمـام إنما وجوده في العـالم الروحـاني إذا صـرنا بالرياضة في المعـارف إليه، وظهوره الآن إنما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أوليائه ونحو ذلك مما هو مبســـــوط في كتبهم، وهـــــذا حاصل علم الداعي، ولهم في ذلك مصنفات كثيرة منها، اختصرت ما تقـدم ذكره) [1].

وفيما أورده المقريــزي شـاهد لمــراتب الــدعوة، وإن كــان الحمادي قصر بها عن عدد تلك المـراتب، كما فيها شـاهد على إسـقاط الواجبـات والتكـاليف، كما ذكر الباحثـان إحسـان إلهي ظهير في " الإسماعيلية " والدكتور سليمان عبدالله السـلومي في " أصــول الإســماعيلية " أن للإســماعيلية كتبــاً في تأويل أركان الإسلام وعباداته من أشهرها كتاب " دعائم الإسلام " و" تأويل دعائم الإسـلام " للقاضي النعمـان بن حيـون المغـربي،، ونقلا عنهما وعن غيرهما من التأويل لتلك الأركان والعبادات ما يلغيها فعلاً، وأن بعض من وصل إلى درجة المعرفة لـــــــديهم معفوون عنها [2].

كما اعترف بأصل ذلك أحد باحثيهم المعاصـرين وهو الـدكتور مصطفى غالب في "تاريخ الإسماعيلية"، حيث قـال: (وما ظهر من أمـور الـدين من العبـادة العملية وما جـاء في القـرآن هي معــانٍ يعرفها العامــة، ولكن لكل فريضة من فــرائض الــدين تـــأويلاً باطنـــاً لا يعلمه إلا الأئمة وكبــــار حججهم ودعـــاتهم وحدودهم) [3].

وتبقى قضية إباحة الفاحشة سـواءً إحلال النسـاء بـالانفراد أو في المشهد الأعظم- كما عبر عنه الحمـادي - فهـذا الجـزء من التهمة لم أجد له من كتبهم ما يشهد له، وإن كان مبـدأ التأويل ونسخ الشريعة يسعه ويتضـمنه، ولكنهم أنفسـهم ينكـرون ذلك غاية الإنكـار، كما صـرَّح بـذلك الغـزالي في رده عليهم [4]، ولـذا

---

[1] الخطط المقريزية (2 /133) .

[2] الإسماعيلية تاريخ وعقائد من ص (499 – 522)، وأصول الإسماعيلية (2/ 649-662) .

[3] تاريخ الإسماعيلية ص (42) .

[4] فضـائح الباطنية ص (30) لأبي حامد الغـزالي طبع دار البشـير عمـان ط الأولى (1413هـ -1993م).

فأنا عــاجز عن نفيه أو إثباته على ســبيل القطــع، ولا أحب أن أقـذف أحـداً بما لم يثبت لـديّ بيقين، خصوصـاً في مثل هـذه التهم القبيحة الـتي تنكرها الفطر السـليمة، والشـيم الأصـيلة، فضلاً عن الدين القويم.

المطلب الثالث: دور الدولة الصـليحية في نشر القبورية في اليمن:

لم يثبت في تـاريخ اليمن وجـود قـبر معظّم عليه مشـهد أو مسـجد قبل العقد الثـاني من القـرن الخـامس إلا ما ذكر مما يسمى مسجد الشهيدين بصنعاء الـذي قيل أنه على قبَـري قثم وعبـدالرحمن ابـني عبيدالله بن العبـاس ، والـذَين قتلهما بسر بن أرطـأة والي معاوية على اليمن الـذي أرسـله أثنـاء الفتنة بينه وبين علي ، فقد قيل: إنه بُنى على قبريهما مسجد، وهــذا الـذي قيل ذكـره المتـأخرون من مـؤرخي اليمن مثل الجنـدي حيث قال: (وقبر الطفلين مشـهور بصـنعاء في مسـجد يعـرف بمسـجد الشـهيدين) [1]والخـزرجي حيث قـال: (فـدفن الولـدان حيث قتلا وبـني عليهما مسـجد هو معـروف [2]، وقـال مثله ابن الديبع [3]، وقال العرشي: فقبرا بصنعاء بالشهيدين، وبهما سـمي [4]، فهذه المراجع كلها كما ترى تثبت وجود المسجد على القـبر، ولكن متى بني ذلك المسجد؟ ومن الذي بناه؟.

---

[1] السلوك (1/173)

[2] العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك – مخطوط مصور صورته وزارة الإعلام والثقافة ضمن مشروع الكتاب 6/1 (70) الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبـار مدينة زبيد ص (39) تحقيق الـدكتور يوسف شلحد ، طبع مركز الدراسات والبحوث اليمـني سـنة (1983م).وفي قـرة العيون مصدر سابق (70) .

[3] عبدالرحمن بن علي الشيباني المعروف بابن الديبع عالم محدث مؤرخ ، من علماء زبيد ، و إليه ينسب المولد المشهور بمولد " الديبعي " ، لديه تناقض كبير ، فبينما هو من أهل الحديث والفقه إذ به يأتي في ذلك المولد بالطامات ، وهذا شأن من سلم لأهل التصوف ، فإنه لا يكاد ينفعه ما لديه من العلم ، وخير مثال على ما أقول هذا الرجل والشرجي الزبيدي صاحب التجريد الصريح في الحديث وطبقات الخواص المليء بالدجل والخرافة . توفي (944 هـ) . انظر ترجمته : النور السافر ص (191) ، والبدر الطالع (1/335) .

[4] بلوغ المرام ص .(9)

عبارتهم بلفظ المبني للمجهول وهي لا تفيد تحديد من بنى أو متى بُني، كما أن العرشي يثبت أن القبر بذلك المسجد، وهو أيضاً لم يحدد تاريخ بناء المسجد، فالذي نفهم من هذه العبارات أنه في أيام أولئك المؤرخين يوجد مسجد، يقال: إنه على قبر ذينك الطفلين، لم يحدد أحد منهم ولا من غيرهم متى بني، ومما يؤكد أنه لم يكن موجوداً في الزمن الأول أن المؤرخ إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني المتوفى سنة (450هـ)ذكر الحادثة وقتل الطفلين في باب المصرع، ولم يذكر بناء المسجد عليهما [1]، وكذلك الرازي المتوفى سنة (5 60هـ) ذكر المصرع، وصرح بقوله: (الموضع الذي يباع فيه السليط وموضع الحدادين إذا أردت أن تنزل سوق العراقيين موضع مسجد ابن زيد، وكانت مقبرة غمدان حيث يحدد الحدادون اليوم بصنعاء، والله سبحانه وتعالى أعلم) [2]، فلو كان هناك مسجد أو مشهد على القبرين لذكرَه، وبهذا نعلم أن المسجد أو المشهد المشار إليه إنما بني بعد ذلك على عادة القبورية الذين يتتبعون المناسبات، وعلى أثرها يبنون على البقعة التي يتوهمون أنها موضع القبر، فتصبح بذلك مزاراً، ولهذا فإن الدكتور "علي سعيد سيف" في رسالته الأضرحة في اليمن لم يثبت هذا المسجد ضمن الأضرحة التي تناولها بالدراسة، وإنما ذكرها في التمهيد فقط، وقال: (ولكن يستشف من بعض الروايات) [3].

وقد اجتهدت في توضيح هذه المسألة حتى لا يقال أن هناك مشهداً من أيام الصحابة؛ فيتخذ حجة للقبوريين، ومثل ذلك يقال في المسجد المبني على قبر الشريف العراقي، وهو الطبيب العراقي الذي كان يعمل في اليمن في صنعاء، فلما سمع بما يفعله علي بن الفضل بالإسلام والمسلمين نذر على نفسه أن يقتله، فذهب إلى عاصمة ابن الفضل "المذيخرة" وعمل فيها وأظهر براعة في الطب فطلبه علي بن الفضل

---

[1] تاريخ صنعاء للطبري المذكور ص (25) تحقيق عبدالله الحبشي ، وطبع مكتبة السنحاني بصنعاء بدون تاريخ.

[2] تاريخ مدينة صنعاء للرازي ص (85) تحقيق حسين عبدالله العمري ، طبع مكتبة الفكر المعاصر ببيروت ، ودار الفكر دمشق ، الطبعة الثالثة (1409هـ -1989 هـ).

[3] الأضرحة في اليمن ص (28) .

ليكـــون طبيبـــاً له ثم احتـــاج ابن الفضل إلى الفصد ففصـــده بمبضع مسموم فمـات ابن الفضل وهـرب الطـبيب إلى موضع يسـمى " قينـان " بـوادي السـحول فقتل هنـاك،قـال الجنـدي: (وقـبره هنالـك، وهو مسـجد جـامع له منـارة يـزار ويتـبرك، به دخلته في المحرم أول سنة ست وتسعين وستمائة) [1].

وقد علق على ذلك القاضي الأكــوع فقــال: (والقــبر لايــزال موجـوداً وهـذه القصة ظـاهرة عليها الصـنعة والوضع ومحتاجة إلى مناقشة) [2].

أما ابن الــديبع فقــال: (فــأُدرك في السـحول عند المســجد المعروف بقينان، فأرادوا إمساكه، فـامتنع وقـاتلهم حـتى قتـل، وقــبره هنــاك رحمه اللــه) [3].وهــذا - كما تــرى - ليس فيه ذكر المسجد الذي على القبر وعلى كل حـال فليس في النقلين ولا في غيرهما ذكر لتاريخ بنـاء المسـجد الـذي على القـبر ولا من بنــاه، فليس فيه أي حجة على وجــود مسـجد على القــبر قبل التــاريخ الـــذي ذكرته ســـابقاً، وهو العقد الثـــاني من القـــرن الخــامس؛ لأن هــذا المســجد لو صح أنه بــني عند مقتل ذلك الرجل لكان في القرن الرابع، حيث أنه قتل بعد مقتل علي بن الفضل بأيــام، ولكن ذلك لم يصــح، وبهــذا يثبت أن المشــاهد الثابت بناؤها هي التي أسسـتها الدولة الصـليحية الإسـماعيلية، غير أنه - ومن باب الأمانة ومعرفة الحقيقة - قد ثبت أن هنــاك مشـهداً واحـداً، سـبق الدولة الصـليحية بسـنوات، وهو لا يمت للقبورية بصـــلة؛ لأنه من مشـــاهد الســـلاطين لا من مشـــاهد الأولياء والصالحين، ذلك المشهد هو مشهد آخر أمير من أمراء بــني زيــاد وعمتــه، إذ إن وزير ذلك الأمــير الطفل - ويســمى نفيســاً - كــان قد قتل الطفل وعمته بتهمة أن المــرأة كــانت تكاتب خصـمه ومنافسه " نجاحـاً "، وكـان وقتها فـاراً من زبيد بسبب تسلط" نفيس "، فقتلهـا، وقتل الطفـل، ثم بـنى عليهما جــداراً، فلما علم نجــاح بــذلك اتخــذه ذريعة للانقضــاض على خصمه، وجمع الجموع، ثم هجم بهم على زبيد في عدة وقــائع، آخرهـا سـنة (412هــ) حيث قتل نفيس، فلما دخل نجـاح زبيد سـأل مـولاه " مرجـان ":(ما فعل مواليك وموالينـا؟ قـال: في

[1] السلوك (1/212)

[2] المصدر السابق الموضع نفسه.

[3] قرة العيون ص (150) .

ذلك الجـــدار، فأخرجهما نجـــاح، وصـــلى عليهمـــا، وبـــنى لهما مشهداً، وأعاد مرجاناً في موضعهما، فبنى عليه حياً وعلى جثة نفيس) [1].

وقد ذكر مثل ذلك ابن الديبع في الفضل المزيد [2]، وقريباً منه الخزرجي في العسجد المسبوك [3]، وهذا أول مشـهد بـني على قـبر في اليمن حسـبما اطلعت عليه في كتب التـاريخ اليمـني، وليس هو مما يخشى منــه؛ لأنه ليس له فضل من جهة دينيــة، وإن كـان هو من الأمـور المحرمـة، ومن نتـائج الجهل وتوسـيد الأمور إلى غير أهلها، مع أن النجاحيين من السُنة، وليســوا من الشيعة رواد القبورية في العـالم، ولكنّ السـببَ - والله أعلم - هو النزعة السـلطانية والكسب السياسي بإظهـار وتعظيم ذلك الوزير لأسياده ووفائه لهم بعد أن أصـبح هو الـوريث لـدولتهم، وما أظن أن هذا سوف يحصل لولا أن ظـاهرة تقـديس القبـور وتعظيمها قد فشت في البلاد الإســـلامية المجـــاورة من جهة الدولة الفاطمية الإسماعيلية.

(2) **مشاهد آل الصليحي:**

الدولة الصليحية إسـماعيلية العقيـدة، فاطمية الـولاء، متـأثرة كل التـــأثر بأســـيادها العبيـــديين في مصـــر، وقد مر بنا دور العبيـديين في نشر القبوريــة، فلا غرابة أن يكـون الصـليحيون على منـوالهم، وأن يسـيروا على طـريقهم، ولامـانع أن نجـزم بأنهم مؤسسو القبورية في اليمن.

(3) **مشهد الرأسين:**

مر بنا أن بـني نجـاح عنـدما قتلـوا على بن محمد الصـليحي وأخـــاه أخـــذوا رأســـيهما، فنصـــبوهما بزبيد أمـــام طـــاق زوجة الصليحي " أسماء بنت شهاب "، وعندما هـاجم الملك المكـرم أحمد بن علي الصـــــليحي زبيد لاســـــتنقاذ أمه من الأســـــر، واسترجاع ملك أبيه، أنـزل الرأسـين، ودفنهما في زبيـد، وبـنى عليهما مشهداً. قـال عمـارة: (وأنا أدركت مشـهد الرأسـين) [4]، وكان ذلك سنة (460 هـ).

---

[1] المفيد ص (85-86) .

[2] الفضل المزيد ص (55) .

[3] المسجد المسبوك ص (104) .

[4] المفيد ص (134) .

(1) مشهد الصليحي بصنعاء:

وعند عودة الملك المكرم إلى صنعاء نبش قـبري أبيه وعمـه، ثم حمل جثتيهما في تــابوتين، ودفنهما في صــنعاء وأمر ببنــاء مشهد جامع لهما [1]، وهو بذلك أخذ بسُنّة المعز الفاطمي الــذي أحضر معه رفـات آبائه عنـدما انتقل من المغـرب إلى مصــر، وبـنى عليهما التربة الشـهيرة الـتي تسـمى " تربة الزعفـران " وقد سبق الحديث عنها.

قبر السيدة بنت أحمد في جامع ذي جبلة:

قال الهمداني: (وفي غرة شهر شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة توفيت الملكة الحرة عن اثنتين وتسعين سـنة من العمر، ودفنت في جامع ذي جبلة أيسر القبلة في منزل متصل بالجامع، وكـانت هي الـتي تـولت عمـارة هـذا الجـامع، وهيـأت موضع قبرها فيــه. وذكر إدريس: " أن بعض ملــوك اليمن أراد أن يخـــرج جثتها من قبرها حين ظن بعض الفقهـــاء كونها في الجامع، ففتحوا عن قبرها حتى انتهوا إلى تـابوت، فوجـدوا فيه قفصـاً مقفلاً، ففتحـوه، فأصـابوا فيه كتبـاً وأحكامـاً، تشـهد أنها استثنت فيه ذلك المـنزل الـذي دفنت فيه عن المسـجد لقبرها فيه، ووجدوا بذلك علامات القضاة وشهادة الشــهود الثابتة عند الحكام، فـردوا قبرها على ما كـان عليـه، وردوا تربته وحجارته إليه "، ويقــول إدريس:" وقبرها إلى اليــوم،يــزوره جميع فــرق الإسلام، ويعترف بفضلها الخاص والعــام، ويـأتي إلى قبرها من أصيب بظلم، أو حاجة، أو علة في بدنه،أو بليـَّة، فيتشفعون بها إلى الله تعالى في كشف ما انتابهم بفضلها ") [2].

وفيها وفي قبرها يقــول القاضي حســين بن أبي عمــران بن الفضل اليامي:

وقفت على قبر الوحيدة وقفة وقد زِين منها مسجدٌ وستورُ

---

[1] الصليحيون ص (134) وفي الهامش يقول: (نقل صاحب العيون " 7/116 " ومشهد الصليحي اليوم قد عفى المتغلبون الظالمون آثاره ،وهدموا مناره ، فإن عنايتهم في ذلك كثيرة ، وفي هدم القبور أفعال نكيرة ، وذلك شيء يتحاماه الكفار والمسلمون ويأنفون عنه وهؤلاء يقدمون) ، قلت : وهذه هي حجج القبورية في كل زمان ومكان ، يتباكون على هدم المشاهد وتسوية القبور المشرفة التي أمر النبي بتسويتها . انظر للمزيد عن مشهد الصليحي بصنعاء : الأضرحة في اليمن (39) .

[2] الصليحيون ص (207-208) وانظر : الأضرحة ص (240) وما بعدها .

فقبلته واستفتُ رَيَّاً ترابـــه وعاود قلبي رنة وزفـــير
و سالت دموع العين مني كأنها بشطٍّ مجاري المقلتين سطـور
ولله منها روحُ قُدْس تميزت فصارت بأعلى الدائرات تطير[1]

مشهد العباس:
هذا المشـهد كما يقـول - الـدكتور علي سـعيد سـيف - يقع في منطقة أسناف خولان إلى الشرق من مدينة صـنعاء على يمين الطريق المـار بين صـنعاء وخـولان الطيـال، ويبعد عن صـنعاء بحـوالي (20)كم، ويحتل المسـجد الضـريح ربـوة مرتفعة تقع جنـــوب قرية أســـناف، وتتبع إداريـــاً مديرية خـــولان التابعة لمحافظة صنعاء، [2]، وذكر الدكتور أن العبـاس صـاحب الضـريح غير معروف، ولكن بناء الضـريح كـان بتـاريخ (شـهر ذي الحجة سنة تسع عشرة وخمسمائة) [3]، وهـذا التـاريخ يـأتي أثنـاء حكم الملكة السيدة بنت أحمد الصـليحية غـير أن الـدكتور يـرجح أن يكون باني الضريح واسمه "موسى بن محمد القطبي " [4] كــان من السـلاطين السُـنيين الـذين عاشـوا في تلك الفـترة، وربما يكون أمـيراً أو شـيخ قبيلـة، أطلق عليه لقب سـلطان، ولست أوافق الـــدكتور على ذلك الاســـتنباط، فما دام العصر عصر الصـــليحيين، وهم في عصر قـــوتهم فلن يكـــون هنـــاك مجـــال لســـلاطين ســـنّيين، فلم لا يكـــون ذلك الرجل والٍ من ولاة الصليحيين؟ خصوصاً والدكتور يقـول فيما بعـد: (ومن المحتمل أن معمار هذا الضريح قد نـهَج نـهْج معمار الدولة الصليحية في جامع جبلة والذي يتشابه في كثير من الأوجه مع عمــائر الدولة الفاطمية بمصر؛ لما كانت بينهما علاقـات) [5]، أليس نسـبة هـذا الضـريح إلى الصـليحيين أحق من أن ينسب إلى أهل السـنة؟

---

[1] الصليحيون ص (208)،وهذا القاضي هو من الإسماعيلية فلا غرابة أن يقبل قبر الملكة ، و أن يستف ترابه فهذه ديانتهم .
[2] الأضرحة ص (49) .
[3] المصدر السابق نفس الموضع .
[4] المصدر السابق ص (49 – 58) .
[5] المصدر السابق ص (51) .

بلى، والدلائل قائمة، فهم الحاكمون، وهم الذين ابتدأوا بإنشـاء المشـاهد في اليمن، وطريقة بنـاء الضـريح كطـريقتهم، وعليه فالمرجح أن هذا الضريح من عمل الصليحين والله أعلم.

المطلب الرابع: استمرار قبورية الإسماعيلية:

بانتهاء الدولة الصليحية انتهى دور الظهور الثاني للإسماعيلية في اليمن، ودخلوا دور السِّتر الثاني، ولكن دهاتهم ودعاتهم قد أحسوا بذلك قبيل انتهاء الدولة وبالتحديد في أيام الملكة السيدة بنت أحمد، ولذلك فقد كلف (القاضي لمك بن مالك الجمادي عند عودته إلى اليمن من قبل الإمام الخليفة المستنصر وباب أبوابه المؤيد بتنفيذ سياسة معينة بالنسبة إلى إقامة الدعوة ونقل آدابها وعلومها إلى اليمن، وأنه لُقِّب بلقب داعي القلم في عهد الملك المكرم أحمد الصليحي، ولقب داعي البلاغ في عهد الملكة الحرة، وقد اختار هذا الداعي نخبة من التلامذة الأفذاذ البعيدين عن الملك أمثال ابنه يحيى بن لمك والذؤيب ابن موسى الوادعي وإبراهيم بن الحسين الحامدي، وسلم إليهم كل ما كان أخذه من علوم الدعوة أيام إقامته بمصر) [1]، وبهذا كوّنوا الأساس المتين لصرح دعوتهم الذي يعول عليه في بقائها واستمرارها حتى إن ذهبت الدولة، بقيت الدعوة محافظة على كيانها، بل ازدهر علمها في تلك الفترة أكثر فأكثر.

يقول الهمداني: (نرى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة السيدة الحرة الملكة الصليحية إلى انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي، وجمع شتات التراث الفكري، وتسجيلها في كتب ومؤلفات وحفظ ما تركه المؤلفون الدعاة في عهد الخلفاء الفاطميين، وقد بدأت هذه الحركة العلمية في حياة الملك المكرم والملكة الحرة بعد عودة قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادي من الديار المصرية إلى مقر الدولة الصليحية، وقد سبق أن ذكرنا أن داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي قرر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي خطوط برنامج الدعوة العلمي، وكلف القاضي لمك تنفيذ هذا البرنامج، ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوته من العلوم إلى اليمن.ثم قررت

---

[1] الصليحيون ص(268) .

السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضي إلى اليمن فصل الدعوة عن شؤون الملك، وعينت الملكة يحيى بن لمك والداعي الذؤيب بن موسى الوادعي للإشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية، فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض في عهد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي، ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري، ثم أظهر الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي، ومأذونه الشيخ علي بن الحسين بن جعفر بن الوليد القرشي، والشيخ محمد بن طاهر الحارثي نشاطاً بليغاً في هذا الصدد، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي، والداعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغاً لا يستهان به. وأثبت الداعي علي بن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة في رسالته وأرجوزته. وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مائة، بل إلى أيامنا هذه. ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرةعما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية) [1]. وكانت هذه الجهود في أكثر الأحيان محاطة بالسرية التامة؛ وذلك لمحاربة اليمنيين لها سواء في ذلك أئمة الزيدية أو سلاطين الشافعية، ولكن كل ذلك لم يفتَّ في أعضادهم، أو يوهن عزائمهم، فاستمروا، وعندما جاءت التعددية الحزبية وحرية الرأي التي تجاوزت الحدود لإعطاء الحرية لأصحاب العقائد الضالة والمبادئ الهدامة والدعوات المشبوهة، عندما جاء هذا العهد، استغلت الإسماعيلية الفرصة، وبدأت تزاول نشاطها بجرأة عجيبة وجهود جبارة وتركيز ينذر بالخطر على البلاد اليمنية، وتداعوا إلى اليمن من كل حدب وصوب، وصار اليمن من أماكن حج البهرة الإسماعيلية، بحيث يحج إلى اليمن حسب تعبيرهم عشرات الآلاف كل عام، والعمل الظاهر الذي يمارسونه هو تتبع الأضرحة والقبور المنسوبة إلى أئمتهم ودعاتهم، وإليك قائمة بأهم المشاهد والقبور والمزارات التي يقصدونها:

1) قبر الداعي إبراهيم بن حاتم الحامدي الهمداني الحاشدي اليامي في قرية "الحطيب" عزلة شـرقي حـراز – قضـاء

---

[1] المصدر السابق ص (298) .

حـراز - ويعتـبر أهم مـزار للإسـماعيلية الداودية البهـرة، ومتوسط من يزوره سـنوياً من غـير باطنية اليمن خمسة عشر ألف نسـمة، خاصة من الهند وباكسـتان، والـداعي المذكور مؤلف كتاب " كنز الولد ".

2) قبر الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي في الجامع الكبـير بمدينة جبلة محافظة إب.
3) قـبر إدريس عمـاد الـدين صـاحب كتـاب "زهر المعـاني " المقبـور تحت قمة جبل شـبام حـراز (2920 مـتر فـوق سـطح البحـر)، وتجـري الآن محاولة حثيثة من قبل الإسـماعيلية لإقامة مسـجد على قـبره؛ رغم عـدم وجـود سـكان في هـذا الجبل الإسـتراتيجي، والـذي يعد من أهم المواقع العسكرية في المنطقة متحكم في طريق صـنعاء الحديدة، ويطل على كل قضاء حراز.
4) قـبر في جبل الصـميع في عزلة هـوزان قضـاء حـراز محافظة صنعاء،لم يُعرف اسم صاحبه
5) قبر الداعي لمك بن مالك في حصن زبارة قسم الملاحي عزلة لهاب قضاء حراز محافظة صنعاء.
6) قبرا الحسين والحسن ابني إدريس عمـاد الـدين في قمة جبل مسار، من عزلة مسار،قضاء حراز، ونشك في أصل وجود هذين القبرين المندثرين بعد أن كُشف عنهما بـزعم الباطنيـة، وهـذا الجبل المركز الأول لانطلاق الدولة الصـليحية في اليمن، وهو موقع هـام واسـتراتيجي مرتفع عن سطح البحر (2760) متراً،ولازال أهله صامدين أمـام هذه الطائفة رغم كثرة الإغراءات والضغوط.
7) قـبر الملا محمد في مدينة زبيد من بلاد تهامة محافظة الحديدة.
8) قبرٌ في غيل بني حامد عزلة بـني مـونس، قضـاء همـدان محافظة صنعاء.
9) قـبرٌ في حصن طيبة المطل على وادي ظهر من قضـاء همدان محافظة صنعاء.
10) قبر أويس القرني من قرية الحمى من ضواحي زبيد.

وهناك مساجد يخصونها بالزيارة وليس هناك سبب ظاهر لزيارتها:

1) الجامع لكبير بصنعاء [1].

2) مسجد معاذ بن جبل بالجند.

3) مسجد في حرف سفيان.

4) حصن ذمرمر من بلاد حضور، وهذا الحصن قد كان يوماً مقراً لآل حاتم الياميين، وقد قيل:إنهم كانوا إسماعيلية باطنية، وممن ذكر من أهلها "محمد بن أحمد اليامي"، ووصف بأنه عالم الإسماعيلية وشاعرها [2].

---

[1] قال زبارة في نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ط الثانية (1405هـ-1985م) (3/312):(قال صاحب مطلع الأقمار , ونقلت من خطه أن القبر الذي غربي الصومعة الشرقية بجامع صنعاء هو قبر الحسن بن عبدالله بن الحسن بن جعفر بن محمد بن عبدالله بن العباس بن عبدالله بن العباس بن علي بن أبى طالب انتهى) . قلت : فلعلهم يزورون هذا القبر المزعوم .

[2] انظر هجر العلم (2/796-797)

المبحث الثالث
السلاطين ودورهـم في نشر القبورية في اليمن

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السـلاطين هم وراء مظـاهر القبورية في اليمن قبل الصوفية:

لعل أعظم نزعة لـدى السـلاطين دفعت بهم إلى إنشـاء المشاهد ومظاهر العظمة على القبـور: هي أبهة الملـك،ومحبة استمرار نـاموس الملك بعد الوفـاة كما كـان حـال الحيـاة،كما صـرح به المقريـزي وهو يتحـدث عن تربة أسـرة آل قلاوون بالقـاهرة [1]،مع بـواعث أخـرى تقـدم الحـديث عنها في الفصل الثالث،[2].

ومن أجل البـاعث الأول المشـار إليه أصـبح السـلاطين وراء معظم مظـاهر القبورية في اليمن، فـأول مشـهد عـرف وثبت وجوده في اليمن على الإطلاق هو مشهد الزياديَّيْن، الـذي بنـاه مولاهما نجـاح على جثتيهما عنـدما أنزلهما عن الجـدار، وقد تقـدم [3]،كما أن السـلطان أسـعد بن وائل من أوائل من دفُنـوا في المساجد في الديار الشافعية إن لم يكن أولهم [4].

وأول قبة بنيت في حضرموت على الإطلاق هي قبة السلطان مسعود بن يماني المتوفىَّ سنة (648هـ) [5]، وهـذه المشـاهد كلها قبل رسوخ التصوف في اليمن، وحتى أول مشـاهد الدولة الصـليحية الـتي سـبق الكلام عنها والـتي هي أول المشـاهد المنظمة والمتوالية- والتي بقي أثرها إلى اليوم- هي كذلك في بدايتها كان لدافع عظمة السـلطان دخل كبـير فيهـا، ثم جـاءت الدولة الأيوبية وكـان معظم سـلاطينها يـدفنون إما في قبـاب خاصة، كما دفن المعز إسـماعيل بن طغتكين في قبة خاصة به في زبيد تعـرف بقبة الخليفة [6]، أو في مـدارس أو نحوهـا،

---

[1] الخطط المقريزية (3/480).
[2] انظر ص (163) .
[3] انظر المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ص (86) .
[4] السلوك (2/485)
[5] الفرائد في قيد الأوابد للعلامة المؤرخ عبد الله بن حسن بلفقية ، مخطوط بمكتبة الأحقاف بتريم ، لديَّ صورة منه .
[6] العسجد المسبوك ص (74) .

ولإعطاء صورة لما علية سلاطين اليمن من اهتمـام بالمشـاهد والقباب لأهداف مختلفة أضرب مثالين، أحدهما لإئمة الزيديـة، والآخر لسلاطين الدولة الرسولية، وذلك في المطلبين التاليين.

المطلب الثاني: أئمـة الزيديـة ودورهم في نشر القبورية في اليمن:

رغم أن الغلو لدى الزيدية الأولى لم يكن خارجاً عن الحدّ، ورغم أن اتجاهها هو اتجاه المعتزلة المعتمدين على العقل النـافين للخـوارق والكرامـات كما هو معلـوم، إلا أننا نجد أئمة الزيدية في اليمن - وبعد قرون من إنشاء دولتهم وتتابع العشرات من أئمتهم- نجدهم ينحرفون انحرافـاً شـديداً في هـذه المسـألة، والذي يظهر - والله اعلم- أن باعث الأئمة لذلك كـان باعثـاً سياسـياً أكـثر منه باعثـاً عقـدياً، ولكن وجـود المشاهد والقباب ووجود سدنةٍ يتأكلون منها ويبنـون بها مجداً وجاهـاً على أنقـاض عقائد الأمة حوّلها إلى مـزارات مقدسة يعتقد فيها العـوام وأشـباههم مـالا يجوز اعتقاده إلا في الله تعـالى، ومن أجل السياسة أيضـاً يتغاضى الأئمة عن ذلك ويـتركون العامة يغرقون في بحر الخرافة والشرك وهم ينظرون.

وأئمة الزيدية يبنـون المشـاهد للسياسة ويهـدمونها للسياسة كـذلك؛ فالـدليل على أنهم يبنونها للسياسة ما بـدر من الإمـام عبدالله بن حمـزة وذلك أنه عـاش في آخر القـرن السـادس وبداية القـرن السـابع [1]، وهو أول من سن لأئمة الزيدية سـنة البنـاء على المشـاهد حيث لم يُسـجَّل لأحد من الأئمة قبل عصره شئ من ذلك.

والـذي يظهر لي- والله أعلم- أنه إنما فعل ذلك مضـاهاة لمعاصـريه من الأيوبـيين الـذين عُـرِف عنهم أنهم يبنـون على قبـور سـلاطينهم البنايـات الضـخمة في مصر والشـام [2] وفي اليمن كـذلك [3]،فلعله أراد أن يُظْهِر بـذلك شـيئاً من أبهة الملك للأئمة وهم أمـوات كما هي لهم وهم أحيـاء، وقد لاحظ ذلك

---

[1] تـاريخ اليمن المسـمى فرجة الهمـوم والحـزن في حـوادث وتـاريخ اليمن تـأليف العلامة عبد الواسع بن يحـيى الواسـعي ،طبع مكتبة اليمن الكـبرى صنعاء الطبعة الثانية سنة (1990م) ص (197).

[2] سبق الحديث عن مساهمة الأيوبيين في نشر القبورية في الفصل الثالث .

الأستاذ محمد محمود الزبيري في كتيِّبــه"الإمامة وخطرها على وحدة اليمن" حيث قال: (بهـذه النفسـية يمـارس الإمـام أعبـاء منصبه،وتكاد هـذه الأعبـاء تنحصر في استصـفاء ثـروة الشـعب باسم الزكـاة وقمع الانتفاضـات الشـعبية باسم الجهـاد وقتـال البغاة، ثم بناء مسجد باسم الأمام تضاف إلى جواره غالبـاً قبة الضريح لهذا الإمام تمدّ نفوذه الروحي حتى وهو في القبر) [1].

وهـذا الـذي نسـبه الزبـيري إلى الإئمة يجب أن يحـدَّد بأئمة القــرن الســابع فَمَنْ بعــدهم، وأن أولئك الأئمة قد عمَّروا على معظم قبور الأئمة السابقين مشاهد وقباباً.

وقد خَطَا هـذا الإمــام بالقبورية في الــديار الزيدية خطــوات كبيرة جـداً، إذ لم يكتف بـأن يبـني لنفسه مشـهداً في حياته أو يوصِـي أن يبُـنى له ذلك بعد وفاتـه، وإنما سن ذلك عمليـاً في حياته بــأمر إمــامي وتهديد شــديد اللهجة لأهل قرية "لصف " حيث قتِل عندهم أخوه إبراهيم بن حمـزة وهو يقاتل الأيوبـيين، فلما حصل ذلك كتب لهم الأمــــام عبدالله بن حمـــزة هــــذه الرســالة يهــدِّدهم فيها إذا لم يبنــوا عليه مشــهداً أنه ســينقل جثمانه عنهم،وهذا نص الرسالة:

(بسم الله الــرحمن الــرحيم من عبد الله المنصــور بالله أمــير المؤمنين إلى كافة الساكنين بلصف من المؤمنين والمسلمين، سـلام عليكم، فإنا نحمد الله إليكم الـذي لا إله إلا هـو، ونسـأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى0

أما بعد: فقد بلغنا جفوتكم للشهيد الذي تـوفي بين أظهـركم، وحــطَّ رحله بين أفــنيتكم، وجــاد بنفسه دون بلادكم،واســتقبل بوجهه العدوّ صبراً واحتساباً حين زاغت الأبصـار فشـلاً، وبلغت القلـوب الحنـاجر وجلاً، وظن قـوم بالله الظنونا جزعـاً، وابتلي المؤمنون بالهزيمة امتحانـاً، وزلزلـوا بالحادثة اختبـاراً، فـرخص عنـده من المـوت ما غلا عند غـيره، وغلا عنـده من الفـرار ما رخص عند ســــواه, وعلم القصد فتم العــــزم، ومضى على البصـيرة على منـاهج السـلف الصـالح مسـتقبلاً لكـثرة العـدو وعزمه، ومستصغراً لعظيمة نجده، فبلغنا أنكم هاجرون لقبره،

---

[3] انظر تراجم سلاطينهم في اليمن في الفضل المزيد من تاريخ زبيد وغـيره من تواريخ اليمن، وفيها يذكرون كيف يُقْبر سلاطين الأيوبيين.

[1] الإمامة وخطرها على وحـدة اليمن ص (13-14) للأسـتاذ محمد محمـود الزبيري طبع دار الكلمة صنعاء بدون تاريخ .

قـالون لمصـرعه، قد صـغّرتم منه ما عظّم الله سـبحانه جهلاً، وجهلتم ما علم الصـالحون حـيرة وشـكاً، كـأنكم لم تسـمعوا أقـوال محمد صـلى الله عليه وآله فينا – أهل الـبيت خاصة – **((أقرب النـاس مـني موقفـاً يـوم القيامة بعد حمـزة وجعفر رجلٌ منا أهل البيت خرج بسيفه فقاتل إماماً ظالمـاً فقُتِـل))**، فهلا – رحمكم الله – استشـفيتم بـتراب مصـرعه من الأدواء، وسـألتم بتربة مضـجعه رفع الأسـواء، واسـتمطرتم ببركة قـبره من رحمة ربكم طوالع الأنـواء, وعظّمتم حاله كما يُعَظَّم حـال الشـهداء، وأوجبتم من حقه ما ضّيع الأعداء، وعمَّرتم على قبره مشهداً، وجعلتمـوه للاسـتغفار مثابة ومقصداً، ونذرتم له النذر تقرباً، وزرتمـوه تـودداً إلى الله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وإلينا تحبُّباً، فقد رُوِّينا عن أبينا صـلى الله عليه في حـديث فيه بعض الطـول أنه نظر إلى الحسن والحسـين عليهما السـلام وهما يلعبـان بين يديه فبكى فهابه أهل المنزل أن يسألوه، فوثب عليه الحسـين عليه السلام فقال: ما يبكيك ياأبتي؟ فقـال: إني سـررت بكما اليـوم سـروراً لم أسـرّ به قبله مثلـه، فجـاءني جبريل فـأخبرني أنكم قتلى، وأن مصـارعكم شـتى، قـال: يا أبـتي فمن يزورنا على تباين قبورنا؟ قال: **((قوم من أمتي يريـدون بـذلك بـرّي وصـلتي إذا كـان يـوم القيامة أتيت حـتى آخذ بأعضادهم فأنجيهم من أهوالها وشدائدها)).**

ألا فاعلموا بعد الذي بلغنا عنكم أنا قد قَلَيْنا له جواركم، ورغبنا به عن داركم، وعزمنا بعد الخيرة لله سبحانه وتعالى على نقله من أوطانكم إلى من يعرف حقـه، ويـتيقن فضـله وسـبقه، فلو رعيتم له حرمه القرابة وفضل وراثة النبـوة)تأمل(! لعلمتم حرمة ذلك الـدم الـزكي، وكـثر عليه منكم البـاكون، والبـواكي، فإن كان ذلك من غرضكم فإنا نفعله إن شـاء الله تعـالى، وإن لم يكن من إرادتكم فلسـنا بتاركيه بتوفيق الله سبحانه،والسلام) [1].

والرسـالة لم تقتصر على بنـاء المشـهد عليه بل تعـدت إلى طلب الاستشفاء بتراب مصرعه، والسؤال بتربته، والاسـتمطار بقـبره، فهل كـان الإمـام فعلاً- وهو من هو في العلم والعقل

---

[1] هجر العلم (225-1/223)

والدهاء - هل كـان يعتقد ذلـك؟! أظنه لم يكن كـذلك وإنما كما قلت سابقاً يريد إسباغ الهيبة وإضفاء المكانة على مشهد وقبر أخيـه، ولـذلك فإنه حينما لم يتم الإصـغاء إليه فأنه نقل جثمانه إلى قرية الزاهر بالجوف حيث قُبِر هناك [1].

والإمام الثاني الذي كرر نفس الأسـلوب هو الإمـام يحـيى بن محمد حميد الدين الذي أمر في رسالة أخرى قبيلة أرحب ببناء تابوت وقبة على قبر الإمـام أحمد بن هاشم الويسي المتـوفي سـنة (1269هــ)والمـدفون في "دار أعلاـ" من أرحب للتـبرك به،وهدَّدهم إن لم يفعلوا ذلك بأنه سينقل رفاته إلى مكان آخر، فما كان من أهل أرحب إلا أن بنـوا له قبة ووضـعوا على قـبره تابوتاً [2]، والذي جعلني أدَّعي أن البـاعث على ذلك هو السياسة أن الإمام يحيى كذلك كان عالماً وعاقلاً ولم يكن من السذاجة بحيث يعتقد أن ذلك مما يحبه الله ويرضـــــاه،ثم إنه في نفس الـوقت أو بعـده بقليل كـان ابنه وولي عهـده الإمـام أحمد بن يحيى يهدم قبور أولياء الصوفية في الديار الشافعية كما سيأتي بعد قليل.

تلك هي الحوادث والتصرفات التي تـدل على أن أئمة الزيدية يبنـون المشـاهد لأجل السياسة وإن كـان قد تـرتب على ذلك خلل كبير في عقيـدة الكثـير من العـوام وأشـباههم، كما صـور ذلك الإمام الشوكاني رحمه الله حين ذكر ما يجري عند مشـهد الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذيـبين [3]، وبعد أن أَلِـفَ علمـاءُ تلك البلاد هذه □□□□□□ -وكان القائمون وراءها أئمة مجتهدين - ركنــوا إلى ذلك الواقــع، وأحسـنوا الظن بمن سن تلك السـنة وتابعوهم عليهـا، ليس بالفعل فقط ولكن بالإفتـاء أيضـاً، وهـذه نقلة خطيرة جداً، وتحـول كبـير في هـذا المسـار عند الزيديـة، والذي أفتى بذلك هو الإمام الجليل يحيى بن حمزة الـذي أثـنى عليه الإمام الشوكاني رحمه الله في البدر الطالع ثنـاءً عـاطراً [4]، رغم رده عليه في هــذه الفتــوى، والفتــوى المقصــودة هي مانقلها عنه الإمام المهدي في البحر الزخار حيث قال: (مسألة

---

[1] المصدر السابق (1/224).
[2] المصدر السابق (1/255).
[3] 4 انظر : الدر النضيد ص(48)0
[4] البدر الطالع (2/ 332-332)

(ي) ولابــأس بالقبــاب والمشــاهد على الفضــلاء لاســتعمال المسلمين ولم ينكر) [1].

ثم تبع الإمام المهدي على ذلك الإمام يحيى فقال في الأزهار وهو يتكلم عما يندب في القبر ومنه رفعه قدر شبر (وكره ضد ذلك والإنافة بقبر غير فاضل)[2]

ومن المعلوم أن الإمام الشوكاني قد ردّ على هذه الفتوى بكتابه المشهور "شرح الصدور في تحريم رفع القبور ".

هذا ما يتعلق ببناء المشاهد والقباب وأما هدم تلك المشاهد وكونه للسياسة كذلك فهو أظهر، وإليك هاتين الواقعتين:

أما **الواقعة الأولى** فهي ما حدث من هدم للقبور المشرفة والمشـــــاهد المقامة عليها أيــــام الإمــــام المتوكل على الله المعاصر للشــوكاني،حيث إنه أجــاب أئمة الــدعوة النجدية إلى هــدم بعض المشــاهد في صــنعاء وما حولهــا،وكتب بــذلك إلى سائر الجهات، ذكر ذلك الإمـام الشـوكاني في "البـدر الطـالع" وصــاحب كتــاب "حوليــات يمانية " وســيأتي نص كلامهما في الباب الثالث إن شاء الله [3]، وقد جزْمتٌ بأن الأمر كـان سياسة لا تديناً؛ لأن ذلك الإمام بينما كان يرضخ للنجديين ويداهنهم كما عــبر بــذلك صــاحب الحوليــات كــان في نفس الــوقت يكــاتب الأتراك والمصريين للقـدوم إلى الجزيـرة والقضـاء على الدولة النجدية [4].

والواقعة الثانية الــتي تــدل على أن من أئمة الزيدية من يهــدم القبــور لأجل السياسة هي حادثة هــدم بعض القبــور في

---

[1] البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار تـأليف الإمـام أحمد بن يحـيى المرتضى (2/132)، طبع دار الحكمة اليمانية صنعاء تصوير عـام (1409هـ-1988م) عن الطبعة الأولى (1366هـ-1947م)(2/132)0

[2] الأزهــار في فقه الأئمة الأطهــار(1/361) للإمــام المهــدي صــاحب البحر الزخار مع شرحه السـيل الجـرار تحقيق محمد إبـراهيم زايد طبع دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى الكاملة (1405هـ-1985م) .

[3] الباب الثالث(ص 547).

[4] انظر ذكريــات الشــوكاني ص (113- إلى آخر الكتــاب) تحقيق د.صــالح رمضــان محمــود طبع دار العــودة (1983م) وحوليــات يمانية ص (22-23) تحقيق عبدالله محمد الحبشي لم يسم المؤلف طبع دار الحكمة اليمانية صنعاء ط الأولى (1411هـ-1991م)

الديار الشافعية من اليمن، والتي قام بها الإمام أحمد بن يحيى حميد الــدين حيث أزال القبة الــتي على قــبر الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل عـام (1348هــ)، حينما كـان واليـاً للعهد بعد أن تغلب على معارضة قبيلة الزرانيق – التي كـانت تعـرف من قبل بالمعازبـة- لامتـداد نفـوذ الإمـام يحـيى إلى بلادها ودخولها تحت حكمه، كما أزال الإمام أحمد كذلك التابوت من على قــبر أحمد بن علـــوان في يفـــرس من ناحية جبل حبشى عـــام(1362هـ) [1]،قد يقول قائل لم لا تحمل هذا العمل على المحمل الحسن وتجريه على أفضل تقــــدير وتجعله من بــــاب إزالة المنكر؟

فـأقول: إن الــذي يمنع من حمله على ذلك هو عــدم إقــدام الإمام أحمد عندما كان ولياً للعهد، أو بعد أن أصبح إمامــاً على إزالة شئ من مشـاهد البلاد الزيديـة، فلو كـان الأمر لوجه الله لما فعله في ناحية وتركه في ناحية أخــــرى، قد يكـــون بعض مشاهدها أشد من تلك التي هدمها،كما قال القاضي إسـماعيل الأكــــوع حفظه الله [2]، ومما يؤكد صــــلة المشـــاهد الزيدية بالسياسة أن معظم المشـاهد المعظمة في الـديار الزيدية هي للأئمة وحواشيهم، وقلّ أن تجد مشـهداً لرجل فقـير أوضـعيف، وإليك قائمة بأهم المشاهد الزيدية وستكون إن شــاء الله على حسب التسلسل الزمني لإنشائها:

1) مشهد الإمـام المنصـور بالله عبدالله بن حمـزة من منطقة ظفار ذيبين.

2) مشهد الأمير عماد الدين يحي بن حمزة (أخو عبدالله بن حمزة) بمدينة كحلان.

3) مشهد الإمام أحمد بن الحسين المعـروف بـأبي طير في مدينة ذيبين.

4) مشهد الإمام يحيى بن حمزة (وليس أخا عبدالله بن حمزة بل هو من ذرية الحســين وليس من ذرية الحسن [3])ومشــهده بمدينة ذمار.

---

[1] هجر العلم (1/222-223).

[2] نفس المصدر نفس الموضع.

[3] انظر البدر الطابع (2/332-333).

5) مشــهد الإمــام الهــادي إلى الحق يحــيى بن الحســين بصعدة[4] ومعه عـدد من أبنائه وأحفـاده ومشـهد الإمـام المهـدي باني تلك المشاهد.
6) مشهد الإمام صلاح الدين بصنعاء.
7) مشهد الإمام المهدي لـدين الله أحمد بن المرتضى حصن الظفير حجة.
8) مشـهد الإمـام المهـدي صـلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم بصعدة.
9) مشـــهد الإمـــام الناصر محمد بن يوسف بن صـــلاح بن المرتضى بمدينة ثلا.
10) مشهد الإمام شرف الـدين يحـيى بن شـمس الـدين أحمد بن يحيى المرتضى بظفير حجة.
11) مشـهد مدرسة الإمـام شـرف الـدين بثلا، وفيه عـدد من أبنائه وبناته وذويه.
12) مشـهد الأمـير صـلاح الـدين بن شـمس الـدين بن الإمـام شرف الدين بمدينة ثلا.

هــذه بعض المشــاهد وقد تــركت الكثــير ســواها وهي كلها موجــودة مشــاهدة للعيــان، وقد كتب عنها كتابة تاريخية أثرية الدكتور علي سعيد سـيف في رسـالته المقدمة للـدكتوراه من جامعة صنعاء باسم "الأضرحة في اليمن من القــرن الرابع إلى القــرن العاشــر"، فيمكن لمن أراد معرفتها بدقة أن يرجع إلى هناك.

مع العلم أن أكثر هذه المشاهد تضم إلى جوار من هي باسمه عدداً من أبنائه وأحفـاده وزوجاتــه، وهـذا يثبت أن أئمة الزيدية قد ساهموا في نشر مظاهر القبورية في جهاتهم كسائر حكـام اليمن.

المطلب الثـالث: الدولة الرسـولية ودورها في نشر القبورية في اليمن:

---

[4] وهو مؤسس الدولة الزيدية باليمن توفي سنة (298هـ) ولكن المشـهد لم يعمر إلا مابين سنة (733) و(750هـ) وهي فترة حكم الإمـام المهـدي لـدين الله علي بن محمد الذي كان أول من بنى مشاهد مقبرة صـعدة على قبـور الإمام الهادي وبنيه ، انظر : الأضرحة ص (161)

لمحة عن الدولة الرسولية:

الدولة الرسولية منسوبة إلى مؤسسها " نـور الـدين عمر بن علي بن رسول" (ت 647هـ)، وقد قـامت على أنقـاض الدولة الأيوبية،حيث كان عمر بن علي من قواد هـذه الدولة أيـام آخر ملوكها الملك المسـعود، وحين عـزم الملك المسـعود على السفر إلى مكة حيث مـات بهـا، استبد بـالأمر ودعا إلى نفسه وخطب له بـذلك، ثم تـوالى أبنـاؤه وأحفـاده في الملك والسـلطنة، وامتـدت دولتهم من حضـرموت إلى مكة بل في بعض الأحيان من ظفار إلى مكـة، وعاشـوا في صـراع مع أئمة الزيديه حينـاً يأخـذون صـنعاء وذمـار وحجـة، وحينـاً يصل أئمة الزيدية إلى زبيد أو إلى تعز أو إب وهكـذا، وامتـدَّ حكمهم من سنة (625هـ) إلى سنة (958هـ) وهي مـدة طويلة زادت على ثلاثة قرون وقد تميزت هذه الدولة بالقوة والعظمة والإنجازات الضخمة في شتى الميادين.

ففي العمران فعلت ما لم تفعله دولة أخرى في اليمن،وكـان أكثر ملوكها مشاركين في العلم والأدب فبنوا المدارس وجلبـوا العلماء والمدرسين ووقفوا الأوقاف العظيمة عليها،كما جمعـوا نفـائس الكتب بل ألفـوا الكثـير منها في فنـون مختلفـة، وفي عصرهم ازدهر التصوف وشجع بعضهم أتباع ابن عربي أصحاب وحدة الوجود.

وبالجملة فقد كانت هذه الدولة مفخرة من مفـاخر اليمن في جـوانب كثـيرة، كما كـانت فاتحة شر كبـير في جـوانب أخـرى، ومن أهمها فتح البـاب أمـام التصـوف المنحـرف الفلسـفي تصوف أصحاب وحدة الوجود الذي ما تـزال آثـاره ظـاهرة إلى هـذا التـاريخ وإن أفل نجمه وذهبت دولتـه، كما أنهم رسـخوا القبورية في اليمن من خلال قبـور سـلاطينهم وتبـنيهم لبنـاء بعض المشاهد على قبور بعض من يعتقدون فيه الصـلاح، هـذه هي الدولة الرسولية.

وإليك لمحة عن بعض قبور الدولة الرسولية:

قبور الدولة الرسولية:

1) الملك نــور الــدين عمر بن علي بن رســول المتــوفى(647هـــ) [1] دفن في المدرسة الأتابكية في ذي هـــزيم في مدينة تعز بعد أن نقلوه إليها من الجند [2].
2) الملك الأشــرف عمر بن المظفر المتــوفى (696هــ) [3] ودفن في المدرسة الأشرفية بمدينة تعز [4].
3) الناصر بن الأشـــرف المتـــوفى (725 هـــ) [5] ودفن في المدرسة الأشرفية مدرسة والده [6].
4) الملك المجاهد المتـوفى (764هــ) [7] ودفن في مدرسـته المجاهدية بتعز [8].
5) الملك الأفضل بن المجاهد المتــوفى (778هـــ) [9] وحمل من زبيد إلى تعز ودفن في مدرسته الأفضلية [10].
6) الملك الأشرف بن الأفضل المتـوفى (783 هــ) [11] ودفن بمدرسته الأشرفية بتعز [12].
7) الملك الناصر بن الأشــرف المتــوفى (878هــ) [13] ودفن في مدرسة والده الأشرفية [14].

---

[1] ا? نظر ترجمته في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية(1/51) تأليف علي بن الحسن الخزرجي تحقيق محمد بن علي الأكوع طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني الطبعة الثانية (1403هـ-1983م) وقرة العيون ص(299) .

[2] 2العقود اللؤلؤية (1/82).

[3] انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية (1/239) وقرة العيون ص(337).

[4] المفضل المزيد ص (94)

[5] ? انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية (2/13) وقرة العيون ص (349) .

[6] ? الفضل المزيد ص (96).

[7] 7

[8]

[9] انظر ترجمته في : العقود اللؤلؤية(2/111) وقرة العيون ص (368). .

[10] الفضل المزيد ص(102).

[11] انظر ترجمته في العقود اللؤلؤية (2/141) وقرة العيون ص(376).

[12] الفضل المزيد ص (104).

[13] المصدر السابق ص(104) .

[14] المصدر السابق ص (108).

8) الملك المنصـور بن الناصر بن الأشـرف المتـوفى (830 هــ) [1] ودفن بمدرسة جـده الأشـرفية،وقد كـان موته بمدينة زبيد فُحمل إلى تعز [2].

9) الملك الظـــاهر يحـــيى بن إســـماعيل المتـــوفى (842 هـ)[3]ودفن في مدرسته الظاهرية [4] بمدينة تعز.

10) الملك الأشرف إسماعيل بن الظـاهر يحـيى المتـوفى (845 هـ)[5]ودفن عند والــــــــده بالمدرسة الظاهرية بمدينة تعز[6].

هــؤلاء الملــوك الــذين وقفت على التصــريح بــدفنهم في المدارس التي بنوهـا، ولا يبعد أن يكـون غـيرهم من الأمـراء ومن الملـوك الـذين ولّـوا ولايـات قصـيرة أو خرجـوا على الملـــــــوك الرســميين أن يكونــوا كــذلك قد دفنـــوا في مـــــدارس أو مشاهد، بل لا يبعد أن تكون نسـاؤهم كـذلك وقد وقفت على تصريح بواحدة منهن.

انظر ترجمته في العقـــود اللؤلؤية (2/113) وقـــرة العيون ص(349).
8 الفضل المزيد ص(98)

11) قال ابن الديبع: وفي السنة المذكورة (836هـ) تــوفيت أم السـلطان الحـرة الطـاهرة، أم الملـوك جهة الطواشـي، جمال الدين فرحان بمدينة زبيد في الثـاني عشر من صـفر، ودفنت قريباً من تربة الشـيخ طلحة بن عيسى الهتـار، وأمر ولدها السلطان الملك الظـاهر بإنشـاء مدرسة عظيمة على ضــريحها ورتب فيها إمامــاً وخطيبــاً وأيتامــاً ومعلمــاً لهم

---

[1] المصدر السابق ص (108).
[2] المصدر السابق ص (109).
[3] الفضل المزيد ص(109)0
[4] المصدر السابق ص(113)0
[5] المصدر السابق ص (113-114)0
[6] المصدر السابق ص (115)0

وعشرين قارئاً يقرؤون القرآن عند ضريحها عقب كل صلاة، ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم.[1]

12) كما أشـار الجنـدي إلى أن هنـاك تربية خاصة بخـواص وأقارب بني رسول حيث قـال في ترجمة محمد بن القاضي عمر الهزاز: (وكـان المظفر يجله ويعتقد صـلاحه وربما زاره ســـراً إلى منزله - إلى أن قـــال- وحين بلغت وفاته الملك المظفر كتب إلى أولاده سـألهم أن يـدفنوه في التربة الـتي هي قبلي جامع عدينه، ففعلوا ذلك إذ خواص بني رسول من القرابة والسراري مقبورون فيها) [2].

وهذه التربة ربما كانت على غـرار تـرب الفـاطميين والمماليك التي سبق ذكرها.

<u>مساهمة سلاطين الدولة الرسولية في بناء المشاهد على قبور من يعتقدون فيهم الصلاح:</u>

بنى سلاطين الدولة الرسولية المشاهد والقباب على قبور من يعتقـدون صـلاحهم، ولكن للأسف لم نجد النص الصـريح على شئ من ذلك إلا على قـبر الشـيخ أحمد بن علـوان، ومشـهد أحمد بن علـــوان يوجد بمنطقة يفـــرُس محافظة تعـــز، وهو معاصر للملكَيْن عمر بن علي بن رســول وابنه المظفـر، ويعد من أكابر أقطـاب الصـوفية في اليمن، عُمّر مشـهده وأول من عمّــره الملك المظفر ذكر ذلك صـاحب الأضـرحة، ولم يحـدد التاريخ الذي جرى فيه البناء،كما أن المشهد والمسجد المجاور له قد شهد توسـعة وترميمـاً كثـيراً في فـترات مختلفـة، أهمها على يد الســلطان عـــامر بن عبـــدالوهاب الطـــاهري كما هو مكتوب هناك[3]،وآخرها على يد بعض ولاة الأتراك.

---

[1] المصدر السابق ص (111).
[2] السلوك (2/ 117) .
[3] الأضرحة ص (123) وما بعدها .

المبحث الرابع
نشأة الصوفية ودورها في نشر القبورية في اليمن

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأة الصوفية في اليمن:

سبق تعريف الصوفية والتفريق بين الزهد الذي دعا إليه الإسلام وبين التصوف المنحرف، والإيضاح بأن كلامنا إنما هو منصب على التصوف الفلسفي المنحرف، سواء شَعَرَ المتصوفة القائمون به بأصل ذلك التصوف وعرفوا مصادره أم أخذوه تقليداً وثقة بمن قبلهم، فالانحراف هو الانحراف إن أتى على يد خبيث ماكر أو على يد صالح مغفل، وأما الأشخاص أنفسهم وما هي مقاصدهم ونواياهم فذاك شيء مرده إلى الله تبارك وتعالى وليس إلينا، إذا عرفنا هذا التذكير حق لنا أن نشرع في رصد مبدأ هذا التصوف المنحرف ونشأته.

روّاد التصوف في اليمن:

لعل حضرموت كانت هي الرائدة في جلب واستيراد التصوف، فقد ذكر مؤرخو حضرموت أن أول من عرف بالتصوف فيها هو " عبدالله بن أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله " حيث ذكر الشاطري في " أدوار التاريخ الحضرمي " أن من شيوخه أبا طالب المكي، فقد تلقى عنه علم التصوف، وقرأ عليه كتابه "قوت القلوب " ذلك الكتاب الشهير في فن التصوف.وذلك لما حج سنة (377 هـ) [1] غير أن هذا الرجل لم يكن له أثر يذكر في نشر التصوف في حضرموت، كما سيأتي عند حديثنا عن الفقيه المقدم، وهذا كما نرى من رجال القرن الرابع.

وفي القرن الخامس:يطالعنا اسم الصوفي "سود بن الكميت" المتوفى (436 هـ) حيث ترجمه الشرجي في "طبقات الخواص "،وذكر قصة تحوله إلى التصوف، وأنه كان له أصحاب ومريدون، وأنه كان يجلس معهم في المسجد

---

[1] أدوار التاريخ الحضرمي ص(162- 163) .

ويأكل وينام معهم فيه [1]،وهو أشهر من عـرف بالتصـوف أو من أشهرهم في هـذا القـرن،مع وجـود آخـرين أشـار إليهم السـيد عبدالله الحبشي ولم يـبين أسـماءهم وذكر أنهم من المنـاطق المحاذية لتهامة ومن مدينة تعز[2].

وفي القرن السادس: اشتهر الصوفي أحمد بن أبي الخير الصياد المتوفى سنة (579 هـ) وقد كان رجلاً عادياً من عـوام مدينة زبيـد، وعلى أثر رؤيا رآها تحـول إلى التصـوف، وصـحب الشيخ إبـراهيم الفشـلي الآتي ذكـره في القـرن السـابع، قـال الشــرجي بعد ذكر الرؤيــا:(ومنذ ذلك الــوقت أخذ يــترقى في درجات التصوف) [3].

قلت: ثم اشـتهر أمـره، وتجمع حوله المريـدون وسـجلت له الكرامـات،ونقلت عنه أقــوال ذات قيمة عند أهل التصــوف [4]. والملاحظ أنه في هذا القـرن بـدأت تتكـون جماعـات التصـوف ويلتــفّ المريــدون حــول شــيوخهم لا لطلب العلم ولكن لأخذ الفيوضات والبركات وسلوك ذلك الطريق المبتـدع، وليس هـذا خاصـاً بالصـياد وحـده بل قبله كـان لشـيخه إبـراهيم الفشـلي، الذي سيأتي الحديث عنه في القرن السابع.

القرن السابع: هـذا القـرن هو في الحقيقة قـرن التصـوف ففيه نبتت وترعرعت البذور التي بـذرت في القـرون الماضـية وشهد تحولات كبيرة منها:

1)دخـول مدرسة ابن عـربي - مدرسة وحـدة الوجـود - إلى اليمن وكـــان ذلك على يد رجل غـــامض مشـــبوه يقـــال له "المقدسي"، لا يعرف اسـمه الحقيقي ولا شـيء من ترجمته [5]؛ وذلك لشـــدة حنق الفقهاء وأهل العلم عليه وهجـــره، بل

---

[1] طبقات الخواص ص(150-151) .

[2] الصـوفية والفقهـاء في اليمن ص(12) تـأليف عبدالله بن محمد الحبشي توزيع مكتبة الجيل الجديد صنعاء (1396-1976).

[3] طبقات الخواص ص (64-69) .

[4] المصدر السابق .

[5] قـال القاضي إسـماعيل الأكـوع في كتابه المـدارس الإسـلامية في اليمن طبع مؤسسة الرســالة بــيروت مكتبة الجيل الجديد صــنعاء ط الثانية (1406هـ-1986م) ص(83-ـ 84): (لم نعــرف اسم المقدسي كـاملاً ولا تاريخ قدومه إلى اليمن ولا تـاريخ ولادته ووفاته ومكانهما فيما بين أيـدينا من المراجع ، ولعل ذلك الإهمال كان مقصـوداً من المـؤرخين نكاية به وتجـاهلاً لعلمه ومعرفته لعلم المنطق) ،قلت: ليس علمه علم منطق ولكنه

ومحاولة قتله في قصة طويلة عجيبة تـــــــدخّل على إثرها السلطان وزجر الفقهاء وتوعدهم أشد الوعيد إن هم تعرضوا له ولأصحابه [1]، ولكن هـذا الرجل لم يمت إلا وقد غـرس تلك النبتة الخبيثة في اليمن، وقد قرر العلامة الأهدل أنه أول من قدم بكتب ابن عربي إلى اليمن. [2]

كما ظهر هذا القول كذلك في هذا القرن لـدى أبي الغيث بن جميل الملقب شمس الشموس المتوفى سنة (651هــ) وألَّف في ذلك كتاباً [3]، ولـدى معاصـره أحمد بن علـوان وله في ذلك عدة كتب منها:" البحر المشكل الغريب " و" الفتـوح المصـونة والأسرار المخزونة " و" التوحيد الأعظم [4]".

وقد ذكر مترجمو الرجلين أن لهما مكاتبة تشهد بمدى ما وصلا إليه من التبجح والدعوى التي عـرف بها أهل تلك النحلـة، قـال الشـــرحبي في ترجمة أبي الغيث:(وكتب إليه الشـــيخ أحمد المذكور " ابن علوان " مرة من بلده كتاباً يقول فيه: أما بعــد. فإني أخبرك أني:

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا حتى انتهيت مراتب الإبداع

لا باسـم ليلى أستـعين على السـرى كـلا ولا لبُنى تقل شراعي

فأجابه الشيخ أبو الغيث بكتاب يقول فيه: من الفقير إلى الله تعــالى أبي الغيث بن جميل غَــذِيِّ نعمة الله تعــالى في محل الحضرة، أما بعد فإني أخبرك أني:

الفلسفة الإلحادية .

[1] السلوك (2/111- 113) .

[2] كشف الغطـــاء عن حقـــائق التوحيد وعقائد الموحـــدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعة وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين ص(217) للعلامة الحسين بن عبدالرحمن الأهدل طبع تونس .(1964م) .

[3] أنكر العلامة الأهـدل أن يكـون هـذا الكتـاب للشـيخ أبي الغيث وذلك لأنه أمي ، ولكن الســـيد عبدالله الحبشي رد عليه في ذلك وأثبت أن الكتـــاب تأليف ابن جميل. انظر : الصوفية والفقهاء (ص71 – 72) .

[4] الصوفية والفقهاء ص(72).

(3) تجلَّى ليَ الاسم القديم باسمه فاشتُقَّــتِ الأسماء من أسمائي
وحبانيَ الملك المهيمن وارتضى فالأرض أرضي والسماء سمائي. [1]

قـال الحبشـي:(وبهـذين الـرجلين – أبي الغيث وابن علـوان – قــامت مدرسة الفلســفة الصــوفية في اليمن، إلا أن قربهما المباشر من عصر ابن عربي لم يجعلهما يسـتفيدان من كتاباته الخاصــة، وإنما كــان ذلك من خلال المشــرب الــذوقي الــذي عُرِفتْ به تعاليم هذه المدرسة، وهم ينهلون جميعاً من الاتجـاه الذي سار عليه أسلافهم من دعواهم في الحب والقرب وغيره من إشارات الصوفية)[2].

2)في هــذا القــرن دخلت الطــرق الصــوفية من الخــارج، ونشـأت الطـرق الصـوفية المحليـة،وإليك لمحة عن أهم الطرق الصـوفية الـتي عرفتها اليمن في هـذا القـرن في المطلب التالي.

المطلب الثاني: أهم الطـرق الصـوفية الـتي عرفتها اليمن:

الطرق الوافدة:

1) الطريقة القادرية: وهي أول وأشـــــهر الطـــــرق الصوفية في اليمن، وقد أعـاد الحبشي أول لقـاء لليمنـيين بهذه الطريقة وشيخها إلى سنة (561 هـ)، وهي سنة وفاة الشيخ الجيلاني - رحمه الله - حيث لقيه اثنان من اليمنيين في موسم الحج، وهما الشــــيخ " علي بن عبـــــدالرحمن الحداد " والشيخ "عبدالله الأسـدي "، أما الأول فـالتقى به صدفة عند الكعبـة، وأما الثـاني فقد سـافر خصيصـاً للقـاء الشيخ عبدالقادر عندما علم بأنه ناوٍ على الحج تلك السنة، فالتقى به في عرفات. ولم يوضّـح ما هو دور الـرجلين في نشر الطريقة القادرية في اليمن؟ولكن من بين من ذكر أنهم أخـذوا الطريقة القادرية من صـوفية اليمن "أحمد بن أبي الجعد "ووفاته ببضع وسبعين وسبعمائة [3]،(وأبو بكر بن

---

[1] طبقات الخواص ص (409 _ 410) .
[2] الصوفية والفقهاء ص (73)
[3] طبقات الخواص ص (72 – 74) .

محمد بن أبي حربه) وفاته (794هـ) [1] وبهذا نقطع أن هـذه الطريقة دخلت اليمن في القرن السابع وربما قبله بقليل.

2) **الطريقة المَدْيَنِيَّة**:المنسوبة إلى الصوفي المغربي الشهير "شعيب أبي مـدين التلمسـاني"، وهـذا الصـوفي قد صدّر طريقته إلى اليمن عن طريق مكة عـبر تلميـذه عبــدالرحمن المقعــد، ولكن المقعد مــات في الطريق فوكل إيصــــالها إلى رجــــلٍ آخر هو "عبدالله الصـــــالح المغربي" الذي وصل إلى تريم،وإلى من سماه أبو مدين ووصفه الفقيه المقدم- محمد بن علي باعلوي- المتوفى سنة (653 هـ)، فـدخل خلسة إليه وهو في حلقة شـيخه الفقيه "علي بن محمد بامروان "فغمـزه وأخـذه من بين يـــدي شـــيخه فأبلغه الرســـالة وحكّمه وألبسه لبـــاس الصوفية، فعاد إلى شيخه وهو كذلك فغضب عليه شـيخه وزجـره وظل مقاطعـاً له حـتى مـات "رحمه الله "، ثم ذهب إلى قيـــدون فلقي الشـــيخ "ســـعيد بن عيسى العمودي" المتوفى سنة (671 هـ) فحكّمه كـذلك وأدخله في عــداد الصــوفية،ولقي في دوعن كــذلك " بــاعمر " صـــاحب عُـــورَة وألحقه بالجماعـــة، ثم توجه إلى ميفعة ولقي الشيخ عبدالله باحمران فحكّمه كذلك وألحقه بهم، واســتقر في ميفعة حــتى مــات، وعند موته قسم تركته بين تلاميذه وأشار إليهم بأن هناك علامة على من يكــون شــيخهم وهو أن يقع من نصــيبه الســبحة فــوقعت من نصــيب الفقيه المقــدم، وبــذلك أصــبح شــيخ صــوفية حضرموت وشيخ الطريقة المدينية بها، وعند وفاته نصّب زوجته أم المســــاكين في منصب شــــيخ الصـــــوفية بحضرموت [2].

---

[1] الطبقات الخواص ص (380 – 381) .

[2] انظر : قصة إرسال أبي مدين إلى حضرموت في(الجـوهر الشـفاف في ذكر فضـائل ومنـاقب وكرامـات السـادة الأشـراف) تـأليف عبد الـرحمن الخطيب الأنصاري وهو مخطوط ، ولدي نسخة مصـورة منه (1/81ـ 82) في الحكاية السابعة والعشرين وفي المشرع الـروي (2/ـ 4-5) ،وحـتى لا يظن أحدٌ أنني بالغت في تعبيري أو طعنت في (عبد الله الصالح المغربي – ومرسله أبي مدين – أو في الفقيه المقـدم) ، أسـوق قصـتهم بحروفها من الجــوهر الشــفاف لعبــدالرحمن الخطيب حيث قــال : (الحكاية الســابعة والعشرون: روى المشايخ أنه قيل لشـيخ شـيوخنا الشـيخ الفقيه محمد بن

3) **الطريقة الرفاعيـــة:** المنســـوبة إلى أحمد بن علي الرفاعي المتوفى (578هـ)، وقد دخلت اليمن على يد عمر بن عبدالرحمن بن حسان القدسي المتوفى سـنة (688هــ) وكـان الشـيخ قد أدرك أحد أحفـاد الشـيخ أحمد الرفـاعي وهو نجم الـدين الأخضـر،فأخذ عنه الخرقة الرفاعيـة، وتـربى بين يديه تربية صـوفية، فلما اسـتكمل الشـيخ تعليمه أمـره أن يـدخل اليمن وينشر الخرقة الرفاعية هنالـــــــك، وفي اليمن اجتمع

علي :إنه لا يفك قفل قلبك إلا الشـيخ عبـدالرحمن المقعد ،وكـان الشـيخ عبـدالرحمن المقعد إذ ذاك بمكة -حرسـها الله تعـالى- فسـار الفقيه شـيخ شيوخنا = = قاصداً نحوه ، فلما بلغ أثناء الطريق أخبر بوفاته فرجع إلى بلده ،وكان الشيخ عبدالرحمن المذكور من كبار تلامذة الشيخ الكبير خاص الخــواص أبي مــدين ، وكــان شـيخه أبو مــدين قد أمــره بالســفر إلى حضرموت ، وقال لـه: إن لنا فيها أصـحاب سر إليهم وخذ عليهم عقد الحكم ولبس الخرقة أو كما قــال ، و قــال له : ولكنك لاتصل إليهم بل تمــوت في أثناء الطريق ونرسل إليهم من يأخذ عليهم ذاك ، فسـار الشـيخ عبـدالرحمن طالباً حضرموت ، فلما بلغ في أثناء الطريق حضـرته الوفـاة فأحضر تلميـذه الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عبدالله الصالح المغـربي - و كـان من أولاد ملـوك المغـرب فـآثر سـلوك هـذه الطريقة ففتح له وكـان من كبـار تلامذته ولهما الكرامات الخارقة والإشـارات المفيـدة الفائقة - وأمـره بالمسـير إلى حضـرموت وقـال له ما قـال له الشـيخ أبو مـدين ، وفي رواية أنه قـال له أيضاً : اذهب إلى حضرموت تجد فيها الفقيه محمد بن علي أبو علــوي عند الفقيه علي بن أحمد أبي مروان يستقي يعني يأخذ منه العلم ، طارح سلاحه فوق رجليه ، فـاغمزْه من عند الفقيه وحكِّمْـه، واذهبْ إلى قيـدون تجـدْ فيها الشيخ سعيد بن عيسى فحكّمْه ، قال الشيخ عبدالله : فلما وصلت إلى تريم وجدت الفقيه محمد بن علي كما قال الشـيخ عبـدالرحمن فغمزته وحكّمته - و ما شاور أبا مـروان - فلما رجع إليه وفي رأسه الخرقة اغتـاظ عليه وقـال له : رجوناك إماماً مثل ابن فورك فتركت صحبتنا ورجعت إلى زي الصــوفية أو كما قــال ، فقــال له الفقيه محمد بن علي : الفقر خــير 0وهجــره أبو مروان إلى أن توفي وستأتي حكايتهما في ذلك إن شـاء الله تعـالى ، فسـار الشيخ عبدالله فلما وصل إلى حضرموت اجتمع بشـيخ شـيوخنا الفقيه محمد بن علي وقال له الشيخ عبدالله : أي لؤلؤة عجماء لو ثقبت ، فقال الشــيخ محمد ، وما الثقب قال :التحكيم ، فانخلع الشيخ محمد عما هو عليه من زي الفقهـاء وتـرك صـحبتهم ،وتحكم للشـيخ عبدالله ولبس منه الخرقة ، وأقبل على الله تعالى في السر والعلانية ورغب في صـحبة الصـوفية ، قـالوا ودعا لذريته عند ذلك بثلاث دعــوات (الأولى) بـــذل النفــوس ولا يعــودون إلى العمومية أي لا يزالــون على زي الفقــراء (الثانية) أن لا يسـلط الله تعالى عليهم ظالماً يؤذيهم (الثالثة) أن لا يمـوت أحد منهم إلا وهو مسـتور في دنياه - أي لا تكون به حاجة تضر بدينه - قالوا : فقبلهن الله تعـالى ، فما

القدسي ببعض من صــوفيتها أمثــال الشــيخ عمر بن ســعيد الهمداني وغيره، ويقول الشرجي: أنه (تنقل بعد ذلك إلى عـدة أمــاكن في اليمن وابتــنى عــدة ربط بعد أن شــهر الخرقة الرفاعيــة، وانتشــرت عنه انتشــاراً كليــاً لاســيما في مخلاف جعفر) [1].

4) **الطريقة الشاذلية**: نسـبة إلى الشـيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المتوفى سنة (656هـ)، وقد انتقلتْ هـذه الطريقة إلى اليمن على يد الشــيخ علي بن عمر بن دعســين الشاذلي الذي كان من أوائل المؤسسين في اليمن [2].

5) **الطريقة السهروردية**: نسبة إلى الشيخ عمر بن محمد الســهروردي المتـوفى سـنة (631هــ) ذكرها العيـدروس في الجـــزء اللطيف وذكر أن من أتباعها في اليمن إســـماعيل الجبرتي والعلوي [3].

<u>الطرق المحلية</u>: أهم الطـرق المحلية الـتي نشـأت في هـذا القرن:

يموت أحد منهم إلا وهو بتلك الصفة ، ولم يسلط الله تعـالى عليهم بعد ذلك ظالماً أبداً ببركة دعوة الشيخ لهم) . الجوهر الشفاف (1/81-83).

وكذلك قال الشلي في المشرع : (فلما رآه شيخه علي بامروان تغـير عما كان قال له: أذهبْتَ نورك وقد رجونا أن تكـون كـابن فـورك واخـترتَ طريق التصوف والفقر وقد كنت على المقدار والقدر ، فقال الأستاذ : الفقر فخري وبه أفتخر ، وبه على النفس والشــيطان أنتصر ، ولا أتباعد عنكم إعراضــاً ، ولا تبدلت بكم معتاضـاً 0 وهجـره الفقيه وظن أن يفيد فيه الهجر ، ورأى أنه أعظم من الزجر ، واستمر مهاجراً له إلى أن مات0) المشرع الروي (1 / 2-ـ 5)ـ ، وفي هجر الإمــام بـامروان للفقيه المقـدم دليل على أن أهل حضرموت كانوا على منهج الكتاب والسنة ، وأنهم لم يعرفوا ذلك الانحــراف الصوفي إلى أن قـدم ذلك المغـربي بالتصـوف وأخـذه عنه الفقيه المقـدم ، ولكن منذ ذلك التــاريخ اســتفحل الشر وانحــرف الأكــثر بتــأثير ذلك الفقيه وأتباعه من أبنائه وفقرائه واللائــذين بهم ممن ينســبون إلى الفقه والعلم ، بعد أن ضعف الفقه وقل العلم ، ومازال التصـوف يفشو والعلم ينقص حـتى أظلم الكون ، وعم الانحراف ، وظهرت الدعاوى والرسوم ، وزالت الحقائق ، وأصبح من النادر وجود فقيه متضـلع مـدرك للأدلة ومـذاهب العلمـاء قـادر على الــترجيح والاختيــار ، أما علم التفســير والحــديث فلم يبق لهما أثر ، وسيأتي في الباب الثاني مزيد بيان لهذه القضية .

[1] طبقات الخواص ص (245) والصوفية والفقهاء ص (36) 0

[2] انظر الصوفية والفقهاء ص (35)

[3] انظر الجزء اللطيف ص (23) ضمن المجموعة العيدروسية .

1) **الطريقة العلوية:** المنسوبة إلى الفقيه محمد بن علي باعلوي المشهور بالفقيه المقدم الذي سبق ذكره آنفاً في الطريقة المدينية.

2) **الطريقة الأهدلية**: نسبة إلى الشيخ علي بن عمر الأهدل المتوفى سنة نيف وستمائة، وهو أخذها في الأصل عن رجل من أصحاب الشيخ عبدالقادر الجيلاني يسمى الأحوري وقد (كثر أصحابه وأتباعه وتخرج به جماعة ممن شهر، وذكر منهم الشيخ أبو الغيث بن جميل وأحمد بن أبي الجعد) [1].

3) **الطريقة العلوانية**: نسبة إلى الشيخ أحمد بن علوان صاحب يَفْرس [2].

<u>السماع الصوفي:</u>

وفي هذا القرن " السابع " فشى وانتشر السماع الصوفي، وهو إنشاد الأشعار في المساجد ومواطن العبادة بقصد التقرب إلى الله تعالى، واعتبار ذلك من ضمن الوسائل التي تقرب إليه وتزكِّي النفس وتسمو بالروح، سواء حصل معها عزف بالمعازف المعروفة كالدفّ والشبَّابة ونحوها أو لم يحصل، وفي كثير من الأحيان يصحب ذلك رقص وتمايل وطرب زائد، وربما وصل إلى السكر والإغماء وفقدان الشعور، وكل ذلك تُعطى له المسوّغات، ويُؤصل له بما يظهره وكأنه من أعظم القرب وأفضل الشعائر في العرف الصوفي، وكان من روّاده في هذا القرن، الشيخ أبو الغيث بن جميل، والشيخ أحمد ابن علوان،والشيخ محمد بن أبي بكر العواجي، والشيخ محمد بن عيسى الزيلعي [3]، والشيخ سفيان الأبيني وغيرهم [4] وسيأتي مزيد من الحديث عن السماع في الباب الثاني إن شاء الله.

---

[1] طبقات الخواص ص(195 – 198) .

[2] مقدمة كتاب الفتوح للشيخ أحمد بن علوان تحقيق عبد العزيز سلطان طاهر المنصوب طبع دار الفكر المعاصر ط الأولى (1416هـ - 1995م) بيروت لبنان .

[3] الصوفية والفقهاء ص (32) .

[4] طبقات الخواص ص(147) .

الشطح الصوفي:

تعريف الشطح:

عرَّفه المناوي بقوله: (كلام يعبِّر عنه اللسان مقرون بالدعوى، ولا يرتضيه أهل الطريق من قائله وإن كان محقاً) [1]، وفي قوله لا يرتضيه أهل الطريق نظر؛ لأن الواقع أن أعظم من يعتـبرهم الصـــوفية أهل الطريقة أو أهل الحقيقة هم أهل الشـــطح بل المبالغون فيه، بل في كثـير من الأحيـان نجد أعظمهم شـطحاً أرفعهم رتبـــة، ثم كيف لا يرتضـــونه وهم ينقلونه عن أولئك الشاطحين باعتباره من جواهر كلامهم ودرر ألفاظهم وخــوارق كراماتهم، بل ربما أثبتوا به بعض ما يقررون من القضايا 0

لاشـكَّ أنهم يرتضـونه وإنما يتظـاهرون أمـام الآخـرين بعـدم ارتضائه أو بتأويله.

وكذلك قوله (وإن كان محقاً) الغالب في الدعاوى والشطح ألا يكون محقاً، ومن تتبع تلك الشـطحات عـرف ذلـك، والحق في هـــذه القضـــية أن أقصى ما يمكن فعله هو التمـــاس العـــذر للشاطح بأنه قال ذلك في حال سُكْر وغيبــوبة، ومن كـان هـذا شأنه فإنه جدير أن يدرج في طبقـات المجـانين لا في طبقـات الأولياء.

وقد نُقِل شطح كثـير عن صـوفية هـذا القـرن كـان كالمـدخل لأصحاب الـدعاوى والبـاحثين عن الشـهرة والمنزلة عند عـوام الناس، يتوسعون فيه ما شاء لهم هـواهم واسـتخفافهم بحـدود الشرع وعظمة الحق وعقول الخلق.

ومن الصوفية الذين سجّلوا السبق في الشـطح من أهل هـذا القـــرن أحمد بن علـــوان، وأبو الغيث بن جميل في قصـــتهما الشـهيرة ومفاخرتهما الـتي سـاقها معظم من تـرجمَ لهما وقد سبق ذكرها.[2] والفقيه المقـدم محمد بن علي بـاعلوي وهو من أعظمهم في ذلك [3]. والشيخ أحمد بن أبي الجعد الأبيني.[4]

---

[1] التوقيف على مهمات التعاريف ص (429 _ 430)

[2] انظر (ص 222).

[3] انظر بعضاً من شطحه في : الجوهر الشفاف (1/ 35) وما بعدها والغرر ص (147) والمشرع (2/9) .

[4] مرآة الجنان (4/ 349 – 350) .

انتشار التصوف في عموم اليمـن:

وفي هـذا القـرن انتشر التصـوف في عمـوم منـاطق اليمن، وظهر في كل منطقة قطب من أقطـــابهم الـــذين لا يـــزال تـأثيرهم وتعلق النـاس بهم قائمـاً إلى اليـوم، وأكـثر المنـاطق قبولاً للتصـوف في هـذه الفـترة تهامـة، فقد ظهر في شـمالها صاحبا عواجه محمد بن حسين البجلي (621 هــ) [1]، ومحمد بن أبي بكر الحكمي (617هـ) [2] وفي المراوعة ظهر علي بن عمر الأهدل (نيف وستمائة) [3] وفي بيت عطاء أبو الغيث بن جميل (651 هـــ) [4]، وفي بيت الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل (696) [5]، وفي التريبة قرب زبيد عيسى بن إقبـال الهتـار (606هــ) [6]، فهؤلاء ستة من كبـار الصـوفية كلهم من تهامـة، وفي محافظة تعز أحمد بن علوان (655 هـ) [7]، وفي لحج سـفيان بن عبدالله الأبيني (وفاته القـرن السـابع) [8]، وفي أبين أحمد بن أبي الجعد الأبيني (690 هـ) [9]، وفي عدن جوهر بن عبدالله الصوفي سـنة (616هـ) [10]، وفي محافظة شبوة محمد بن عبدالله بامعبد كان حيـاً سـنة (680هــ) [11]، وفي حضـرموت –دوعن- سـعيد بن عيسى العمودي (671)ـ [12] وفي تريم الفقيه المقـدم محمد بن علي باعلوي (653هـ) [13]، ورغم عدم الاستقصاء فإنك تـرى أن معظم ديـار الشـافعية في اليمن قد عمَّها التصـوف في هـذا القرن.

---

[1] انظر ترجمته في طبقات الخواص ص (267) .

[2] انظر ترجمته في المصدر السابق ص (264) .

[3] انظر ترجمته في المصدر السابق ص (195) .

[4] انظر ترجمته في المصدر السابق ص (406) .

[5] انظر ترجمته في المصدر السابق ص (75) ، ومرآة الجنان (4/395) .

[6] انظر ترجمته في المصـدر السـابق ص (249)ـ ، و ومـرآة الجنـان (4/458)

[7] انظر ترجمته في المصدر السابق ص (69) ، ومرآة الجنان (4/357)

[8] انظر ترجمته في المصدر السابق ص (146) ، ومرآة الجنان (4/348) .

[9] انظر ترجمته في المصدر السابق ص (72) ، ومرآة الجنان (4/371) .

[10] انظر ترجمته في المصدر السابق ص (120) ومرآة الجنان (4/347) .

[11] إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت للسـيد عبـدا لـرحمن بن عبيد الله السقاف منشور في مجلة العرب العدد (15) .

[12] القول المختار فيما لآل العمودي من الأخبـار جمعَه عبدالله أحمد النـاخبي مخطوط مصور لديَّ .

[13] الغرر ص (145) وما بعدها والمشرع (2/2) وما بعدها .

أثر الدولة الرسوليَّة في ترسيخ التصوف وتقويته في اليمن:

في هذا القرن كانت الدولة الرسولية في أوج قوتها وعنفوان شبابها، وكان سلاطينها يدينون بالولاء التام للصوفية؛لأن الصوفية قد اتخذوا عندهم أيادي جليلة، من أهمها بشاراتهم بالملك واستمراره في أعقابهم،فجدهم عمر بن علي بن رسول بشَّرَه جماعة من الصوفية بالملك وقوَّوا عزمه عليه [1]. وكذلك بشَّرَ إبراهيمُ الفشلي الملكَ المظفر باستمرار الملك في ذريته حينما نازعه إخوانه على ذلك [2]. وبهذا حصل الاعتقاد التام في الصوفية لدى ملوك وأمراء بل وساء قصور بني رسول، وبذلك مكَّنَتْ الدولة الرسولية للصوفية تمكيناً تاماً ، فما من اعتراض من الفقهاء على الصوفية إلاَّ ويقمعه ملوك بني رسول، وما من انحراف يحدثه الصوفية إلا ويتأوّلونه لهم، وانظر على سبيل المثال قصة النزاع بين الفقهاء وبين أصحاب وحدة الوجود،والتي شرحَها وبيَّنَ مراحلها وأحداثها الأستاذ عبدالله الحبشي في كتابه " الصوفية والفقهاء في اليمن " [3].

هكذا تكامل نشر الصوفية ورسخت جذورها بل وبسقتْ وتمتْ فروعهاوآتتْ ثمارها في هذا القرن، وواصلت التطور والتوسع في القرون اللاحقة [4].

قبورية الصوفية:

سبق الحديث عن نشأة المشاهد وبناء المساجد على القبور في اليمن، وأنها كانت على يد الدولة الصليحية الباطنية، وعلى أيدي السلاطين وبالأخص الأيوبيين والرسوليين ومن جاء بعدهم ومن عاصرهم من أئمة الزيدية، ولم يسجل في ذلك الوقت مشاهد خاصة بالصوفية، ومما يؤكد أنه لم يكن للصوفية مشاهد وقبور شهيرة - يقصدها الناس للتبرك بها وعَمَلِ ما يعمله الصوفية المتأخرون عند قبور أوليائهم - خلوُّ طبقاتِ فقهاء اليمن للجعدي من ذلك تقريباً، وقد كان فراغه

---

1 انظر العقود اللؤلؤية (1/ 52) .

2 الصوفية والفقهاء ص (47) .

3 المصدر السابق من ص (85) إلى آخر الكتاب .

4 انظر الفصل الرابع عشر من كتاب " التصوف في تهامة " ص (117) وما بعدها تأليف محمد بن أحمد العقيلي ، الطبعة الثانية بدون تاريخ ولا دار طبع .

منه في آخر القـرن السـادس في عـام (586هــ) [1]، بينما نجد البهـاء الجنـدي قد شـحن كتابه السـلوك بـذلك، وأكثَـرَ من ذكر القبور التي تزار ويتبرك بها [2]، وإن لم يذكر أن عليها مشاهد إلا نادراً [3]، حتى أن القاضي الأكوع في مقدمته للسلوك تـبرَّم من ذلك، وأنكرَه وسجَّل كلمة قيمة وملاحظة طيبة عليه.

بداية الزيارات الحولية:

وفي تراجم رجال هذا القرن تُطالِعُك الزيـارات الحولية وغـير الحولية للقبـور وبعض الأمـاكن الأخـرى، ففي ترجمة محمد بن ظفر الشـــميري قـــال الجنـــدي: (وبلغتُ تربته قاصـــداً زيارتـه،وأقمت عنـدها أيامـاً، وهو بمسـجد وإلى جنبه امرأتـه، وببركته مـازالت قريته محترمة ما قصـدها أحد بسـوء إلا خذله الله، ولم أجد بتلك الناحية مزاراً أكثر من تربته قصـداً للزيـارة وقضاء الحوائج الـتي تطلب من اللـه، وكـثرة النـذور لهـا، وفي ليلة الرغائب من رجب يجتمع عندها خلق ناشر) [4].

كما يطالعك في هذا القرن بدايةُ اتخاذ اجتماعٍ موسميٍّ لزيارة قبر نبي الله هود على يد الشيخ عبد الله باعبـاد المعـروف بــ" القـــديم " وذلك بعد جـــذاذ النخل وتعبئة التمـــر، وليس على الأشهر القمرية 0[5]

وذكر اليافعي قصة زيارة الشيخ أحمد بن أبي الجعد وأصحابه والشيخ سعيد بن عيسى العمودي وأصحابه لقبر نـبي الله هـود وما جرى بينهما مما سيأتي في الباب الثاني [6]، كما ذكر زيارة الكــثيب الأبيض بــأبين، ويقــال في ذلك المكــان قبــور بعض الصـــالحين، وهو كـــثيب يـــزوره أهل تلك البلاد وما حولها من

---

[1] مقدمة الكتاب ص (ل) .

[2] انظر الجــزء الأول الصـفحات (356) و (392 و 393) و (423) و (455) و (462) ، والجزء الثاني (60 و 61) و (62) , (65) و (82) و (117) , (182) و (183) و (188) و (230) و (234) و (242) و (261) و (447) و (457) و (458) .

[3] انظر : أمثلة ممن أقيم عليه مشهد أو فيه تابوت أو بني على قبره مسجد أو دفن في مســـجد في الجـــزء الثـــاني ص (263) و (426) و (485) .

[4] السلوك (2/263) و الرغائب : هي الصلاة المبتدعة التي تُصلى في ليلة أول خميس من شهر رجب ، وقوله" خلق ناشر " أي كثير.

[5] انظر : تاريخ حضرموت (1/69) 0

[6] انظر ص (237).

البلــدان في كل ســنة في وقت معلــوم في رجب [1]، وفيه ذكر مؤرخو حضــرموت أن الفقيه المقــدم محمد بن علي بــاعلوي كان يزور قبر نبي الله هود [2].

وهكذا في هذا القرن تكاملت فصـول الصـوفية وظهر معظم مقوماتها وعـرف أبـرز رجالها ثم فشت وترسـخت أكـثر وأكـثر حتى يومنا هذا.

---

[1] مرآة الجنان (4/ 352-354) .

[2] انظر : الفرائد في قيد الأوابد للعلامة عبد الله بن حسن بلفقيه ص (25) .

البــاب الثـــــاني

آثار القبورية

ويشتمل على مدخل وأربعة فصول

المدخل

وفيه بيان نشأة العقائد الضالة عن الغلو في الصالحين

الفصــــــــل الأول

عقائد القبورية الضالة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: عقيـــدة القطبية والتصـــرف في الكون.

المبحث الثـاني: عقيـدة الرجعة وإمكـان الاجتمـاع بالنبي يقظة.

المبحث الثالث: الاعتقاد بحياة الخضر واللقاء به.

الـمــدخـــــل

سبق في الباب التمهيدي تعريف القبورية وأنها**(طائفة غلت في أصــحاب القبــور واعتقــدت فيهم عقائد ضــالة، حملتها على تعظيم قبورهم وآثارهم،والتقرب إليهم بأنواع مـن العبادات حتى صيّرتهم أنداداً لله تعالى)**.

فهذه الطائفة أهم سماتها الغلو وهو مجـاوزة الحد في هـؤلاء الناس الذين زَعَمَتْهُم أولياء لله تعالى،مما نتج عنه عقائد ضالة، بعض هــذه العقائد شــرك وبعضــها دون ذلــك،وبنــاءً على تلك العقائد نشأ تعظيم القبور والآثار المنسـوبة إلى أولئك الأوليـاء، وبهذا التعظيم غرست بذور من بذور القبورية في نفوس هؤلاء القبورية ومقلـــــديهم من العـــــوام، مثل المحبة والخــــوف المتجاوزَيْن حدود الطبيعة الذَين أوجبا التـذلل والانكسـار أمـام هـؤلاء الأوليـاء أحيـاءً وأمواتـاً، وحملا على التقـرب إليهم بما لا يُتقرب به إلا إلى الله سـبحانه من النـذر والـذبح والطلب منهم ما لا يجوز طلبه إلاّ من الله تعالى وهو الـدعاء، وبنـاءً على كل ذلك نشـــأت في الأمة أمـــراض فتاكة مثل الســـحر والكهانة والدجل والخرافة والتمايز الطبقي وتجهيل الأمة.

من هذا المنطلق سيكون تناولي لآثـار القبوريـة، وهنـاك آثـار كثـيرة لن أتكلم عنها لضـعف أو خفـاء ارتباطها بالقبورية الـتي حددتُ معالمها في هـذا التعريـف، والـتي قد يكـون لها بـواعث أخــرى غـير الغلو في أصـحاب القبـور،ومن أمثلة ذلك عقيـدة وحدة الوجود وإضـاعة الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر عند الصـوفية والسـماع الصـوفي، فهـذه الثلاثة النمـاذج وغيرها قد يتطلع القارئ لبحثها ودراستها ولكنني لن أخوض فيها لخروجها عما رسمته وحددته لنفسي، ولضـيق المسـاحة المحـددة لهـذا البحث.

الفـصــل الأول

عقائد القبورية الضالة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: تعريف القطب:

قال الجرجاني في تعريف القطب: (وقد يسمى غوثـاً باعتبـار التجــاء الملهــوف إليه وهو عبــارة عن الواحد الــذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سـريان الـروح في الجسد، بيـده قسـطاس الفيض الأعم, وزنه يتبع علمـه، وعلمه يتبع علم الحق،وعلم الحق يتبع الماهيات الغـير المجعولـة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إســـرافيل من حيث حصــــته الملكية الحاملة مـــادة الحيـــاة والإحســـاس لا من حيث إنســـانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القــوة الجاذبة فيهــا، وحكم عزرائيل فيه كحكم القــوة الدافعة فيها).[1]

---

[1] التعريفات ص (177 – 178) .

هـذا هو القطب، وهو مـأخوذ عن الإسـماعيلية كما سـبق عن ابن خلــدون[1]، والإســماعيلية أخذته عن الفلاســفة، وما النفس الناطقة إلا إحدى مراتب الألوهية عند الفلاسفة.

المطلب الثـــاني: اعتمــــاد ما تقــــرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن:

ما اشتمل عليه تعريف القطب السابق هو ما اعتقده صـوفية اليمن ودانوا بـه، يقـول اليـافعي[2] بعد أن ذكر حـديث الأبـدال الموضـــوع: ((وله واحد قلبه على قلب إســـرافيل)) قـــال: (والواحد المـذكور في هـذا الحـديث هو القطب، وهو الغـوث ومكانته من الأوليـاء كالنقطة من الـدائرة الـتي هي مركزها به يقع صلاح العالم)[3].

وقال الحداد: (والقطب الغوث هـو: إمـام الأوليـاء أهل الـدائرة والتصريف، وهم المعدودون في الأخبار والآثـار الـواردة فيهم).[4]

وتلك الصفات التي يتحلى بها القطب قد أسبغها قبورية اليمن على أوليائهم، وبهذا وصف الشيخ علي الأهـدل صـاحبي عواجة البجلي والحكمي فقـــال أثنـــاء حكاية ســـاقها الشـــرجي عن اليــافعي في بعض مصـــنفاته: (يا أبا الغيث هـــذان في مقـــام

---

[1] هو المــؤرخ المشــهور وواضع علم الاجتمــاع عبد الــرحمن بن محمد بن خلدون الحضـرمي الاشـبيلي تـوفي سـنة (808هــ) اشـتهر بالتـاريخ الـذي سـماه العـبر وديـوان المبتـدئ والخـبر ومقدمته الـتي تعد من أصـول علم الاجتماع ، تـرجم نفسه في آخر التـاريخ وترجمه الكثـير من البـاحثين ، انظر ترجمته في أخر كتــاب التــاريخ (7/365) وما بعـــده ، والضـــوء اللامع للسخاوي (4/145) ، الأعلام للزركلي (3/330) ،انظر : مقدمة التاريخ طبعه دار إحياء التراث العربي .

[2] عبد الله بن أسـعد اليـافعي تـوفي سـنة (786هــ) أحد أقطـاب صـوفية اليمن فقيه مـؤرخ صـاحب كتـاب روض الريـاحين في ذكر حكايـات الأوليـاء والصالحين ومرآة الجنان في التاريخ،انظر : طبقات الخواص ص (162) ، البدر الطالع (1/378) .

[3] روض الرياحين في حكايات الصالحين ص (16) تأليف عبد لله بن أسعد اليافعي ، وبذيله عمدة التحقيق في بشائر الصديق للشـيخ إبـراهيم العبيـدي المالكي ، نسخة مصورة بدون تاريخ .

[4] النفـائس العلوية في المسـائل الصـوفية ص (148)لعبدالله بن علـوي الحداد طبع دار الحاوي الطبعة الأولى(1414 هـ -1993 م).

التولية والعـزل، يوليـان ويعـزلان ويميتـان ويحييـان بـإذن الله تعالى وسوف أرثهما وترثني أنت) [1].

وبـــذلك وصف محمد بن أحمد باجرفيل الـــدوعني أبـــابكر العيدروس حينما استفسره محمد بن عمر بحرق عن تصـرفات مالية تصرفها العيدروس على غـير الوجه الشـرعي فقـال: (أنا أشهد أنه أمـير المؤمـنين المالك للتولية والعـزل والحل والعقد والتصرفات كلها، وأشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطنـاً) [2].

ووُصف بها الشـيخ عبـدالرحمن السـقاف، قـال عبـدالرحمن الخطيب: (الحكاية الســــابعة والثلاثــــون بعد الثلاثمائة وهي السادسة والتسعون من مناقب السـقاف عن عبـدالرحيم بن علي الخطيب -رحمه الله تعـالى - قـال:كنت يومـاً في مجلس شــيخنا الشــيخ عبــدالرحمن - رضي الله تعــالى عنه - فتكلم الشـيخ في الشـيخ أبي الغيث بن جميل اليمـني [3] ثم قـال في أثناء مدحه:أتى فقهاء اليمن إلى الشيخ أبي الغيث وقالوا له: يا أبا الغيث ما عرفنا إيش مــــذهبك أخبرنا إيش مــــذهبك أنت شـــافعي أم مـــالكي أم حنبلي أم حنفي؟ فقـــال لهم: (لا أنا شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا حنفي، فقالوا له: (فـإيش أنت فقـــال:جنـــداري من جنـــادرة الســـلطان،ثم ســـكت الشـــيخ عبدالرحمن - رضي الله تعالى عنه - سـاعة ثم همز نفسه ومد يديه في الهواء وقـال بـأعلى صـوته: أنا جنـداري من جنـادرة السـلطان، قــال عبــدالرحيم ثم بعد ذلك بأيــام قلت للشــيخ عبدالرحمن - رضي الله تعـالى عنه -: وما جنـداري السـلطان، فقال: ما هذا معنـاه، هو الـذي يـدخل على السـلطان من غـير إذن ولا عليه حجــاب، ويــأمر وينهى ولا أحد يعارضه فيما يريد، وإذا دخل بلـداً أو مكانـاً لم يبق لأحد معه من أهل تلك الـديار والمكان أمر لا أمير ولا وزير ولاغيرهما، بل الأمر أمر الجنداري والحكم حكمه ما شاء فعل ولا معقب لأمره ولا مرد له...)[4].

---

[1] طبقات الخواص ص (266) .

[2] مواهب القدوس في مناقب العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية ص (14) .

[3] توفي سنة (651هـ) انظر هِجَر العلم (1/219) ، السلوك (1/184) .

[4] الجوهر الشفاف (1/81-82) .

قلت:وقبل هذه الحكاية حكايات أخرى ساقها صاحب الجـوهر فيها تأكيد وشــواهد على ما تضــمنته هــذه الحكاية من اعتقــاد القطبية للسقاف التي تجعله في مقام التصـرف التـام والتولية والعزل.

وإليك نص حكايـة منهـا، وهي الحكاية الخامسة والثلاثـون بعد الثلاثمائة عن عمر المحضــار بن عبــدالرحمن الســقاف[1] قـال: (كنت نائماً أظنه قال في مسجد مدينة رسول الله ﷺ) قال:فلم أشعر إلا برجل من الصالحين قد وكزني برجله فــرفعت رأسي فقال: ما أجرأك تنام هنا وبطن أبيك ملانة كرعـان [2] [كم واحد قـال سـلبه ثم ولى عـني ولم أعرفه فسأل الشـيخ عمر ﷺ عن معنى قول الرجل بطن أبيك ملانة كرعـان][3] فقـال أخذ الخلق كلهم في بطنه يــولي من يشــاء ويعــزل من يشــاء رضي الله تعالى عنه)[4].

وقـال أحمد بن حسن العطـاس في أثنـاء حكاية (فقـال: إني صــاحب الــوقت وأتصــرف في أهله وأنت فلان ابن فلان، وإن كنت تريد أن تنظر إلى بلــــدكم تــــريم فأدخل رأسك في كمي فبهت من ذلك ولم أفعل، ثم قـــال لي: أتريد أن أتصـــرف في قلب الباشا بأن يقوم؟ وكـان جالسـاً في الحـرم فبمجـرد قوله ذلك قام الباشا وأتباعه وذهبوا خارجين من الحرم، فلما قـاربوا الخروج منه قال لي: أتريد أن أتصرف فيه بأن يرجع فيطـوف؟ فبمجــرد ذلك رجع هو وأتباعه وطــافوا، ثم قــال لي: أتريد أن أتصــرف في قلب الشــريف عبــدالمطلب بــأن يرجع الخمسة الديواني فتسلك في السوق وتمشي؟ فبمجرد قوله ذلك نـادى المنادي بأعلى صوته يقـول لكم الشـريف عبـدالمطلب لايمتنع أحد من الخمسة الديواني).[5]

فـانظر إلى هـذا الـذي إن صـدق النقل عنه فهو سـاحر كيف يدعي هذه الرتبة من مراتب الأولياء عند الصوفية وأنه يتصرف حتى في قلوب الناس ومقاصدهم ويحملهم على فعل ما يشـاء

---

[1] نقيب العلويين في زمانه وأحد أشهر أقطاب حضرموت توفي سنة(833هـ) انظر الغرر ص (192) ، المشرع (2/241) .

[2] هي قوائم الدابة انظر القاموس مادة كرع ص(980) .

[3] ما بين القوسين من الحاشية معلم عليه أنه ساقط من الأصل .

[4] الجوهر الشفاف (2/80) .

[5] تذكير الناس ص(216)

دون اختيار منهم، وكيف يقص هذا العالم القدوة من علماء صوفية حضرموت لأتباعه ومريديه هذه القصة مسلماً بها مريداً منهم أن يصدقوها ويعتقدوها، أليس هذا هو التطبيق العملي لعقيدة القوم في القطب الذي مر تعريفه؟

المطلب الثالث: التصرف في الكون أهم وظائف القطب:

اتضح من تعريف القطب بأنه هو المفوَّض من قبل الله تعالى في التصرف في الكون،وربما أطلقوا على مرتبة القطبية (الخلافة العظمى)[1]، والمعنى: أن يكون القطب خليفة الله تعالى في تصريف الكون.

ولمعرفة ما يشمله ذلك التفويض لدى القوم نذكر بعض النصوص من كتبهم تبين سعة ذلك التفويض وشموليته من حيث الزمان والمكان ومن حيث الدنيا والآخرة.

نقل السيد علي بن محمد الحبشي[2] -أحد أقطاب حضرموت- على سبيل الإقرار والاستحسان عن عبدالعزيز الدباغ قوله: (إن تصرفي يصل حتى إلى الجنان، وإن الحور ما يفعلن شيئاً إلا بأمر مني)، وكان يقول لمريده:(إن كنت تعتقد أن الْهِرَّ في جميع أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مني فما أحسنت الأدب معي)، ثم يعقب الحبشي على ذلك فيقول: (انظر إلى هذا الفناء العظيم وأين اليوم هذا الاعتقاد) [3].

---

1 أنظر مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (2/ 619).

2 علي بن محمد الحبشي العلوي الحضرمي صاحب سيؤن ومنشئ رباط العلم بها المسمى باسمه "رباط الحبشي " من أشهر علماء زمانه ومربي جيله تتلمذ عليه الكثير من الطلاب الذين نبغوا وأصبحوا من العلماء والأدباء غير أنه مع علمه قد نقل عنه من الخرافات والهذيان مالا مزيد عليه وذلك ما حواه كتاب كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية كتبه من إملائه تلميذه محسن بن عبد الله السقاف وهو أيضاً صاحب زيارة الحول المشهورة بحضرموت توفي رحمة الله سنة (1312هـ) انظر تاريخ الشعراء الحضرميين (4/128) تأليف المؤرخ عبدالله بن محمد السقاف الناشر مكتبة المعارف الطبعة الثالثة سنة (1418هـ) الطائف ، ولوامع النور(1/197) .

3 كنوز السعادة الأبدية ص (179) الذي قام بطبعه علي بن عيسى الحداد .

فـانظر إلى هـذه الـدعوى الـتي شـملت التصـرف في الـدنيا والآخرة وجميع أقطـار الأرض وجميع العـوالم من عـالم الحـور العين إلى عالم الْبِسِّ والفأر.

وإليك صورة أخرى للتصرف الشامل في الحياة وبعد الموت، قال الشلي: (وقال بعض العارفين: الفقيه المقدم تصرف على المشايخ الذين تصرفوا بعد مـوتهم كتصـرفهم في حيـاتهم وهم القطب الربـاني الشـيخ عبـدالقادر الجيلاني والشـيخ معـروف الكرخي والشيخ عقيل المنبجي وحيـوة بن قيس) ثم استشـهد على ذلك بهذه الأبيات لمحمد بن علي خــرد بـاعلوي[1] صـاحب الغُرر:

تـصرّف شيخ في الــوجود معظّمٌ على السادة الأشياخ أهل المعـارف

على السيــد الشيخ الفتى عبد قادر ومـعروفٍ الكـرخي منـجٍ لتالف

وقيـسٌ عقيل المنبـجي وشيخـــنا لتصــريفه لا يصرفون الصـارف

وتصريفهم فـي كـــل شيء محقـق سوى في جمال الدين عين لـواقف [2]

وتأكيداً لـذلك تجـدهم في الحضـرات وبعض الموالد ينشـدون إلى اليوم:

ربي اسألك باسرار الفقيه المقدم والذي قد حوى التصريف من قبل آدم

ويقــول صــاحب شــرح العينيــة: (وكــان ســيدنا الفقيه من الممكنين في التصريف بعد موتهم، قال المشايخ العارفون: ما صـلينا على جنـازة إلا والفقيه محمد بن علي بعد موته يصـلي معنا عليها)[3]،فانظر الشمول الزماني لهـذا التصـريف من الأزل

---

[1] صاحب غرر البهاء الضوي توفي سنة (760هـ) انظر ترجمته في الغرر ص (3-11) ، وتاريخ الشعراء الحضرميين (1/142) .

[2] المشرع الروي (2 / 6 - 7) ، وقال بعد أبيات (قوله : وقيس صوابه حيوة).

[3] شــرح العينية ص (161) نظم عبدالله بن علـوي الحـداد تـأليف العلامة أحمد بن زين الحبشي بـاعلوي طبع مطبعة كرجـاي المحـدودة سـنغافورة ، الطبعة الأولى (1407هـ - 1987 م).

إلى الأبد! بل زاد في الأنمـــوذج اللطيف أن قـــال بعد ما ذكر صـلاته على الأمـوات بعد موتـه: (فلا شك أنه ممن صـلى على نفسه بنفسه)[1]

وفي مناقب عبدالرحمن السقاف يقول محمد بن علي خـرد: (ومنها ما روي عن السـيد عبـدالرحمن بن علـوي بن محمد بن الشـيخ المـذكور، قـال كنت في عـدن، وقد أصـابني في عيـني وجع، ولقيت الفقيه العالم القاضي محمد بن سعيد كبن، وأريته إياها وكان عارفاً بعلم الطب، وقيل،إنه كان يعـرف اثـني عشر علماً سوى العلوم المتداولة بين الناس معرفتها، ما يسأله أحد عن شيء منها، وقلت له يافقيه: أعطــني لها دواء، فلما نظرها قال: (هذا مرض تسميه الأطباء الماء الأخضر وليس عندنا دواء حتى يكمل عماؤهـا، وإن أردت لها دواءاً قبل ذلك دللنـاك عليه فقلت: ما هو؟ فقال: اقصد جدك الشيخ عبدالرحمن، وقل لــه: يســـلم عليك محمد بن ســعيد كبن، وقل له: في عيـــني وجع أريــدك تزيله بــإذن الله فإنه يــزول، فقلت لــه: تحولــني على ميت؟ فنهض من مقعـده وارتعش، ثم قـال: واللـه،ثم والله ثم والله، إني أعتقد في الشـيخ المـذكور أنه يتصـرف في مماتـه، كتصـرفه في حياتـه،وأنـــه انتقل إلى الآخـرة ولم تنتقل دولتـه، وفي رواية عن الفقيه الـولي الصـالح الشـيخ سـهل بن عبدالله باقشــير،ما أخــبرني عنه السـيد شــيخ بن عبدالله بن الشــيخ عبدالرحمن، قال: لما رأى الفقيه عين عبـدالرحمن رآها عميـاء لكتيبة حصلت فيها هذا من أمر القـدرة ما يزيل أمر القـدرة إلا أهل القـــدرة، وجـــدك من أهل القـــدرة فأحاله عليـــه،فقـــال عبدالرحمن: ثم بعد مـدة رأيت الشـيخ في المنـام على سـرير فقلت له: إن الفقيه ابن كبن قـال لي إنـك تتصـرف بعد وفاتك كتصرفك في حياتـك، فأخذ بـإذني وقـال لي: (أنا ابن محمد بن علي، ما تصدق إلا إن قال: لك ابن كبن؟ أنا كذلك وأزْيَد وأزْيَد، ﷺ ونفع به)[2]، فهذا لا يقتصر على التصرف في الكــون في حياته وبعد مماته بل هو كذلك وأزيد وأزيد، ولا أدري ما هو الأزيد من ذلك؟!.

---

[1] الأنمـوذج اللطيف في منـاقب الغـوث للأسـتاذ الأعظم الفقيه محمد بن علوي باعلوي دفين تربة تريم ص (213) مع البرقة المشـيقة للسـيد علي بن أبي بكر السكران طبع في مصر سنة (1347هـ) .

[2] الغرر ص (398).

وهناك مثال عملي للتصـرف في الكـون مع تأويل له من أحد كبـار أقطـاب صـوفية اليمن: (من عجـائب الآيـات وغـرائب الكرامات ما وقع بين الشـيخين العـارفين السـيفين القـاطعين أعـــني أبا عيسى واســـمه ســـعيد وأحمد ابن أبي الجعد المـذكورَين، وذلك أنه ورد الشـيخ أحمد المـذكور في جمع من أصحابه على الشـيخ سـعيد في وقت جـاءوا إلى زيـارة القبـور الشريفة في حضـرموت، فوافقه الشـيخ سـعيد وأصـحابه على الزيارة ومشوا، فلما بلغوا بعض الطريق بـدا للشـيخ سـعيد أن يرجع في هذا الوقت ويزور في وقت آخـر، فرجع هو وأصـحابه إلى موضعهم واستمر الشيخ أحمد على عزمه حـتى انتهى إلى مقصـده فـزار ورجـع، والشـيخ سـعيد مكث أيامـاً ثم خـرج هو وأصحابه إلى الزيـارة المـذكورة فـالتقى الشـيخان وأصـحابهما في الطـريق فقـال الشـيخ أحمد للشـيخ سـعيد: توجـه عليك حـق الفقراء في رجوعك فقال: لا ما توجه علي حق، فقال له الشـيخ أحمـد:بلى قد توجه عليك الحق فقم وأنصف، فقـام الشيخ سعيد وقال: من أقامنا أقعدناه، فقال الشيخ أحمد: ومَنْ أقعدنا ابتلينـاه، وأصـاب كل واحد منهما ما قاله صـاحبه، فصـار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلى في جسمه ببلاء قطع جسمه حتى لقي الله تعالى رضي الله تعالى عنهما.

وهذه لعمري أحوال تَكِلُ في جَبِّ بعضـها السـيوف القاطعـة، وإنـما يقطع الحـالان معـاً إذا كـان صـاحباهما متكـافيين أو قريبـاً من التكـافي، فـإن لم يكونا كـذلك قطع القـوي منهما الضعيف، وقـد يقطـع السـابق دون المسـبوق فيما يظهر والله أعلم.) [1].

ومنهم من يدَّعي ذلك لنفسه كما قال الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب عينات:

(أنا أعزل أنا اللي ولي أنا شيخها قاضيها)[2].

وقـال أحمد بن حسن العطـاس قـال: (فـزعت مـرة من أحد النـاس فلما جئت إلى الحـبيب أبي بكر بن عبدالله قـال لي: لا تخف من حي ولا من ميت عـاد المفـاتيح إلا كلها بيـدي)،وقـال

---

[1] مرآة الجنان لليافعي (4/ 352-354) .

[2] من قصيدة شهيرة للشيخ المذكور ما زالت متداولة إلى اليوم ينشدها الصوفية في موالدهم وحضراتهم وضمن مولد الديبعي ص (93 - 95).

أيضاً: (قال الحبيب أبوبكر بن عبدالله انسـدحت مـرة في بنـدر الشـحر في مسـجد الحـبيب أحمد بن أبي بكر بن سـالم بعد صـلاة الصـبح فـأتوا بشـيء كالبيضة وفيه شـيء ونكتـوه عند رأسي فـإذا هو مختلف الألـوان الأبيض والأسـود والممـتزج فقلت: لعله عالم الذر قال: نعم، فقلت لعله لما ولـوكم عليـه؟ قـال: نعم)[1]، وهـذا واضح أن الرجل يـدّعي أنه بيـده مفـاتيح الكون ولا أحد يقدر على عمل شيء بغير إذنه هـذا في الحكاية الأولى، وأما الحكاية الثانية ففيها أنه ولي على عـالم الـذر أي الخلق الذين لم يخرجوا إلى الحياة بعد.

وقضـية القطبية واعتقادها عند أهل اليمن مبثوثة في كتبهم فلا يكاد أحد من كبارهم لا يوصف بها،حتى لقد قال عبدالرحمن بن محمد السقاف بـاعلوي [2]: (في تربة تـريم ثمـانون قطبـاً كلهم أشراف) [3] فهـؤلاء فقط في تربة تـريم، فكم في بـاقي تـرب اليمن، والسـقاف تـوفي عـام (819 هـ) فكم جـاء بعـده من الأقطاب، وهذا كله في اليمن إلى ذلك التاريخ فكيف ببقية بلاد الله منذ أن خلق الله آدم إلى يومنا، لاشك أن عدد الأقطـاب لا يمكن أن يأتي عليه الحصر رغم أنهم يقولـون إن القطب واحد فقط ولا يولي غيره حتى يموت.

وعلى كل حـال فإننا سـنلمس الأثر الكبـير لعقيـدة القطبية بالمفهوم الصوفي فيما يـأتي من المطـالب حيث تتوالد العقائد الضالة بعضها من بعض.

وكما شارك صـوفية اليمن بقية الصـوفية في عقيـدة القطبية شاركوهم كذلـك في اعتقادهم بدولة الأولياء وديوان شورا هم، يقول أحمد بن حسن العطاس: (وعقد أي الديوان مرة في قبة الحـبيب عمر بن عبـدالرحمن العطـاس ورأيت الحـبيب أبا بكر ارتفع من قـبره وفرشـوا له فـوق القـبر حقـه، وكـان رئيس المجلس الحـبيب أبـوبكر، ورأيت بالجـانب البحـري من القبـة، رجلاً فسألته: من هـو؟ فقـال: نقيب الأوليـاء بالقـدس، والـذي ظهر لي أن النوبة بقيت مع الحـبيب أبي بكر مـدة بعد موتـه، قـال سـيدي: والرجـال الـذين هم رجـال ما يطلبـون مقـام

---

[1] الحكايتان في مجموع كلام الحـبيب أحمد بن حسن العطـاس رواية محمد بن عوض بافضل ص (25) وهو مخطوط مصور عند بعض الأصدقاء .

[2] جد آل السقاف انظر ترجمته في المشرع الروي ص (2/ 141)

[3] الغرر ص (96)

القطبية، ولا غيرها ويفـرون منهـا، ومثالها مثـال مَنْ قـال لـك: (هذه البلدة ونفقة أهلها، وخرج معاشهم ودوابهم، وأعطـاك ما يحتاجون إليه ماذا ترى لنفسك؟).

وقال أيضاً: (وفي ليلة وفاة الحبيب أبي بكر عبدالله العطاس، اجتمع الأولياء أهل الظاهر والباطن، وجلست أنا بالقرب منهم، وكـان ذلك في جـامع حريضـة، فكـان رئيس المجلس الشـيخ عبدالقادر الجيلاني فدعاني الشـيخ عبـدالقادر فقلت لـه: أنا ما فيَّ طاقة لشـيء إن معكم شـيء لي اطرحـوه في القـرآن، فطلع أحد مـن الأوليـــــاء لم أعرفه إلا من بعد، ولما انقضت نوبته اجتمعوا بأعلى شبام، بالقرب من العقّاد، وجعل الأمر بين اثنين، واحد على المعالي وواحد على المسافل)[1].

المطلب الرابع: فروع عقيدة التصرف في الكون:

الفرع الأول: درجة الكونية:

والمراد بها أن الولي قادر على أن يقول للشيء كن فيكـون، وهـذا مما اختَصَّ الله بـه، ولم يقم دليل على أن الله تعـالى منحه أحـداً من خلقـه، ولم يدّعه أحد من رسل الله فضـلاً عن غيرهم من البشر، ولكن الصوفية حينما ادّعـوا لأنفسـهم خلافة الله في تصريف الكون ساغ لهم ذلك الادعـاء الكـاذب المبـني على الادعاء الكاذب الأول.

ومن أدلة ادعائهم ذلك لأنفسهم وإقـرارهم من ادعـاه ما ورد في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم مـن المشرع قـال:(وحُكي أن الشيخ عبدالله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده فقال:(ظهر لي ثلاث أحـيي وأميت بإذن الله، وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون فقـال الشيخ عبدالله: نرجو فيك أكثر من هذا) [2].

وأعجب من ذلك ما ذكره صـاحب الجـوهر في ترجمة الشـيخ إبراهيم بن يحيى بن أحمد بن محمد بافضـل: (وقـال في بعض مصـنفاته وردت إليَّ رقعة من الفقيه ابن العـربي فـإذا فيها ورد علينا فقير وقال لنا: الفقير يحيي ويميت بـإذن الله تعـالى، والفقير يقول للشيء كن فيكـون بـإذن الله تعـالى والفقـير لم

---

1 نظر الحكايتين في : تذكير الناس ص (206 - 207) .

2 المشرع (2/ـ 211) وقد اعتمد القوم هذه المنقبة له حتى قال صـاحب النـور السـافر عنه ص (281) : (يقـول للشـيء كن فيكـون بـإذن الله) ، وانظر الغرر ص (372).

يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فأشكل علينا مافيها[1] فقال الشيخ إبراهيم بن يحيى شعراً:

إذا لم أفتكم بصريح علم فلا من بعدها تستفتيوني
بما في محكم القرآن أفتي وإلا بعـد هذا كذبوني

ثم أجاب عن الكل بجواب فايق عجيب وأتى على كل مسألة بدليل من القرآن) [2]. وحسبك بهذا إقرار لهذه العقائد الخبيثة وأخذ بها.

<u>الفرع الثاني</u>: الإحياء والإماتة:

مما تضـمنه توحيد الربوبية من الصـفات الـتي لاشـريك له سبحانه فيها الإحياء والإماتة، وقد جمع الله سـبحانه بين هـاتين الصفتين في آيات كثيرة جـداً، أقتصر على ثلاث منهـا، ففي آل عمـــران يقـــول تعـــالى: **والله يحي ويميت واللـــه بما تعملـون بصـير** [3]، وفي التوبة يقـول تعـالى: **إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير** [4]، وفي يـونس يقـول الله تعـالى: **هو يحـيي ويميت وإليه ترجعـون** [5]، ولما كـانت هاتـان الصـفتان من أكـبر الـبراهين على ربوبية الله تعـالى احتج بهما إبـراهيم على خصـمه فقـال وهو يحـاج ذلك الطاغيـة: **ربي الــذي يحــيي ويميت** فعاند الطاغية وكــابر فقــال: **أنا أحـيي وأميت** قـال المفسـرون: فلما رأى إبـراهيم سـفهه وسخافة دعواه عدل إلى دليل آخر أكثر ظهوراً ولا يستطيع أن يغالط فيه سفهاء الأحلام ممن حوله فقـال: **فإن الله يـأتي بالشـمس من المشـرق فـأتِ بها من المغـرب فبهت الذي كفر والله لا يهـدي القـوم الظـالمين** [6]،وقد عد المفسـرون هـذا الطاغية مـدّعياً للربوبية بـذلك وجعلـوه مثل

---

1 هذه الكلمة غير مفهومة في الأصل وأظنها فيها .
2 الجوهر الشفاف (1 / 146 - 147) .
3 آل عمران (156) .
4 التوبة (116) .
5 يونس (56).
6 البقرة (258).

فرعون الذي صرح بذلك حين قال: ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾[1] وقال:﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾[2].

وهذا كله يدل بجلاء على أن من ادعى هاتين الصفتين فقد ادعى الربوبية، ومع ذلك فإن الصوفية القبورية يدعون ذلك لبعض أوليائهم،أو يدعيها بعضهم فيقرونه عليها، وإذا أردنا أن نعتذر لهم نقول: إنهم لم يدّعوا ذات الربوبية ولكنهم ادعوا الخلافة العظمى عن الحق سبحانه، ومن جملة وظيفة الخليفة التي فوضها إليه الرب سبحانه هذه الصفة وغيرها من الصفات التي يزعمونها لأوليائهم، وأما ادعاؤهم ذلك فثابت لاشك فيه، ومن الأدلة على ذلك ما مر من ادعاء علوي بن الفقيه المقدم لذلك فيما حكاه الشلي كما في الفرع الأول.

الفرع الثالث: علم الغيب:

من مسلّمات العقيدة الإسلامية اختصاص الله تعالى بعلم الغيب وأنه لا يشاركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿ **إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً** ﴾ [3]، وأنه سبحانه عنده وحده مفاتيح الغيب كما قال تعالى: ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ [4]، وقد بينها سبحانه وحصر علمها عنده، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: ((**مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلا الله؛ لا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطرأحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**)).[5]

---

[1] ? النازعات (24).

[2] ? القصص (38).

[3] الجن (27) .

[4] الأنعام (59).

[5] رواه البخاري من حديث ابن عمر كتاب التفسير باب قوله (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام) (4/ 1733)

بهذه النصوص وغيرها قطع علماء المسلمين أن علم الغيب مما اختص الله به، وأن من ادعاه فقد كذب[1] وأنه طاغوت [2].
ومع ذلك فقد ادعاه الصوفية القبورية لبعض أوليائهم أو ادعاه بعضهم وأقروه عليه وعدّوه من كراماته ومناقبه.
ومن الأدلة على ذلك ما مر في الفرعين الأول والثاني مما ادعاه علي بن الفقيه المقدم وذكر في مناقبه أنه: (يحيي ويميت ويقول للشيء كن فيكون ويعلم ما سيكون).
ومن ذلك ما جاء في ترجمة أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف أنه يقول:(أعرف من الفرش إلى العرش)[3]، وفي ترجمة أخيه حسن بن عبدالرحمن السقاف: (كان يقول: أنا أعرف السعيد والشقي وأعرف الصالحين بالشيم) [4]، وفي ترجمة أخيهما الثالث شيخ: (وقال والده عبدالرحمن السقاف:ولدي شيخ كعشرة شيوخ، وما سميته شيخاً إلا أني رأيته في اللوح المحفوظ شيخاً) [5].
وسأقتصر على هذه النماذج مع أن هناك دعاوى كثيرة من هذا القبيل.

الفرع الرابع: إعطاء الولد:
هذه الخصلة (إعطاء الولد) هي كذلك من خصائص الله تعالى كما قال : **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير** [6].
ولو قيل: إن صالحاً من الصالحين الأحياء دعا ربه لأحد من الناس بالولد فرزق بتلك الدعوة ولداً ماكان عليه من نكير، ولكن أن ينسب إلى الولي ذاته إعطاء الولد حياً كان أو ميتاً فذلك الذي فيه ادعاء ما هو من خصائص الربوبية، والقبورية يدعون ذلك لأنفسهم أو لأوليائهم أحياءً وأمواتاً، والدليل عليه

---

[1] انظر :فتح القدير للشوكاني (2/ 123).
[2] انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (3/282).
[3] المشرع (2/33) .
[4] المصدر السابق (2/ 89)
[5] المصدر السابق (2/ 116) .
[6] الشورى الآية (49–50) .

ما جـاء في تـذكير النـاس قـال جامعـه: (وأهـدى بعض السـادة شيئاً لسيدي فدعا له بأن يرزقه الله ولـداً وقـال له: حولنـاك على الحبيب أحمد بن علي الهدار، وهذا الحـبيب كـان من أهل الأحـوال العظيمـة، وكـان إذا جـاءه أحد وسـأله الـدعاء بالذرية يقول له:باياْتيك ولد، أو اثنان أو أكـثر فـاعترض عليه أحد بقلبه فكاشفه الحبيب أحمد وقال له:يا فلان إن الـذين قسـمتهم من بحر الشــيخ أبي بكر بن ســالم ســبعة آلاف ولــد، وأنت يأتيك نصف ولــد، فأتــاه نصف ولد على رِجل واحــدة ويد واحــدة وناصفة وجه، نسأل الله العافية.) [1]

ويظهر من هــذه الحكاية بشــكل جلي أن الرجل لم يــدعُ اللــه،وإنما يقـول على جهة الوعد (باياْتيك ولـد) وهـذا باللهجة الحضـرمية معنـاه سـوف يأتيك ولـد، فليس فيه أي معـنى من معـاني الـدعاء، ويؤكد ذلك إنكـار العـامي وغضب الحـبيب من ذلك الإنكار، ثم تصريحه بأنه قسّم، وقسّـم من أين؟ قسَّـم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم، فأبوبكر بن سـالم عنـده القـدرة والإمكانية الواسعة جداً المشبهة بالبحر، وهذا ولده أخذ يقسَّـم من ملك جــده، أليس هــذا صــريح في أنهم يدَّعون القــدرة الكاملة على ذلك وأنه من جملة ما يملكونه.

وبناءً على ترسخ هذه العقيدة لديهم نجدهم يطلبون ذلك فعلاً من أوليائهم، قال صاحب تذكير الناس:(قال سيدي: وزرنا مـرة تربة الفريط بتريم نحن والأخ حامد بن أحمد المحضار، ولما كنا عند الشيخ القرشي صاحب الذرية أخذ الأخ حامد حصاة كبـيرة ووضعها عند قبر الشـيخ وقـال: -والحاضـرون يسـمعون - شف نحنا نبغي ولداً لفاطمة عبــوده بنت عبدالله بن عمر القعيطي، وكـانت مسـنة في ذلك الـوقت ومسـتبعدٌ أن تحمل فقـدّر الله أنها حملت بولد وعاش) [2].

وصاحب هذه الحكاية من كبار أقطـاب القـوم وعلمـائهم ومع ذلك يــروي هــذه الحكاية مقــراً لهــا، و"حامد المحضــار " من كبارهم أيضاً وقد رفع صوته يطلب ذلك أمام العامة وأقره من حضر من الأكابر، إذاً هي قضية مسلّمة يربّون عليها أتباعهم.

---

[1] تذكير الناس ص(321) .

[2] المصدر السابق ص (322 - 323) .

ويقـول آخر من كبـارهم وُصف بأنـه:" العـالم الجليل نسـخة السـلف وقـدوة الخلف " في رحلته الموسـومة بـ " النفحة الشـذية إلى الـديار الحضـرمية وتلبية الصـوت من الحجـاز وحضرموت " في نفس الموضوع: (ولما وقفنا على قبر الشيخ عمر بن عليٍ القرشي ويـروى أن من طـرح عند قـبره حجـرة يرزق ولـداً،وقيـل: لنا أن الحـبيب علي بن محمد الحبشي زاره وبصحبته الحـبيب عمر بن عيـدروس العيـدروس فأخذ الحـبيب عمر ملا ثوبه حصى ليطرحه عند القبر، فقال له الحـبيب علي: كثّـرت جم، فقـال: أريد نسـمات تـذكر الله أو قـال تعبد اللـه، فأخـذت أنا حصـاتين وطرحتهما عند القـبر على هـذه النيـة) [1]، فـإذا كـان هـذا فعل علمـائهم فمـاذا يا تـرى يصـنع عـوامهم وجهالهم؟.

الفرع الخامس: إنزال المرض ورفعه:

القـول في هـذا الفـرع كـالقول في بقية الفـروع فـالمرض لا يصيب به إلا رب العـالمين، قـال تعـالى حاكيـاً عن إبـراهيم أنه قـال لقومه وهو يـدعوهم ويـبين لهم حقيقة دعوته وعقيدتـه: **وإذا مرضت فهو يشفين** [2]، وقال الرسول : **((لا عدوى ولا طـيرة))** [3]،وقد صـرح العلمـاء بأنـه ليس المقصـود نفي العـدوى من أصـلها بـدليل قوله : **((لا يـورد ممـرض على مصـح))** [4]، لأنه واضح أن في ذلك اعتبـار العـدوى ولكنه نفى على المعنى الذي كانت الجاهلية تفهمه وهو أن الأمراض تعدي بذاتها فتنسب إلى الأمراض، فحسم هذا المعنى الباطل بهـذا اللفظ العـام ليكـون أبلغ وأشـمل [5]، فكيف يـأتي بعد ذلك من يقول أنه يضع المرض على من شاء وأنه يرفعه عمن يشاء، إن

---

1 النفحة الشـذية إلى الـديار الحضـرمية ، وتليه رحلته تلبية الصـوت من الحجاز وحضرموت ص (175 –176)، تأليف العـالم نسـخة السـلف وقـدوة الخلـف الحـبيب عمر بن أحمد بن سـميط ، طبع على نفقة أحد المحبين من المحسنين (1397 هـ) .

2 الشعراء آية (80) .

3 البخاري في صحيحه (5/2158) ، كتاب الطب باب الجذام، ومسلم في صحيحه (4/1743) ، كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح.

4 مسلم في صحيحه (4/743) في الكتـاب والبـاب السـابقين ، كلاهما من حديث أبي هريرة .

5 انظر: (10/160-162) من الفتح .

ذلك لاشك ادَّعــــاء لخاصة من خصوصــــيات الربوبية وتعليق للخلق بغير الحق وهذا أيضاً مضاد ومناقض لما تدعيه الصوفية من تجريد قلوب الناس من سوى الله تعالى.

وإليك الدليل على زعمهم وضع الأمـراض على أنـاس ورفعها عن آخرين، فقد ذكر الشـرجي في ترجمة إسـماعيل الجـبرتي قـــال: (ومن ذلك ما يـــروى عن رجل من أهل مكة يقـــال له الفقيه عبـدالرحيم الأميـوطي أنه قـال: (كنت لا أعتقد الشـيخ إســـماعيل، وكنت أحط منـــه، فبينما أنا ذات ليلة بين النـــائم واليقظـــان، وإذا بي أرى الشـــيخ قد دخل عليّ في جماعـــة، فسمعته وهو يقول لآخر: هات الوجع الفلاني فجـاء به فوضـعه عليَّ ثم قـال: هـات الوجع الفلاني فجـاء به فوضـعه علي، ثم مازال يقول هـات الوجع الفلاني ويضـعه عليّ، حـتى وضع عليّ قدْرَ عشرين وجعاً حتى كدت أموت، وخرج، قـال: (فبقيت تلك الأوجاع عليّ باقي ليلتي ويومي ذلك إلى العصر، فأرسلت إليه واسـتعطفت خـاطره، فجـاء إليَّ فرفع ذلك كله عـني، وقمت كأن لم يكن بي شيء فتبت إلى الله تعالى، وحسّـنت عقيـدتي في الشيخ نفع الله به).[1]

إذاً فالـذي لا يعتقد فيهم ذلك فهو مهـدد بـالمرض من قبلهم، فهذا عمر المحضار يـروي عنه صـاحب المشـرع (... وكـان إذا غضب على أحد أصـابه الجـذام وغـيره من الأسـقام بعد ثلاثة أيام، فقيل لـه: أما تخشى أن ينالك بهـذا شـيء فقـال: إني لم أدعُ على أحد،ولكني إذا غضبت على أحد وقع في باطني نـارٌ لا تنطفئُ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض أو يتوب).[2]

الفرع السادس: إنزال المطر:

الآيات في تفرد الله تعالى بإنزال المطر كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿ **أفرأيتم الماء الـذي تشـربون، أأنتم أنزلتمـوه من المزن أم نحن المنزلون** ﴾ [3]، فلو كـان أحد من الخلق قادراً على ذلك فهل سيكون هذا التحدي صحيحاً؟ والجواب: لا قطعـاً فعلم أنه لا يـنزل المطر إلا اللـه، بل حـتى علم الـوقت الذي ينزل فيه المطر ومكان نزوله قبل نزوله لا يعلمه إلا الله: ﴿ **إن الله عنـده علم السـاعة ويـنزل الغيث ويعلم ما**

---

[1] طبقات الخواص ص(103) .
[2] المشرع (2/ 242- 243) .
[3] الواقعة الآية (68-69) .

في الأرحــام وما تــدري نفس مــاذا تكسب غــداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾[1]، فإذا كان الأمر كـذلك فكيف يجـوز أن ننسب إنـزال المطر إلى عبد من عبــاد اللــه، بل إن رســول الله ﷺ قد حسم الأمر بشــكل أوضـح، وأبعد المؤمـنين عن تـوهم ذلك أو التلفظ بلفظ يـؤدي إلى ذلك الفهم الخاطئ، ففي صـحيح البخـاري من حـديث زيد بن خالد الجهـني ؓ قـال: ((**صـلى لنا رسـول الله ﷺ صـلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف، أقبل على النـاس فقـال: (هل تـدرون مـاذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: (أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته، فـذلك مـؤمن بي وكـافر بـالكوكب،وأما من قــال بنــوء كــذا وكــذا، فــذلك كــافر بي ومــؤمن بالكوكب)).**[2]

ومن الأدلة على أن القوم يعتقدون في أوليائهم إنـزال المطر ما جاء في ترجمة أحمد بن عمر الزيلعي من طبقات الخــواص حيث قــال: (وكــان للفقيه أيضــاً ولد يقــال له علي،كــان من الصـالحين، وكـان لا يُلازم في المطر إلا ويحصل سـريعاً حـتى عرف بذلك، وكان يقال له صـاحب المـاء) [3]، وقد كـان ذكر في ترجمة الجد حكايات تدل على أنه ينزل الغيث منهـا: (أنه وصل من اللحية إلى قرية المحمول وقد أجدبوا مدة طويلة، فعند أن وصل إليهم جـاءت إليه بهيمة وجعلت تخـور بين يديـه، فـدخل المسـجد ودعا الله تعـالى ثم قـال: (يا ميكائيل كـل، فـاجتمع السحاب للفور من كل ناحية ومطروا مطراً عظيمـاً بـإذن الله تعالى) [4].

ومنها قـول صـاحب الطبقـات:(وكـان أهل الـوادي خُلَب بضم الخــاء المعجمة وفتح اللام وآخــره بــاء موحــدة يصــحبونه ويعتقدونه، فجاء إليهم مرة وهم مجدبون فجعلــوا يلازمونه في

---

[1] لقمان الآية (34).
[2] البخاري في صحيحه (1/290) كتـاب صـفة الصـلاة بـاب يسـتقبل الإمـام الناس إذا سلم ، ومسلم (2/59-60) مع النووي كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .
[3] طبقات الخواص ص (77) .
[4] المصدر السابق ص (75) .

السيل فقال لفقيرٍ له: (اذهب إلى رأس الوادي وقل له: يقـول لك الفقيه سل الآن، ففعل الفقــير ذلــك، فســال الــوادي من ساعته وسقوا سقياً هنيئـاً بفضل الله تعـالى) [1]، فلاحِـظْ أمـره لميكائيل في الحكاية الأولى وأمره للوادي في الحكاية الثانيــة، هل يدل على أن الأمر مجـرد دعـاء؟ كلا لا يـدل إلا على أنه هو المالك لذلك والمتصرف فيه.

وفي تـذكير النـاس: (قــال سـيدي: ووقع بحريضة في بعض السـنين قحط شـديد، فسـار الحـبيب علي بن جعفر العطـاس إلى النقعة، وهي قرية بقــــرب حريضة وقــــال لأهل البلــــد: سنجيئكم بسيل من عند الشيخ جنيد باوزير إن شـاء اللـه، فلما وصل إليها زار قـبر الشـيخ جنيد والشـيخ علي بن سـالم ورجع فسال وادي حريضة تلك الليلة). [2]

وأوضح من هذا ما ذكره، أيضـاً في تـذكير الناس قـال: (قـال ســيدي وبلغنا أن الشــيخ عبدالله بن أحمد بلعفيف كــان من أولياء الله المستجابة دعـوتهم، ويقـال له بيـاع السـيول، وصل إلى تـــريم في بعض زياراتـــه، فـــاجتمع ببعض الســـادة آل العيــدروس فقــال له أنت: بلعفيف بيــاع الســيول، فقــال له الشـيخ:نعم حاجة خدمة، فقـال له الحـبيب: نعم مرادنا سـيل، فقـال الشـيخ لا بـأس، بكم تشـتري؟ فقـال له الحـبيب بالـذي تريـده، فقـال الشـيخ: نـبيع لك سـيل بكبش سـمين، وخمس قهاول[3] برُ، فقال الحبيب:لا بأس تم الكلام، فقـال الشـيخ تبغي السـيل لأي أرض؟ قـال الحـبيب: للشـرج الفلاني حقي، فقـال الشـيخ: هـات الكبش والـبر وأخـرج رُعّاضك لشـرجك، فـأتى الحبيب بالبر والكبش وخرج الرُّعَّاض[4] وشرب الشرج بإذن الله وبركة أولياء الله) [5].

قلت:وحكى لي جـدي - رحمه الله - أن في قرية مجـاورة لنا رجلاً يقال له " فلان باسـليمان " وكـان حراثـاً عارفـاً بقـوانين الحراثة ومـتى يكـون السـيل أفضل للأرض، فكـان ربما جـاء السـيل في غـير الـوقت الـذي يـراه مناسـباً فلا يسـقي أرضه

---

[1] المصدر السابق ص (75) .
[2] تذكير الناس ص (187) .
[3] القهاول مقدار من الكيل يساوي ثلاثة أصواع تقريباً .
[4] الرَّعَّاض جمع راعض وهو الذي يعدِّل السيل في الحقول .
[5] المصدر السابق ص (188) .

فعــــوتب في ذلك لأنه ربما إذا لم يسق لم يــــأت ســــيل آخر، فيقول:(ما بيـني وبين السـيل إلا صـاع طحين) يعـني أنه يـتزود صاعاً من الطحين ويزور الشيخ سعيد بن عيسى فيأتي السيل، فهل يشك أحد في اعتقاد هذا العامي وأمثاله أن الشيخ ســعيد بن عيسى يملك إعطاء السيل؟!.

الفرع السابع: إجابة الداعي وإغاثة المستغيث:

إن هذا الفرع في الحقيقة هو النتيجة الحتمية لتلك العقائد بل الثمرة المرة الخبيثة لهـا، فـإن المريد الصـوفي أو العـامي من عوام المسلمين حينما يتكرر على سمعه أن فلانــاً من الأوليــاء هو القطب الغوث الذي أعطي الخلافة العظمى في هذا الكون والتولية والعزل فيـه، واعتبـاره الواسـطة بين الله وبين عبـاده فلا يصل خــير إلى العبــاد إلا بواســطته، وأنه قد فــوِّض إليه تصريف الكون، وأن تصـريفه نافذ على كل شـيء من العـرش إلى الفرش وحتى البِسْ لا يأكل الفـأر في جميع أقطـار الأرض إلا بإذنـه، وأنه يعطي ويمنع ويشـفي ويمـرض بل يميت ويحـيي ويُنــــــزل الغيث ويهب الولـــــد، إلى آخر ما ينسب إليهم من القدرات، ماذا سيتصور ذلك المسـكين، هـذا الـولي؟ لاشك أنه سيتصــور أنه هو الســميع المجيب وأنه على كل شــيء قــدير، وبموجب هذا التصور سيهرع إليه كلما نزلت به نازلة أو أصابته حاجة، فإنه لا رجاء في حصول أي مطلوب أو دفع أي مرهــوب إلا بالالتجاء إليـه، وهـذا هو الـذي يحصل في كثـير من الأحيـان والأحوال ولدى أكثر الناس من القـرون الـتي سـيطر فيها فكر القبورية على الناس.

وهم لم يكتفــوا بما مضى من دفع النــاس إلى ذلك الاعتقــاد والتصور الخاطئ، بل صرح الكثير من أوليائهم بأنهم يســمعون من ناداهم ويجيبونه ويغيثون من استغاث بهم وينقذونه مما هو فيه، ويروون مئات القصص الـتي تحكي كيف نـزل الضر بفلان فاستغاث بالقطب فأغاثـه، بصـور وأسـاليب متنوعة كلها تتـآزر على شــيء واحد هو تعميق الاعتقــاد في ذلك الشــخص بأنه يفعل ويفعـــل، وأن على الجميع الالتفات إليه والاعتمــاد عليه وإنزال حوائجهم به.

وهذا هو الشرك بالله تعالى، ولكنني لن أخوض في الرد عليه في هـذا الموضـع، وإنما ســوف أنقل بعض النمــاذج عنهم في

ذلك لإثبات أنهم يعتقـدون في أهل الولاية منهم أحيـاءً وأمواتـاً أنهم يجيبــون الــداعي ويغيثــون المســتغيث، وليس الأمر كما يقوله من يـروج تلك العقائد ويـدافع عن المـوروث الـذي كـان عليه الآباء والأجداد من أن ذلك مجـرد توسل بهم إلى الله وإن كان بلفظ الدعاء والاستغاثة.

وإليك النصوص الصريحة والوقائع الواضحة الشـاهدة على ما نقول:

أول ما نورد في ذلك تقرير عميد القوم وحجتهم وإمامهم في العلم والتصوف من يسـمونه (قطب الـدعوة والإرشـاد عبدالله بن علوي الحداد) وهذا التقرير في قصـيدة من أشـهر قصـائده لدى القوم وهي العينية حيث يقول فيها في صفة الولي:

مـن كل طود في العلوم وفي الحجا متبـحـر متـفنـن متوسع

داع إلى الله العظيـــم بفعلــه ومقــاله والحال غير مضيع

ذي عـفـة وفتـوة وأمانـــة وصيانة للسـر أحسن من يعي

وزهـادة وعبــادة وشهــادة منه الغيـوب بمنظر وبمسمـع

جمـع الرياضة والكشـوف ولم يزل يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي [1]

إذاً فهي حقيقة مسلّمة عند القوم أن الـولي ما يـزال يـترقى حتى يصـير ممن يسـتجيب إذا دعي [2]، فعند القـوم أن الـولي " يُدعى" وليس فقط يتوسّل به و" يجيب إذا دُعي " وليس الله يجيب من دعاه متوسلاً به.

وبناءً على تلك الحقيقة المعروفة لـديهم منذ عـرف التصـوف المنحـرف في اليمن والـتي عـبر عنها الحـداد في عينيتـه، تجد الدعوى متواصلة لأوليائهم بإغاثة من استغاث بهم.

ومن ذلك ما ذكره شارح العينية المـذكورة في ترجمة علـوي بن الفقيه المقــدم حيث قــال: (وكــان ســريع الغــوث لمن استغاث به، قـال السـيد الجليل العلامة المحـدث الإمـام محمد بن علي علوي خرد باعلوي في كتابه " الغُرر " أخبرني الشــيخ

---

1 شرح العينية ص (ب) من المقدمة .

2 انظر : شرح هذا البيت في العينية ص(17-18) .

عبدالرحمن بن علي أن العارفين قالوا: (ثلاثة من آل باعلوي لا تزال خيل حميتهم وإجابتهم مسـرجة ملجمة من دعا بهم أجيب وهم علوي المـذكور وابنه علي والشـيخ عمر المحضـار، وقـال صاحب كتاب الغرر المذكور في ذلك شعراً:

إذا خفـت أمراً أو توقّـعت شـدة فنوِّه بهم كي يدركـوك ويحضروا

فنـــوِّه بعلوي الفتى وابنـه علي كـذا عمـر فيما يـجل ويعسر

فغارتهم تنجـيك مـن كل شــدة وعُسرٍ وضيـقٍ أو بصدرك يكبر [1]

ولا يقتصر الأمر على أناس ينسـبون إلى الـولي أنه يغيث من يستغيث بـه، ولكن الـولي يـدّعي ذلك لنفسه ويفخر بـه، فهـذا عمر المحضار يقـول في قصـيدة مـازالوا إلى اليـوم ينشـدونها في حضرة السقاف.

إني سـريعُ الغوث في كل الشـدائد فاهتف باسمي تـــجدني أسرِعُ

قل يا شهاب الدين إن يعروك خطب يا فطن

فأنا لخطـــبك أدفعُ

وقال شارح العينية في ترجمة عبـدالرحمن السـقاف: (وكـان يرد على من غلط في مسجده وهو بالعجز [2] ويسـمعه الغالـط، وكـان يقلب الـتراب دراهم بـإذن الله تعـالى، وكـان يظهر لمن استغاث به جهاراً في الأماكن البعيدة بحراً وبراً) [3].

وفي كتاب " تاج الأعراس " في مناقب الحبيب القطب صالح بن عبدالله العطاس، قال المؤلف: (ومما أكرم الله به صـاحب المناقب، وخصه به من سـنيات المـراتب، وكـان ينفـرد به دون أقرانه من أهل المظـاهر والمناصـب، أنه يحضر عند من نـاداه وتوسل به إلى الله بصدق نية وصفاء طوية) [4].

وتقول الشيخة سلطانة الزبيدية كما في ترجمة السـقاف من المشرع: (ما رأيت أحداً أسرع إجابة عند الاسـتغاثة من السـيد

---

1 شرح العينية ص(174) وانظر أيضاً : المشرع الروي (2/212).
2 العَجُز : بفتح العين وضم الجيم قرية شرق تريم تبعد منها مسافة .
3 شرح العينية ص (188).
4 تاج الأعراس ص (1/ 94) .

محمد بن السقاف، وكانت تقول:إذا حدث أمر واستغثت بالأولياء فأول من يغيثني هو)[1].

وقال صاحب " تاج الأعراس " في ترجمة صالح بن عبدالله العطاس: (وممن أثنى على صاحب المناقب واعترف له بمقام الغوثية شيخ مشايخ تلك العصور، وعالمها وإمامها المشهور، شيخ الإسلام ببلد الله الحرام السيد أحمد بن زيني دحلان قال: (إنه حصل عليَّ حال بمكة وكربتُ لذلك كرباً شديداً فاستغثت بالحبيب صالح بن عبدالله العطاس صاحب عمد وهو إذ ذاك بحضرموت ودعوته بثلاثة أصوات، فإذا هو حاضر عندي في الحرم المكي، راكباً على جواد أخضر اللون ومعه أربعون جندياً كلهم مسلحون، فحين رأيته ذهب عني ذلك الكرب وانشرحت انشراحاً كاملاً ببركته)[2].

وقال كذلك في ترجمة هادون بن هود العطاس: (ومن كرامات الحبيب هادون أيضاً ما أخبرتني به والدتي الشريفة العفيفة شيخة بنت الجد علي بن حسين بن هود العطاس الآتي ذكرها في ترجمة والدي من الباب السادس عن والدتها الشريفة العفيفة زينة بنت الحبيب هادون المذكور قالت: لما كان والدي يجدد عمارة بعض المساكن بالمشهد وعنده جملة من العمال أصبحنا ذات يوم وليس عندنا في الدار ما يفطر به الصائم من أنواع الطعام، فلما رجع والدي من المسجد الإشراق كعادته أخبرناه بالحال فقال: لا بأس، ولكنكم أوقدوا ناراً في المطبخ كعادتكم ليستشعر العمال بأن غداهم يطبخ كالعادة،ثم خرج والدي إلى عند العمال وألقى بيتاً من الشعر الحميني ارتجالاً على الذين ينقلون المدر منهم وأمرهم أن يرتجزوا به، وكان قد استنجد فيه بجده الحبيب علي بن حسن العطاس صاحب المشهد وهو قوله:

مع هادون يا بو حسن والخير واصل وهز الرمح لا تعمد[3] القبة وغافل

قالت: فلم نلبث إلا يسيراً وإذا نحن بقافلة أي عير مرسلة لمقام المشهد من أهل حجر بن دغار وفيها الذرة والتمر

---

[1] المشرع الروي ص (1 / 184) .

[2] تاج الأعراس (1/ 104) .

[3] هذه الكلمة باللهجة الحضرمية معناها (لا تبقى) أي لا تبقى في القبة غافلاً عنا .

والـدهن وغـير ذلـك، وبمعية العـير أنـاسٌ من تلك الجهة أيضـاً قاصــدين زيــارة الحــبيب علي بن حسن ومعهم ثلاثة أكبــاش سمان للمقام، فذبحنا وقدحنا وكان ذلك اليـوم من أسـعد أيـام العمال عليهم انتهى.

قلت[1]: وقــول الحــبيب هادون لجــده علي (وهز الــرمح) لما اشتهر من أن الحبيب علي كان يلقب بأبي حربة وسـبب تلقيبه بذلك أنها تواترت الأخبـار من المعادين للحـبيب علي في حياته وأهل الجـــرأة على مقـــام المشـــهد بعد وفاته أنهم يرونه في منامــاتهم يطعنهم بحربته فيخبرون قرابــاتهم بــذلك موقــنين بالموت ويموتون في الحال بـإذن الله القائـل: ((**من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**)) لاسيما الذين يعتدون على غيرهم في شــهر المشــهد أي ربيع الأول؛ لأن الحــبيب علي قد جعله عُرضه بضم العين أي أماناً مؤبداً في كل سـنة بين المحـاربين من قبائل تلك الجهة وأخذ عليهم العهد في ذلك ليـــــــأتي كل منهم وهو مطمئن البال إلى المشهد لحضـور قصة مولد نـبيهم محمد وســماع شــمائله الشــريفة وما يضــاف إلى ذلك من المواعظ الدينية، فكـان مما أكـرم الله به الحـبيب علي وعظم به شهر المولد النبــوي أن من اعتــدى فيه بالقتل ونقض العهد يعجل الله له العقوبة بإهلاك عــــدد من أولاده وقبيلته بمقـــدار الأيــــام الماضــــية من ذلك الشهر، فمن قتل فيه في اليــــوم الخـــامس مثلاً يهلك الله خمسة من رجاله في أســـرع وقت، ومـن قتل فيه في اليوم السـابع يهلك الله منهم سـبعة وهكـذا حـتى صـار ذلك عند قبائل الجهة من المجربـات الـتي لا خلاف فيها) [2].

وأعتـذر للإطالة بنقل الحكاية كاملة وذلك لما فيها من دلالات كثيرة يجـدها المتأمل وليعـرف كيف يسـخِّر القبوريـون النـاس لمصالحهم ويبنون على حطام عقائدهم مجدهم الموهوم.

وأسألُ صاحب التاج وكل من ينشر هذه الحكايات ويغرس بها تقـديس هـؤلاء النـاس في نفـوس عـوام المسـلمين أين كـان الحـبيب علي وحربته يـوم هجم الجيش النجـدي على المشـهد فأخربه وهدّم قببه وكسّر توابيته؟.

---

1 الكلام ما زال لصاحب تاج الأعراس .

2 تاج الأعراس (1/ 207-209) .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره صاحب مقدمة ديوان العيدروس قال: (وأخـبرني السـيد الفقيه محمد الظمطـاوي المكي وقد رويتها عن المريد الصادق نعمان بن محمد المهـري أنه قـال: (كنا في سـفينة سـائرين إلى الهند فحصل في السـفينة خـرق عظيم فأيقن أهل السفينة بالهلاك فضجُّوا بالـدعاء والتضـرع إلى الله تعالى وهتفوا بالمشايخ، فقال نعمان: فهتفت بشـيخي أبي بكر بن عبدالله العيدروس، فأخذتنيِ سنة فرأيت شـيخي وهو داخل السفينة وبيده منديل أبيض متيمماً نحو الخرق، فانتبهت فرحـاً مسروراً وناديت بأعلى صوتي يا أهل السفينة أبشروا فقد جـاء الفرج، فقالوا لي: ماذا رأيت، فقلت لهم: رأيت شـيخي دخل السفينة الساعة وبيده منديل فسد به الخرق فافتقدوه فوجدوا الخرق مسدوداً بمنديل أبيض). [1]

وفي نفس الكتاب في آخره قال: (وأخبرني الأمير مرجان بن عبدالله عبد السلطان عامر بن عبدالوهاب قال: كنا في محطة صـــنعاء الأولى فحصل علينا ما حصل، وأنا إذ ذاك في جماعة، فحمل علينا العدو ففر أصحابي ووقـع في فرسي جملة أكوان[2] فسقط بي، فزار بي العدو من كل جانب وأنا أهتف بالصالحين، ثم ذكرت الشيخ الأجل أبابكر بن عبدالله العيـدروس فهتفتُ به فإذا هوقايم فو الله العظيم لقد رأيته نهـاراً وعاينته جهـاراً أخذ بنا صيتي وناصـية فرسي وشـلني من بينهم حـتى أوصـلني إلى المحطة السـعيدة فعند ذلك مـات الفـرس ونجـوت ببركـات الشيخ نفع الله به وأعاد علينا من بركاته) [3].

فهذه النماذج إن شاء الله كافية لإثبات أن القوم يعتقدون في أوليائهم أنهم يسـمعون اسـتغاثاتهم، وأنهم يغيثـونهم عند ذلـك، فحينـاً يحضرون بأنفســهم،وحينـاً يحصل المطلـوب بـدون حضورهم، وعليه فـإن دعاءهم لأوليـائهم ليس مجـرد توسل إذ التوسل إنما هو دعـاء لله تعـالى مع ذكر المتوسَّـل به وسـؤال الله سبحانه أن يحـقق المطلـوب بجـاه أو ببركة ذلك المتوسَّل به، ولذلك فإن الذين يعرفون حقيقة التوسل ويقتصـرون عليها

---

1 مقدمة ديوان العيدروس المسـمى (محجة السـالك وحجة الناسـك) ص (242) , تأليف الشيخ عبـداللطيف بن عبـدالرحمن بـاوزير ضـمن المجموعة العيدروسية.

2 أي جراح .

3 المصدر السابق ص(247) .

لا يجـيزون دعـاء المتوسل بهم ويصـرحون بـأنهم لا يـدعون ولا يجيزون دعاء غير الله، وإنما يـذكرونهم في ضـمن دعـائهم لله للتبرك بذكرهم وليكونوا سبباً في عطاء الله.

الفصل الثاني
موقف علماء اليمن من القبورية
وبيان جهودهم المشكورة في مواجهتها
وفيه تمهيد وأربعة مباحث

التمهيد: في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلماء رغم المكائد والمؤامرات:

لقد تكفل الله تعالى بحفظ هذا الدين وبقائه واستمراره إلى أن يرث الأرض ومن عليها، لا يقضي عليه عدو من الكافرين، ولايطمس معالمه مبتدع من المبتدعين، حتى تغيب السنة كلها، وتحل البدعة محلها، قال تعالى: **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** [1]،وقد فصل رسول الله وسائل ذلك الحفظ، فوعد بوجود طائفة من العلماء العاملين والأخيار المجاهدين القائمين على حفظ هذا الدين في قوله :

((لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)) [2].

ولايمنع وجود هذه الطائفة القائمة على الحق؛ من تسرب بعض البدع، واندثار بعض السنن، وانحراف بعض المفاهيم على مرور الأيام؛ لذلك فقد أخبر النبي بأنه بعد كل فترة، يقيض الله لهذه الأمة من يجدد لها دينها، فقال: ((**إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**)) [3].

والحمد لله فقد صدق الله ورسوله، وحُفظ الدين، وجُددت معالمه، رغم هدم الهادمين وكيد الكائدين وبدع المبتدعين، ولقد حظي اليمن بما سبق له من عناية الله سبحانه ولطفه بالحظ الأوفر والنصيب الأكبر من ذلك، وصار مجددوه وأعلام علمائه ودعاته مجددين للأمة كلها، وليسوا مجددين لليمن وحده، فرزقهم الله القبول التام والثقة المطلقة عند سائر

---

[1] الحجــر (9) .

[2] تقدم تخريجه ص (   ) .

[3] رواه أبو داود (2/512) كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة ، والحاكم (4/542-543) كتاب الفتن والملاحم ..وانظر : تصحيح شيخنا الألباني - رحمه الله - للحديث في سلسلته الصحيحة (11/150-151) .

الطوائف وفي سائر البلاد الإسلامية، فكتبهم هي من أهم مقررات جامعات العالم الإسلامي المرموقة ومراكزه العلمية، وقد أقبل الباحثون على دراسة شخصيات المجددين اليمنيين ومناهجهم في العقيدة والدعوة والعلوم المختلفة من تفسير وحديث وعقائد وغير ذلك.

وبرغم ما سلف في الفصل الأول من أساليب مختلفة، سلكها القبورية؛ لمواجهة علماء أهل السنة، وما قاموا به من جهد جهيد وكيد شديد لمواجهة هؤلاء العلماء؛ إلا أن تلك الجهود والأساليب الماكرة الكثيرة،كلها لم تفلح في صد العلماء عن معارضتهم وكشف ضلالهم وبيان حالهم، وإن كانت مناطق اليمن تختلف في قوة وضعف تلك المواجهة، فعلماء البلاد الزيدية بحكم قوتهم وكثرتهم وعدم تمكن النفوذ الروحي في بلادهم، ولسعة أفق المذهب الزيدي والفقه الهادوي وحثه على الاجتهاد؛ كانت جهودهم أكبر ومواجهتهم وسلطان علمهم على القبورية أقهر، وقدشاركوا في مقاومة كل أنواع القبورية من إسماعيلية وأصحاب وحدة الوجود وعموم القبورية مقدسي القبور.

وكان لعلماء زبيد موقف مشرف في صد أهل وحدة الوجود ومقاومتهم حتى اندثر مذهبهم أو كاد، وأما بقية المناطق كالجند وما حولها وعدن وحضرموت، فقد كانت مواقفهم أضعف وأقل، وذلك أنه وبعد دخول التصوف ورسوخه في هذه المناطق في القرن السابع وما بعده، احتوى المتصوفة الساحة العلمية، وهيمنوا عليها هيمنة شبه تامة، فالعلم حُصر في قبائل وأسر محددة هي الأسر العلوية التي أصبح كل علمائها من المتصوفة على تفاوت في غلوهم واعتدالهم فيه، إلا ما ندر، والنادر لاحكم له، ثم الأسر التي تُوالي هذه القبيلة موالاة تامة، وترى أنها تابعة لها " منطوية فيها " حسب تعبيرهم، وفي المقابل فقد أعطى العلويون لهذه الأسر إمتيازات كبيرة مقابل التزامهم بطريقهم، وعملهم على الترويج لأفكارهم وتلميع شخصياتهم؛ ولذلك فقد أصبح العالم الذي يستطيع أن يبصر بغير منظارهم، ويصل إلى ما عند غيرهم، أصبح في حرج عظيم حيث يرى الحق، ولايستطيع الإفصاح عنه والعمل به، فتجده يرضخ لما عليه القوم، وإن كان في قرارة نفسه منكراً

له؛ إلا من أراد الله لهم الخير وهيأهم لإقامة الحجة وسلوك المحجة، وتحمل التبعة وهم، أقل من القليل، متناثرون عبر القرون الطويلة والبلاد الشاسعة، ولم يستطع أحد أن يظهر بذلك المظهر حسب علمي إلا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بعد انتشار الدعوة السلفية في اليمن بواسطة تلاميذ الإمامين ابن الأمير والشوكاني، وكذلك ظهور وانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ووصولها إلى تلك المناطق، واتصال بعض علماء هذه البلاد بعلمائـها في الحجـاز ونجـد، واطلاعهم على كتبهم ورسائلهم، فقد هزت تلك الدعوة الجزيرة العربية كلها، وحركت ذلك الركود الذي خيم عليها قروناً طويلة، ووصل أثرها إلى كل أرجائها، بل وكل أرجاء العالم الإسلامي،كما أسهمت حركة الإرشاد في إندونيسيا بجهود كبيرة في إيقاظ علماء وطلبة العلم في حضرموت وما جاورها، وأزالت كثيراً من الحجب التي كانت تغطي الحقيقة، وحطمت كثيراً من القيود التي كان الناس يرسفون فيها، وأسقطت تلك الهيبة التي صنعها القبوريون لأنفسهم وأوليائهم، وسيّروا بها الناس كما أرادوا.

هذا هو موجز موقف العلماء من القبورية، وإليك تفاصيله في المباحث الآتية.

المبحث الأول
موقف العلماء اليمنيين من القبورية الإسماعيلية
وجهودهم المشكورة في مواجهتها
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف العلماء اليمنيين من الإسماعيلية:

لم يجمع علماء اليمن ومثقفوه وحكامه على ذم شيء من البدع الطارئة كإجماعهم على كفر ومروق الطائفة الإسماعيلية الباطنية؛ مما حملهم على التصريح بكفرها ونشـر قبائحـها، ومحاربتها بشتى الوسائل من القتال إلى الردود العلمية، ومما يوضح ذلك عبارات المؤرخين وثورات الفقهاء ومقاومة الأئمة والملوك لها حتى أزالوها، وقضوا على دولتها

وكيانها، وإن كان مقتهم والتصريح بالتفكير في حق علي بن الفضل وصاحبه منصور اليمن أشهر وأظهر من مقت الصليحي، وماذاك إلا لأن الصليحي كان أدهى من سابقيه ومستفيداً من أخطائهما، فتجنب إظهار الكثير مما أظهر الأولان من العقائد والأفعال الممقوتة، وكان بالرعية أرأف وألطف، وبذلك كسب شيئاً من التعاطف لشخصيته لا لنحلته، وكذلك الملكة الحرة والمعروفة عند العامة بـ " الملكة أروى " كانت ذات شخصية عظيمة وحنكة سياسية كبيرة، ثم كونها امرأة ظهرت بتلك القوة وذلك الدهاء في ذلك العصر، كل ذلك خفف من حدة المقت نحو الصلحيين كشخصيات.

أما مبادؤهم وعقائدهم فكانت موضع اتفاق مـن سائر اليمنيين كلهم بمقتها وبذمها، حتى لقد نحتوا من اسم هذه الطائفة عبارة مختصرة فقالوا " السمعلة "، وجعلوها شعاراً للذم، والطعن فيمن تطلق عليه.

وهذه بعض عبارات المؤرخين يصفون دخـول هذه النحلة إلى اليمن على يد علي بن الفضل وصاحبه، ومن أوائل المؤرخين الذين أبدوا الموقف اليمني من هذه الطائفة العلامة ابن سمرة صاحب طبقات فقهاء اليمن، فقد قال: ("فصل" ثم لحق باليمن كله في آخر المائة الثالثة وأكثر المائة الرابعة فتنتان عظيمتان:

فتنة القرامطة: وقد عمت العراق والشام والحجاز، وإن اختلف تأثيرها في البلدان فَمَلَكَ المخلاف اليمني علي بن الفضل - لعنه الله - وأظهر فيه ما هو منسوب إليه ومشهور عنه على منبر جامع الجند بقوله:

خذي الدف ياهذه والعبي وغني هزاريكِ ثم اطربي

فذكر القصيدة، ثم قال: (والشعر طويل، وكله تحليل محرمات الشرع والاستهانة به، فقتلأهل اليمن قتلاً ذريعاً قبل هذا، وملك الحصون والأموال العظيمة) [1].

وبعد أن ساق الجندي تاريخ ابن الفضل ومنصور اليمن قال: (قال ابن جرير [2]: وكان عنوان كتاب ابن الفضل إلى أسعد:

---

[1] طبقات فقهاء اليمن ص(75-76)

[2] ابن جرير هو : إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني ، توفي سنة (450 هـ) صاحب تاريخ صنعاء ، وقد قال الأكوع في تعليقه على السلوك (1/210) : أنه لم يعثر على هذه الرسالة فيما لديه من تاريخ ابن جرير ،

من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده أسعد ابن أبي يعفر، وكفى بهذا الكلام دليلاً على كفره، فنسأل الله العصمة) [3].

وقال الخزرجي في العسجد المسبوك بعد أن ذكر طرفاً من أخبار منصور وعلى بن الفضل: (فلما صار علي بن الفضل في صنعاء أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشؤوم، وارتكب محظورات الشرع، وادعى النبوة، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه أشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وأباح لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات وسائر المحرمات) [4]، وقد نقل ابن الديبع كلام الخزرجي بنصه دون أن يعزوه إليه، وهو إقرارله [5].

وقال الأكوع في تعليقه على قرة العيون: (القرامطة فرقة من الباطنية، واحدها قِرْمِطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم بعدها طاء مهملة وياء النسبة، والقرمطة تقارب الشيء بعضه من بعض، يقال "خط مقرمط " إذا كان متقارب الحروف و" ومشي مقرمط " أي متقارب الخطو، سمي به أبو سعيد الأشعب؛ لأنه كان قصيراً دميماً مجتمع الخلق أسمر كريهاً؛ فلذلك سمي قرمطياً. فنسبت إليه القرامطة لأتباعه، قال الإمام نشوان[6]: والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة، وصاحبها عندهم قرمطي، وجمعه قرامط، وقرامطة.

قلت: وهي منظمة سرية خطيرة، تكونت من جماعة فارسية من المجوس، اندست بين المسلمين متظاهرين بالدين والورع، وهدفها تقويض دعائم الإسلام وإعادة السيادة الفارسية، ثم اتخذت التشيع لها شعاراً لما أعجزتها الحيل. وكان منشؤها بفارس ولها خلايا بكل مكان، ثم امتدت جذورها إلى العراق وكْرَ التشيع، وأصبح مركزاً هاماً لبث دعوتهم في ظل البكاء والعويل على ما نال أهل البيت من التشريد

وأنا كذلك لم أعثر عليها في النسخة المطبوعة غير أن ابن جرير كان لا يذكر ابن الفضل إلا وقال (لعنه الله) .

[3] السلوك (1/210) .

[4] العسجد ص(39) .

[5] قرة العيون ص (142) .

[6] نشوان بن سعيد الحميري ، توفي سنة (573 هـ) .انظر :الأعلام (8/20) ، ومقدمة الحور العين لنشوان الحميري ص(16- 25) تحقيق كمال مصطفى طبع دار آزال بيروت ، والمكتبة اليمنية صنعاء الطبعة الثانية(1985م) والسلوك (1/92 9) .

والتنكيل، وألفوا قلوباً حانية على هذا المبدأ الذي استهوى بريقه ضعفة النفوس والسذج من الناس، واعتنقه البعض عن طيب خاطر وسماحة نفس بدون مناقشات للغـايات والأهـداف، والبعض اعتنقه طمعاً في الوصول إلى المناصب والجاه والمال، واستفحل أمر هذه العصابة، وعمَّ خطرها، وتطاير شررها، وقُوضت ممالك، وكانت فتنة صماء، جرّت على الإسلام والمسلمين ويلات وحروب لا ينادي وليدها، ونال منها اليمن شرارة انطفأت بعد حين) [1].

ويقول نشوان بن سعيد، وهو من علماء ومؤرخي الزيدية: (وسار علي بن الفضل الخنفري إلى أرض يافع، فاشتدت وطأته باليمن، واستولى على أكثر مخاليفه، وأعلن بالكفر، وأحل جميع المحرمات، وخرب المساجد، وكان يدّعي أنه نبي)، ثم ذكر بعض تلك الأبيات، ثم قـال: (وابن الفضل أول من سنَّ القرمطة في اليمن، والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة، وصاحبها عندهم قرمطي، فجمعه قرامطة) [2].

أما القاضي حسين بن أحمد العرشي، وهو كذلك من علماء ومؤرخي الزيدية، فقد أطال في بيان حالهم وكشف عوارهم والتحذير منهم، فقال: (اعلم أن الباطنية - أخزاهم الله تعالى- أضر على الإسلام من عبدة الأوثان، وسموا بها؛ لأنهم يبطنون الكفر، ويتظاهرون بالإسلام، ويختفون حتى تمكنهم الوثبة، وإظهار الكفر، وهم ملاحدة بالإجماع،ويسمون " بالإسماعيلية "؛ لأنهم ينسبون أئمتهم المستورين فيما يزعمون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، و"بالعبيدية "؛ لدعائهم إلى عبدالله بن ميمون القداح الذي نسبته الباطنية إلى مايزعمون من الأئمة المستورين.

والعبيديون من أولاد عبيدالله، وِلاة مصر ذلك الزمن، والآن يسمون "شيعة"؛ لكونهم مظهرين أن أئمتهم من أولاد الرسول، حين عرفوا أنه لا يستقيم لهم إمالة الحق، والدخول إلى دهليز الكفر، إلا بإظهار المحبة والتشيع، ولهم قضايا شنيعة وأعمال فظيعة، كالإباحية وغيرها، وقد تابعهم علـى ذلك من ذهب عنه النور الإيماني، واستولى على قلبه الهوى

---

[1] قرة العيون تعليقاً ص(122-123) .

[2] الحور العين ص (253-254) .

الشيطاني، وهم مع ذلك ينكرون القرآن والنبوة والجنة والنار، ولولا أن حياتهم معلومة عندهم، مرتبة بينهم لأنكروها.

وعلى الجملة فدينهم النجوم، وظواهرهم التخوم، ولايكاد يظهر مذهبهم لأتباعهم إلا لمن رسخ دينهم في قلبه، وتراهم إذا وجدوا لأنفسهم قوة أظهروا أمرهم، وأعلنوا كفرهم، فإن غُلبوا ولم تساعدهم الأيام، كمنوا كما تكمن الحية في جحرها، وهم مع ذلك يؤملون الهجوم والوثبة، وأن ينهشوا عباد الله، وقد أفصح السيد " الدافعاني " عن أطراف من أحوالهم في رسالته بعد اختلاطه بهم، وتردده عليهم، ولا ينبغي لذي معرفة وقوة، أن يعرف منهم أحداً يقتدرعليه، فيتركه وشأنه، فإنهم - أهلكهم الله تعالى-شياطين الأرض) [1].

وكلامه عام يشمل ابن الفضل ومنصور اليمن والصليحيين، بل إنه قد بين في مقدمة كتابه هـذا أن من جملة ما حمله على تأليفه أنه سمع راوياً يروي عن أناس، وذُكر عندهم بنو الصليحي، وما فعلوه من جوامع وصدقات، فترحموا عليهم جهلاً بأنهـم دعاة الباطنية وأصحـاب الطائفة العبيدية، فقلت: الآن اتخذ الجهل من الناس مأخذه، وفتح لهم فاه، وأطبق نواجذه، فقلت قصيدة مستغربة وكلمة منظومة معربة، سميتها مسك الختام) [2].

هذا هو موقف علماء ومؤرخي اليمن من الإسماعليلية، وهو مع ما فيه من المقت لهم وتكفيرهم لا يرقى إلى المستوى المطلوب الذي يجب أن يصل إليه الرد والبيان لحالهم وسوء معتقدهم وخطورة مكائدهم ودسائسهم، وربما كان للأولين العذر في ذلك كونهم قد حاربوهم حرباً عسكرية وسياسية حتى أزالوا دولهم، وطهروا اليمن من وجودهم.

ولكن يجب ألا يخفى على علماء اليمن وحكامه أن مجرد زوال دولة الباطنية لا يكفي، فدولتهم قد زالت قديماً بزوال ابن الفضل ومنصور اليمن وأتباعه، ولكن نارها مازالت تدب تحت الرماد حتى مرت بها ريح الصليحي، فأشعلتها أقوى من ذي قبل، وملك جميع اليمن كما هو معلوم، ثم زالت دولته، وبقي فكره وعقائده ودعوته، وبقي دعاته يخلف بعضهم بعضاً،

---

[1] بلوغ المرام ص(21-22) .

[2] المصدر السابق ص(4) .

ويوصي بحفظ الدعوة والحفاظ عليها في دور الستر كما يقولون حتى يحين دور الظهور الجديد، وبقيت كتبهم متوفرة، وهي أعظم ما يقـوم عليه منهج الإسماعيلية في العالم كله، هذه الكتب محفوظة كما يؤكِّد ذلك الدكتور حسين الهمداني في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء وبعض المكتبات الخاصة وبعض المتاحف ودور الكتب العالمية، وقد بدأت موجة إحياء لهذه الكتب ونشر وتحقيق في أكثر من بلد؛ وذلك للتحول الجديد في العالم وطغيان الحرية الفكرية والعقائدية، فبعد أن كان الباطنية يتخفون غاية التخفي بعقائدهم، ويخفون كتبهم عن أهل نحلتهم حتى يصلوا إلى مستوى معين من الفهم والقناعة بما لديهم، أصبحوا اليوم يتباهون بما هم عليه، وينشرون تلك الكتب على الملأ، ويتظاهر بعض الباحثين بانتسابه إليهم، ويؤرخ لهم مادحاً شارحاً لبعض قضاياهم التي كانت في غاية السرية.

إذاً هذا الفكر الضال والمعسول في نفس الوقت الذي ينبني على الفلسفة والخطاب العقلي والعاطفي في آنٍ واحد، جدير بالاهتمام والحذر واتخاذ التدابير الواقية من بعثه وافتتان الناس به في المستقبل.

واسمع إلى الدكتور حسين الهمداني، وهو أحد الباحثين الباطنية الإسماعيلية المحدثين، وهو يمني حيث يقول في كتابه "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن " تحت عنوان " الثروة العلمية الفاطمية في اليمن": (ترى أن دعوة اليمن مضت مـن يـوم وفاة السيدة الحرة الملكـة الصليحية إلى انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي وجمع شتات التراث الفكري وتسجيلها في كتب ومؤلفات وحفظ ما تركه المؤلفون الدعاة في عهد الخلفاء الفاطميين، وقد بدأت هذه الحركة العلمية في حياة الملك المكرم والملكة الحرة بعد عودة قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادي من الديار المصرية إلى مقر الدولة الصليحية، وقد سبق أن ذكرنا أن داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي، قرر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي خطوط برنامج الدعوة العلمي، وكلف القاضي لمك تنفيذ هذا البرنامج، ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوته من علوم إلى اليمن، ثم

قررت السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضي إلى اليمن فصل الدعوة من شؤون الملك. وعينت الملكة يحيى بن لمك والداعي الذؤيب بـن موسى الـوادعي للاشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية. فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض في عهد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي، ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري، ثم أظهر الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي ومأذونه الشيخ علي بن الحسين بن جعفر بن الوليد القرشي،والشيخ محمد بن طاهر الحارثي نشاطاً بليغاً في هذا الصدد، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي، والوادعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغاً لايستهان به. وأثبت الداعي علي ابن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة في رسالته وأرجوزته. وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي، المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مائه، بل إلى أيامنا هذه، ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرة عما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية) [1].

كما أن الأستاذ عبدالله الحبشي ذكر في كتابه مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ذكر ستة عشر داعياً ومؤلفاً من دعاة الإسماعيلية اليمنيين الذين خلفوا ثروة علمية وعقائدية ضخمة، كلها يقصد بها تعميق وترسيخ الفكر والعقيدة الإسماعيلية لدى اليمنيين [2].

ذلك المخزون الفكري وإن كان ضالاً غير مستساغ لدى العقلاء، فإنه قد يستساغ لدى الجهلاء، ولدى المفتونين بالغرائب، ولدى المندسين الذين دأبوا على بث الفتن والشقاق من خلال العقائد الضالة والأفكار الهدامة. هذا بالإضافة إلى الاهتمام الكبير والمتزايد باليمن من قبل هذه الطائفة هذه الأيام، وما يعتمل داخل تجمعات هذه الطائفة في مناطق تواجدها وعلاقاتها المـريبة مـع جهات أجنبية، ربما عملت على زعزعت أمن اليمن واستقراره.

---

[1] الصليحيون ص(297-298)

[2] مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن تأليف عبد الله محمد الحبشي الصفحات (95) و (100) و (102) و (106) و (111) و (112) و (11) و (121) و (123) و (125) و (126) طبع مركز الدراسات اليمنية صنعاء .

وكذلك الظاهرة التي برزت في السنوات الأخيرة ما يسمى لدى تلك الطائفة في الخـارج " الحج إلى اليمن "؛ وذلك لتتبع قبور دعاتهم في مناطق مختلفة في اليمن، سبقت الإشارة إلى بعض منها، ومما يدل أن وراء الأكمة ما وراءها، أنهم لم يقتصروا على زيارة تلك القبور والانصراف عنها، ولكنهم يشترون ماحولها من أرض ودور ومدارس وأي شيء، حتى يتحول الضريح وماحوله إلى ملك خاص بهم، يقيمون فيه المساكن في الظاهر، ولاندري ما وراء المساكن، وقد شاهدت قبراً لهم معظماً في زبيد، وقد ملكوا سكناً واسعاً بجواره، فإذا جاءوا للزيارة نزلوا فيه،وانطلقوا منه إلى بقية المزارات، كما رأيت قبراً آخر في قرية الحمى من نواحي زبيد، يسمونه قبر " حضرة خواجه أويس القرني عاشق رسول الله " هكذا مكتوب عليه، وقد دخلته وهو ضمن مباني مدرسة صغيرة قديمة، فاشتروا حسب إفادة بعض أهالي المنطقة مساحة من الأرض، وبنوا عليها مدرسة جديدة على أن تكون المدرسة القديمة والقبر لهم، ورأيت قبراً عالياً مغطى بثوب موشى، لعله من الحرير مطرز بآيات من القرآن وبعض العبارات الأخرى، وهو في غاية من النظافة، ومفروش بفراش من السجاد والبخور يفوح منه مما يلقي له مهابة في نفس الزائر.

فهذه الأماكن، مايدرينا أنها تتحول إلى مقار للفتنة والمؤامرة في يوم من الأيام! وهل كانت بدايات اليهود المهاجرين إلى فلسطين إلا بهذه المثابة؟ أوَما نخشى أن يأتي يوم يقال فيه لابد من وطن قومي لهذه الطائفة؟

ولايسعني في نهاية هذا المطلب إلا أن أسجِّل تحذيري للعلماء وللحكام ولكل غيور على أمن اليمن وسلامته واستقراره:

أرى خلل الرماد وميضَ نـارٍ ويوشك أن يكونَ لها ضرامٌ

لئن لم يطفها عقلاءُ قَــوم يكون ضرامها جثثٌ وهامُ

المطلب الثاني: أبرز الأعلام الذين واجهوا الإسماعيلية من علماء اليمن:

سبقت الإشارة إلى ضعف المواجهة العلمية لهذه الطائفة، ولكن مع ذلك فإن علماء اليمن لم تخلُ الساحة تماماً من الردود وبيان فساد عقائد ومناهج هذه الطائفة، ومن المؤمل أن يقوم العلماء المعاصرون بسد ذلك النقص.

العلم الأول

محمد بن مالك بن أبي القبائل[1] الحمادي

هذا الإمام هو أشهر مـن رد على الإسماعيلية مـن اليمنيين، بـل إن رسالته أصبحت مرجعاً لكل من يكتب عنهم، وهو الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري، والذي لم يُعثر له على ترجمة، كما أكد ذلك القاضي محمد بن علي الأكوع في مقدمة كتابه [2] غير أن الجندي قد أفاد ما يأتي في ترجمة علي بن الفضل: (على ما ذكره الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي الفضائل أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة، وكان ممن دخل في مذهبهما - منصور وابن الفضل - أيام الصليحي، وتحقق أصل مذهبهما، فلما تحقق فساده رجع عنه، وعمل رسالة مشهورة، يخبر بأصل مذهبهم،ويبيْن عوارهم ويحذر من الاغترار بهم) [3]، وقد استنبط القاضي الأكوع أن وفاة الحمادي كانت في أيام علي بن محمد الصليحي ما بين عامَي (439هـ -459 هـ) حيث لم يدرك مقتل الصليحي سنة (459 هـ).

وكتاب الحمادي من أهم الكتب الكاشفة عن حقيقة الإسماعيلية في اليمن،بل هو أهمها؛ وذلك لما انطوى عليه من مشاهدة واحتكاك وخبرة من الداخل، قال - رحمه الله - في فاتحة كتابه: (قال محمد ابن مالك - رحمة الله تعالى عليه -: اعلموا أيها الناس المسلمون، عصمكم الله بالإسلام، وجنبنا وإياكم طرق الآثام، وأرشدكم، ووفقكم لمرضاته، وسددكم،

---

[1] ابن أبي القبائل هذا الذي ذكره الأكوع في تحقيقه لكتابه كشف أسرار الباطنية ، وذكره فؤاد سيد في تحقيقه لكتاب طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة الجعدي ص(78) ، ومنهم من ذكره بابن أبي الفضائل والله تعالى أعلم .

[2] كشف أسرار الباطنية ص(45) .

[3] السلوك (1/201) .

إني كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي كما يسمعون، ومايتكلم به عليه من سيء الإذاعة وقبح الشناعة، فإذا قال القائل: هو يفعل، ويصنع، قلت: أنت تشهد عليه غداً، فيقول: ما شهدت، ولا عاينت، بل أقول كما يقول الناس. فكنت أتعجب من هذا أولاً، ولا أكاد أصدق،ولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس، ونطقت بـــه الألسن، فتارة أقـول هذا ما لا يفعله أحد من العرب والعجم، ولا سمع به فيما تقدم في سالف الأمم، إنما هذه عداوة له من الناس للمآل الذي بلغه من غير أصل ولا أساس، وكنت كثيراً ما أسمعه يقول:حكم الله لنا علىمن يظلمنا، ويرمينا بما ليس فينا.

فرأيت أن أدخل في مذهبه؛ لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه؛ ولأطلع على سرائره وكتبه،فلما تصفحت جميع ما فيها، وعرفت معانيها، رأيت أن أبرهن على ذلك؛ ليعلم المسلمون عمدة مقالته، وأكشف لهم عن كفره وضلالته؛ نصيحة لله وللمسلمين؛ وتحذيراً ممن يحاول بغض هذا الدين، والله موهن كيد الكافرين.

فأول ما أشهد به وأشرحه، وأبينه للمسلمين وأوضحه، أن له نوّاباً يسميهم الدعاة المأذونين، وآخرين يلقبهم بالمكلبين تشبيهاً بكلاب الصيد؛ لأنهم ينصبون للناس الحبائل، ويكيدونهم بالغوائل، وينقبضون عن كل عاقل، ويلبِّسون على كل جاهل، بكلمة حق يراد بها باطل. يحضّونهم على شرائع الإسلام، من الصلاة والزكاة والصيام كالذي ينثر الحب للطير؛ ليقع في شراكه، فيقيم أكثر من سنة يمعنون به وينظرون صبره، ويتصفحون أمره، ويخدعونه بروايات عن النبي محرفة، وأقوال مزخرفة،ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعملونه والانقياد لما يأمرونه، قالوا حينئذٍ: اكشف عن السرائر، ولاترض لنفسك، ولاتقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر، وتدبر القرآن ورموزه، واعرف مثله وممثوله، واعرف معاني الصلاة والطهارة، وماروي عن النبي بالرموز والإشارة، دون التصريح في ذلك والعبارة،فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة، لممثولات محجوبة، فاعرف الصلاة وما فيها، وقف على باطنها ومعانيها، فإن العمل بغير

علم لاينتفع به صاحبه، فيقول: عمَّ أسأل، فيقول: قال الله تعالى: ﴿ **أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ [1]، فالزكاة مفروضة في كل عام مرة، وكذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار، وأيضاً فالصلاة والزكاة لها باطن؛ لأن الصلاة صلاتان، والزكاة زكاتان، والصوم صومان، والحج حجان، وما خلق الله - سبحانه - من ظاهر إلا وله باطن، يدل على ذلك: ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه** ﴾ [2] ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن** ﴾ [3]، ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن، فالظاهر ما تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام، وأمـا الباطن فقصر علم الناس به عن العلم به، فلا يعرفه إلا القليل، من ذلك قوله: ﴿ **وما آمن معه إلا قليل** ﴾ [4]، وقوله: ﴿ **وقليلٌ ماهم** ﴾ [5]،وقوله: ﴿ **وقليلٌ من عبادي الشكور** ﴾ [6]، فالأقل من الأكثر الذين لاعقول لهم) [7].

وقد بدأ كتابه بذكر الدعاة المأذونين، وكيفية قيامهم بتلك الدعوة،وكيف يؤوِّلون، ويعلمون الناس أن لكل شيء ظاهراً وباطناً، فالصلاة لها باطن والزكاة لها باطن...الخ، ثم ذكـر تدرجهم بالمدعو حتى يصل إلى الدرجة التي يبيح له الإمام المبيت مع زوجة الداعي، ثم مع زوجات الواصلين إلى تلك الرتب العالية عندهم [8]؛ ثم ذكر المشهد الأعظم وما فيه من إباحية، ثم يختم الفصل بقوله: (قال محمد بن مالك - رحمه الله تعالى -: هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله - تعالى - لهم بالمرصاد،والله - تعالى - عليَّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم، والله يشهد عليَّ بجميع ما ذكرته عالم به، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله واللاعنين والملائكة والناس أجمعين، وأخزى الله من كذب عليهم، وأعد له جهنم وساءت مصيراً، ومن حكى

[1] البقرة (43) .
[2] الأنعام (120) .
[3] الأعراف (33) .
[4] هود (40).
[5] سورة ص (24) .
[6] سبأ (13) .
[7] كشف اسرار الباطنية وأسرار القرامطة ص(63 – 65) .
[8] المصدر السابق ص(69).

عنهم بغير ما هم عليه، فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته.

فأديت هذه النصيحة للمسلمين حسب ما أوجب علي من حفظ هذه الشهادة، فإن الله - سبحانه -أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها، قال الله : **سُتكتب شهادتهم ويسئلون** [1]،والله أسأله أن يتوفانا مسلمين، ولاينزع عنا الإسلام بعد أن أتانا بمنه ورحمته) [2].

ثم قال تحت عنوان " المقالة في أصل الدعوة الملعونة ": (وقد رأيت أيها الناس، وفقنا الله وإياكم للصواب، وجنبنا وإياكم طرق الكفر والارتياب، أن أذكر أخبار هذه الدعوة الملعونة؛ لئلا يميل إلى مذهبهم مائل، ولا يصبو إلى مقالتهم لبيب عاقل، ويكون في هذا القدر من الكلام في هذا الكتاب إنذار لمن نظره، وإعذار لمن، وقف عليه واعتبره) [3]، ثم ابتدأ في تاريخ تلك الدعوة وأخبارها إلى آخر الكتاب.

والكتاب يعد من أهم وأقدم المراجع المؤرخة للباطنية والكاشفة عن حقائقهم خصوصاً باطنية اليمن؛ ولذا فلا يحصى من نقل عنه قديماً وحديثاً، وقد طبع عدة طبعات من آخرها وأفضلها طبعة " مركز الدراسات والبحوث اليمني " بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع سنة (1415 هـ).

ولقد حاول البعض التشكيك في بعض ما احتوى عليه الكتاب، إما باعتبار ذلك غير معقول، أو بدافع قومي أو وطني، ولكن الشهادة التي صدّره بها القاضي الأكوع عن المقريزي تشهد للحمادي بصدقما ذكره، وكذلك يشهد له كثير من النقول عن كتب الإسماعيلية أنفسهم التي أوردها الباحث الكبير إحسان إلهي ظهير في كتابه الفذ " الإسماعيلية تاريخ وعقائد " ومن أراد التأكد فليرجع إليه في الباب السادس " الإسماعيلية والتأويل الباطني " [4] و" الإسماعيلية ونسخ شريعة محمد صلوات الله عليه"[5]، إلا موضوع " المشهد الأعظم " أي جمع الرجال مع النساء، وكذلك المبيت مـع زوجة الداعـي وزوجات

---

[1] الزخرف (19) .
[2] المصدر السابق ص(70) .
[3] المصدر السابق ص(70 – 71)
[4] الإسماعيلية تاريخ وعقائد ص(473 – 538)
[5] المصدر السابق ص(546 – 592)

من يليه فلم أجد إلى الآن ما يشهد له فلا أستطيع الجزم بإثباته كما لا أستطيع نفيه.

العلــم الثــاني

الإمـــام يـحيى بن حمــزة

وهو الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي، وهو خلاف أكثر أئمة اليمن الذين يرجعون إلى الحسن بن علي ، ولد بصنعاء سنة (669 هـ) (واشتغل بالمعارف العلمية وهو صبي، فأخذ من جميع أنواعها على أكابر علماء الديار اليمنية، وتبحر في جميع العلوم، وفاق أقرانه، وصنف التصانيف الحافلة في جميع الفنون) [1]، (وهو من أكابر أئمة الزيدية بالديار اليمنية، وله ميل إلى الإنصاف مع طهارة لسان وسلامة صدر وعدم إقدام على التكفير والتفسيق بالتأويل ومبالغة في الحمل على السـلامة علـى وجه حسن، وهو كثير الذب عن أعراض الصحابة المصونة ، وعن أكابر علماء الطوائف رحمهم الله) [2]، وله في ذلك " الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب أصحاب سيد المرسلين " [3].

وكتبه كثيرة جداً، أوصلها بعضهم إلى مئة مجلد، ومنها رسالتـاه اللتان رد فيهما علـى الباطنية، وهما " الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام " و" مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار " وقد طبعتا، ولكني لم أحصل على أي منهما.

وهذا الإمام لم يقتصر على الرد على الإسماعيلية بقلمه ولسانه، بل حاربهم بسيفة وسنانه، كما ذكر ذلك صاحب أعلام المؤلفين الزيدية [4]، ولست أدري شيئاً عن مضمون الكتابين غير أن الظن أنهما مفيدان ومحققان، فقد وُصِفَ هذا الإمام بالتحقيق والنبوغ.

وهو مع مكانته العلمية وشهرته بين علماء اليمن، قد صدرت عنه بعض الفتاوى التي يظهر بجلاء مخالفتها للأدلة، من أشهرها تجويزه بناء المشاهد والقباب على قبور الخلفاء وذوي

---

[1] البدر الطالع (2/331)

[2] المصدر السابق (2/332)

[3] المصدر السابق (2/332) .

[4] أعلام المؤلفين الزيدية ص(1124).

الفضل، وهذه الفتوى هي التي رد عليها الشوكاني برسالته "شرح الصدور بتحريم رفع القبور"، وقد ذكر بعض تلك المسائل القاضي إسماعيل الأكوع في ترجمته في كتابه هجر العلم [1].

وقد توفي - رحمه الله - في موضع اعتزاله بعد أن تخلى عن الإمامة بقصر هران بذمار سنة (749 هـ) [2].

<u>المطلب الثالث</u>: المؤلفات اليمنية في الرد على الباطنية الإسماعيلية:

لقد عـثرت- أثنـاء بحـثي عن هـذه الطائفة وتاريخها ومــوقف العلمـــاء منهـــا-على عـــدد مـــن الـــردود عليها من علمـــاء اليمن،ولاأزعم أن هذه الأسماء التي سأذكرها في هذا المطلب هي كل ما كتبه اليمنيون في ذلك، ولكن هذا ما وقفت عليه.

1 – 3) ماسبق ذكرها؛وهي رسالة الحمادي "كشف أسرار الباطنية"،و"الإقحام لأفئدة الباطنية الطغام" و"مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار" وكلتاهما للإمام يحي بن حمزة.

4) "الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار"؛ للشيخ حُميد بن محمد المحلي الهمداني المعروف بحميد الشهيد، وكان من كبار الهادوية في عصره، قتل سنة (652) [3].

5) "الرسالة القاطعة في الرد على الباطنية" (جزآن)؛ للشيخ محمد بن يحيى بن أحمد بن حنش، توفي سنة (719) [4].

6) "العضب المسلول في الرد على الباطني المخذول" لأبي العطايا عبدالله بن يحيى بن المهدي، تـوفي سنة (873) [5].

هذه هي الكتب المفردة،وهناك من تعرض لهم أثناء بحوث أخرى وضمن كتب غير مخصصة للـرد عليهم منها:

---

[1] هجر العلم (1/502) .

[2] انظر ترجمته في البدر الطالع (2/331 – 333) ، وهجر العلم ص(501 – 506) ، وأعلام المؤلفين الزيدية ص(1124 – 1131).

[3] هجر العلم للأكوع (2/882) ، ومصادر الفكر للحبشي ص(107) .

[4] هجر العلم (3/1306) ، ومصادر الفكر ص(112) .

[5] مصادر الفكر ص(122) .

أ) ماكتبه الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، المتـوفى سنة (840هـ)؛ في كتـابه" إيثـار الـحق على الخلق" في عدة مواضع.

ب) محمد بن الحسن الديلمي المتوفى سنة (711 هـ)، في كتابه "قـواعد عـقائد آل محمـد"، وغير ذلك من كتب العقائد والتاريخ.

وعندما بدأت موجات الحجاج الإسماعيلية تتوافد علـى اليمن،وظـهر نشـاطهم ونشاط إخوانهم من اليمنيين،تحرك بعض العلماء والدعاة من المعاصرين؛ لمواجهة ذلك خطابة ومحاضرة وربما تأليفاً، والواجب أن تأخذ هذه الفرقة حظها من العناية والاهتمام على مستوى الخطر الذي تشكله، والله الموفق.

المـبحث الثــاني
المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية المختلفة لعموم القبورية
وفيه أربـعة مطالب:

<u>المطلب الأول</u>: جهود علماء اليمن الأعلى "صنعاء ومايليها ":

لقد كان لعلماء هذه الجهة النصيب الأوفر والحظ الأكبر من الجهود العلمية والعملية في مواجهة القبورية،وقد تقدم بعض جهودهم في مواجهة الباطنية الشيعية،وفي هذا المبحث

سألقي الضوء على جهودهم في مواجهة عموم القبورية،ولم تكن تلك الجهود العظيمة لأن بلادهم كانت أكثر قبورية من غيرها،ولكن كان هناك عاملان أساسيان لذلك:

الأول: هو الاجتهاد والتجديد الذي تميز به علماء هذه الجهة،فاتسعت آفاقهم، وزالـت الـموانع من طريقهم؛ سواء موانع النظر العلمي، أو موانع الجهر بكلمة الحق التي حالت دون علماء جهات أخرى أن يقولوها.

الثاني: أنه لايوجد من يتبنى القبورية، ويدافع عنها بقوة من علماء تلك الديار، وإنما الذي يروج تلك القبورية هم الحكام دون اعتقاد؛ بل لدوافع إظهار العظمة لديهم، فلم يكن لهم حمـاس الصوفية المعتقدة في الأولياء والحكام الخاضعين لسلطان الصوفية.

ولذا فسوف تطالعنا أسماء عديدة، لها إسهاماتها في هذه الجهود من جوانب مختلفة،ولكنني سأكتفي بدراسة أكثر تلك الأسماء تأثيراً،وهما الإمامان شيخا الإسلام "محمد بن إسماعيل الأمير" و"محمد بن علي الشوكاني"، مع استعراض بعض آثارهما في هذا المجال، وأما بقية الأسماء فسأذكرها مجردة،مع تاريخ الوفاة وبعض مصادر الترجمة، واسم الأثر الذي تركه ذلك العالم في مواجهة القبورية وموضوعه.

العلـم الأول

من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأعلى

الإمام محمـــد بن إسماعيــل الأمير

هو علامة اليمن ومجدد علم الحديث بها،البدر المنير محمد بن إسماعيل بن صلاح، الأمير الكحلاني ثم الصنعاني، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولد بكحلان ليلة الجمعة منتصف جمادى الأول سنة (1099هـ) [1]، ثم ارتحل مع والده إلى صنعاء،وهناك أكب على طلب العلم على أشهر وأفضل علمائها، (ورحل إلى مكة،وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة، وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران،وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد وعمل بالأدلة، ونفر عن التقليد وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت له

[1] هجر العلم (4/1854) .

مع أهل عصره خطوب ومحن) [1]، وقد عدد الشوكاني تلك المحن التي وقعت عليه [2].

وقد تفرد في عصره من بين علماء اليمن بأمور، هي من أعظم خصال المجددين، وأزكى ثمار اجتهاد المجتهدين، أولها الدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك ووسائله،وهــذا ما سنراه في الجزء الثاني من هذه الترجمة، وكان ذلك قبل أن يسمع بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب- رحمه الله- فلما سمع بها وبما يقوم به ابن عبدالوهاب في ذلك السبيل، فرح فرحاً شديداً،وتقوّى بذلك، ووجد المساعد على دعوته التي كان يظن أنه وحده عليها، فراسله بقصيدته الشهيرة المعروفة بالقصيدة النجدية، والتي مطلعها:

سلامٌ على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لايجدي

وقال مبدياً سروره بما يدعو إليه ذلك الإمام:

لقد سرني ما جاءني مـن طريقة وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقد ضمّن هذه القصيدة أهم ملامح دعوته إلى التوحيد والاجتهاد ومحاربة البدع، وأثنى على الإمام ابن عبدالوهاب بذلك.

ولكن هناك أموراً ساعدت على شيء من التردد تجاه الشيخ ابن عبدالوهاب؛ وهي أنه لم يبادر بالجواب على الصنعاني، وترتب على هذا السبب أسباب أخرى، من أهمها أن القصيدة انتشرت، وسار بها الركبان، وبلغت الحجاز والشام والعراق وغيرها من البلدان التي لابن عبدالوهاب فيها أعداء، فسارعوا بالكتابة لابن الأمير، يلومونه على مدحه لابن عبدالوهاب، ويختلقون المطاعن والمثالب، ويهوِّلون الأمر بحيث يصورونه له أنه بسبب هذه القصيدة، ارتفع شأن هذا الرجل، واغتر به أناس مع ما عنده من أخطاء، ويحمِّلون ابن الأمير مسؤولية من اغتر بقصيدته، ولكن ذلك كله لم يؤثر فيه،كما صرح بذلك في مقدمة قصيدة الرجوع غير أنه بعد فترة، ورد إليه رجل من أهل نجد، يزعم أنه من طلاب محمد ابن عبدالوهاب، وذكر

---

[1] البدر الطالع (2/133) .

[2] المصدر السابق (2/ 113-136) .

لابن الأمير بعض الأمور عن صاحبه، لم ترق له، ولم يُعِر ذلك اهتماماً، ثم ورد رجل آخر، يظهر عليه سمت وسيما صلاحٍ ونباهة في طلب العلم حسبما يصفه ابن الأمير؛ فأكد ما قاله الوافد الأول وأحضر حسب زعمه بعض رسائل ابن عبد الوهاب التي فيها تبرير تكفير سائر الأمة، والوجهة في قتل مخالفيه، وأخذِ أموالهم، فلما تجمع ذلك كله وجد ابن الأمير نفسه مضطراً لمسح ما فعلته القصيدة الأولى، من دعاية لابن عبدالوهاب، فنظم قصيدته التي مطلعها:

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

وأبان فيها ما بلغه عن ابن عبدالوهاب، مما لا يرتضيه وأهمه تكفير الأمة قاطبة، والتَّجاري على الدماء والأموال، وأقول:

أما القضية الأولى فهي قطعاً غير صحيحة، وجميع مؤلفات الإمام ومؤلفات أبنائه وأحفاده وأعلام الدعوة النجدية موجودة متداولة، وليس فيها شيء من ذلك، أعني التكفير العام المطلق للأمة، وإنما فيها التحذير من الشرك والحكم العام دون التعيين لمن وقع في الشرك بأنه مشرك، مالم يكن معذوراً، وتاب عن ذلك، فدعوى تكفير الأمة قاطبة مما افتراه عليه أعداؤه؛ لتشويه سمعته.

وأما القضية الثانية وهي التجاري على دماء المسلمين وأموالهم فهي مبنية على حكم من يحاربهم، فمن اعتقد هو وأتباعه أنه مرتد معاند، لم يقبل النصح، ولم ينصع للدعوة، استحل قتاله، وغنم أمواله، وذلك بعد البلاغ والإعذار، كما تنص عليه كتبه وكتب أتباعه، وأما وصول الأمر إلى حد الاغتيال دون إنذار ودون دعوة، فما علمت أن الشيخ وأتباعه العلماء، يجيزون ذلك بهذه الصورة المذكورة، وأما أن يحصل من بعض الجنود وقُوَّادِهم شيء من التجاوز في القتل أو في نهب الأموال أو ما أشبه ذلك، فهذا ممكن، وليس العيب فيه على الشيخ، ولا على دعوته.

وعلى كل حال فتأخُّر جواب الشيخ ابن عبدالوهاب علىالشيخ ابن الأمير؛ فتح المجال للطرف الثالث وهم الناقمون على الشيخين جميعاً، فسعوا للإيقاع بينهما، وخصوصاً أنهم لمسوا قضية حساسة لدى ابن الأمير، وهي قضية قتل الناس وأخذ

أموالهم باسم الدين والشرع والجهاد في سبيل الله، التي كان قد سنّها بعض أئمة اليمن، وضاق بها علماء اليمن ذرعاً، ومن أشدهم ابن الأمير،فكم له في ذلك من مكاتبات وقصائد تعد ثورة على تلك الأوضاع، فخشي أن يذم أئمة اليمن، ويمقتهم لذلك الظلم،وفي نفس الوقت يمدح إمام نجد الذي يجاري أئمة اليمن في ذلك البغي والظلم.

هذه في نظري هي الأسباب الحاملة على نظم القصيدة الأخيرة؛ ولذلك ومن أجـل أن يقطع الطريق على من يصطاد في الماء العكر، فقد أكد تمسكه بما جاء في القصيدة النجدية من العقيدة والمنهج، وإنما كان الرجوع عن تلك القضايا المحددة فقال:

نعـم واعلـموا أني أرى كل بدعة ضلالاً على ما قلت في ذلــك العقـد

ولاتحسبـوا أني رجعت عن الـذي تضمنه نظــمي القــديم إلى نجــد

بلى كـل ما فيه هو الـحق إنمـا تجاريك في سفك الدمـا ليس من قصدي

وتكفير أهل الأرض لست أقوله كمـا قلتـه لا عـن دليـل به تهدي) [1]

والقصيدة ثابتة عن الإمام ابن الأمير، وليست مقولة على لسانه، والسبب فيها ماذكر، وليس هو تراجعاً عن ذلك المنهج، وقد أشار الشوكاني في "الدر النضيد" إلى شرح هـذه القصيدة لابن الأمير[2]، فمن أنكرها من علماء نجد وغيرهم كان إنكاره لها عن عدم اطلاع على ما ذكر من أسباب وملابسات، وماذاك إلا غيرة على الإمام ابن الأمير من أن ينسب إليه مايخالف ماعرف عنه من الدعوة إلى التوحيد والاتباع ومحاربة الشرك والابتداع.

وأما الأمر الثاني فالدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد الأعمى والتعصب المقيت، وهذا الأمر تطفح به كتبه التي خصص منها رسالة لهذا الغرض بعنوان: " إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد "، كما تعرض لهذا الأمر في الكثير من كتبه الكبيرة والصغيره،

---

1 الديوان وانظر مقدمةهذه القصيدة ص (171-173) .

2 الدر النضيدص (102).

وأعلنه في العديد من قصائده، ومنها هذه القصيدة النجدية التي تكلمنا عنها آنفاً حيث قال:

وأقبح من كـل ابتـداع سمعتــه وأنكاه للقـلب الموفـق للـرشـد

مذاهب من رام الخـلاف لبعـضها يُعـض بأنيابِ الأسـاود والأسـد

يـصب علـيه سـوط ذم وغـيبة ويجفوه من قد كان يهواه عـن عمد

ويُعزى إليه كــل ما لا يقولــه لتنقيصـه عنـد التهامي والنجـدي

فيرميه أهل الرفض بالنصب فــرية ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد

وليس لـه ذنب سـوى أنـه غـدا يتـابع قـول الله في الحل والعـقد

ويتبــع أقــوال النـبي محمـد وهل غيره بالله في الشرعي من يهدي

لئن عـده الجهـال ذنـباً فحبـذا بـه حبذا يـوم انفـرادي في لحدي [1]

وتجد هـذا الاتجـاه في ديوانه في عـدة مواضع بـارزاً، وقد جر عليه هذا ضروباً من المحن، كما مر.

والأمر الثـالث مقارعته للأئمة وتشــديده النكــير عليهم في المظــالم الــتي يرتكبونها بحق الأمة في دمائها وأموالهــا، وهو فــاشٍ في كتبه ورســائله وقصــائده، ومن أشــهر تلك القصــائد وأذيعها وأبعدها ذكراً القصيدة التي مطلعها:

(**سماعاً عباد الله أهل البصائر لقولٍ له يفنى منام النواظر**) [2]

وقد شـجب فيها ظلم الأئمة وميل بعض القضـاة عن مقتضى العدل، وسـكوت العلمـاء عن قـول كلمة الحـق، وبالجملة فقد وهب نفسه وراحته ووقته وعلمه لإعلاء كلمة الحق ورفع راية التوحيد وقمع البــدع والمنكــرات، ومن طريف ما قــام به في الحفاظ على التوحيد ومحاربة الشـرك ما ذكـره "زبـارة" في "

---

[1] الديوان ص(167)

[2] الديوان ص(244-247) .

نشر العرف" تحت عنوان " صنم المخا وفتنة الخطبة بصنعاء " قـال: (وأرشد المهـدي العبـاس إلى إزالة أصـنام كـانت ببنـدر المخا لطائفة البانيان،وألف البدر رسالة في ذلك نفيسه، فبادر المهـدي إلى الأمر بإزالتها وهـدم بيوتهـا، وقبض جميع أموالهـا، وقد كـان لها مـال واسع يقـدر بنحو خمسـين ألف ريـال، فأخذ وأوصل أحد الأصنام إلى حضرة الإمام والبدر لديه، فأمر البــدر بكسره، وكان في صورة أنثى، فديس بالنعال) [1].

وقد التف حوله نخبة كبـــيرة من طلاب العلم من طبقـــات متفاوتة مــن المجتمـع، قـال عنها الشـوكاني: (وقد كـان أكـثر أتبـاع صـاحب الترجمة من الخاصة والعامـة، وعملـوا باجتهـاده وتظاهروا بـذلك، وقـرأوا عليه كتب الحـديث وفيهم جماعة من الأجنـاد، بل كـان الإمـام المهـدي يعجبه التظهر بـذلك، وكـذلك وزيـــره الكبـــير الفقيه أحمد بن علي النهمي وأمـــيره الكبـــير الماس المهدي، ومازال ناشراً لـذلك في الخاصة والعامة غـير مبال بما يتوعده به المخـالفون لـه، ووقعت في أثنـاء ذلك فتن كبار، وقاه الله شرها) [2].

وبواسطة طلابه والمقتـدين به من العلمـاء والـدعاة، وصـلت إلينا الدعوة السلفية اليمنية، والحمد لله،كما خلّف ثروة ضخمة مـــن الكتب الــتي تُشد إليها الرحـــال في التحـــقيق والتجديد ودقة الفقه والاستنباط، من أوسعها انتشاراً " سـبل السـلام " و"تطهير الاعتقاد " والعـدة حاشـية شـرح العمـدة " لابن دقيق العيد، ومؤلفاته كثيرة جـداً، قـال القاضي الأكـوع: (وله رسـائل كثيرة، يضـيق المقـام بـذكرها) [3].ومعظمها في تلك الاتجاهـات الــتي أشــرنا إليهــا، وســيأتي التعريف بما يخص القبورية من مؤلفاته الـــتي اطلعنا عليها أو بعضـــها، ولقد اهتم العلمـــاء والمؤرخــون وطلاب الدراســات العليا بدراسة جــوانب مختلفة من حياته وفكره، فمنهم الإمام الشـوكاني في " البـدر الطـالع "، والقاضي الحيمي في كتابه"طيب السمر"، والجرموزي فـي كتابه " ســـلافة العصر "، والقاضي أحمد قـــاطن في كتابه" الدمية والتحفة "، وعبدالله بن عيسى في كتابه "الحــــدائق"،

---

[1] نشر العرف (3/41)

[2] البدر الطالع (2/137) .

[3] هجر العلم (4/1857)

وعبدالله الحبشي في كتابه "مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ".[1]

وقد ترجمـه ترجمة واسـعة " زبـارة "في " نشر العـرف "، والقاضي الأكـوع في " هجر العلم "، كما كُتبت عنه عـدد من المؤلفـات الخاصة والرسـائل العلمية منهـا: كتـاب " الصـنعاني وكتابه توضيح الأفكار " للدكتور" أحمد محمد العليمي "، وكَتب علي عبـدالجبار ياسـين السـروري كتابـاً بعنـوان: " ابن الأمـير الصـنعاني حياته وفقهه "، نـال بها درجة الماجسـتير، وكتب البـاحث قاسم صـالح نـاجي الـريمي رسـالة بعنـوان " الفكر التربوي عند ابن الأمير الصنعاني "، نـال بها درجة الماجسـتير، وكتب عنه العلامة عبدالرحمن طيب بعكر كتاباً بعنوان " مصلح اليمن محمد بن إسـماعيل الأمـير دراسة حياته وآثـاره" وكتب الأساتذة قاسم غالب أحمـد، وحسـين أحمد السـياغي، ومحمد بن علي الأكوع، وعبدالله ابن عبـدالوهاب الشـماحي، ومحمـود إبراهيم زائد كتاب " ابن الأمير وعصره " [2].

هذا هو الإمـام محمد بن إسـماعيل الأمـير أحد أبـرز مجـددي اليمن ومن أوائل من فتح بـــــاب مواجهة القبورية في اليمن الأعلى.

<u>جهود ابن الأمير في مواجهة القبورية:</u>

لقد احتلت مواجهة القبورية حيزاً واسعاً من حيـاة ابن الأمـير وجهـده وجهـاده، ولن أسـتطيع الإحاطة بكل ما كتب في هـذا الجانب، فبعضه مازال مخطوطاً، وبعضه ضمن مؤلفـات كبـيرة متنـاثر في ثناياهـا، والقصد هو إلقـاء الضـوء على منهج الرجل في مواجهة القبورية، وسـيظهر ذلك - إن شـاء الله - من خلال استعراض ما يقع عليه الاختيار من كتبه.

الأثر الأول من آثار ابن الأمـير المفـردة في مواجهة القبورية

<u>" تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد "</u>

هذه الرسالة هي أشهر كتبه المفردة في هذا الموضـوع، وقد تداولها الناس، وطبعت عدة طبعات في بلدان عديدة، قال في مقدمتها بعد الحمد والثناء والصلاة والسلام على النبي ﷺ: (وبعد

[1] مقدمة الديوان ص (47) بقلم حفيده الأستاذ عبدالرحمن علي الأمير ..
[2] هجر العلم (4/1855) .

فهذا " تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد "،وجب عليّ تأليفه، وتعين عليّ ترصيفه؛ لما رأيته وعلمته من اتخاذ العباد الأنداد، في الأمصار والقرى وجميع البلاد، من اليمن والشام ومصر ونجد وتهامة، وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبور، وفي الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من أهل الفجور، لا يحضر للمسلمين مسجداً، ولا يُرى لله راكعاً ولا ساجداً، ولا يعرِف السنة والكتاب، ولا يهاب البعث والحساب، فواجبَ عليّ أن أنكر ما أوجب الله إنكاره، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره) [1].

وقد احتوى الكتاب على خمسة أصول وعدد من الفصول، كلها تدور حول إخلاص العبادة لله تعالى، وبيان ما وصل الناس إليه من جاهلية باعتقادهم في أصحاب القبور، ونقد كثير من الأوضاع المبتدعة المتعلقة بذلك.

وللشيخ كتب أخرى مفردة في هذا الموضوع، منها كتاب بعنوان " الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف "، ألفه حينما اطلع على جواب لأحد القبوريين، أجاب به علىسؤال ورد إليه، فجاء في ذلك الجواب: (إن للأولياء ما يريدون، وأنهم ممن يقول لأي شيء أرادوه كن فيكون، وأنهم من القبور لقضاء الحوائج يخرجون) [2]، إلى آخر ما ذكره المجيب من نواقض الاعتقاد الصحيح قال: (فتعين إيقاظ أهل الغفلة والمنام، من القاصرين والعوام، ببيان حقيقة الولي وماورد في صفته من الآثار، وبيانه من الكتاب والسنة والأخبار، ثم بيان رد ما أورده المجيب من الهذيان، وأنه جعل الأولياء من جملة الأصنام والأوثان، ووصفهم بأنهم كالإله تقّدسَ وتعالى، وأنهم يقولون للشيء كن فكان، فرأيته يتعين إبانة الصواب، وبيان حقيقة ما افتراه من الأوتاد والأنجاب والأقطاب، وما خالف فيه بهذه البدعة من أدلة السنة والكتاب) [3].

ثم تتبع ذلك المجيب، بأن يورد مقطعاً من كلامه، ثم يتعقبه بالرد وبيان الحق في تلك المسألة، وقد طُبع الكتاب عام (1417هـ) بتحقيق مجموعة من الطلاب في الجامعة الإسلامية

---

[1] تطهير الاعتقاد ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد ص (27 – 28) .
[2] الإنصاف للصنعاني ص (2) .
[3] المصدر السابق ص (3) .

بالمدينة النبوية تحت إشـــراف الشـــيخ "حسن علي حســـين العــواجي " المــدرس بكلية الــدعوة وأصــول الــدين في نفس الجامعة.

كما أن له كتابـاً يتعلق بالقبوريـة، ولا يظهر علاقته بهم إلا بعد النظر الفاحـص فيما يمارسون، ذلــكم الكتـاب هو المسـمى " رسالة شريفة فيما يتعلق بـ (الأعداد للحروف، والأوفـــاق، وكم بقي من عمر الـــدنيا،وذكر المهـــدي المنتظر "، والـــذي يخص موضوعنا منها هو ما يتعلق بالحـــروف والأوفـاق، وقد تكلم في المسألة الأولى عن حروف " أبجـد، هّـوز "، وأبـــان أنها ليست في دلالتها علـى الأعـــداد من وضع اللغة العربية، ثم انتهى إلى القــول بــأن جعلها دلالة على الأعــداد أمر اصــطلاحي، لا حجر فيــه، ولا ضــير على متعاطيــه، ونهي ابن عبــاس عنه وأنه من السحر، يدل على أنه عرف أنه اصطلاح لليهود، يستعملونه في الأسحار، وهذا يأتي بحقيقته في المسألة الثانية [1].

وفي المسألة الثانية قرر أن علم الأوفاق علم مبتدع وحادث، لايعرف له دليل من كتـاب ولا سـنة ولا فعل صـحابي ولاغـيره، وبعد أن فنّده، وحكم بعدم وجود أصل شـرعي لـه، نقل تعريف داود الأنطاكي له، ثم قال: (قلت:وهذا شأن الأسحار والابتداع، لاشأن الطريقة النبوية والاتباع، ومعلوم أنها طريقة سحرية، إذ المطلوب بها أمـور دنيوية محضـة، من جـاهٍ عند العبـاد، وجلب رزق من أيديهم، وإلقاء المهابة في قلوبهم وغير ذلك) [2].

وإنما قلت: إن هذه الرسالة هي من ضمن مواجهة القبوريــة؛ لأنه سبق في الباب الثاني أن كثـيراً من أوليـاء القبورية ذكروا أنهم يتعاطون علم الحروف والأوفاق، ويتصرفون بها، ويعــدون ما ينتج عن ذلك كرامـات لأولئك الأوليـاء، وهو في الحقيقة من السـحر، فناسب جعل هـذه الرسـالة من جملة الـردود عليهم، وقد حقق هـــذه الرســـالة الأخ: مجاهد بن حسن بن فـــارع الوصـابي المطحـني، وراجعها شـيخنا الشـيخ مقبل الـوادعي - رحمه الله - وطُبعت من قِبَـــل دار القـــدس بصـــنعاء عـــام (1412هـ - 1992م).

---

1 رسالة شريفة للإمام الصنعاني ص (18) .

2 المصدر السابق ص (22) .

كما إن هناك رسالة صغيرة هي عبارة عن إجابة على سؤال عن حكم الذبح على القبور بعنوان "مسألة في الذبائح على القبور وغيرها " حققها أخونا " الشيخ عقيل بن محمد المقطري "، وراجعها محدث اليمن العلامة " مقبل بن هادي الوادعي " [1]- رحمه الله -، وهي رسالة صغيره جداً، أبان فيها حرمة تلك الذبائح، وفصل فيها، وقد عد الذبح ـ على باب الدار وعلى جدرانها، وكذلك ما سمي عند العامة بـ "الهجر " ونحوه ـ من الذبائح المحرمة، ولكن الذابح لايكون بذلك مرتداً، وأما الذابح للقبور فإنه يكون مشركاً، وذبيحته ذبيحة مشرك:(... فإن الذابح لابن علوان مثلًا، لايكون إلا عن اعتقاد أنه يضر وينفع، ويعطي ويمنع، ويشفي المرض ويذهب عن الأبدان العليلة الأدواء، وهذا بعينه الذي كان عليه عباد الأوثان وأتباع الشيطان، فإنهم كانوا ينحرون لها، ويهتفون بأسمائها، ويدعونها، ويخافونها، ويرجونها، ويطوفون بها، وينادونها بمثل " على الله وعليك "، كما يفعله الآن عباد القبور والقباب والمشاهد التي يجب هدمها) [2].

كما يعد من هذا الباب شرحه على رجوعه عن القصيدة النجدية المسمى " إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال ابن عبدالوهاب " أو " النشر الندي بحقيقة أقوال ابن عبد الوهاب النجدي "، ذلك أن الرجل لم يرجع كما سبق عن أصل ما كان في قصيدته الأصلية " النجدية "، وإنما رجع عن مدح محمد ابن عبدالوهاب وبيان ما بلغه عنه مما لايرتضيه، وهذا كله لايغير من منهج تلك القصيدة، وبالتالي فالشرح يؤكد ما كان في تلك القصيدة من مواجهة للقبورية، ويوضحه، ويقيم الأدلة عليه، كيف لا وهو قد صرح فيها بأن القبوريين قد أصبحوا مشابهين لعباد " ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ".

---

[1] كتبت هذه السطور بعد وفاة الشيخ بأربعة أيام ، حيث وافاه الأجل المحتوم آخر يوم السبت أول يوم من شهر جمادى الأولى عام 1422هـ تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وأخلف على المسلمين خيراً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

[2] مسألة في الذبائح على القبور وغيرها ص (44) ، طبع مكتبة دار القدس صنعاء ودار ابن حزم بيروت ، الطبعة الأولى (1413هـ - 1992م) .

ولعل الله أن يهــيىء نشر ذلك الشــرح؛ ليتضح صــحة هــذا الكلام؛ وليخسأ من يتشـدق أمـام العـوام وأشـباه العـوام، بـأن الصنعاني رجع عما جاء في قصيدته النجدية مطلقاً، وأنه عـاب على ابن عبـدالوهاب دعوته إلى التوحيـد من أصـلها، ومحاربته للشــرك والقبورية من أساســها. هــذه بعض جهــود الإمــام الصنعاني - رحمه الله - في مواجهة القبورية.

العـلم الثـاني

من أعـلام مواجهة القبورية في اليمن الأعلى

الإمام شيـخ الإسـلام محمــد بن علــي الشـوكاني

هو الإمـام شـيخ الإسـلام أحد مشـاهير أعلام اليمن ومجـددي الدين فيه، وأحد رواد النهضة الحديثة والصحوة المباركة ورموز الســلفيين في العصــور المتــأخرة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ثم الصنعاني، تـرجم لنفسه، وسلسل نسـبه إلى آدم [1]، ولد - رحمه الله - في "هجـرة شـوكان" وسط نهـار يــوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة (1173هــ)، ونشأ بصنعاء في كنف والده الـذي يعد من كبـار علمـاء صـنعاء في وقتــه، وقد أقبل على طلب العلم بشــكل منقطع النظــير، أعانه على ذلك الحــال الميســور لأســرته، إذ وفَّر له التفــرغ للطلب، وعـدم الانشـغال عنه بطلب المعـاش، كما كـان مــن أسباب نبوغه وترقيه في الطلب، وسـرعة البلـوغ إلى المطلب والأرب، النفس الأبية،والهمـة العلـية، وتشجيــع الأب، ودفـعٌ به إلى الارتقاء وجود مجموعة من أكابر العلماء، من طلاب الإمام ابن الأمير والمتأثرين به، وهكذا واصل مشوار التعليم، ثم صـار يعيد الـــدروس لزملائه وأقــــرانه، ثم اشـــتهر بين أساتــــذته وأشيـاخه قبل بلـوغ العشرين من عمره [2]،وما إن بلغ العشرين حــتى أصــبح مفتيــاً تــرد إليه الفتــاوى من جهـات مختلفة من اليمن، وكـان يفتي بـدون أجـر، وذلك أمر مسـتغرب في زمنه وفي وطنه.

ولقد امتحنه الله تعالى بامتحان عظيم، وهو تولي القضاء، بل قضاء الأقضية أو بالتعبير العصري " رئاسة القضاء "، فنجح في الامتحــان ونجى من الافتتــان، وأجمع مــترجموه على نزاهتــه،

---

[1] البدر الطالع (1/478-480) .

[2] انظر ترجمته لنفسه : في البدر الطالع (1/ 214-225) .

وحسن سيرته فيـه،بل لم يعد رئيساً للقضاة فحسـب،وإنما من أقـــرب المقـــربين إلى أئمة عصره الـــذين عـــايش حكمهم، وهم:الإمام المنصور علي بن المهدي العباس (1189 ـ 1224 هـ)،وابنه الإمـام المتوكل على الله أحمد (1224-ـ 1231 هــ)، وحفيده الإمام المهدي عبدالله (1231-ـ 1251 هـ)، ولقد كـان لـقربه منهـم أثـر كـبير في كــثير من الإصـلاحات، ومنها حملـه على الاستجابة لطلب الإمام سعود بن عبـدالعزيز بن محمد بن سعود من الإمام المهدي هدم المشـاهد والقبـاب المقامة على القبور في صنعاء ونواحيها، فصوّب الإمام الشــوكاني ومن معه من العلمــاء ذلــك، وحثــوا الإمــام عليــه، فوقع الهــدم لتلك المشـــاهد، كما ســـيأتي في مطلب الجهـــود العملية لمواجهة القبورية.

كما أثر عليه في غـير ذلك من جـوانب الإصـلاح، وهـذا جـانب مهم من جــوانب شخصــية الشــوكاني، وهو جــانب الإصــلاح السياسي والاجتماعي، والذي مارسه عمليـاً ومن موقع القـرار بخلاف الإمام ابن الأمـير، الـذي كـان يمارسه من خـارج نطـاق السلطة.

والجانب الثاني كما بدأه سـلفه من علمـاء اليمن، من تمزيق قيــود التقليد الأعمى والعصــبية المقيتــة، فقد قــام في ذلك الجانب بجهـود جبـارة نظريـاً من خلال دعوته إلى ذلك وتأليفه فيه وتأصيله في عـدد كـبير من كتبه ورسـائله، حـتى أنّا سـنجد أنه جعل مدخله إلى نقد فتــوى الإمــام يحــيى بن حمــزة في رسالته "شرح الصدور بتحـريم رفع القبـور "، جعل مدخله إلى ذلك التأكيد على الرجوع إلى الكتاب والسنة والتحاكم إليهما [1]، وقد أخذ ذلك حـيزاً كبـيراً من تلك الرسـالة، وهكـذا شـأنه في كثير من رسائله، إضافة إلى كتابه الخاص في ذلك، المسمى " القول المفيد في أدلة الاجتهادوالتقليد ".

وأما الجانب العملي فهو ما يراه كل مطالع لمصنفاته الفقهية والحديثية، وحواشـــيه وشـــروحه، فكلها ينطلق فيها من هـــذا المنطلق، ولا يبالي بمن خالف، أو وافق فيما يذهب إليه.

---

[1] انظر : مقدمة شرح الصدور من مجموعة رسائل في علم التوحيد ص (65-69) .

والجـانب الثـالث هو دعوته إلى الاتبـاع ونهيـه عن الابتـداع، وجهاده في سبيل إخلاص كلمة التوحيـد، وحربه لعقائد الشـرك والتنديد، وسيأتي في آخر هـذا المطلب دراسة بعض آثـاره في ذلك.

غـير أني أود قبل الخـروج من هـذا الجـانب أن أرد على قـوم ظفروا بقصـيدة للإمـام الشـوكاني في ديوانـه، فهمـوا منها أنه يعادي الإمام محمد بن عبدالوهاب، ويرد عليه وعلى علماء نجد وأمرائها، فطـاروا بـذلك فرحـاً، وانتسـخوها، وصـاروا يوزعونها على أتباعهم، والواقع أن القارىء لايجد فيها ما يفرح به أولئك، غير أنهم قد اتخذوا سياسة التأثير النفسي على الأتبـاع، فـإنهم عنــدما يوزعونها هم، وربما جعلــوا لها مقدمة تــبين أن هــذه القصـيدة رد فيها الشـوكاني على الوهابيـة، ونقض ما يـدعون إليه من محاربة الأوليـاء والمعتقـدين فيهم... الخ، فـإن التـابع المسكين سيتأثر بتلك المقدمة المكتوبة أو الشفوية، ويعتبر أن القصـيدة مــن هـذا البــاب دون تأمل لمــا فيهــا، مما هو في الحقيقة رد عليهم وتأكيد على منهج الشوكاني الـذي كـرس له حياتـه، ولم يحد في هـذه القصـيدة عنـه، إذ عـرف عنه تجـويز التوسل بالصـالحين، وقـرره في أكـثر من كتـاب من كتبـه، مع اعتباره دعاء غير الله شرك أكبر، وقد رد على ابن الأمــير حين قال إنه من الشـرك العملي،وذلك في الـدر النضـيد [1]، وكل ما في الأمر أن الإمـام الشـوكاني حـذر من التسـرع في تكــفير الأمـة بما دون الشــرك من البــدع،كالبنــاء على القبــور،وجعل التوابيت عليها، أو التوسل الذي يراه هو مباحـاً، أما مَن دعـاهم من دون الله، واعتقد فيهم مالا يجوز اعتقاده إلا في اللــه، فقد اعتبره من الشرك المخرج من الملة، قال - رحمه الله في تلك القصيدة:

ومن يـــــأتي إلى عبـد حـقيرٍ	**فيزعم أنه الـرب الـودودُ**
فهــذا الكفر ليس بـه خـفاءٌ	**ولا ردلـــــذاك ولا جحـودُ**
ولست بمنكر هـدماً لقــبرٍ	**إذا لعبـت بجانـبه القـرودُ**

---

[1] انظر الدر النضيد ص(102- 116) .

وقـــالوا: إن ربَّ القبر يقـضي **لنـا حاجاً فتــأتيه الوفـود**
كـــــذبتم ذاك ربُّ العرش حـتقاً **تعــالى أن تكـون له ندودُ**
ومن يقصد إلى قبر لأمـــرٍ **تــــــوسل فهـو الكنودُ [1] بغير**

وهذا الكلام واضح في مراد الإمام - رحمه الله-، ومنسجم مع منهجـــه، ولئن كــان فيه شـــيء من التعميم والإطلاق فيجب إرجاعه إلى كلامه البين الواضح، وأما قوله قبل هذه الأبيات:

فإن قلتــم قد اعتقدوا قبـوراً فليـس لـذا بأرضيـــنا وجودُ

فيجب أن يقارن بينه وبين ما في سـائر كتبه،ومنه ماجـاء في "الـدر النضـيد"،حيث قـال: (وإذا علمت هـذا، فـاعلم أن الرزية كل الرزية، والبلية كل البليـة، أمـرٌ غـير ما ذكرنـاه من التوسل المجرد، والتشفع بمن له الشفاعة، وذلك ماصـار يعتقـده كثـير من العوام، وبعض الخـواص في أهل القبـور، وفي المعـروفين بالصلاح من الأحياء، من أنهم يقـدرون على مـالا يقـدر عليه إلا الله ، ويفعلون مالا يفعله إلا الله ، حـتى نطقت ألسـنتهم بما انطـوت عليه قلـوبهم، فصـاروا يـدعونهم تـارة مع اللـه، وتـارة اسـتقلالاً، ويصـرخون بأسـمائهم، ويعظمـونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضـوعهم عند وقـوفهم بين يـدي ربهم في الصـلاة والـدعاء، وهـذا إذالم يكن شركاً فلا ندري ماهو الشـرك؟!، وإذا لم يكن كفـراً فليس في الدنيا كفر.) [2].

فإن قيل: هـذا عـام، ولايـدل على أن هـذا موجـود في اليمن، قلت: يؤكد دلالته على ذلك ماجـــاء في نفس الكتـــاب بعد أن أسرد الأدلة على تحريم أنواع من الشرك ووسـائله، حيث قـال وهو يؤكد ما ينتج عن تعظيم القبور وتفخيمها من عقائد باطلة: (وروى لنا أن بعض أهل جهـــــات القبلـــــة، وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب " ذي بين " -رحمه الله -، فرآها وهي مسرجـة بالشمـع، والبــخور ينفــح

[1] الديوان ص (163) ، قال المعلق على كلمة (كنود) : الكنود الكفور .
قلت : وكذلك هو في القاموس ص (403).
[2] الدر النضيد ص (28) .

من جوانبها وعلى القــبر الســتور الفائقــة، فقــال عند وصــوله إلىالباب: أمسيت بالخير، يا أرحم الراحمين) [1].

إذاً كيف نؤول قوله: (فليس لذا بأرضينا وجودُ)، قلت: يُؤوَّل - والله أعلم - أن هـــذه القصيـــدة هي في إطــار المراســلات الرســمية بين إمــام اليمن، ومعــه الشــوكاني، وبين أئمة نجــد، الــذين كـانت العلاقـات بينها يسـودها الـود حينـاً والنفـور حينـاً، وخوف إمام اليمن من زحف الجيوش النجدية على بلاده حينــاً، فجاءت هذه لقصيدة، لتهدئة الأوضاع وإقناع النجديين بأنه ليس في اليمن مايسـتوجب محـاربتهم له وزحفهم عليـه، فجـاز مثل هـــذا التعبــير المخـــالف للواقع لأجل دفع فتنة الاقتتـــال بين الطرفين والله أعلم.

وبعد معرفة هذه الجوانب المهمة أقول: إن الإمام الشـوكاني خلّف لليمن ثروتين عظيمتين:

أما الأولى: فهم طلابه وأصـحابه الـذين سـاروا عل نهجـه، وتعلمــوا منه المنهج الســلفي النقي، وحملــوه إلى أن وصــلنا اليـوم كما وضـعه،وهم كُـثر، وقد أورد منهم الأسـتاذ عبـدالغني قاسم عـدد اثـنين وتسـعين رجلاً [2]، منهم من هو عـالم، ومنهم من أصبح إماماً مجتهداً، أو قاضياً عادلاً، أو والياً كبيراً، وهــؤلاء الطلاب هم أســـــاس المدرسة الســــلفية القائمة في اليمن اليـــوم،والـــتي يعد رأســـها اليـــوم القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني عضو مجلس الإفتاء حالياً.

والثروة الثانية: هي كتبه ومصنفاته، التي اتفق على الثنـاء عليها في الجملة الموافق والمخالف، وصـارت مراجعـاً للكثـير من المؤسســات العلمية في شــتى بقــاع العــالم الإســلامي، وتنــافس لاقتنائها العلمــاء وطلاب العلم في كل مكــان، وهي كثيرة جداً، حصر الباحث عبد الغني قاسم منها (**278**) مــائتين وثمانية وســبعين مؤلفــاً، وأفــاد أن المجــال مــازال مفتوحــاً؛ لاكتشـاف غيرها في مظـانٍ حددهــا،هــي: (المكتبـات المنزلية

---

[1] الدر النضيدص (48).

[2] الشوكاني حياته وفكره ص(238-266)للدكتور عبد الغني قاسم غالب الشرجبي ،طبع مؤسسة الرسالة، بــيروت ، ومكتبة الجيل الجديد صنعاء، ط الأولى1408هـ -1988م ، وقد قال عقب أن سردهم : (وقد اكتفى الباحث بهذا القدر من تلاميذ الشوكاني، وعددهم اثنان وتسعون تلميذاً " وإلا فهم مئات بل ألوف " ،وتلاميذ الشوكاني أكثر من أن يحصوا).

للأسر اليمنية التي توارثت ملكية مخطوطـات علمـاء اليمن، أو في مكتبــــات كل من الهند "حيث يوجد تلاميـــــذه" وتركيا " إسطنبول "، وإيطاليا وبريطانيا، وسائر متاحف ومكتبات أوروبا الغربية والشرقية، حيث تسربت إلى خارج اليمن.

مترجمو الشوكاني:

كما لايحصى عدد تلاميـذه بالدقـة، ولاتعـرف مؤلفاته بالتحديد مـن كثرتها، كذلك لايحصى عـدد من تـرجم للشـوكاني، وأشـاد بعلمـــه، وأظهر جـــوانب من شخصـــيته، وحـــتى لا أطيل على القارئ، فلن أشغل نفسي بمن أفـرده بالترجمة من الأقـدمين، ولا من ترجم له في كتب التراجم والتواريخ العامــة؛ وإنما أذكر بعض الباحثين الذين درسوا نواحي من حيـاة الشـوكاني وعلمه وفكره، وقدموا في ذلك رسائل علمية؛ للحصول على درجــات علمية من قبيل الدكتوراه والماجستير.

فمنهم دون التزام بترتيب معين:

1) د. محمد بن حسن الغماري، له رسالة دكتوراه بعنوان: " الإمام الشوكاني مفسراً ".

2) د. عبدالغني قاسم الشرجبي، له رسالة دكتوراه بعنوان: " الإمام الشوكاني حياته وفكره ".

3) د. عبدالله نومسـوك، له رسـالة بعنـوان: " منهج الإمـام الشوكاني في العقيدة ".

4) د. صالح بن عبدالله الظبياني،له رسالة دكتوراه بعنـوان: " اختيـارات الإمـــام الشـوكاني الفقهية من خلال كتابيه نيل الأوطار والسيل الجرار ".

5) د. زيـاد علي " من ليبيا " له رسـالة دكتـوراه بعنـوان:" الفكر السياسي والقانوني عند محمد ابن علي الشوكاني ".

6) د. عادل ياؤوز" من تركيا "، له رسالة دكتوراه بعنوان: " الإمام الشوكاني محدثاً ".

7) د. سمير حسين، له رسالة دكتوراه بعنوان: " الشوكاني ومنهجه في الفقه الإسلامي من خلال كتابه السيل الجرار ".

8) صـالح محمد صـغير مقبل،له رسـالة ماجسـتير بعنـوان: "محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية"

9) خالد بن إبراهيم بن عبدالله الديبان،له رسالة ماجستير بعنوان: "قضايا العقيدة عند الإمام الشوكاني ".
10) عبدالله فارع عبده العزعزي، له رسالة ماجستير بعنوان: " الشوكاني مؤرخاً،دراسة في منهجه التاريخي في كتابه (البدر الطالع لمحاسن ما بعد القرن السابع) ".
11) سالم بن محمد باكوبن،له رسالة دكتوراه تحت الإعداد بعنوان: "الإمام الشوكاني وجهوده في الدعوة ".
12) برنارد هيكل اللبناني،له رسالة باللغة الإنجليزية بعنوان: "الشوكاني والوحدة الفقهية في اليمن".
قال القاضي إسماعيل الأكوع:(وتوجد رسائل دكتوراه وماجستير أخرىلم أذكرها؛لأنهالم تنشر بعد)[1].
وهناك مئات المقالات الصحفية والأبحاث العلمية المتفرقة في الصحف والدوريات وغيرها، كل ذلك يدل على عظمة هذا الرجل واهتمام العلماء به. وقد توفي رحمه الله سنة (1250 هـ).

جهودالشوكاني في مواجهة القبورية:

وأما عن جهوده في مواجهة القبورية فهي كثيرة مشكورة،وقد ترك عدة آثار في ذلك:

الأثر الأول " شرح الصدور في تحريم رفع القبور "

وهو رد على الإمام يحيى بن حمزة الذي قال كما نقل عنه صاحب البحر الزخار: (لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين، ولم ينكر) [2]، فرد عليه، ومهد لذلك بالتذكير بالعودة إلى الكتاب والسنة والالتزام بما جاء فيهما، وما جناه التقليد على أهله وعلى الناس من كوارث، ثم جعل هذه المسألة كالمثال على تلك القاعدة، وقد نوَّه الشيخ العلامة محمد حامد الفقِّي بالشوكاني وكتابه في مقدمته لشرح الصدور فقال: (وله "الشوكاني " من الرسائل في مفردات المسائل كثير جداً، فمنها رسالته هذه " شرح الصدور بتحريم رفع القبور " وهي رسالة تنادي بأنه من الشجاعة وقوة اليقين، بحيث وقف هذا الموقف الفذ في وجه جموع أهل اليمن وغيرهم، يرد على الإمام يحيى خطأه –

[1] أئمة العلم المجتهدون في اليمن ، للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع، مصفوف بالكمبيوتر (تحت الطبع) .
[2] شرح الصدور من مجموعة رسائل في التوحيد ص (70) .

وناهيك بمنزلة الإمـام يحـيى من نفـوس الزيـديين – هـذا الـرد المفحم، وينـادي عليه في صـراحة المـؤمن الـذي لايخشى في الله لومة لائم: أخطأت في تجويز رفع القبـاب والمشـاهد على قبور الصالحين والملوك، ويالها من شجاعة لله وفي اللــه! ولو أن العلماء كانوا بهذه الشجاعة في قولة الحق، وكانوا بالصدق والإخلاص في النصيحة كذلك، لكان شأن المسلمين اليوم غــير ماهم عليه من الذلة والهوان.

والله يجزي الإمام الشوكاني وإخوانه الصادقين خـير الجـزاء، ويوفقنا لمثل ما وفقهم، ويحشـــــرنا يـــــوم القيامة مع إمامنا وإمامهم وإمام المهتدين عبد الله ورسوله محمد)[1].

وقد اعتنى العلماء بهذه الرسالة وطبعت طبعات عديدة.

الأثر الثـاني كتـاب " الـدر النضـيد في إخلاص كلمة التوحيد "، وهو أيضــاً جــواب على ســؤال ورد إليه عن ذلك الموضوع، وقد صدّر الجواب بتوضيح بعض المصـطلحات الـتي يــؤدي الخلط فيها إلى الغلــط، وهي: الاســتغاثة، والاســتعانة، والتشفع، والتوسل، وقد شرح معانيها، وأبان الفروق بينها، وقد رجح جــــواز التوسل بالصــــالحين على اعتبــــار أن ذلك توسل بأعمالهم الفاضلة، واحتج لذلك، ورد على من منع منه، ومسألة التوسل من المسـائل الـتي جـرى فيها الخلاف قـديماً وحـديثاً، والصـحيح والله أعلم أنها من البـدع المحدثة الـتي لم يثبت لها دليل عنه ،ولا عن أصـحابه بـالمعنى الـذي يريـده مجـوزو ذلك التوسل، هـذا في أصل المسـألة، وأما مـاهو حاصل اليـوم عند جماهير المسلمين من عـوام وأشـباههم وصـوفية وغـيرهم من المنحرفين، فإن التوسل يستعمل، ويـراد به الاسـتغاثة المجمع على المنع منها واعتبارها شركاً فلينتبه لذلك.

ثم أنه بعد مافرغ من تقرير موضوع التوسل، قرر بقوة وحزم أن دعاء غير الله شرك، وأنه تعبير عما تنطوي عليه نفوس من يدعون غـير الله من الاعتقـاد فيهم ما لا يجـوز اعتقـاده إلا في الله تعـالى، وقد سـبق نص كلامه كـاملاً قبل قليل [2]، وقد نـوّع الكلام، واستطرد استطرادات حسـنة، وبيَّن كثـيراً مما يقع فيه النـاس من نـواقض التوحيـد، ومما هو وسـائل إلى ذلـك، ونبه

---

[1] المصدر السابق ص (63-64) .

[2] انظر: الصفحة السابقة من رسالتنا رقم (   )

على حرمة الحلف بغـير الله والطـيرة، وفـرّق بين الشـرك والكفر الأصغر والأكبر إلى غير ذلك من الفوائد الجليلة.

الأثر الثالث " رسالة في وجوب توحيد الله عـزوجل

" وهي مأخوذة من كتابه الكبير المسمى " العـذب المنـير في جواب عالم بلاد عسير "، وقد كـان السـؤال متعلقـاً بالتوحيـد، وكون الدعاء عبادة، وهل يعذر الجاهل في ذلك... إلخ.

فأجـاب شـيخ الإسـلام جوابـاً شـافياً مقنعـاً مليئـاً بالأدلة من الكتـاب والسـنة مستشـهداً بـأقوال أهل العلم، وبين منزلة الـدعاء من الـدين، وحكم صـرفه لغـير اللـه، وحقيقة شـرك المشـركين الأولين، وهو اتخـاذهم لأصـنامهم شـفعاء عند اللـه، وأن من هذه الأمة من يتخذ أصحاب القبور شـفعاء، وهو بـذلك مسـاوٍ لمشـركي الجاهليـة، ومنهم من يـدعوهم من دون اللـه، وهؤلاء أغلظ شركاً من مشـركي الجاهليـة، ثم تعرّض لتقسـيم الكفر إلى كفر أكبر وكفر أصغر، وإلى خفاء الشرك وكثـير من أنواعه على كثير من المسلمين حـتى وقع فيه بعض من ينسب إلى الأدب والعلم، ثم بيّن خطورة اتخاذ المشاهد والقباب على القبـور المبـالغ في تعظيمها وتزيينهـا، ثم بين الحكمة من لعن رسول الله متخذي القبور مساجد.

ثم أنكر إدخـال قـبر النـبي في المسـجد، وما بـني عليه بعد ذلك، وكيف كان اهتمـام النـبي بإزالة القبـور المشرفة بحيث بعث أميراً من أهله هو علي بن أبي طالب ؛ لطمس التماثيل، وتسوية القبور.

هـذا مجمل ما احتـوت عليه الرسـالة، وهي قيِّمة في بابهـا، فرحمـه الله وغفر له وجـزاه عن الإسـلام والمسـلمين خـير الجزاء، وهـذه الرسـالة قد قـام بتحقيقها ونشـرها د. محمد بن ربيع بن هادي المـدخلي الأسـتاذ بكليـة الـدعوة وأصـول الـدين بالجـامعة الإسلامـية بالمدينة المنـورة، وقد طبعت للمـرة الثانية عام (1419هـ).

تلك ثلاثة نمـاذج من جهـود شـيخ الإسـلام محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله -، الخاصة في مواجهة القبورية، وهنـاك جهـود أخـرى كثـيرة موزعـة أثنـاء تراثه العظيم الـذي خلّفـه؛ ليستضـيء به العلمـاء، ويـتربى عليه الطلاب، ويرجع إليه المختلفـون في كثـير من القضـايا، فهو لم يغفـل مواجهة

القبورية في تفسيره ولا أغفلها في شروحه للأحاديث وكتب الفقه، وما سهى عنها في فتاواه وردروده على الأسئلة عند أدنى مناسبة، فقد عاش هذه القضية بكل حواسه، وتفاعل معها بكل عواطفه، لذلك قال د. إبراهيم هلال، وهو يتكلم عن دعوة شيخ الإسلام الشوكاني إلى إخلاص شهادة لاإله إلا الله: (وقد أخذت هذه الدعوة منه حيزاً كبيراً، بحيث صار فيها في اليمن إماماً كابن عبدالوهاب في الحجاز من قبل، وابن تيمية في مصر والشام، ولاقى من جرائها الكثير من المتعصبين ومن المقلدين ورُمي بالنصب من أجلها، ومن أجل دعوته إلى الاجتهاد والرجوع بالتشريع، إلى طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين) [1].

المؤلفات المفردة في مواجهة القبورية لعلماء اليمن الأعلى سوى ما تقدم:

ولعلماء اليمن الأعلى الآخرين جهود مشكورة مباركة في هذا المجال، وقد ألف الكثير منهم في الرد على القبورية رسائل مفردة، فمنهم:

1) محمد بن محمد السماوي، المتوفى سنة (1410هـ)، مترجم في هِجَر العلم (3/1407)، له رسالة بعنوان: " التوصل إلى تحريم التوسل " [2]، في الرد على القائلين بجواز التوسل.

2) يحيى بن محمد شاكر، المتوفى سنة (1370هـ)، مترجم في هجر العلم (4/2088)، له رسالة بعنوان: " دفع المشكك في وقوع شطر هذه الأمة في الشرك " [3]، في الرد على من يقول بامتناع وقوع أحد من هذه الأمة في الشرك، كما له رسالة أخرى بعنوان:" السيف القاطع لأماني أهل الشرك والمطامع " [4]، وجهها إلى الإمام يحيى حميد الدين، انتقد فيها عدداً من المنكرات، ومن أهمها المشاهد التي على القبور، وأوصاه فيها بهدمها وإزالتها وكذلك إزالة البدع والمنكرات والرجوع إلى الكتاب والسنة،

---

[1] قطر الولي على حديث الولي ص (37) تحقيق وتقديم إبراهيم هلال طبع دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

[2] هجر العلم (3/1407) .

[3] السابق (4/2093) .

[4] السابق (4/2093) .

وإفسـاح المجـال للعلمـاء من أهل السـنة؛ لتعليمها والعمل بها.

هؤلاء بعض من اطلعت على تـآليفهم في هـذا البـاب، ولاشك أنه يوجد سواهم، وعدم اطلاعي لا يعني عدم وجـود شـيء من ذلك.

<u>المطلب الثاني</u>: جهود علماء اليمن الأسفل (من إب إلى عدن) في مواجهة القبورية:

العلـم الأول

<u>القاضي العـلامة عقيـل بن يحيى الإرياني</u>

القاضي العلامة النابغة عقيل بن يحـيى بن محمد بن عبدالله الإرياني، وصفه القاضي إسماعيل بن علي الأكوع بقوله: (عالم أديب كاتب شـاعر له مشـاركة قوية في الفقه وعلـوم العربية، سلك مسلك أهل السنة في اتباع أدلة كتاب الله وسنة رسـوله ﷺ، ونعى على المقلـدين والمعتقـدين بالأوليـاء جمـودهم، ونـدد بمن يعتقد فيهم الخـــير، وأنهم يشـــفعون لمن يلتمس الخـــير عنـــدهم، أو عن طــريقهم، فاتهمه بعض الغلاة بأنه ينـــزع إلى عقيدة الوهابية فقال:

إن أنـا نزّهت إلهـي عن الأ نْداد قالوا أنـت وهــابي

لكن لي بالمصطفى أسـوة فقـومـه سمَّوه بـالصابي [1]

وقد ترجم له ابن أخيه الأديب مطهر بن علي الإريـاني ترجمة مطولة في التقـديم لرسـالته موضـوع البحث، عنـدما نشـرها أخوه القاضي عبـدالرحمن بن يحـيى الإريـاني، ضـمن مجموعة رسائل في علم التوحيد، وذكر ذكاءه ونبوغه، وعدد العلوم التي أتقنها رغم عمره القصير والمجـالات الـتي شـارك فيهـا، وأبـرز السـمات الـتي كـان متمـيزاً بهـا: (إخلاص التوحيد كله للــه، وتشدده في ذلك إلى حد عدم السـكوت حيث سـكت الآخـرون عن بعض ممارسات العامة واعتقاداتهم الباطلة بالأولياء وزيارة أضرحتهم والتقـرب إليهم والهتـاف بأسـمائهم عائـذين بهم عند حدوث أي حادثة كزلة قدم طفل أو وقــوع دابة من أنعـامهم أو نحو ذلك مما نظر إليه على أنه إشـــــراك صـــــريح لله في

---

[1] هجر العلم (1 / 87) .

وحدانيتـه، وبحكم تمسـكه الشـديد بمبـدأ " إخلاص التوحيد كله لله "، لم ينظر إلى هـذه المسـألة على أنها شـبهة إشـراك أو جهـالات مضـلة مما يقع في الكثـير من العامـة، بل نظر إليها على أنها الشرك بعينه كما نرى في كتابه هذا) [1].

ولم يعمّر طويلاً، بل اخترمته المنية في ريعان شبابه - رحمـه الله تعـالى -، فقـد كـان مولده سنة(1324هـ)، ووفاته سـنة (1346هـ)، فكـان عمـره أقل من اثـنين وعشـرين عامـاً رحمه الله رحمة واسـعة) [2]،وأثـره الوحيد هو كتـاب " السـيف البـاتر لأعـناق عباد المقابر "، وقد اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في أمور يجب التنبيه عليها، واشتمل على ستة تنبيهـات: التنبيه الأول على قـول النـبي **((لتتـبعن سنـن مـن كـان قبلكم))**، ثم أورد تسع خصـال وقع فيها التشـبه بالمشـركين في هـذه الأمـة، التنبيه الثـاني في أن من مكائد الغلاة التشـنيع على أهـل الحـق، التنبيه الثـالث في أن من مكائد الغـلاة إفهامهم العوام بأن ما يحصل عند قبور الصالحين من محبتهم، ومن أنكر ذلك فهو من مبغضـيهم، التنبيه الرابع في أن كثـيراً من يظهر عقيـدة الغلاة، وينتصر لهم، ويصـوب أقوالهم المخالفة لما جـاءت به الرسل هم زنادقـة، لايعـترفون أن للعالم إلهـاً ولا صـانعاً... الخ، التنبيه الخـامس أن من مكائد الغلاة التي كادوا بها العـوام قـولهم لهم: إن مَن خـالف ما نحن عليه من عبادة القبور، نزلت به المصائب، التنبيه السـادس في أن الغلاة يدّعون رؤيتهم النبي عياناً بجسده يقظة.

وأما الباب الثاني: فهو في الاستغاثة وما يتعلق بها، بيّن حـال القبـوريين في هـذا الموضـوع، ثم استشـهد على أن ذلك شـركاً بالآيـات الكريمـة، وقـارنهم بمشـركي العـرب، وبيّن أن المشركين السـابقين لم يعتقـدوا أن أصـنامهم تخلق أو تـرزق، وإنما اتخذوها شفعاء عند الله كشـأن هـؤلاء المعتقـدين للقبـور وأصحابها، ثم أورد بعض الآيات الآمرة بالالتجاء إلى الله ، وقد تكلم على البسـملة والفاتحـة، وبيّن ما فيها من الوجـوه الدالة على وجوب توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، ثم عـزز بـذكر آيات أخـرى، مما يـبين ذلك المقصـود، ثم نقل نقلاً طـويلاً من

[1] مجموعة رسائل في علم التوحيد ص(127)
[2] المصدر السابق (124) .

إغاثة اللهفـــــان لابن القيم - رحمه الله -، ثم نقلاً عن العلامة "محمد رشـيد رضا " من تفسـيره " تفسـير المنـار"، ثم عقد فصلاً للتفريق بين الاستغاثة والتوسل، ثم تحدث عن التوسـل، وقرر أنه إن كان التوسل عقيدة في المتوسَّل به فهو من النوع الأول، وإن لم يكن له فيه عقيدة وإنما أراد ذكره عند دعاء الله ، متبركاً بذلك الاسم فقط، فقد اعتبر هـذا القسم " بدعة من أعظم البـدع وأشـنعها "، ثم عقد فصـلاً آخـر، أكد ما مر الكلام فيه في شأن الدعاء والذبح ونحوه. وبعده فصلٌ آخر يتضمن ما قاله الخصم من إثبات للأقطاب وبطلان ذلك بالـدليل الواضـح، وبعد ماعرّف القطب على مصـطلح الصـوفية قـال: (أما إثبـات الأقطـاب هـذه الصـفة فمـروقٌ من الـدين وعـدول عن سـبيل الموحـدين وخـروج عن الصـراط المسـتقيم) [1]، ثم أورد الأدلة على بطلان قـول الصـوفية، ثم عقد فصلاً، قـال في فاتحتـه: (ويلحق بـذلك من شـنيع مقـالات أهل القبـور في هـذا الـوقت قولهم: إن النبي لايخلو منه زمان أو مكـان) [2]،ثم أبطل ذلـك، ثم كر على "عبـاد القبـور " حسب تعبـيره واعتقـادهم الفضل والولاية بمن قد خلع ربقة الإسـلام من عنقـه، وعـدد أولئك الأقطـاب في زعمهم من أمثال ابن عـربي وابن الفـارض وعبد الكـريم الجيلي، ثم أورد أمثلة من كلامهم، ورد العلمـاء عليه وبيان حكم هؤلاء عندهم.

وأما الباب الثـالث: فقد عقـده " في حكم زيـارة القبـور والسـفر إليها "، ذكر الأحـاديث الناهية عن شد الرحل إلى غـير المسـاجد الثلاثـة، وما أخـذه العلمـاء منها من منع السفر إلى مشاهد الصالحين، ثم عقد فصـلاً نقل تحتـه كلامـاً لابن القيم - رحمه الله - من "إغاثـة اللهفـان" يوضح فيه مكائد الشـيطان التي كاد بها الناس حتى عبدوا القبور.

وأما الخاتمة فقد خصصها لشبه الخصم، والرد عليها بالآيـات القرآنية والأحـاديث النبويـة،وجعل في آخـره قصـيدة تزيد على أربعين بيتاً في نفس الموضوع، لابأس من إيرادها هنا:

قـل الحق واصـــدع ولا تخـــشَ غيـر الله بالذي فيه تؤمر والله أكـبرُ

---

[1] السيف الباتر لأعناق عباد المقابر ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد (219).

[2] السيف الباتر ص(231) .

وبالعرف فأمر والتزم نهي منكر   لتنج غداً من حر نار تسعر
ولله فاخلص بالعبادة وحده   فليس سواه للأنام يدبر
سميعٌ عليم شاهد غير غائبٍ   لطيف خبير رازق متكبر
سماعاً عبادالله مني نصيحة   هي الحق فاصغوا وانصتوا وتدبروا
نصحتكم أبغي الفلاح لكم غداً   وحق الذي يولي النصيحة يُشكر
ألا نزهوا أوطانكم ونفوسكم   عن الشرك والأوثان كي تتطهروا
فهذي قبور الأوليا بينكم لها   يحُج ويستسقى لديها وينحر
وها هي كالأصنام بين ظهوركم   إليها لدى وقع الشدائد يجأر
جعلتم برب العالمين مشاركاً   فيا ويح مَن مِن بعدِ الايمان يكفر
أتدعون ميْتاً زاعمين بأنه   يجيب الذي يدعو ويُغني ويفقر
ومن بعد قلتم إنهم شفعاؤكم   إلى الله فهو الخالق المتجبر
و أقسم بالرحمن جل بأنه   نظير مقال الجاهلية فاحذروا
كما قلتمُ قالوا فسيقت إليهم   خيول متينات الأعنة ضمّر
دعاؤكم مخ العبادة فاعلموا   كما قال طه الصفوة المتخير
وكم منكم يدعو"ابن علوان " قائلاً   دعوتك مضطراً فجاهك أكبر
أيا حابس الحنشان والفيل بل ويا   مقيِّد كل الجان أنت المسخِّر
دعوتك أرجو أن   وأيقنت أن النجح لا

تـلبي دعـوتي يتعسـر
فأنت الذي في كـل إذا ما إجابــات الإلــه وقت تجيبنا تؤخــر
فهــذا هو الشــرك تكـــــاد الســــماوات الصريح الذي له العـلى تتفـطر[1]

العَلَـم الثاني
من أهل هذه المنطقة
العلاّمة الكبير الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبَّادي - رحمه الله-

العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبّـادي - رحمه الله -،ولد بقرية من قــرى إب، نشأ بها ثم ســافر أســفاراً عديــدة وطويلــة، وصل خلالها إلى كـابول، وأخذ بها عن الحافظ محمد تقي الدين الأفغاني في القرآن الكريم وفقه الشافعية وغيرهما من العلـوم، ثم ارتحل إلى الهنـد، وطلب بها العلم ثمانية عشر شهراً تقريباً، ثم سافر إلى عمـان، وتـزوج من "صـور"، وأقـام بها اثنتي عشرة سنة، وحج من هناك مـرتين، ثم رجع إلى بلاده ومنها إلى لحج، ثم عدن حيث استقر في الشـيخ عثمـان إمامـاً لمسجده الذي عُرف باسمه ويسمى كذلك مسجد "زكُّوا " [2].

وقد عــرف في عــدن بدعوته إلى الكتــاب والســنة وتجريد التوحيد لله تعالى والمتابعة للرسـول وكـانت بينه وبين علمـاء عـدن من الصـوفية القبورية مصـادمات وخصـام بسـبب ذلـك، ولعله من أوئل الــدعاة المعاصــرين الســلفيين في الشــطر الجنوبي من اليمن سابقاً.

غير أني لم أجد له ترجمة ماعدا النبذة اليسيرة الـتي قـدّم بها العلامة البيحـــــاني لمنظومتــــه: "هداية المريد" [3] ولئن تجاهله المـترجمون فلن يتجاهله رب العـالمين - سـبحانه -، أســأل الله أن يكتبه مع الــذين أنعم الله عليهم من النبــيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

---

[1] المصدر السابق ص(275-276).
[2] انظر : مقدمة هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد لتلميذه العلامة محمد بن سالم البيحاني ص(3 - 5).
[3] المصدر السابق .

(2)

(3) **أثره في مواجهة القبورية:**

(4) الأثر الوحيد المكتوب للعبّادي هو منظومته "هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد"، وهي منظومة متوسطة كلـها في العقيدة والـدعوة إلى التوحيد والاتباع، والتحـذير من الـشرك والابتداع، والرد على المخرفين والدجاجلة، كما وصفهم الشيخ البيحاني [1] - رحمه الله - في التعليق عليها.

(5) وقد افتتحها بمقدمة أبان فيها منهجه وغرضه منها، فهي في اعتقاد السلف ونصيحة لإخوانه في الله، يحذرهم فيها من البدع والمحدثات [2]، ثم عرّف العلم، وحث عليه لا سيما علم التوحيد، فهو المقدم على كل العلوم، ثم معرفة حقيقة الإيمان بما يجب الإيمان به، ثم معرفة الفروع، وحذر من الجهل بالتوحيد ثم الجهل عموماً [3]، ثم ابتدأ في شرح العقيدة عموماً، وبدأ بتوحيد الأسماء والصفات، ثم انتقل إلى شروط التوحيد، ثم حذر من الاعتقادات الباطلة، وركز على قول من قال: "لو اعتقد أحدكم في حـجر لنفعه "، وحذره من هذا القول، وبيّن أن الأصنام إنما عبدت بهذا الاعتقاد، ثم استمر في شرح مراده حتى وصل إلى نقطة مهمة في مسيره، هي التحذير من الشرك، وبين قبحه وسوء عقابه في الدنيا والآخرة، وعدد هنا بعض المكفرات، ثم وقف مع بعض ما يفعله القبورية عند القبور من أنواع العبادات كالاستغاثة وحلق الرأس، والطواف والاعتكاف عند القبور [4]، ثم حذر من تكفير المسلم بغير بينة [5].

ثم انتقل إلى الدعوة إلى السنة والتحذير من البدعة، وأطال في هذا الفصل، وتعرض لرد بعض الشبهات التي يوردها المبتدعة؛لإثبات بدعهم، مثل جمع الناس على صلاة التراويح في زمن عمر والأذان الثالث للجمعة في زمن عثمان، وأبان

---

[1] هداية المريد ص(5) .

[2] المصدر السابق ص(6-7)

[3] المصدر السابق ص(7-8) .

[4] المصدر السابق ص(23-25)..

[5] المصدر السابق ص(23-25) .

أن ذلك قد أقره الصحابة؛ وبذلك يصير سنة بإجماعهم، وأن الرسول ﷺ قد صلاها جماعة في حياته فلا حجة للمبتدعة [1]، ثم تعرض للحقيقة والشريعة، وأبان أن الحقيقة هي ماجاء بها الكتاب والسنة، لا ماجاء بها الصوفية المبتدعة، ثم انثنى عليهم في السماع الصوفي المبتدع والأوراد والأذكار البدعية، وفنّد ذلك، وسخِر منهم في رقصهم ووجْدهم؛ لأنهم إنما يفعلون ذلك عندما يذكر التشبيب والتغزل وتشبيه المرأة بغصن البان، ثم يزعمون أن ذلك من محبة الله، ثم أرشد إلى الذكر المشروع الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ [2]، ثم نهى عن الغلو المذموم [3]، وبعده حذر من التكييف والتشبيه في صفات الله تعالى، ثم تعرض لحكم البناء على القبور، وحذر من ذلك، وبين زيارة القبور الشرعية، وحث عليها والزيارة البدعية، وحذر منها، وما يترتب عليها من الغلو في أرباب القبور وما يحدث في تلك الزيارات من مفاسد عقدية وأخلاقية، وخلص إلى مشايخ الطرق وما يكيدون به الناس من الحيل والمكايد، لأجل ابتزازهم وأخذ ما في أيديهم والضحك على عقولهم [4]، وانتهى بيان التصوف المحمود، ويعني به الزهد والورع وتخليص القلب من أمراضه، والذي يكون مبنياً على العلم النافع جالباً للعمل الصالح، وعدّد الأعمال الصالحات والآداب الحسنة التي يتحلى بها سالك هذا السبيل، وما ينبغي له من مداومة ذكر الله تعالى على الصفة الشرعية لا البدعية.[5]

هذه هي منظومة العلامة العبّادي، وقد علق عليها العلامة البيحاني - رحمه الله - تعليقات مهمة نافعة، وقد طبعت مرتين، الطبعة الأولى لم أطلع على تاريخها، ثم طبعت مرة أخرى عام (1389هـ) مع نفس التعليقات التي وضعت على الطبعة الأولى.

العَلـم الثالث
من أعلام هذه المنطقة

---

1 المصدر السابق ص(26-31) .

2 هداية المريد ص(32-36) .

3 المصدر السابق ص(40-44) .

4 المصدر السابق ص(47-56) .

5 المصدر السابق ص(56) إلى آخر المنظومة .

الإمام العلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي المشهور "بالبيحاني "

هو الداعية السني الكبير محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني، مؤسس المعهد الإسلامي بعدن، ولد - رحمه الله – " ببيحان " سنة (1326هـ)، وعند بلوغه الرابعة عشر من عمره أرسله والده إلى تريم بحضرموت؛ ليتعلم هناك في رباطها المشهور الذي يقوم عليه السيد عبدالله بن عمر الشاطري، فمكث أربع سنوات، ثم عاد الى بيحان،فمكث فيها سنتين، ثم توجه إلى عدن سنة (1346 هـ)، فلازم الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبّادي، وتزوج ابنته، ثم رحل إلى مصر، للالتحاق بالأزهر، فدرس في بعض معاهده، ثم في كلية الشريعة فيه، غير أنه ما لبث إلا سنة دراسية واحدة، اضطر بعدها إلى العودة إلى عدن حيث استقر في مدينة كريتر، وأسس فيها مسجد العسقلاني، الذي عُرف بالشيخ، وعرف الشيخ به، ومكث هناك يدعو إلى الله، ويقيم الدروس العلمية والوعظية، وينشر السنة المطهرة ويحارب البدع والخرافات والشركيات، كما كان على وعي سياسي جيد، فكان ينبه قومه إلى خطورة الاستعمار والانسياق وراء ثقافته ومبادئه الكافرة، ويدعو للتخلص منه.

ومن أبرز مآثره المعـهد الإسلامي الذي أسسه هناك على نفقة جمع من المحسنين، والذي أُمم في أيام الإشتراكيين، وأصبح مقراً لوزارة الداخلية، كما أنه كان نشيطاً في التأليف، فألّف أكثر من اثنين وعشرين كتاباً من أشهرها كتاب "إصلاح المجتمع "الذي لقي قبولاً واسعاً، وانتشر في أقطار المسلمين عموماً، وتعددت طبعاته.

وقد أصبح الشيخ علماً بارزاً لا في محيط اليمن وحدها، ولكن على مستوى العالم العربي والإسلامي، وكانت شهرة الشيخ بدعوته للكتاب والسنة ومحاربة الجهل والشرك والبدعة والخرافة، يشهد بذلك مترجموه، وتنطق به كتبه، فقد تعرض في إصلاح المجتمع في أكثر من مناسبة إلى ماكان شائعاً من البدع والشركيات، ودعا إلى التخلص منها، وقد سبق نقل شيء من كتابه إصلاح المجتمع في الباب التمهيدي.

كما ظهر توجهه ذلك ناصعاً جلياً في تعليقاته على منظومة شيخه أحمد العبّادي، الموسومة " هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد " فقد نقد الشركيات، ونعى على أربابها، وطالب بإزالتها، بل صرح أنه قام بمحاولة لدى حكومة عدن؛ لإزالة مايحدث من الشرور في الزيارات مثل " زيارة العيدروس والهاشمي" وغيرها، وكادت أن تنجح تلك المساعي، لولا اعتراض بعض الجهال وسدنة القبور [1].

كما بين البدع العملية مثل السماع الصوفي وبدع الأذكار، وفنّد الكرامات الزائفة التي يروجها الصوفية، ويلبسون بها على العوام قال: (يزعم بعض أهل حضرموت أن دابة الفقيه المقدم كانت تعرفُ طرق السماء، وأن زوجته سئلت عن حالها،فقالت: (لسنا بخير بعد الفقيه، وقد كانت أخبار السماء في حياته تأتينا صباح ومساء)، وفي " المشرع الروي " من هذه الخرافات مالا يحصى كثرة، فليته لم يبرز إلى حيز الوجود، أو ليتها أكلته دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان بن داود، والويل لمن كذّب بشيء من هذه الكرامات المكذوبة، فإنه يعد في نظر القوم كافراً ملحداً زنديقاً، وكان التصديق بها أعظم شأناً من التصديق بالمعجزات، فنسأل الله حماية الإسلام وصيانته من هذه الخزعبلات والخرافات. [2].

وقد لاقى في سبيل دعوته تلك كثيراً من المحـن والمصـاعب، فصبر، وصابر، وكانت دعـوته مفتاحاً من مفاتيح الصحوة المباركة في جنوب اليمن آنذاك، وبعد الاستقلال ومجيء الاشتراكيين إلى عدن لاقى من الإهمال والتهميش، بل من المضايقة والتهديد مالا يطاق، ففر إلى الشطر الشمالي كما كان يسمى ذلك الوقت، فاستقر في مدينة تعز معززاً مكرماً من الدولة والشعب، واحتضنه محبوه فيها، وأغدقوا عليه، وأجلوه، وأكرموه بما لا مزيد عليه، وفي عام (1392هـ) حج حجته الأخيرة، ثم عاد إلى تعز وبعد عودته بيوم واحد انتقل إلى جوار ربه، رحمه الله رحمة واسعة، وكانت وفاته في (10/12/ 1972 م) في تعز [3].

---

[1] هداية المريد إلى سبيل الحق و التوحيد بتعليق الشيخ البيحاني ص(50) .

[2] التعليق على هدية المريد ص(35) .

<u>الأثر الخاص بمواجهته القبورية من آثار البيحاني - رحمه الله -.:</u>

أما الأثر الخاص بمواجهة القبورية من آثار البيحاني- رحمه الله – فهو "الصارم القرآني في الرد على درر المعاني "،ودرر المعاني اسمه الكامل " درر المعاني في الرد على العبّادي وتلميذه البيحاني " وهو رد على منظومة العلامة العبادي المسماة هداية المريد، والتي عرفت بها سابقاً، وكان العلامة البيحاني قد علق عليها تعليقات مهمة وقوية، فانزعج القبورية للمنظومة والتعليقات عليها انزعاجاً كبيراً، فردوا بذلك الكتاب، فقام الشيخ البيحاني - رحمه الله - بالرد عليهم بكتابه الصارم القرآني.

والكتاب ما يزال مخطوطاً عند أحد أقارب الشيخ لم يطبع بعد، ولم استطع الاطلاع عليه غير أنني بعد محاولات حصلت على صورة لفهرس الكتاب وأربع صفحات منه فقط، وبالنظر إلى الفهرس يمكن أن نتعرف على صورة مجملة للكتاب، فقد صدّر الكتاب بقصيدة للقاضي الإرياني، ولم يبين أي القضاة من بني الإرياني هو، ولكن ظني أنه القاضي عقيل بن يحيى، والقصيدة هي التي ختم بها " السيف الباتر لأعناق عباد المقابر " والتي مطلعها:

قل الحق واصدع بالذي فيه تؤمر ولا تخش غير الله والله أكبر

ومن أبياتها القوية في مهاجمة القبورية قوله:

لحـــا الله عبَّاد القبور فإنهـم لقد بدلوا دين الإله وغيروا [1].

ثم بعد الخطبة تكلم عن مصادر الكتاب، ثم تعرض للكلام عن الكتاب المردود عليه " درر المعاني " وذكر، أنه مدح الصحابة والسلف الصالح؛ متوصلاً بذلك إلى ذم شيخ الإسلام ابـن تيمية، والتهكـم به وبمن يتابعه، ثم إن الخصم تعرض لهداية المريد، وهاجمها فعلق الشيخ على ذلك، ثم ذكر أن الخصم كذب عليهم، لعله يريد نفسه وشيخه العبّادي، ثم ذكر عقائدهم

---

[3] انظر ترجمته في أنباء الزمان فيمن رحل من علماء بيحان ص(81 – 92) خلال قرنين من الزمان تأليف عبدالله عبدالقادر العليمي باوزير الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م . .

[1] مجموعة رسائل في علم التوحيدص(275 - 276) .

في الله وصفاته وملائكته ورسله وأولياء الله وصفتهم وخوارق العادات، وبين بعد ذلك من هو الولي، ثم تعرض لتاريخ الدعوة وإلى من ينتسب مذهب الوهابية، وفي أي عصر ظهر، وكيف كان ظهوره، ثم ألمح لخيانة الخصم في النقل، بعد ذلك عرَّف بشيخ الإسلام ابن تيمية، وثناء الناس عليه، وما قيل فيه من الرثاء.

ثم جاء عنوان " نقد وتحليل"، ولعله موضوع رسالة الخصم، ثم تعـرض لكـتاب "كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبدالوهاب " وهو لمؤلف شيعي من العراق اسمه " محسن الأمين العاملي "[1]، وتعرض كذلك لكلام ابن حجر " وهو المكي الهيتمي " في ابن تيمية ورد عليه، وذكر أن الخصم استعان في رده بشواهد الحق " للنبهاني "، وأنه تشبث بالصواعق الإلهية لسليمان بن عبدالوهاب أخي الشيخ، كما عرج على الشطي أحد خصوم الدعوة الوهابية، ويظهر أن الشيخ رد على الجميع، ثم ذكر اتفاق الشيخين ابن الأمير ومحمدبن عبدالوهاب في العقيدة، ثم عاد بعد ذلك؛ ليذكر كلام الناظم "العبّادي" والمعلق "البيحاني" في عموم المسلمين، وبعد ذلـك تكلم عن الحلف والذبح لغير الله، ثم نصوص زعماء الوهابية في عموم المسلمين، واستعرض بعد ذلك نصوص الكتاب والسنة الناهية عن دعاء المخلوق، وبعده عنوان " كلام المغالين في أصحاب القبور " ثم جهل الخصم بما يقول وكذبه على الصحابة والتابعين وجرأته في ذلك، ثم بشرية الرسول ، وبعد ذلك كله تعرض لتهمة الخصم له ولشيخه بكراهة الرسول ، ثم تكـلم على طلب الشفاعة وأدلة الخصم عليها، خلص بعده إلى الكلام عن التوسل ما يجوز منه وما لايجوز، وأبطل أدلة الخصم، ثم نقل كلام الشيخ محمد عبدُه المصري في التوسل ودعاء الصالحين، ثم أوضح كلام الناظم والمعلق في الاستغاثة واحتجاج الخصم بالمجاز العقلي والأحاديث الضعيفة والرد عليه في ذلك، وتوالت العناوين: (" استدلاله بالقرآن " وكلام العلماء " الشرك بالله والاستعانة بغيره " الحياة البرزخية " غلط الخصم ومغالطته " رفع القبور والبناء عليها "

[1] انظر : دعاوى المناوئين ص(56) لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . تأليف : عبدالله محمد بن عبداللطيف ، طبع دار الوطن، الرياض الطبعة الأولى (1412 هـ)

نصوص العلماء وأقوالهم " هدم المساجد والقبـاب المبنية على القبور، دفاع الخصم عن التماثيل " إنكاره على ابن القيم "شرقه بحديث أبي الهيـاج " " دفـاعه عن رفع القبور " " شد الرحال لزيارة القبور " كلام الناظم والمعلق في النذر " واحتجاج الخصم بما لا يفهم " الكلام على إهداء ثواب القراءة للميت ").

هذه عناوين الكتاب ومنه يعرف مضمونه، فهو في الرد على القبوريـة فيما يعتقدون في القبور من العقائد الضالة، وفيما يأتون عندها من الأعمال القبيحة، وما يوجهونه من تهم وافتراءات لخصومهم دعاة التوحيد، ودفاع عن أولئك الدعاة ورد عن أعراضهم وتبرئة لمناهجهم من الانحراف الذي رماها به القبورية، هذا هو ما ظهر لي من ملامح الصارم القرآني للشيخ البيحاني عليه رحمة الله.

وفي نفس السياق تأتي رسالته الصغيرة " زوبعة في قارورة " فجهود البيحاني في مواجهة القبورية ومواقفه منهم هي اللائقة بالعالم السني المتابع لمنهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

ولعل في رسالة الدكتور أحمد هجوان عن" الإمام البيحاني" ما يكشف مزيداً من هذه المواقف ولكني للأسف لم أطلع عليها.

<u>المطلب الثالث</u>: جهود علماء تهامة في مواجهة القبورية:

لقد تميز علماء وفقهاء تهامة بموقفهم الصلب والقوي من أصحاب وحدة الوجود، وأمـا موقفهـم من القبورية العامة التي أبرز سماتها تعظيم القبور وأصحابها، فلم يكن بذلك الموقف القوي والواضح، وإن كنا لـم نلمس من علمائهم الذين لـم يتـأثروا بالصـوفية ذلك الانسياق وراء القبورية،كـالذين تأثروا بالصوفية مـن أمثال المحدث "أحمد بن أحمـد بن عبداللطيف الشرجي الـزبيدي صـاحب التجريد الصريح " [1] فإن الشرجي له

[1] ? الشرجي المذكورهو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشـرجي الزبيدي ، ولـد سنة (812هـ) بزبيـد، ومـــات بها سنة (893هـ) ، وهو من أشهر محدثي زبيد وله "التجريد الصريح مختصر صحيح البخاري " وغيره من الكتب ، كما له في المقابل "طبقات الخواص" الذي تحدثت عنه في الأصل ، وهذا من التناقض العجيب ،كما ذكر له كتاب آخر بعنوان "الفوائد في

كتاب " طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص " ملأه بالخرافات، ونقل فيه من الطامات ما يلحقه بركب الشعراني المشهور بنقل الطامات والهلوسة الصوفية، والشلي الحضرمي صاحب المشرع الروي الذي ملأه بالخرافات والدجل، بحيث يعجب القارىء كيف بلغت الجرأة به إلى هذا الحد، والاستخفاف بعقل القاريء إلى هذه الدرجة، فالشرجي لا يكاد يقل عنهما في كتابه "طبقات الخواص ".

أقول: إن علماء تهامة الذين حاربوا أصحاب وحدة الوجود مع حسن ظنهم بالكثير من القبورية إلا أنهم لما يوافقوهم على الكثير من شطحهم وخرافاتهم، وكثيراً ما يجد القاريء لكتبهم - مثل كتب العلامة الحسين بن عبدالرحمن الأهدل - نقدهم في بعض أمورهم وتصرفاتهم، ولكن لم تظهر المواجهة إلا بعد انتشار الدعوة السلفية التي قادها "الإمام ابن الأمير والإمام الشوكاني، رحمهما الله" ووصول دعاة وجنود الدعوة النجدية إلى تهامة في القرن الثالث عشر، فمنذ تلك الفترة، ظهر من يحارب القبورية بقوة وجرأة وعلم وبصيرة، ومع ذلك فموقفهم من القبورية إذا قورن بموقفهم من أصحاب وحدة الوجود عد ضئيلاً،وإذا قورن عدد من تصدى للقبورية بمن تصدى لأصحاب وحدة الوجود كان قليلًا، وأنا أكتفي بعلَم واحد من أعلام تهامة هو:.

العلاّمة حسين بن مهدي النـُّعمي التهامي ثم الصنعاني

قال عنه السيد محمد بن محمد زبـارة في " نشر العرف ": (السيد الـعلامة النبيل التقي الفهامة الحسين بن مهدي النعمي التهامي ثم " الصنعاني " [1]، ولـد كمـا يظهر بمدينة " صبيا "

الصلات والعوائد" قال الحبشي في مقدمته للطبقات : (وهو مجموع من الأحاديث والأدعية المأثورة ، إلا أنه شابَهُ بكثير من الطلاسم والأوفاق المدسوسة ، قال : وقد طبع بالقاهرة سنة (1344هـ) ، وأعادت طبعه عدة مرات مكتبة الحلبي بالقاهرة) الطبقات ص(6)،هـذا هو الشرجي رحمه الله ، لم ينفعه علم الحديث حين تأثر بأفكار وعقائد الصوفية .

[1] مقدمة معارج الألباب في منهج الحق والصواب للنعمي ص(17) ، تحقيق محمد حامد الفقي تخريج علي حسن عبد الحميد ، طبع مكتبة

من أرض تهامة،ثم وفد إلى صنعاء للأخذ عن علمائها في حياة الإمام الصنعاني - رحمه الله - وصار من جملـة أصحابه، حتى لقد اتهم هو والإمـام الصنعـاني بمخالفة مذهب الهادي والتظاهر بذلك [1]، وقـد ذُكر عنه العمل بالسنة وإحياء ما اندثر منها [2]،ورغم ذلك فقد استمر العلامة النعمي في دعوته وتعليمه للسنن ومحاربة البدع مجللاً محترماً [3]،حتى أن إمام العصر "المهدي " قـد أذن لـه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان المخالف من خاصة المهدي، وقرأ "الإمام" على المترجم له أياماً في "شرح العمدة لابن دقيق العيد " [4]، وتوفي - رحمه الله - سنة (1187هـ)، هذا هو العلامة النعمي لم يحفل به المترجمون، ولكن كتابه العظيم الذي سنعرض له، يشهد بعظمته وسعة علمه، ويصور لنا منهجه الذي هو منهج السلف الصالح، مـنهج التجديد الذي عرفناه من ابن الأمير والشوكاني رحمهما الله.

أثره في مواجهة القبورية:

أثره المطبوع المتداول في مواجهة القبورية هو كتاب" معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" هذا هو الاسم المختصر للكتاب، وقد وُجد على طرة النسخة الخطية مايلي:

(معارج الألباب، في مناهج الحق والصواب لإيقاظ من أجاب بحسن بناء المشاهد والقباب، ونسي ما تضمنته من المفاسد وهي، عجب من الخطوب عجاب، وأحال أخذ الحكم من دليله في هذه الأعصار فَسدَّ باب الحكمة وفصل الخطاب، وعطّل الانتفاع في هذه الأزمان بعلوم السنة والكتاب، إلى غير ذلك مما يأتيك بيانه وتحقيقه - إن شاء الله - بأحسن تحرير وجواب) [5].

هذا ماكتب على طرة الكتاب وهو معرِّف به، مبين عن وجهته، مشير إلى السبب الدافع إلى تأليفه، وهو الرد على من أجاب

المعارف الرياض ، الطبعة الرابعة 1407هـ - 1987م .و كل ما في ترجمتي له مأخوذة عنه حيث لم أعثرله على ترجمة في موضع آخر والجزء الأول مـن نشر العرف ليس متوفراً هذه الأيام .

[1] معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص(18) .

[2] المصدر السابق ص(18).

[3] المصدر السابق ص(18).

[4] المصدر السابق ص(18) .

[5] معرج الألباب ص (14) .

باستحسان تلك المشاهد والقباب على قبور الأولياء، وقد نص على هذا السبب في مقدمته الكافية فقال: (وبعد، فلما كان في شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وسبعين ومائة وألف من الهجرة النبوية، وقفت على صورة سؤال، وغير مـاجواب في شأن مـا يسر الله هدمـه، وافتقـاده من المشاهد والقباب، وإزالة ما أزيل منها بالتدمير والخراب؛ لما تفاحشت خطوب مفاسدها في هذا الزمان، وضاهت رسوم الجاهلية الجهلاء النافية للتوحيد والإيمان، مع كون وضع القباب أمراً صادم المأثور الصحيح من النهي الصريح، فهو بمجرده ممنوع شرعاً، كما قد شرحت ماجاء فيه ضمن رسالة مستقلة وجيزة، أسفرت عن وجهة الصبيح واسمها: " مدارج العبور علىمفاسد القبور ".

وكان قبل هذا التاريخ بمدة يسيرة، ألقى إليّ بعض أعيان الزمن بمدينة صنعاء اليمن - حاطها الله وسائر بلاد الإسلام من طوارق المحن والفتن - كتاباً ورد عليه من مكة المشرفة، ذكر فيه ما حاصله:

أنه وصل إلى هنالك سؤال في هذه المسألة، وأنه أجاب فيه مفتو الأربعة المذاهب، بما يتضمن التشنيع على من دل على هدم القباب والمشاهد، وأشار بتخريب تلك المعاقل والمعاهد [1]. وبعد أن أبان خواء ذلك الجواب، وعدم استناده إلى سنة ولا كتاب، وإنما (أجابوا: بأنه صرح به في المنهاج وشرحه،وهو الذي فهمه ابن عبد الحق من عبارة الروضة بالجواز) [2]. كر على المجيبين، وندد بأصلهم الذي عليه يعتمدون، وإليه يرجعون، وهو التقليد المحض والمنع من إعمال النظر في الأدلة، وقد شنع عليهم، وأطال النفس في ذلك، شأنه شأن مشايخه وزملائه من المدرسة السلفية في اليمن، وقد استغرق ذلك باقي المقدمة.

أما الباب الأول: فجعله في أبحاث متفرقة تتعلق بتلك الأجوبة، منها الرد عليهم في أخبار استدلوا بها، وقد أخلّوا بشروط الاستدلال إما دراية أو رواية، فالدراية كونهم لم

---

1 معارج الألباب ص(26 – 27) .

2 المصدر السابق ص(29) .

يستدلوا بها على وجهها كاستدلالهم بحديث ((**من آذى لي ولياً**)) على حرمة المشاهد والقبور.

وقد حاكمهم أولاً إلى أصلهم و(على جواز أخذ الحكم من دليله وإمكان الاجتهاد في هذه الأعصار) فكيف يجيزون لأنفسهم خلاف ما أصلوه، ثم ناقشهم في الجزم بكون هذا المدفون ولياً، وأبان جانباً مما ينسب إلى من يوصفون بالولاية من الشطح والتخريف، وكيف يكون هدم هذه القباب إيذاءً لأولياء الله وهو امتثال لأمر رسول الله ؟! ثم رد عليهم حديث: ((مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن)) وأن ذلك لايثبت عن رسول الله [1]، وأخذ يبدي ويعيد في موضوع الاجتهاد والتقليد إلى نهاية الفصل[2]، وهكذا في الفصل الذي يليه، رد على من قال منهم: (ولا يدعي الاجتهاد في زماننا هذا إلا من جهل شروط الاجتهاد وعريَ عن أصول الفقه)، واستمر في رده إلى نهاية الباب الأول [3].

أما الباب الثاني: فجعله (في ذكر جملة شافية من الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة، الشاهدة بأن وضع القباب والبناء على القبور من أصله وتشريفها والكتابة عليها وتجصيصها واتخاذها مساجد وما يتصل بذلك: أمر تقرر في الشرع منعه، وسبق الحكم الجازم بالنهي عنه)، وبعد أن نقل من ذلك جملة كثيرة علّق على بعضها، ونقل نقلاً طويلاً عن ابن القيم من " إغاثة اللهفان "، ثم علّق على بعض كلام ابن القيم وانتهى الباب) [4].

أما الباب الثالث: فجعله للرد المباشر على تلك الأجوبة حيث يذكر جملة من الجواب،ثم يرد عليه، وقد استغرق هذا الباب بقية الكتاب، ولم يقتصر على تفنيد شبههم المتعلقة بالمشاهد والقباب، وإنما تطرق إلى ضلالات المتصوفة، وأنواع الشرك التي تُرتكب عند المشاهد والقبور، وما يجب على المسلمين والعلماء تجاه ذلك، وهو نقاش قوي ومنهج سوي مفيد لطالب العلم في رد شبه القبورية.

---

1 معارج الألباب ص(39 – 49) .
2 المصدرالسابق ص(45 – 101) .
3 المصدر السابق ص (101 – 118) .
4 المصدر السابق ص(120 – 156).

فرحم الله العلامة النعمي، وغفرله، وجزاه خير الجزاء على ما قدم، وله أثر ثانٍ أخص في الموضوع بعنوان " مدارج العبور على مفاسد القبور " ذكره في مقدمة المعارج (27)، ولا أعلم عن وجوده شيئاً، وأما مضمونه فهو في النهي عن البناء على القبور، وما يلحق بذلك حسب إشارة المؤلف..

المؤلفات المفردة في مواجهة القبورية لعلماء تهامة:

ولغير من تقدم مؤلفات ورسائل مفردة تعنى بمواجهة القبورية في بعض الجوانب،و إليك جدولاً بأسماء هؤلاء العلماء وأسماء مؤلفاتهم:

1) **محمد بن أحمد الأهدل** المتوفى سنة (1271هـ)، وله رسالة بعنوان " تحـذير الإخوان المسلمين من تصديق الكهان والعرافين " ووجه كونها في مواجهة القبوريين أن بعض القبوريين هم الذين يقومون بالكهانة والعرافة باعتبار ذلك من الكرامات، المرجع هجر العلم (4/ 2015).

2) **حسن بن خالد الحازمي**: المتوفى سنة (1234 هـ) أو (1235 هـ)، لـه رسالـة بعنوان " قوت القلوب بمنفعة توحيد علام الغيوب" واضح من العنوان أنها في الـدعوة إلى الـتوحيد وقطعاً في التحذير مما يضاده من عقائد وأعمال القبورية، المرجع هجر العلم (3/1224).

3) **الحسين بن عبدالرحمن الأهدل** المتوفى سنة (855 هـ) له رسالة بعنوان " الـقول النـضر على الدعاوي الفارغة بحياة الخضر) يرد بهاعلى عقيدة مشهورة من عقائد القبورية وهي القول بحياة الخضر وزعم الالتقاء به والأخذ عنه. المرجع هجر العلم (1/ 46).

4)**قادري بن أحمد الأهدل** مازال حياً - حفظه الله -له منظومة بعنوان" بهجة القلوب بتوحيد علام الغيوب " وهي مطبوعة مع هداية المريد للعبّادي، وقد تناول فيها الكثير من انحرافات القبورية، وأبان ضلالها وكشف عوارها.

<u>المطلب الرابع</u>: جهود علماء حضرموت في مواجهة القبورية:

لم تترسخ القبورية في أي ناحية من نواحي اليمن كما ترسخت في حضرموت، حيث سيطر القبورية فيها على كل

شيء، سيطروا على الحكام، ووجّهوا السلاطين وسعوا لجلب الاستعمار، وكان لهم عنده مكانة مرموقة، وأمسكوا بزمام القيادة العلمية والروحية في البلد بقبضة حديدية، لم تترك لسواهم وسوى الدائرين في فلكهم متنفساً؛ لذلك لا نرى تلك المعارضة للفكر الصوفي في حضرموت مثل ما عورض في زبيد وصنعاء أو غيرهما من أنحاء اليمن، وحتى كتابة التاريخ فقد احتكروها بين قادة التصوف وأنصارهم، فجاء تاريخ حضرموت كما يشاؤون لا كما هو في الحقيقة، لذلك لا غرابة أن يقل أو ينعدم المواجهون للقبورية فيها، ومن ظهر فإنما ظهر بعد أن حصلت للقبورية الهزات العنيفة بفعل الدعوة السلفية في صنعاء وفي نجد؛ حيث وصلت الجيوش النجدية إلى قلب وادي حـضرموت، والتقى دعاتها بالناس، فتأثر بهم رجال من شتى الطبقات حتى من السادة العلويين [1]، ثم دعوة الإرشاد باندونيسيا،

ومن هؤلاء الذين برزوا:

العَلَم الأول

الشيخ علي بن أحـمد باصــبرين

وهو العلامة الفقيه المحـــدث الأديب الداعية علي بن أحمد باصــبرين - رحمه الله - لم يُعـرف تـاريخ ولادته وتـاريخ وفاته بالتحديد؛ ولكن العلامة الشيخ علي سالم بكيّر يرجح أنه (عاش في النصف الأخــير من القــرن الثـالث عشر الهجــري وأوائل القــرن الرابع عشــر)[2]، وكـان هـذا الإمـام متمـيزاً بالشـجاعة متظاهراً بحمل السلاح يقول عنه علوي بن طاهر الحداد: (كان شجاعاً ذا عزم لايزال متمنطقاً بمسدس أو مسدسين)[3].

وكان ذا غيرة شديدة حملته على إنكار الكثـير من المنكـرات والعمل على تغيير بعضها باليد، يقـول الحـداد: (وأحسب أن له يــداً في الثــورة الــتي وقعت بجــده على قناصل الــدول وهي واقعة مشهورة، وقد تمكن من الفـرار فسـلم، وهو الـذي أثـار

---

[1] انظر إدام القوت ص(225-226) .

[2] رجال وكتب للشيخ علي سالم بكيّر باغيثان طبع دار حضرموت للدراسات والنشر ص(109) .

[3] الشامل (1/ 135) وانظر إدام القوت ص(110) .

العــوام على الأبنية الــتي جعلت على الجمــرات الثلاث بمــنى فهجموا عليها وأخربوها)[1].

كما كان مـبرزاً في العلم متفوقـاً فيـه، وصـفه أحد العلـويين بقوله: (وهو إمام في كل العلـوم)[2]، وكـان عـاملاً بعلمه داعيـاً إلى مـاهو مقتنع بـه، لم يجمـد على ما كـان عليه أهل مصـره وعصـــره؛ بل دعا إلى التوحيد وحـــذر من الشـــرك وزيف الخرافــات وحــارب المنكــرات؛ ومن أجل ذلك حاربه علمــاء حضرموت ونازعوه وحذروا منـه، يقـول ابن عبيداللـه: (وجـرت بينه وبين علماء تريم منازعات في عدة مسائل، **منها** التوسل والاستغاثة **ومنها** ثبوت النسب بمشجّرات العلويين المحــررة، وكان الشيخ يبـالغ في إنكـار ذلك وأُلِّفت رسـائل من الطـرفين[3])، ونقل مســتنكراً ما قاله أحمد بن حسن العطــاس عن هــذا الإمام فقال: (وفي مجموع كلام العلامة السـيد أحمد بن حسن العطـاس أن بعض العلمـاء المصـريين قـال لـه::" نعـرف من الحضارم حدة الطبـع، وأنت بعيد عنها " قـال لـه:" من عـرفت من الحضــارم؟ " قــال لــه:" عــرفت الشــيخ علي باصــبرين، وجلست معه في الحرمين سـنين، فـرأيت من حدته ما لا مزيد عليه "، فقال السيد أحمـد:" ذاك رجل من أهل الباديـة، وتلقى شيئاً من العلم، وقد حجر سـلفنا وأشـياخنا على المتعلقين بهم الأخذ عنـه؛ لأنه ليس بأهل للإلقـاء ولا للتلقي، ولا يخفى عليكم ما في طباع البادية من الغلظة والجفاء "، انتهى.وفي هذا غض من مقام الشـيخ علي لايليق بالإنصـاف، وقد علمت أن السـيد عمر بن حسن الحداد قرأ عليه وهو من مراجيح العلويين)[4].

ويــــبرز اتجاهه التجديدي من خلال بعض مؤلفاته **ومنها**:" إرشاد صالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد " ذكرها في المسألة التاسعة من " المهمات الدينية " المتعلقة بــالنهي عن قول العـوام (يـاولي الله جئنا إليك وحططنا الـذنب بين يـديك) بعد أن علق عليها قال: (ومن أراد توضيح ما في المقــام فعليه

---

1 الشامل (1 / 135) .
2 إدام القوت (110) .
3 إدام القوت (111)
4 إدام القوت ص(110-111) .

برسالتي المسماة " رشاد صـالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد " [1].
وهـذه الرسـالة لم نعـثر عليهـا، ولكنا عثرنا على المهمـات وسوف يـأتي الحـديث عنها حين نتكلم عن أثر هـذا العـالم في مواجهة القبوريـة،وله مؤلفـات أخــرى **منها** خمســةكتب في الفقه الشافعي،وكتـاب عن أنسـاب السـادة العلـويين سـماه " حـدائق البواسق المثمـرة في بيـان صـواب أحكـام الشـجرة " فـــرغ مـــن تأليفـــه سنـــة (1298 هــ) قاله ابن عبيد الله [2]، ورســالة في الــرد على بعض من اعــترض عليه في رســالة الشــجرة المــذكورة. [3] إضــافة إلى تلك الكتب هنــاك كتــاب مخطـــوط في مكتبة الحـــرم المكي بعنـــوان "إتحـــاف الناقد البصيربخصوص صحيح الجامع الصـغير" ذكـره شـيخنا الألبـاني في مقدمة كتابه صـحيح الجـامع الصـغير وقـال: إنه اطلع عليه في مكتبة الحـــــرم المكي، وقد نقد المؤلف حيث أنه يتـــــابع السيوطي على تصحيحه دون تحقيق من قبله [4].
هذه نبذة عن الشيخ علي باصبرين رحمه الله وهو مترجم في " الشامل في تــاريخ حضــرموت "، و" إدام القــوت أو معجم بلدان حضرموت "، " وتاج الأعراس " وكلها تراجم موجزة.

أثر هذا العلم في مواجهة القبورية

كان الأولى أن أدرس رسالة " إتحـاف صـالحي العبيد " الـتي أشـرت إليها سـابقاً ولكنها مفقـودة؛ لـذا لجـأت إلى الرسـالة الأخـــرى وهي: " المهمـــات الدينية في بعض المـــرتكب من المناهي الربانية ".
وهي رسالة صغيرة حصر فيها المؤلف مجموعة من المنـاهي التي قد ارتكبها الناس، ولم يتقيد ببـاب من أبـواب العلم، وإنما نوعها بحسب أهمية تلك المناهي المرتكبة، فاشتملت الرسـالة

---

[1] المهمات الدينية ص(6) .
[2] إدام القوت ص(111-112) وانظر لمزيد الفائدة تعليق ابن عبيدالله بذكر مادار بين الشيخ علي وبعض السادة حول الرسالة المذكورة وفيه كلمة للمحضار لفظها (وبعض الناس قوله وبوله سواء) وهي تدل على مبلغ العنجهيةلدى هؤلاء الناس .
[3] ذكرها ابن عبيد الله في نفس الموضع السابق .
[4] صحيح الجامع الصغير طبع المكتب الإسلامي(1/ 14- 15) الطبعة الثانية (1406هـ - 1986 م).

على خمس وسبعين مسـألة، قـال في مقـدمتها: (ولقد جمعت في هذه العجالة خمساً وسـبعين مهمة من مهمـات الـدين مما عم الابتلاء بـالتلبس بهـا، وقد أرسـلت منها نسـخاً عديـدة لكل كبـير بلد أو قريـة،كل هـذا خروجـاً من عهـدة الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر وإبلاغ الجهد في بــذل النصـيحة لهـذه الأمة المباركــة، لعل وعسى أن ينتفع بها مــؤمن صــالح، ويرتــدع بها وينيب غاوٍ بجهالته طالح)[1].

وقد مضى في تلك المهمات إلى أن قال:(التاسعة) مما يحرم ما يقال عند إقبال الزائرين إلى المزور:

(ياوليّ الله جئنا إليك وحططنا الذنب بين يديك)

وقد علق على ذلك وبين مافيه من الغلو، وأنه لايغفر الـذنوب إلا اللــه، ثم أحــال على رســالته الســابق ذكرها، ومضى إلى المهمة (الثامنة عشـــر) وفيها تعـــرض لما عند بعض جهـــات حضرموت أنهم: (إذا مـيزوا زكـاة أمـوالهم بنحو حَجْـر والرِّيَـد[2] يقولون: (هذا لله وللشيخ سعيد أو حق الله وحق الشيخ سـعيد مثلاً)[3]، ثم تكلم عن ذلك من الناحية الاعتقادية والناحية الفقهيــة، وقد حكم أن هــذا القــول خلاف الصــواب، وأنه مبني على اعتقاد أنهم (إذا فعــلوا ذلك يـأمنون عاهـات أمـوالهم وإلا فيصابون بعاهة في أنفسـهم وأمـوالهم، أو من الله إذا أغضـبوا الشيخ بمخالفة عـادتهم من إعطـائهم مـالا يسـتحقه، مع نسـبة الآثار إلى مايتوهم الجاهل أنه منه، وذلك خلاف الصواب والحق أن موجد الآثــار وأســبابها هو الله الواحد الأحد الفــرد الصــمد القائل ســبحانه: ﴿ **ما أشهدتهم خلق الســموات والأرض ولاخلق أنفسـهم وما كنت متخذ المضـلين عضـدا** ﴾)[4]، والحق أنه لم يشـبع المسـألة وربما كـان ذلك لأجل الاختصـار، وفـي المهمة (العشرون) تحدث عــن النـذر وأنه (لايصح إلا إن كــان لمن يملك – ومنه المسـجد- طاعة لله وقربة بها يتقــرب إليه تعــالى لا لميت وبهيمة ما لم يــرد غيرهمــا المعتــبر، ولا معصـية أو مكروهـاً أو مباحـاً لآدمي أو جـني أو معظم ما غـير الله الواحد الأحد الفرد الصمد، لرجاء مالم يقضهِ الله له لو لم

---

[1] المهمات ص(3) .
[2] هما جهتان معروفتان من جهات حضرموت .
[3] المهمات ص (8)
[4] الكهف (51) .

يشـفع لـه هـذا المعظم، أو دفع ما قد قضـاه الله وأبرمه عليه في سابق علمه، فهذا محـرم بل كفر في حق العـالم والجاهل الذي أخـبره بمقتضى ما يتضـمن ذلك من هو من أهـل الإخبـار والتعليم [1]).

والشيخ قد أبان جانباً مهماً من الحق في هذه المسـألة؛ وهو تحريم النذر للأموات، وأنه متى صاحبه ذلك الاعتقاد صار كفراً في حق العالم والجاهل الذي قد أخبره به من هو أهل للإخبار، ولكن هنا أمران:

الأمر الأول: تصـحيح النـذر عند إرادة المعتَبَر ممن له علاقة بالقبر فإن هذا موهم جداً ومغـرٍ للعـوام بالنـذر لتلك المشـاهد والقباب ومن فيهـا، وتَـرتُب الاعتقـاد إن لم يكن موجـوداً حـال النـذر والغـالب أنه لاينـذر لها ولم يقصد من عنـدها من الـزوار وغــيرهم إلا مع وجــود الاعتقــاد فيهم، ولــذلك فقد انتقد هــذا المسلك الشيخ أبو بكر الخطيب في فتاواه معللاً بأن (الغــالب أنهم يقصــدون تعظيم ذات الــولي أو قــبره أو مشــهده وذلك باطل والله أعلم بالصـواب)[2]، وكـذلك الرسـول عنـدما نـذر الرجل أن يذبـح إبلاً ببوانه ســأله: ((**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قـال: لا قـال: (فهل كـان فيها عيد من أعيادهم؟ قال:لا قال: فأوف بنذرك**)) [3]، وهـذا يدل على أن النـذر لو كـان لمكـان فيه وثن أو عيـد لما أجـازه؛ لئلا يظن ظان أن ذلك لتعظيم تلك البقعة، وهكذا هنا فإن قصد تعظيم ذلك المشهد والقبر هو الغالب، فكان الواجب سد هــذه الذريعة وعدم تصحيح النذر من أصله.

الأمر الآخر: جعل النذر شركاً -إن وجد الاعتقاد والتعظيم- هــذا فيه قصـور، إذ النـذر عبـادة لله تعـالى وليس كما يفهمه بعض الفقهـاء مجـرد هبة أو عطيـة، ولـذلك فجعله لهـذا المشـهد أو القــبر هو في حد ذاته قربة وعبــادة، وصــرف ذلك لغــير الله شــرك، ولــولم يوجد التعظيم؛ لأن الحامل عليه هو الخــوف أو الرجاء كما ذكـره الشـيخ آنفـاً، بخلاف ما لو نـذر لحي فإنه في عرف الفقهاء بمعـنى العطية أو الهبـة، وعلى ذلك درج النـاس فيما يتعاطونه بينهم فيقول قائلهم نذرت لابـني أو أخي أو فلان

---

[1] المهمات ص(9) .

[2] الفتاوى النافعة ص(249)

[3] تقدم تخريجه في الباب التمهيدي ص(29) .

بكـذا أي وهبتـه، فما كـان من هـذا القبيل فلا يمنع إلا أن قارنه التعظيم والتقرب والله أعلم.

أما المهمة (الحادية والعشـــرون) ففيها يقـــرر المؤلف أنه لايتقــرب ولايعظم بالصــلاة والنسك " الــذبح " إلا لله تعــالى، ولاينسب الإحياء والإماته إلا لله تعالى، وهـذه أمـــور معلومة لا إشـــكال فيها وإن كــــان من الناحية العملية بعض القبورية أو جلّهم يخالفون في الذبح فيجيزونه لغير الله،ويتــأولون ما يفعل من ذلك عند العــوام، والـــذي لاعلة له إلا "تعظيم من ذبح له" يتأولون ذلك بتأويلات باطلة،وكذا الإحياء والإماتة، هذا أصل من الناحية النظرية متفق عليـه، أما من الناحية العملية فالصـوفية ينسبون لأوليائهم الإحيـاء والإماتـة -كما جـاء في ترجمة علـوي بن الفقيه المقـدم من المشـرع وغـيره - وقـــد تقـدم إثبـات اعتقـادهم لـذلك في البـاب الثـاني، وذلك غاية الإلحـاد والعيـاذ بالله، ثم يرتب على ما تقـدم تحـريم العقيرة [1]، لكونها يهل بها لغير الله ولغير ذلك من المحظـورات الـتي تـترتب على ذلـك، ويأتينا هنا بفائـدة جديـدة جليلة وهي أن الزامل[2] الــذي يكــون غالباً مصاحباً لزيارات الأولياء هـو: (لتعظيم المقبـور له بمنزلة تلبية وفد الله تعالى بالحج والعمرة وهـذا من أعظم المنكـرات وأعظم منهـا سـكوت أهل العلم عنهم فيما لو فـرض سـكوتهم فضلاً عن رضى عاقل بذلك) [3]، وهذه النكتة لم أعــرف من نبه عليها غيره ولكن لا استبعد صحة ما قرر في ذلك إذ أنّ هذا هو الشأن في معظم الزيارات إن لم يكن فيها جميعـاً وهـذا **أولاً**، **وثانياً**: أنها فعلاً تعتبر تعظيماً للولي وذلك برفع الرايـات الـتي هي شـعاره واشـتمالها غالبـاً على أبيـات شـعرية في مدحه أو دعائه والاسـتغاثة بـه. و**ثالثاً**: أن خليفة ذلك الـولي المسـمى عندنا " منصب مقامه " يعطى في هـذه الزيـارات من التعظيم والتفخيم وإظهار مقامه وقـدره شـيئاً عظيمـاً كــما نبه عليه "

---

[1] قال في القاموس و (العقيرة ما عقر من صيد أو غيره) ص(569) وفي العرف هي جمل أو ثور يسوقه الزوار عند زيارتهم للولي : إما إرضاءاً له لما قد يظنون أنه ساخط عليهم أو تقرباً لطلب حاجة منه .

[2] الزامل في العرف هو نوع من الرجز يؤتى به عند المناسبات كالأفراح ونحوها وكذا في الزيارات .

[3] المهمات ص(9-10) .

الصبان " في كتابه زيارات وعادات " زيـارة نـبي الله هـود " [1]، فرحم الله الشيخ باصبرين.
والمهمة (**الثانية والعشرون**) يقرر فيها أن الحلف بغير الله تعـالى وصـفاته وأسـمائه شـرك، ثم قسم الشـرك إلى جلي وخفي،وأن الجلي هو المخـرج من الملة والخفي لايخـرج من الملة،ثم تعـرض لصـيغ من الحلف وتكلم عنهـا، ثم فـرق بين ماكان المقصـود به تعظيم المحلـوف به كتعظيم الله أو يخـاف منه كخوفه، أو يـرجى منه نفـع لم يقضه الله،أو يـدفع عنه ضر قد كتبه الله فهو الحـرام الكفر اتفاقـاً،أما إذا سـلمت العقيـدة من ذلك فلا كفر جلي وفي الخفي خلاف والورع تركه مطلقـاً) [2] وهذا تفصيل جيد،,أجود منه لو صرح بتحريم النوع الثاني وإن لم يكن شركاً.
والمهمة (**الستون**): قال لايجوز لأحد حكاية ماصورته منكـر، وإن صدر عن بعض الأكابر محمول على أنه مؤول عنده بتأويل غير متبادر للعامة؛أو أنه صدر حال غيبة عن تعقل مقولـه بوجه من الوجوه أو أنه من قول غيرِ كجني كما قال بعضهم:

أنا عرشها والكرسي أنـا للسما بانيها
ولولا الحيا من جدي نار الجحيم أطفيها [3]

والنهي عن ذلك في محلـه، وأما التأويل لـذلك فبعيد وقد تقدم إيضاح ذلك [4]
المهمة (**الحادية والستون**): قال فيها (من المحرمات قول بعض المعتقدة جوابـاً لقـول المعتقد ادعُ الله لي بالجنة " أنت في الغدفة أو ضماني ") [5]، وهذا القول يتكـرر كثـيراً من بعض أقطاب القوم في مناسبات مختلفة وهو محرم كما ذكر الشيخ إن كان مجرد جرأة عن غير اعتقاد،أما من اعتقد أنه يملك ذلك فهذا طاغوت لأنه زعم لنفسه حقاً من خالص حق الله تعالى.

---

[1] زيارات وعادات " زيارة نبي الله هود "ص (40- 41) تأليف عبد القادر محمد الصبان ، طبع المعهد الإمريكي للدراسات اليمنية .
[2] المهمات ص(10) .
[3] المهمات ص(16) .
[4] المهمات ص(16)
[5] المهمات ص (16) .

هذه هي المهمات التي تعرض فيها الشيخ للقبورية ونقد بعض عقائـدهم وأعمـالهم، وأما بقية المهـام فإنها منكـرات يقع فيها الكثير من الناس وهي معاصي لاعلاقة لها بالقبورية.

والشيخ -رحمه الله تعـالى- قد تحـرر من غل التقليد لمعلميه والتأثر بمجتمعه إلى حد كبير،وحسبه ذلك مادام مجتهـداً باحثـاً عن الحق جاداً في العمل به والدعوة إليـه،وقد بقي لديه بعض آثار مدرسة حضرموت لم يستطع التخلص منها وهي قليلة في جانب ما حقق من إصابة للحق،فرحمه الله وغفر له.

العَلَم الثاني

من أعلام المواجهين للقبورية في حضرموت

الشيخ محـمد بن علي بافضل رحمه الله تعالى

للأسف لم أعـثر لهـذا الشـيخ على ترجمة مكتوبـة،ويقـال أن هنـاك ترجمة كتبها هو لنفسه بعنـوان "حيـاتي" غـير أنـني لم أتحصل عليهـا،وهي عند بعض أولاده كما أخـبرني بعض أقاربه، فلذلك أكتب ملامح عامة عنه فأنا أعرفه،وقد جالسته وحضرت درساً من دروسه في مدينة " القَطْنْ " بلده الـذي ولد وعـاش فيه معظم حياته.

كانتدراسته الأولى في ربـاط تـريم على يــد شـيخه الشـهير **عبدالله بن عمر الشاطري**، ثـم هاجر إلى الصومال ومكث هناك ردحاً من الزمن، ولعله هناك التقى ببعض المصـريين من أنصار السنة وبذلك تحـول إلى الاطلاع على كتب الإمـامين ابن تيمية وتلميـــذه العلامة ابن القيم رحمهما الله وأئمة الـــدعوة السلفية في مختلف العصور حتى صار بذلك من أعلام الـدعوة السلفية.

يقول فضـيلة الشـيخ " السـيد السـيد رجب " المـدرس في جامعة الإمام محمـد بـن سعـود الإسـلامية في تقديمه لكتابه " دعــــوة الخلف إلى طريقه الســــلف " وهو يتكلم عن أعلام الـدعوة الـذين أشـعلوا المشـاعل لينـيروا الطريق وليوضـحوا السبيل ليسترشد الحـائر ويهتـدي السـائر: (ومن هـؤلاء العـالم الفاضـل، والشـيخ الوقـور، والمـربي الأمين، والقـدوة الطيبة والمجاهد المكافح الذي صابر وثـابر وأفـنى شـبابه وصـحته في ســــبيل الــــدعوة وإبلاغ الحجة وأداء الأمانة وإيقـــــاظ الغـافلين،والأخذ بيد العـاملين،والـذي نحسـبه كـذلك ولا نـزكي

على الله أحـداً، ذلكم هو الشـيخ " محمد علي بافضل "، بـارك الله فيه وأطــال عمــره ونفع به وجــزاه بكل خــير، فقد جاهد وناضل في سـبيل عقيدتـه، في كل مكـان حل به وأقـام فيـه، ومن يـذهب إلى الصـومال يجد مسـجداً فخماً سـمي باسـمه، أقامه وشــيد أركانـــه، وكـــان إمامه وخطيبه ومـــدرس العلم والمعرفة لــــرواده وأحبابه وإخوانه ومعارفـــــه، فهـــذا درس التفسـير، وذاك درس الحـديث، وهـذا درس الفقـه، بل كـان يدرس النحو والصرف وهكذا.

وكلٌّ حسب منهج دراسي منظم، ومسـتويات علمية متباينـة، فربّى رجالاً فاهمين عـالمين عـاملين، جمعـوا بين طلب الـدنيا والدين، والشباب والشيوخ من حوله ملتفون، كـان لهم العـالم والمرشد والأخ والصـــديق والأب والرفيـــق، يلتفـــون حوله ويستجيبون لنصحه، ويعملون بتويجهاته ويستشيرونه في أخص أمــورهم، وإن أنس لا أنسى ليلة وداعه وهو مغـادر الصـومال بعد إقامته فيه مـــــدة طويلة إلى موطنه العزيز والجمـــــوع محتشــــدة في ذلك المســـجد بمقديشو والرجل يفيض على الجميع من علمه وتجاربـــه ونصـــائحه وكـــانت كلماته مشوبة بأنفاس كبد محترق تلفح الآذان، والنـاس في حـزن عميق وألم للفــراق شـديد، ثم يحمِّلـني تبعة القيـام بالمسـجد ويعهد إلي بتحمل الأمانة ولكن أنّى لي ولأمثالي أن نملأ هذا الفراغ ونقوم بذلك العمل الكبير والمجهود العظيم فجزاه الله خير الجزاء) [1] هذه لمحة عن حياة الشيخ وجهده في المهجر.

وأما في الـوطن فأنا أسـجل ما بلغـني عنه وما شـاهدته منه مباشرة:

فلقد سمعت بالشيخ وجهوده ودعوته إلى الكتاب والسـنة في آخر حياته رحمه اللـــه،حـــوالي عـــام اثـــنين أو ثلاثه وتســعين وثلاثمائه وألف هجرية،حيث وصف بالدعوة إلى التوحيد والسنة ومحاربة البدع والشـركيات وبيـان خرافـات الصـوفية وتزييفها، وماكان قائماً به من نشر العلم والإفتـاء في مدينته القطن، ثم شاء الله بعد مدة أن أزور القطـــن وأصـلي المغـرب والعشـاء في مسجدها الجامع، حيث يـــدرس الشـيخ وقد كنت ذاهلاً عن الشــيخ ودعوته الـــتي وصـــفت لي من قبـــل، فلما كـــان بين

---

[1] دعوة الخلف إلى طريقة السلف التقديم ص(ج – د).

العشائين فإذا بالشيخ يتصدر الحلقة العلمية ليـدرس طلابه من كتاب فقه السـنة " للسـيد سـابق " وفي سـيرة الرسـول ولا أذكر ما هو الكتـاب الـذي كـان يـدرس فيه وقتها،فجلست في الـدرس وسـمعت كلامـاً قيمـاً غريبـاً على ما هو معـروف في الأوسـاط العلمية الحضـرمية آنـذاك، وبعد انتهائه من الـدرس أردت أن أتأكد مما سمعت، فسـألته عن بعض الأمـور المتعلقة بالبدع والشركيات المنتشـرة في البلاد، فأجـاب جوابـاً صـريحاً واضحاً بما يشفي غليل محب السنة والتوحيـد، فاطمـأننت إليه واقتربت منه وتعرفت عليه وعـرفته علـى نفسـي، فقـال لي: (لقـد أجبتك على تلك الأسئلة بما سمعت لأنني هنا في القطن ولـوكنت من شـبام وحـدرا لسـبطونا على تلك الأجوبـة) هكـذا بهـذه اللهجة الدارجة ومعناهـا: أنه لما أجـابني بما أجـابني لأنه في بلد القطن الذي قد اسـتجاب أهله للـدعوة السـنية وآمنـوا بها، ولو أنه كان في مكان آخر من بلد شبام أو ما كـان شـمالاً عنها لضـــرب على تلك الإجابة لما عليه أهل تلك الـــديار من التعصب والخرافـة، وعنـدها عـرفت أنه ذلك العـالم السـلفي الــذي حُــدِّثْتُ عنه من قبــل، ثم دعــاني إلى منزله فاعتــذرت فواعدني من اليوم الثاني حيث أخـذني إلى مسـجد جديد كـان يقـوم على عمارته وفي أثنـاء تجولنا في المسـجد كـان يشـكو إلي سوء الأوضاع في البلاد ومحاربة النظـام الشـيوعي للـدين وأهله وما يلاقيه هو من رقابة ومتابعة شــــديدة، ثم إنه رحمه الله سـافر إلى المملكة العربية السـعودية، حيث وافـاه الأجل في مدينة جده حوالي عام (1404هـ)، وقد ترك أثراً طيبــاً في بلده وكان له طلاب ومحبون فيها وفي غيرها، كلهم سائر على نهجه ومقتبس من طريقته - رحمه الله رحمةواسعة -.

الأثـــر الـــذي خلّـــفه "دعـــوة الخلف إلى طريقة السلف":

وواضح من عنوانه أنه دعــوة إلى العــودة إلى ما كــان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم في جميع الأمور من عقيـدة وعبـادة وأخلاق ومعـاملات وسـائر شـؤون الحيـاة،ولقد لخص موضـوع الكتـاب المـؤرخ الشـهير سـعيد عــوض بـاوزير في المقدمة التي قدم بها للكتاب فقال: (آمنت بالله رباً وبالإسلام

ديناً وبمحمد نبياً) هذا هو موضوع الكتـاب الـذي جمعه المؤلف من أوثق المصادر.

دعوة إلى التوحيد الخالص دون إشراك، وإيمان برسالة خـاتم الأنبيــاء دون انحــراف،وتمسك بتعــاليم مســتقاة من أصــولها الصـحيحة دون ابتـداع،في ميـدان الاعتقـاد يـدعو الكتـاب إلى إصلاح كل ما أفسدت البدع والأباطيل من جـوهر العقيـدة،وفي ميدان السلوك والعبـادة يـدعو إلى رفض كل زيـادة ليست في كتاب الله الكريم ولا في سنة رسوله المطهرة [1]).

وبعد كلام عام عن أزمة المسلمين وأن لاحلَّ لها إلا بـالرجوع الحق إلى الإسلام قال المقـدم: (ربما تثـير بعض النقـاط الـتي عالجها الكتـاب حساسـيات بعض النـاس، أو تصـطدم بوجهـات نظر خاصة بهم،ولكنني واثق بأن المؤلف لم يكتب ما كتب عن هـوى أو غـرض وإنما كـان يصـدر عن عقيـدة امـتزجت بروحه وقلبـه، يـدافع بها عن دين الله الحـق،طالما تحـدث بها لسـانه، قبل أن يتناولها قلمه، فالمؤلف من خطباء الحضارم الموهوبين وأســاتذتهم المســتنيرين، تعرفه المنــابر والحفلات،كما تعرفه فصــول الدراسة،وقاعــات المحاضــرات[2]). والكتــاب قد جعله المؤلف على طريقة السؤال والجواب:

وقد شـمل توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسـماء والصـفات وما يضـــاد ذلك من الإلحـــاد والشـــرك، وقد ركز على توحيد الربوبية بعض الشــيء لوجــود التشـكيك فيه في تلك الفـترة، فـترة انتشـار الإلحـاد في العـالم كله،وعنـدنا في حضـرموت بسـبب النظـام الشـيوعي الـذي كـان جاثمـاً على صـدر البلاد وأهلـــها،ثم تكلم على الســنة ومــايتعلق بها ومايضــادها من البــدع،كما عــرج على الفكر الصــوفي الحضــرمي ونقد بعض خرافاته، وأبــان بعض ما يحتــوي عليه من الشــعوذةوالدجل، وخصص بعض البـدع الـتي تتفـرد بها حضـرموت مثل" صـلاة الخمسة فـروض" الـتي تـؤدى آخر جمعة من رمضـان، حيث يصــــلون الفــــرائض الخمسة الفجر ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء في آن واحد وذلك بنية قضاء ما فـات أثنـاء السنة الماضية

---

[1] دعوة الخلف ،المقدمة ص(5-6)

[2] دعوة الخلف المقدمة ص(5 – 6) .

وأول من أحـدثها في حضـرموت " الشـيخ أبو بكر بن سـالم العلوي صاحب عينـات "، ولـذلك فـإن أكـثرمن يتعصب لها هم المنسوبون إليه، ولاتـزال مسـتمرة بشـكل رسـمي وبطقـوس واعتقادات، خاصة في بلده عينات إلى اليوم،كما تعـرّض لبعض الأمـــور الـــتي دعا الواقع إلى طرقهـــا؛كمســـألة المـــرأة في الإسلام،وتعدد الزوجات،وموضوع الإسلام والرق،هـذا مجمل ما اشتمل عليه ذلك الكتاب فهو مهم جداً ومفيد للغاية فرحم الله مؤلفه وأجزل له الثواب.

العَلَم الثالث

العلامة القاضي عبدالله بن عوض بكير

وهو العلامة الكبير والقاضي الشهير، داعية الـــسنة في وقت تَغَلُّـــب البـــدع،ورافع رايـــة الـــتوحيد في مجتمع تجوس خلاله أنـواع من الشـرك،ويتصـدر فيه دعاة الخرافة الشيخ عبدالله عوض بكير.

ولد رحمه الله في مدينة " غيل باوزير " سنة (1314هـ) [1]،قرأ القرآن في أحد كتاتيب قرية " القارة" من ضواحي الغيـل،وبعد مرحلة من العمل والكدّ، التحق بركاب الشيخ عمرمبارك بادبَّاه في قرية "الصـداع"، وأقـام لطلب العلم لديه نحـواً من خمسة عشر عامـاً، قـرأ خلالها عـدداً مـــن الـــفنون حـتى تقـدم على أقرانه وأصـبح شـيخه يوكل إليه بعض المهـام؛من تعليم طلاب وإمامة مسجد وردٍ على فتاوى) [2].

ثم انتقل إلى رباط الغيل فترة،ثم ارتحل إلى بلاد الصـومال " جيبوتي " و"مقديشو" مرتين لتحصيل العلم ولقمة العيش معاً، وهنـاك التقى ببعض علمـاء الأزهر [3]، ثم عـاد واسـتقر إمامـاً لمسجد النور بالقارة،وقد حصل من العلم حظاً كبيراً مكَّنَه من أن يكـون مرجعـاً لمجتمعه الصـغير، عليه يعرضـون أسـئلتهم وإليه يرجعـون في حل مشـاكلهم،ويراجعونه فيما يقع لهم من قضـــايا، ومنها ما قد يصـــدر لهم أو عليهم من أحكـــام قضائية وفتاوى شرعية، فكان يعلق عليها بما يراه الحـق،وبـذلك انتشر

---

[1] القضاء في حضرموت في ثلث قرن لابن المترجم العلامة عبدالرحمن عبدالله بكير النسخة الخطية ص(14) .

[2] المصدر السابق ص(26 – 28) .

[3] القضاء في حضرموت ص(28 - 29) .

خبره وسار ذكره حتى وصل (مجالس العلماء ودخل مكاتب الحكام واستمع إلى آرائه الوزراء والسلاطين،فتوجهت إليه الأنظار ترقبه وتراقبه)[1]، (وبالإضافة إلى قوة عارضته الفقهية في المناظرات الشفوية والكتابية، مما أكسبه سمعة علمية طيبة،وحنكة في معالجة القضايا الفقهية،وإبراز خفاياها ودقائقها.. بالإضافة إلى ذلك كان صريحاً في الحق لايماري ولايداري،نزيهاً لا تمتد عينه إلى متع غيره،محارباً للبدع أياً كان القائم بها، لاتأخذه في الله لومة لائم، فقد كتب الرسائل وألقى الخطب، وكاتب من يتوسم فيه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،مشنعاً على كثير من البدع التي تعمل باسم الدين، وأظهر وأبان وجه الحق في كثير مما يُتخذ تحت شعار الدين،بينما هو في حقيقته باطل وجاهلي فألّف من بين ماألّف:

1)مثالب المزار: وهي رسالة في منكرات زيارات القبور. وأن زيارة القبور مشروعة كما شرعها الدين الإسلامي، وبغير ذلك تعتبر منكراً يجب إنكاره وتجب إزالته وتغييره.

2) تطهير الفؤاد من سيّء الاعتقاد: وهي رسالة توضح كثيراً من المعتقدات الفاسدة الشائعة في الجهة سواء كانت مما يتعلق بالموتى أو بالأحياء أو بالجمادات أحياناً، ومايفعل باسم كبراء الجن، كما يقول أرباب تلك المعتقدات.

3) الدفوف في المساجد: وتلك رسالة أوضح فيها حكم ضرب الدفوف في بيوت الله التي يجب أن تُنَزَّه عن مثل هذه المعازف والملاهي، ولقد ترسم فيها طريقة السلف الذين سبقوه وعنهم نقل مانقل)[2].كان هذا من الشيخ رحمه الله في عهد اشتدت فيه الخصومات بين الإرشاديين والعلويين في مهجرهم في أندونيسيا وسنغافورة،وألقت تلك الصراعات بظلالها على الوطن،وأصبح مَن يصنف أنه مِن الإرشاديين أو يتهم بذلك منبوذاً،بل مُعرّضاً لأنواع من الأذى، ولذلك فقد اتهم بالإرشادية كما اتهم بالوهابية،وإن لم يكن كما يقول ابنه الشيخ عبدالرحمن ملتزماً لواحدة من الطائفتين، بل قد يؤديه اجتهاده إلى موافقته إحداهما في أمور ومخالفتها في أمور

---

1 المصدر السابق ص(31 – 32) .

2 المصدر السابق ص(32 – 33) .

أخرى،ولكن الإرهاب الفكري الكبير الذي كان يمارس لايرضى بأنصاف الحلول ولا يعرف للاجتهاد معنى،"وإنما كُن معنا أوأنت ضدنا"، ولكن الشيخ - رحمه الله - ما بالى بذلك بل صمد في وجه كل تلك الزوابع،ولكن لما شاع عن الشيخ من سعة في العلم وبصيرة في الرأي ونزاهة في المعاملة وعدل في الخصومة وقوة في الموقف،كل ذلك أرغم معاصريه على احترامه،وحَمَل المسؤولين على أن يخطبوا وده، وأن يطالبوه بتحمل مسؤولية القضاء الشرعي،والقرب من السلطان للاستفادة منه في الرأي والمشورة، وقد نفر من ذاك بادىء الأمر،ولكنه رضخ له بعد إلحاح وبعد تأمل في المصالح والمفاسد،ودخل سلك القضاء وتدرج فيه بعد أن عُرف عدله ونزاهته وقوة إدراكه ونفوذ بصره حتى أصبح رئيس القضاء،وعضو مجلس الدولة، ولقد قام من خلال منصبه ذلك بإصلاحات قضائية وإدارية جبارة، سبق بها عصره وتفردت بها حضرموت عن سائر البلدان المجاورة، كما أصلح القضاء وطوره وحافظ على تحكيم الشريعة، فإن له بصمة أخرى عظيمة هي رئاسة لجنة الشؤون الدينية والتي كان من مهامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ومراقبة الآداب الإسلامية،والدعوةإليها، والتنفير من كل مفسدة خلقية،والدعوة إلى السنة ومحاربة البدع في الدين) [1]، (فحاربت من البدع ما حاربت ونجحت ولاحقت من المفاسد الخلقية ما لاحقت وأصلحت) [2]،ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقيل على أصحاب الشهوات، ومحاربة البدع شديد على أرباب الهوى والشبهات،وإلغاء بعض ما في البدع والزيارات البدعية مضر بالسدنة ومن يجنون من ورائها أنواع الثمرات، وحرك إبليس جنده؛ فحوربت هذه اللجنة من قبل أشخاص لهم في البدع والمحافظة عليها قَدَمُ راسخ،أَوْلَهُم في طقوس هذه البدع مصالح مادية ومصالح روحية، بل إن لهم في البدع مصالح رهيبة، وهي في نفس الوقت تمثل المخدِّر العام للشعب كي ينصرف عنهم ولايلاحقهم في بدعهم وأهوائهم، وبالمحافظة عليها وباستمرارها سيكون الشعب

---

1 القضاء في حضرموت ص(183) .
2 المصدر السابق ص (183) .

متلهيا بها منصــرفاً إليهــا،غــير متطلع لمســتقبل، ولا عــابىء بحاضــر، كيف لا وهي تملأ أكــثر أيــام العــام، ولاتنتهي مناســبة بدعة حـتى تبـدأ مناسـبة جديـدة لأخـرى، ويتبع هـذه البـدع من المفاسد والمناكر والمحرمات مايندي له جبين الـدين ويتصـبب له عرقــاً وجه الأخلاق... بل وتتبعها مفاسد اجتماعية تصل إلى حد التفريق بين الزوج وزوجه، والابن وأبيه.

وما أكـثر البـدع اليـوم وما أكـثر مروِّجيها والمغشوشـين بها، وأشدها شؤماً وأكثرها لؤمـاً؛ هو بدعة مايسـمى بالزيـارات لما يؤتى فيها من المنكـرات، والصـد عـن دين الله بعبـادات أعمق جاهليـة؛ لأنها
باسم.[1] تقام وباسم الدين تتحدث. والزيـارات بدعة في الـدين، وبدعة في حضرموت،وبحسبك أن تعلم أنها لاتسـتند لسـند في العادات والتقاليد حضرمي أصيل.

وقـدكان للجنة الشـؤون الدينية في عهد السـلطان صـالح مع هذه البدعة بصـورة خاصـة،مواقف خاصـة،مما جعل السـلطان عليه - رحمة الله - اقتناعاً منه بمضـارها، يوقفها ويـأمر بإلغـاء طقوسـها ومراسـمها أيـاً كـانت، ولكن القـوم - هـداهم الله - وغفر لهم ولنا، أعلنوا عدم تمسـكهم بـدينهم إذا كـان يقف في طريق ما ألفـــوه، وأنت عليم بما يـــترتب على هـــذا من حكم شرعي) [2].

وقد أخبرني أحد معاصري الشيخ رحمه الله، أنه منع الحضرة الـتي كـانت تقـام عند القـبر الـذي تحت مسـجد عمر ويسـمى قبر"علوية" أيام وجوده في القضاء،وأقفل المكـان وعـزم على تـأجيره مسـتودعات أو نحو ذلـك،ولكنه لم يتمكن من تـأجيره، وإنما بقي مقفلاً مــــــدة طويلـــــة،ولكن بعد وفاته أعيد فتحه وأعيدت الحضرة التي تعمل له، وهاهو اليـوم وصـمة عـار على جبين المكلا وأهل المكلا، وبقعـة سـوداء يطالعها كل من يـزور هــذه المدينة من الغربــاء، فيحكم على أهلها الطيــبين محــبي الســـنة أنهم من المخـــرفين والخاضــعين لســـلطان الـــدجل والشــعوذة ولامنكر، بل المنكــرون كثــير ولكن من يســتجيب لهم؟؟

---

[1] كذا في الأصل.
[2] القضاء في حضرموت ص(183 – 184) .

كما أنه كان قد أبطل الحضرة التي كانت تقام في مسجد الروضة بالمكلا،وقد أعادها القبوريون هذه الأيام،وكما كان الشيخ رحمه الله عالماً وقاضياً ومصلحاً؛كان كذلك شاعراً وأديباً مرهف الحس قوي العارضة،وبعد عمر طويل قضاه في التعلم والتعليم والإصلاح،انتقل إلى رحمة ربه في يوم الاثنين السابع عشر من جمادى الثانية عام ألف وثلاثمائة وتسعة وتسعين للهجرة؛ رحمه الله رحمة واسعة، وقد ترجمه الأستاذ سعيد عوض باوزير في الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي[1].

(4) آثاره في محاربة القبورية:

كما سبق فإن للشيخ ثلاثة آثار في مواجهة القبورية وسيكون الكلام هنا عن اثنين منها، وأما الثالث فسأذكره مع قائمة المؤلفات المفردة لأهل حضرموت.

الأثر الأول: هو"رفع الخمار عن مثالب المزار"وهو عبارة عن رسالة صغيرة أجاب فيها فضيلته على سؤال من محب كما يقول؛بعد أن تردد في الإجابة عليه لما في زمانه من الانتكاس ثم عزم فأجاب وأجاد وبين أن المزار المعروف في الجهة، أي جهة حضرموت، محرم لأنه يشتمل على جملة من المفاسد العقدية والاخلاقية، وقد أورد جانباً من الأحاديث الناهية عن الابتداع وطبقها على هذه الزيارات، ثم ذكر أنواعاً من المفاسد الأخلاقية مثل الاختلاط بين الرجال والنساء والذي قد تصل نتائجه إلى الزنا وقد يحصل اللواط كذلك، مع ما فيها من الملاهي التي هي مقصد أكثر الزوار وليس مقصدهم الاعتبار وتذكر الموت، وقد شن حملة على من يحضرها من المتزيين بزي العلم مع سكوتهم على تلك المناكر وقال: (إنهم أشرار لا أخيار)، وأجاب على شبهة يطرحها البعض وهي: أن هناك خيراً في هذه الزيارات، مثل الموالد التي تقام فيها والمواعظ، فأبان أن الموالد هنا لا تكون مشروعة أصلاً، ولو فرض أنها سائغة لكان الواجب تنزيهها عن هذه الأماكن التي يظهر فيها الفساد عياناً، وعلى افتراض أن في ذلك شيئاً من الخير؛ فإنه قليل لايساوي ما فيها من الشر.

---

[1] الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص(181-183) تأليف سعيد عوض باوزير 1381هـ -1961م.

ثم ذكر داهية من دواهي المخرفين التي لقنوها العـوام وهي: اعتقـاد بعضـهم (أن من حضر سـبع مـرات عند قـبرٍ؛ على مثل تلك الحال فكأنما حج البيت الحرام) قال: (وهـذا عين المحـادة لله بل ربما كان كفر)[1].

وقد كانت عاطفة الشـيخ وغيرته بادية واضـحة، وحرقته على ما يفعل قومه قوية بـــارزة، فها هو يصل به الانفعـــال إلى أن يقول: (وبعض الجهلـة يوقِـف على مثل هـذه الجـرائم وقـائف، ويجعلها باسم المقام، ولاشك أن مثل هذا المقـام، مقـــام أئمة النار فيحـرم الوقف عليـه، وتحـرم الصــدقة، لكـون ذلك إعانة على المعصية، ولاتجوز الإعانة على مثل ذلـك، فمن أعـان فيه بشيء فهو من جملة العاصين الممقوتين)[2].

والرسالة لم تتعرض لبعض الأشـياء المهمة الحاصـلة في تلك الزيارات، ومنها الاعتقادات الباطلة والأعمـال الشـركية، وليس ذلك لأن الشـــيخ لايرى ذلك من المخالفــات ففي الأثر الثــاني سيظهر قوله فيها ولكن الذي يظهر أن الرسالة مبتورة أوضائع منها بعض الأوراق، ويشهد لذلك قول ابنه الشيخ "عبـــدالرحمن بكــــير "في خاتمة الرســـالة: (انتهى ما وجـــدناه بخط الوالد وبقلمـه، عليه رحمة اللـه، وربما كـان للموضـوع بقية فلنحتفظ بالموجود ولنبحث عن المفقود، وصـلى الله على سـيدنا محمد وآله وصحبه)[3].

أما الأثر الثاني: للشيخ بكير فهو " تطهير الفؤاد من سيء الإعتقاد "، وهي رسالة صغيرة لازالت مخطوطـة،اطلعت عليها بخط ابن المؤلف الشيخ عبد الرحمن عبد الله بكير،نسخها من خط والده، وفرغ من نسخها يوم (24) من شهر شعبان عـام (1391هـــ)، وقد كـان الشـــيخ عبد الله رحمه الله كتبها عـــام (1343هــ)، وتقع في حـوالي (40) صـفحة،بـدأها بعد المقدمة بتعريف الإيمــان ثم التأكيد على الإيمــان بالقضــاء والقــدر، ثم عنـــون (وجـــوب الاعتمـــاد على الله وحـــده) وأورد تحت هـــذا العنـوان الآيـات والأحـاديث الدالة على ذلـك،ثم ثنّى بــ(لايجـوز سؤال غير الله ولا دعاؤه) وأورد كذلك ما في الباب من الآيات والأحاديث واستمر على هذا المنوال يبرز العنـوان المناسب ثم

---

1 رفع الخمار ص(25- 26) .

2 المصدر السابق في نفس الموضع .

3 المصدرالسابق ص(32) .

يسوق تحته من الآيات والأحـاديث وكلام أهل العلم ويعلق على ذلك بما يناسبه، ومما يؤكد حرقته وغيرته على التوحيد والاتباع كثرة شكواه من المتزيين بـزي أهل العلم الـذين يـرون المنكر فلا ينكرونه، بل يشارك بعضهم فيه، والبعض الآخر يُـري العامة طريق الابتداع ويحثهم عليه.

وكان من عناوين هذه الرسالة غـير ما ذكـر: (من يتوكل على الله فهو حسبه)[1]، و(الاستعانة لا تكون إلا باللـه)[2]، و(دعـاء غـير الله شـرك)[3]، و(ألفـاظ شـركية تلفظها العامـة)[4]، و(اعتقـادات شركية تعتقـدها العامـة)[5]، و(يجب التحـذير من كل ما يجر إلى الشرك)[6]، و(وجوب تصحيح الاعتقاد وتصفية الباطن)[7]، واستمر متعرضـاً للعلمـاء المفتـونين، ثم انتقـل إلى البـدع وركز على بدعـة الحضرات التي تقام في المسـاجد وغيرهـا،وما يصـاحبها من دعوات شـركية مع السـماع الصـوفي واسـتخدام الـدفوف في المساجد، كما أخذ يكـرر العنـاوين الدالة على كفر وشـرك من يدعو غير اللـه وأن ذلك من الكفر الصـريح، كما فـرق بين التوسل والـدعاء، وذكر أن التوسل مشـروع عند أهل السـنة والجماعة كما جاء في الأحاديث الصـحيحة لكن ينبغي الـدخول من بابه)[8]، وبين دعاء غير الله الـذي عـبر عنه بأنه إحـداث دين لم يكن، ثم عاد ليقـرر أن المبتـدعين جهلة غـير مؤتمـنين على الشـريعة [9]، وبعـده تعـرض لبداية عبـادة الأصـنام وأنها كـانت بسبب الغلو في الصالحين، ثم عنـون (البـدع في الـدين ابتـداءً وسيلة من وسائل الشـرك انتهـاءاً)[10]، وهكـذا يمضي مع البـدع ليقـول: (نهي الإسـلام عن البـدع حسم لوسـائل الشـرك)[11]،

---

[1] تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد مخطوط ص(4).
[2] المصدر السابق ص(6) .
[3] المصدر السابق ص(7).
[4] المصدر السابق ص(8) .
[5] المصدر السابق ص(8) .
[6] المصدر السابق ص(9).
[7] المصدر السابق ص(9).
[8] المصدر السابق ص(16).
[9] المصدر السابق ص(18) .
[10] المصدر السابق ص(21) .
[11] المصدر السابق ص(22) .

و(جميع بدع القبور منافية للدين)[1]، ثم ذكر أن الفعل المفضي إلى المفسدة ممنوع،ثم يأتي للقوم من الباب الذي لايستطيعون سده فيقول: (مع الشيخ ابن حجر في بدع القبور)[2]، ومن المعلوم أن ابن حجر المكي هو عمدتهم في الفقه، وبعد ذلك يعنون: الصلاة عند القبور والوقف والنذر عليها أو لها)[3]، ويواصل تحت هذا العنوان النقل عن ابن حجر، ثم يحذر من الحلف بغير الله وأنه من الشرك أو الكفر به، ثم يتعرض لفعل الموالد عند القبور لإنه إذا منعت الصلاة عندها مع أن المصلي لا يقصد إلا الله وحده وإنما يخشى من أن يجره التبرك بذلك القبر إلى الشرك، فإن الموالد أولى من ذلك لإنها إنما أقيمت للتبرك بصاحب القبر وتعظيمه[4]، ثم يختم بنقد الزيارات القبورية وقد سبق تفصيل رأيه في ذلك عند الكلام على " رفع الخمار عن مثالب المزار "،ويطيل حتى ينهي الرسالة بذلك.

بقي شيءٌ لفت نظري وهو نقده على من نسب كثيراً من البدع القبورية للسيد علي بن محمد الحبشي،واعتباره غير راض عن ذلك لما عرف عنه من العلم والورع والتمسك بما كان عليه سلفه من علماء آل باعلوي بحضرموت،وهذا إحسان ظن من الشيخ بالسيد علي المذكور،ربما لأنه لم يطلع على كتاب "كنوز السعادة الأبدية " والذي جمعه أحد طلاب علي الحبشي من كلامه،والذي يحوي من الخرافات ما لامزيد عليه،وكذلك نقل بعض صور القبورية والعقائد الضالة على وجه الاستحسان،بل في معرض التعليم للناس والحث على تلك البدع والأعمال والعقائد.

ظني والله أعلم أن الشيخ عبد الله لو اطلع على هذا الكلام لغيّر رأيه، ولم يدافع هذا الدفاع الكبير عن علي حبشي والله أعلم.

المؤلفات المفردة في الرد على القبورية لعلماء حضرموت:

---

[1] تطهير الفؤاد ص(23) .
[2] تطهير الفؤاد ص(25) .
[3] المصدر السابق ص(29).
[4] المصدر السابق ص(32)

1) العلامة الشيخ محمد بن عمر العماري وله رسالتان في مواجهة القبورية إحداهما " فتوى حول الاستغاثة بغير الله " مطبوعة وهي رسالة قصيرة، والثانية رسالة بعنوان " دق بالمسمار على الضاربين بالطار أو نصيحة وإنذار " وموضوعها الاعتراض على السماع الصوفي أو مايسمى عندنا في حضرموت " الحضرات " في المساجد والمشاهد.

2) العلامة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بكير عضو هيئة الافتاء الشرعية، من المعاصرين حفظه الله وله رسالة بعنوان: " شن الحروب على مقبرة الشيخ يعقوب" وهي رسالة كان الباعث عليها الهجمة الوقحة التي شنها رجال ومسؤولو الجبهة القومية أيام حكمها على مقابر المسلمين ودكها للبناء عليها وتمرير الطرق فيها دون مبرر، وقد تعرض فيها للزيارات الشرعية والبدعية.

2)العلامة الشيخ الفقيه أبوبكر أحمد بن عبدالله الخطيب الأنصاري التريمي الحضرمي الشافعي المتوفى سنة (1356هـ)،له رسالة صغيرة اسمها: "نصيحة الإخوان عن إتيان السحرة والكهنة وأهل الجان " توجد ضمن مجموع فتاواه المسمى " الفتاوى النافعة في مسائل الأحوال الواقعة " جمع سالم بن حفيظ ابن عبدالله بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، من (301 – 321) من ذلك المجموع.

الفصــل الثـــاني

تعظيـــم القبور

وفـيـه ثـلاثة مباحث:

المـبحـث الأول
اعتقـادهم تعظيم قبور مخصوصة
وفيه ستة مطالب:

<u>المطـلب الأول</u>: اعتقــادهم تعظيـم وبركة مقـابر مخصوصة:

منذ أن بـــدأ المتصـــوفة تعلقهم بـــالقبور وقـــالوا قـــولتهم المشـهورة: (قـبر معـروف الكـرخي التريـاق المجـرب) وهم يتوسعون في الانحراف، ويتيهون في الضلال، ويضيفون الجديد من الـدجل والخرافـة، ينسـبون بهما الفضـائل والفواضل إلى قبـور أوليـائهم، فحينـاً تعم البركة مقـابر بأكملهـا، وحينـاً تخص قبوراً معينة، وهناك مقابر قد عممَّ قبورية اليمن البركات عليها وأعطوها القداسة والتعظيم.

فمن تلك المقابر مقـبرة المِسْـدَارة بقرية المخـادر محافظة إب، قـــال الجنـــدي في ترجمة علي بن أبي بكر التباعي: (وقـبره بمقـبرة المخـادر وتعـرف بالمسـدارة بخفض الميم بعد ألف ولام وســـكون الســـين المهملة وفتح الـــدال المهملة ثم ألف ثم راء مفتوحة ثم هـــاء، وهي من المقـــابر المشـهورة بالبركـة، إذ رأى بعض الصـالحين النـبي وهو في طرفها يزور، وجماعة يسألونه الشفاعة فقال هذا خاتمي ذمام على أهل المسدارة من النـار ولما كـان مستفيضـاً لم يكد أحد من أهل القرية ونواحيها يحب أن يقبر إلا فيها تعلقاً بهذا الأثـر)[1]، فـانظر إلى هــذه الرؤيا كيف أثــرت في النــاس فصــدقوها وعملوا بمقتضاها، حتى إن أهل تلك النواحي لا يقبرون إلا فيها.

ومنها مقبرة الكثيب الأبيض بأبين، قال اليـافعي: (وهو كثيب يزوره أهل تلك البلاد وما حولها من البلدان في كل سـنة

---

[1] السلوك (2/183) ، وطبقات الخواص ص(212) .

في وقت معلوم في رجب... ويقال في ذلك المكان قبور بعض الصالحين) [1].

وقد ذكره كذلك الجندي بشيء من البسط فقـال: (وقد تطلع النفوس إلى خـبر الكـثيب: أما الشـأن فيه فهو موضع في أبين عـــدن وهو أحد المواضع المباركة في اليمن على ما ذكر الثقة فيما رواه الـــرازي مقـــدم الـــذكر أن في اليمن أربعة مواضع مباركة بالاتفــاق منها الكـثيب الأبيض عند وادي يــرامس أرض أبين، ومنها الجنـد، ومنها زبيـد، ومنها نجـران،ولم يـزل النـاس ينتــابون الكـثيب لاسـيما في رجب ويجتمعــون فيه ليلة ســبع وعشرين من الشهر ويزعمون أنها سنة العلمـاء المتقـدمين [2]، سُئل بعض فقهاء تلك الناحية من المتأخرين هل يذكر شيئاً من فضـله؟ فقـال: لا أعلم إلا أني رأيت وسـمعت الإجمـاع منعقد على قصده وزيارته وما يكون مجاناً عن باطل). [3]

ومنها مقابر تـريم الثلاث: زنبـل، والفريـط، وأكـدر والتي يجمعها اسم شامل هو " بشار " للثلاث التُربَ، وهذه المقابر قد بلغ فيها الغلو مبلغاً لم تبلغه أي مقبرة أخـرى في اليمن، واسمع إلى فضلها من مؤرخ القوم وناشر منــاقبهم وفضـائلهم بغثها وسـمينها وعُجرها وبُجرها المـؤرخ الشـلي في مشرعه: (وأما مقابر مدينة تريم **فأعظمها وأحقها** بالتقديم مقـبرة " زَنْــبَل " بفتح الـزاي وسـكون النـون وفتح الموحـدة آخرها لام، وهي مقــبرة الســادة الأشــراف وفيها من العلمــاء العــاملين والأوليــاء والصــالحين ما لا يحصــى، وكــان الشــيخ عبـدالرحمن السـقاف يقـول:" فيها من أكـبر الأوليـاء أكـثر من عشــرة آلا ف وفيها ثمــانون قطبــاً من الأشــراف"، ونحو ذلك حكى عن الشيخ الولي سعد بن علي، ويقال أن فيها عصبة من الصحابة أرسلهم الصديق الأكـبر لقتـال أهل الـردة مع زيـاد بن عبيد [4] الأنصــاري فمــات كثــيرون منهم بــتريم ولم نعــرف قبورهم، لكن حكى عن الشيخ عبـدالرحمن السـقاف أنه قـال: إن قبــورهم شــرقى قــبر الأســتاذ الأعظم الفقيه المقـدم بنحو رمية حجر، وذلك بقرب مشهد العارف بالله أبي بكر باشميلة

---

[1] مرآة الجنان (4/ 354) .

[2] في الأصل. المتقدمون وهو خطأ .

[3] السلوك (2/ 615) .

[4] كذا في الأصل والمعروف زياد بن لبيد .

ونفعنا بهم، (وبالجملة) فهي بقعة تأرجت بطيب تربها وأشرقت أرضها بنور ربها.

(الثانية) مقبرة الفريط تصغير فرط وهو كما في القاموس: الجبل الصغير أو رأس الاكمة والعلم المستقيم يهتدي به جمعه أفرط وأفراط سميت باسم الجبل الذي بقربها وهى مقـبرة آل بافضل والخطباء وغـيرهم من مشـايخ تلك الجهـة، وفيها أيضـاً من العلماء والفضـلاء والأوليـاء ما لا يحصى وحكى عن الشـيخ عبـدالرحمن السـقاف أن فيها أكـثر من عشـرة آلاف ولى وقد شـــاهد كثـــير من أهل الكشف أن الرحمة أول ما تنـــزل من السماء على هذه المقبرة ثم تعم سائر الجهات.

وحكى عن عبدالرحمن السـقاف وحكـاه السـيد الجليل عبد [1] بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأســـتاذ الأعظم عن بعض مشـــايخه بمكة أنهما قـــالا: إن تحت الفريط الأحمر روضة من رياض الجنة، وحكى عن غير واحد من الأوليـاء أنه شـاهد نـوراً ساطعاً على قبـور الخطبـاء لاحقا بعنـان السـماء، وعن الشـيخ حسن الورع بن علي أنه قال: من نظر منـارة الجـامع والفريط حـــتى ســـفر [2] عليه لم يكتب عليه ذنب، وكـــان بعض الأوليـــاء العـــارفين يقـــول:من وقع ظل الفريط عليه لم تمسه النـــار؛ ولأجل هذا يحرص أهل البلـدان على أن تكـون مقـابرهم حـذاء الفريط المذكور حيث يقع ظله عليها.

(الثالثـة) مقـبرة أَكْـدَر بفتح الهمـزة وسـكون الكـاف وفتح المهملة فـــراء، وتســـمى هـــذه المقـــابر الثلاث "بشَّـــار" بفتح الموحـــدة وتشـــديد المعجمة آخـــره راء وهو اسم الواقـــف،لها وهذه المجنات مشهورة بالبركات في كل واحدة منها جم غفير من الأولياء العارفين ظاهرين ومستورين، من آل بصرى وجديد وعلـــوي، ومن آل بافضـــل، والخطبـــاء، وآل بـــاحرمي، وآل بامحسون، وآل بامروان،وآل باعيسى، وآل باعبيد، وغيرهم، إلا أن كثيرا منهم لا يعرف عين قبره بل ولا جهته؛ لأن المتقـدمين كـــانوا يجتنبـــون البنـــاء والكتابة على القبـــور وإنما استحســـنه المتـــأخرون لأمـــور منهـــا: أن يعـــرف الميت هل بُلي أو لا؟ لأن المشــــهور عنــــدهم أن الميت لا يبلى إلا بعد أربعين ســـنة أو

---

[1] كذا في الأصل.
[2] كذا في الأصل.

نحوها، ومنها أن يعرف صاحب القبر ليزار، ويتبرك بـه، ويـدفن عنـده أقاربـه، ونحو ذلك من المقاصد الحسـنة، وكـان الشـيخ محمد بن أفلح يقـول: مِنْ مسـجد عبد الله بن يمـاني إلى آخر زنبل كلها قبور، ومن ثم يقع لكثـير من المشـايخ أنه يخلع نعليه إذا جـاوز المسـجد المـذكور، وقد كـان كثـير من أهل الكشف يشاهدون البركات الظاهرة والأنوار البـاهرة في هـذه الجنـان، وشـــاهد غـــير واحد منهم أنهم على غاية من النعيم والنـــور الجسيم، ورأى جماعة رسول الله ﷺ يزورهم، وكذا الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهمـا، وحكي أن الشـيخ أبا سـعيد قـرأ سورة هود فلما بلغ قوله تعـالى: ﴿ **فمنهم شقي وسـعيد** ﴾ [1]، جعل يردد الآية ويتفكر،ثم قال يأهل القبـور ليت شـعري من الشقي منكم ومن السعيد؟ فأجابه الإمام العـارف بالله تعـالى أحمد بن محمد بافضل من قـــبره بقولـــه: أمض يا ســعيد في قراءتك ليس فينا شـــقي، وقيل إن الـــذي أجابه هو الشـــيخ مسعود بن يحيى باحرمي ولعل الواقعة تعددت.

وحكى عن الشـيخ الزاهد الـورع السـيد حسن بن علي،وكـان من أهل الكشف أنه قال: سأل رجل من أهل الفريط رجلاً من أهل زنبل عن أهل مقبرته فقال: خيلنا تحمل رجلنا، وسأله عن أهل مقبرته فقال: زنادقتنا[2] حشو جنتنا.

وللشيخ الإمام علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف:

وكم بدور بذاك الحي قـد بـرزت تـمــد زوارهـا من فيضها الزخـــر

وكم عز بيته الأسـرار قد غمـرت بفضـل هطـالـها الــزوار كالمــطر

وذات دن دنت ترمي يحس بـــها زوارهـــا في سـواد الليـل والسحـر

وذات أكدر للأكـــدار مجلية تشفى بمــرهمها الـزوار عـن ضـرر

وارجع إلى ذكر وتوحيد ومعرفـــة خصوا بها صفـوة صُفُّوا عـن الكـــدر

---

[1] هود (105) .

[2] زنادقتنا هنا ليس على أصلها المعروف عند العلماء ولكن المقصود الظرفاء والمهرّجون .

وامنحوا من عظيم الفضـل كم منح وكـم عطايا وكم جــود وكم غمــر
وكم حقائق توحيـد لها وهـبـوا وكـم جــواهـر أنــوار وكـم درر
وكم مواقيت أسـرار ومـعرفــة وكـم تماكـين تصريـف وكــم قـدر
شيوخـنا في بحار مـن حقائقــها قـد مكـنوا الـكل بالأسـرار والسـير
حظـوا وخصـوا بجاه لا يحـد لـه وسـع ولافضلهـم يحــصـى بمستـطر
رسوخ أقدامهـم يحكـي رواسـيها أسـود نهام تحمـي الـجـار عن ضـرر
بحـور علـم شمـوس في دياجـرها تهدي الضوائــل والسـلاك في السفـر
أئمة الديــن آل المصطفى فلهــم مـكارم عـدها يربـو علـى الزهــر
وراث طـه علـى التحقـيق أن لهم محـاسـن أدهشـت الـباب ذي الفـكر
أولو الصفا والوفا أجناد خالقهــم أولو العــبودة حـقاً صفـوة البشـر
هم عمدة الكون أحبار العلـوم بهـم باهـى المهيــمـن للأمـلاك في الخـبر
فلا مزيـد علـى مـدح الإله لهـم وذكـره فضلـهـم فـي الآي والسـور
فالقحـط عنا مـع البلوى يزال بهم أيضـاً وفي الـجـدب نسقي وابل المطر
وهـم بـدور لنا في كل مظلـمـة وهـم لنـا عمـدة في الـيسـر والعسر
قوم إلى الله طاروا عـن هياكلهـم حق دنـوا مـن رياض القـدس والقـدر
أهل التقى والنـقى طابت مغارسهم فأينعـت بثمــار القصـد والظفــر

فحسِّن الظن واعتمد يا أخـي بهـم كـي في مـعاد تفـز بالأمـن والوطـر
واقصـد رضى الله في الدنيا بحرمتهم لعـل تحـظـى بحـور الخلـد والظفـر

وقال الشيخ أبو بكر بن عبدالله العيدروس:

فـي جــنان بشـَّـــار خيامهـم قد طنبت والأخــدار
وكـم بـهـــا مـن أقمار[1] تـلألأت أنوارهــم بالأقـطـار

وقال: ولـم يــزل عــني الـكـد ر إلا إذا زرت آل أكـــــدر
وأهــل الفريـط المشتـــــهر وقبــر الشــــيخ المنــــور
العـيدروس بـحــر الــدرر ليـث الضراغيــم الغضــنفـر[2]

فانظر إلى هـذه الخصـائص والفضـائل وما جعل فيها من كرامـــات ينالها الـــزوار ويحصل عليها الراغبــون، أفلا يحمل ذلك ضــعاف العقــول على التعلق بهــذه المقــابر ومَنْ فيها واعتقــاد النفع والضر فيهم؟.

وغير مقابر تـريم هنـاك مقـابر أخـرى في حضـرموت مباركة مجربة - هكذا يزعمون -، يقول الشـلي: (والمقـابر المشـهورة في حضـرموت أربـع: مقـبرة تـريم، ومقـبرة شـبام، ومقـبرة الهجرين، ومقبرة الغيل الأسفل) [3].

المطلب الثاني: اعتقاد بركة قبور معينة بركة عامة:

لن أستطيع ولن يستطيع أي باحث حصر وإحصاء القبور الـتي أطُلِق عليها المـدح والثنـاء، ونسـبت إليها البركـات، وما يضئ منها من الأنوار، وما يفوح منها من الروائح العطرية والمسكية، وما يتحقق لزائرها من الأنس والارتبــاط، ثم نجــاح الحاجــات وتفريج الكربات، إن إحصاء ذلك أمر غير متيسر قطعاً ولكنــني سأكتفي بذكر بعض ذلك ومن أماكن متفرقة من اليمن.

---

[1] في الأصل "قمار".

[2] المشرع (1/146 – 148).

[3] المشرع(1/148).

وأول تلك الأماكن "زبيد" فقد ذُكر عن كثير ممن قُبِـرَ بها من الصـالحين الثنـاء على قـبره ونسـبة الكثـير من الفضـائل إليه، وأكثر ما ذكر من ذلك عن قبور بمقبرة "باب سهام "، ومقدمو تلك المقـبرة سـبعة نفـر، قـال الشـرجي في ترجمة إبـراهيم الفشلي: (وقُبره بمقبرة باب سـهام،من مدينة زبيد من القبـور المشـهورة المقصـودة للزيـارة والتـبرك، وهو أشـهر السـبعة الذين يعتقد أهل زبيد أن من زارهم سبعة أيـام متوالية قضـيت حاجته، وهم هذا الفقيه إبراهيم والشـيخ أحمد الصـياد، والفقيه عمر بن رشـيد، والشـيخ مـرزوق بن حسـن، والشـيخ علي بن أفلح، والشـــيخ علي المرتضـــى، وفي الســـابع اختلاف، فمن الناس من يجعله أحد بني عقامه ومنهم من يجعله الشيخ أحمد المعترض،ومنهم من يقول غير ذلك، والله أعلم) [1].

وقد نظم هؤلاء السبعة بعضهم فقال:

ببـاب سهـام سبعـة من مشايخ لقاصـدهـم ذخـر وكـنز لمقـلل

فيونـس إبراهيـم مرزوق جبرتي[2] وأفلـح صياد كـذا ابن الرضى علي

زيارتـهـم نجـح لكل حوائـج وفي الخلـد سكنى للـذى زار مقبل [3]

ولأن هـذه مفخـرة عند القـوم لمدينة زبيد قد تسـمو بها على غيرها من المدن لم يرتضِ أهل تريم ذلك، بل عارضوهم بــذكر ما في مقابر تريم من فضائل وفضلاء، قال الشلي بعد أن نقل تلك الأبيـات: (فعارضه الإمـام مبـدي العلـوم الغريبة والأخبـار العجيبة الشيخ على بن أبي بكر فقال:

تريـم بها منهـم ألوف عديـــدة بساحـة بـشار شموس الورى قـبل

زيـارة كـل منهـم صح أنهـا لما شئت مـن جلب ودفع تحصـل

وإن قيـل تريـاق ببغـداد جربا ففي ربـع بشار شـفا كل معضـل

---

[1] طبقات الخواص ص (45) .

[2] كذا في الأصل ولست أدري من يعني .

[3] المشـرع (1/148)وقد اختلفت بعض الأسـماء ولا أراه يضر إذ المقصـود إثبات العقائد الضالة في ذلك وليس تعيين الأسماء .

ويا حبـذا ذاك الفريــط وظلـه فكـم قد حوى من كامل السر منهل
فكـم معـدن كم مورد كم معظم وكـم حبر تحقيـق وشيـخ مـدلل
وبلـبل قلبـي نفـح مسك بزنبل بـها من كنـوز السر كم من مجـلل
وكـم جهبـذ فيـها بنوا كدر بها بـهم ينـزل الله الغـيوث لممحــل
فـلا تحتقرها رب أشعـث خـامل سمـا سره فضــلا على كل معضل) [1]

وإليك بعض القبـور المفـردة الـتي ذكـرت لها بعض البركـات والأسرار وتعلق بها الناس واعتقدوا فيها العقائد الضالة:

ومن مدنية زبيد أيضاً: قال الشرجي: (ومن ذلك رجل بمقبرة بــاب النخل يقــال له الـمُلَبّـك، بضم الميم وفتح اللام وتشــديد الباء الموحدة وآخره كاف، ما كان يعـرف ولا سـمعنا به إلا في هذا الزمان، ذكر رجل من عوام أهل زبيد أنه نبهه عليه إنســان وهو في المنام وقال له: إن صاحب هذا القـبر من الأوليـاء وإن من لازمه في حاجة قضـيت، وشـاع هـذا في أهل البلـد، حـتى صـــار لهم فيه معتقد عظيم، يزورونه ويتــبركون بـــه، لاســيما العوام والنساء فإنهم يخرجون في ذلك عن الحد) [2].

وكذلك يقول الشـرجي في ترجمة عثمـان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبـال: (وقـبره هنالك مشـهور يـزار ويتـبرك بـه)، ثم ترجم لولد له وقال في آخر ترجمته: (ودفن عند والــده وقــبره يــزار، ويتــبرك بــه، على تــربتهم أنس ظــاهر وبركــة) [3]، وفي ترجمةإسماعيل بن إبراهيم الجبرتي قال: (ودفن بمقــبرة بــاب سهام من مدينة زبيد، وله هنالك مشهد عظيم لم يكن في تلك المقبرة أعظم منه، عليه أثر النور والبركة ظاهر). [4]

نماذج من القبـور المعظّمــة في محافظة تعز:

---

[1] المشرع ص(1/ 148) .
[2] الطبقات ص (418).
[3] المصدر السابق ص (195) .
[4] المصدر السابق ص (106) .

قال الشـرجي في ترجمة أحمد بن علـوان: (ودفن في قريته قرية "يَفْرُس " بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الفـاء وضم الراء وآخره سين مهملة، وهي على نحو مرحلة من مدينة تعز، وقبره بها ظاهر معروف مقصود للزيـارة والتـبرك من الأمـاكن البعيدة لا سـيما في آخر جمعة من شـهر رجب، فـإن أهل تلك النواحي يقصدونه من كل موضع،أهل تعز وغـيرهم، ويخرجـون بالنساء والأولاد، وقرية الشيخ المذكور محترمـة، ومن اسـتجار بها لا يقدر أحد أن يناله بمكروه) [1].

وفي ترجمة الفقيه الإمـــام زيد بن عبدالله اليفـــاعي قـــال الشـرجي: (وقـبره بـالمقبرة القريبة من مدينة الجند مشـهور مقصود للزيارة والتبرك، قـال الجنـدي: " لم أرَ في اليمن تربة تتجـدد معرفتها ويكـثر زوارها كتربة الفقيه زيـد، ولا تكـاد تخلو تربته من زائر، وقلما قصدها ذو حاجة إلا قضيت حاجتـه، قـال: ولقد أخبرني جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب بأخبار يطـول شرحها في ذلك نفع الله به وبسلفه آمين ") [2].

قلت: هل يقصد الجندي أن ذلك متواتر بـالمعنى الاصـطلاحي إن كـان كـذلك فممن أخذ هـذا الجمـع؟ إنه في الغـالب عن جماعة من تجار الخرافة والكرامات.

وفي ترجمة أبي عبدالله محمد بن ظفر الشـــميري قـــال الجندي: (وقد بلغتُ تربته قاصداً للزيـارة، فـأقمت عنـده أيامـاً وإلى جنبه قـبر امرأته المـذكورة، قـال: وببركته لم تـزل تربته محترمة ما قصـدها أحد بســوء إلا خذله الله تعــالى، ولم أجد بتلك الناحية مزاراً أكثر من تربته قصداً للزيارة وقضاء الحوائج التي تطلب من الله تعالى وكثرة النـذور وغـير ذلـك، وفي ليلة الرغائب من شهر رجب يجتمع عنـدها خلق ناشر قـال: وتـراب تربةِ الفقيه يشم منه ريح المسك نفع الله به) [3].

قلت: أما رائحة المسك التي تكررت ولا تزال في تـرب كثـير من المقدسـين فإنها لعبة من لعب السـدنة، يصـبون الـروائح العطرية على الـتراب ليوهمـوا الـزوار بـأن ذلك من ريح التربة والقبر المقدس.

---

1 المصدر السابق ص (71) .
2 الطبقات ص (138).
3 السلوك (2/263) وانظر : طبقات الخواص (302) .

نماذج من قبـور إب:

منها قــبر الشــيخ علي بن عمر قــال الجنــدي في ترجمتــه: (وتربته من الــترب المشــهورة في البركة واســتجابة الــدعاء، ومن عجيب بركتها ما أخـــبرني بعض الثقـــات من أهل العناية والبحث عن أحــوال هــذا الرجل وأمثاله أنه كــان على قــبره شـجرة سـدر يتـبرك بها النـاس،ويأخذ أصـحاب الحمـوات من أوراقها يطلــون بها رؤوســهم فيــبرأون، واســتفاض ذلك في جهات كثيرة حتى كان يؤتى لذلك من الأمـاكن البعيـدة، ويُعْتمد في الأمراض الشديدة، ومن عادات أهل إب في غـالب الأعيـاد أن يحصل بينهم وبين أهل باديتهم حروب كثيرة كما هو متحقق فلا يألو من ظفر منهم بصاحبه غير مفكر بالأذية بقتل أو غيره، فحصل في بعض الأعيــاد حــرب انتصر بها أهل البادية فـانهزم أهل إب إلى الـــبيوت، ووصل أهل القرية إلى قـــريتهم ولم يطيقــوا دخولها فقــال بعض شــياطينهم اذهبــوا بنا إلى هــذه الشجرة التي يعبدونها، ولنعقرها عليهم فلا ينتفعـوا بها فنهـاهم العقلاء، وأسـرع إلى ذلك الجهلاء، فضـربوا العلبة بفـأس حـتى أوقعوها الأرض، وألقى الله بقلــوب أهل المدينة القــوة والأنفة فخرجوا مسرعين نحوهم فهزموهم هزيمة شنيعة وقتلـوا منهم جمعاً أولهم عاقر الشجرة، وحين وقع هبّروه بالسيوف تهبـــيراً عظيماً، وتعرف هذه التربة بتربة من سمع النـداء بالصـلاة عليه في الحرم ولم ير المنادي) [1].

ومنها قـبر محمد بن عبدالله الهمـداني بناحية السـحول، قـال في ترجمته الشــرجي: (وقــبره في الربــاط المــذكور مقصــود للزيارة واستنجاح الحوائج) [2].

ومنها قبر يحيى بن أبي الخير الإمام المشهور قـال الشـرجي في ترجمته: (وكانت وفاه الشيخ يحـيى بقرية ذي السـفال كما قدمنا سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقبره هنالك من القبور المشـهورة في اليمن المقصـودة للزيـارة والتـبرك واسـتنجاح الحــوائج، وله عند أهل الجبــال كافة مكانة عظيمــة، ولهم فيه معتقد حســن،ويــروون له كرامــات كثـيرة، ويتوجهــون به في

---

1 السلوك (1/356-357) .
2 الطبقات ص (319) .

مهماتـهم ويستغيثون به في ضـروراتهم،وهو كـذلك وفـوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به) [1].

من قبور لـحـج وأبين:

منها قبر الحسن علي بن الحسن الأصابي قـال الشـرجي في ترجمتـه: (تُـوفي سـنة سـبع وخمسـين وسـتمائة بقرية المحْفَد بفتح الميم والفـاء وسـكون الحـاء المهملة بينهما وآخـره دال مهملة، وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك بـه، ويوجد منه رائحة المسك خصوصاً ليلة الجمعة، ذكر ذلك الجندي رحمه الله).[2]

ومنها قـبر عبدالله بن علي بن حسن بن الشـيخ علي، قـال الشـلي: (ولقي ربه سـنة سـبع وثلاثين وألف في قرية الوهط الشهيرة، وقبره بها كالشمس وقت الظهيرة مقصود بالزيارات وقضاء الحاجات ونيل المطلوبـات ومن اسـتجار به نجا من جميع المخـاوف والـردى، وعمل الباشا محمد باشا على قـبره قبة عظيمة) [3].

من قبـور عـدن:

منها قـبر أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي الباطل الصريفي، قال الشرجي في ترجمته: (...حتى توفي بها - عدن – وتربته هنالك من الـترب المشـهورة المقصـودة للزيـارة والتبرك، ومن اسـتجار به لا يقـدر أحد أن يناله بمكـروه، ولأهل عدن فيه معتقد عظيم، وله عندهم محل جسيم، وهو فوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به) [4].

ومنها قبر الشيخ عبدالله بن أحمد العراقي، قال الشرجي في ترجمتـه: (ولأهل عـدن فيه معتقد حسـن، وله هنالك تربة معظمة) [5].

ومنها قـبر الشـيخ جـوهر بن عبـدال لـه، قـال الشـرجي في ترجمته: (وتربته هنالك من أكبر الـترب المشـهورة المقصـودة للزيارة والتبرك، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكـروه، ومن تعدى إلى ذلك عوقب عقوبة معجلة، وقد جرب ذلك غـير

---

1 المصدر السابق ص (365) .
2 المصدر السابق ص (213) .
3 المشرع (2/193) .
4 الطبقات ص (283) .
5 المصدر السابق ص (419) .

مــــرة، ولم أتحقق تــــاريخ وفاته - رحمه الله تعــــالى - ونفع به آمين)[1] .

من قبور شبوه:

قبر الشيخ محمد بن عمر الحباني(وهو يقع على مكان مرتفع في المقبرة الحبانية القديمـةفوق طين الجديـدة وبجانبية بعض أولاده وأحفاده وقبورهم منورة ومقصودة بالزيارة)[2] .

قــبر الشــيخ أبي بكر بن إســماعيل بن محمد بن عمر الحبــاني (وهو في مجــري الســيل في شــعب الشــقب، ويمر المــاء من حواليه دون أن يأخذ منه شــــيئاً، وقد كــــان أهل البلاد أيــــام الاستســقاء يتوســلون به إلى اللــه، ولا يــأتي الليل إلا ويــأتيهم الغيث بأذن الله، وقد حضرنا هذا مراراً ونحن صغار)[3] .

قــبر الفقيه علي بن محمد بن عمر الحبــاني صــاحب الحوطــه، قال المحضار: (ودفن بجوار المسجد وقد كانت علية قبة وانهد مت)[4]، وقــــال قبل ذلك (أخـــبرني الثقة من أهل الحوطة أن الســيد الصــوفي محسن ابن عبد الله بن عبد القــادر المحضــار صاحب مرخة جاء إلى الحوطة وكــان يزروها دائمــاً، وليلة دخل إليها بعد العشاء فقدم المسجد بعد أن خــرج المصــلون، وكــان جائعــاً ودق على التــابوت إلى أن خــرج إليه قــرص حــار ولحمه فأكل نصف القــرص واللحمــة، ومع الفجر جــاء أحد المشــايخ الكرام.. وقال للسيد محسن أعطني من عشاء الشيبة فأعطاه النصف الباقي)[5] .

من قبـور حضرموت:

ومنها قـــبر عبدالله بن شـــيخ العيـــدروس، قـــال الشـــلي في ترجمته: (وعمل عليه قبة حســنة البــاطن والظــاهر والنــور في أرجائها لائح وباهر)[6]، ومنها قبر الشيخ أبي بكر بن سالم، قــال الشـــلي في ترجمتـــه: (وتربته بها مشـــهورة كالشـــمس وسط النهار، تقصـده الـزوار من جميع الأقطـار، بـأنواع الأنـذار، ومن

---

[1] المصدر السابق ص (121) .

[2] ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان تـأليف السـيد محمد بن عبد الله بن محمد الحوت المحضار بدون تاريخ ولا سنةطبع .

[3] المصدر السابق ص (25 – 26)

[4] المصدر السابق ص(35)

[5] المصدر السابق ص(34) .

[6] المشرع (2/ 177) .

استجار بقبره المأنوس أمسى وهو محروس، لا يقدر أحد أن يناله ببؤس، وبني عليه قبة عالية البناء عظيمة القدر حساً ومعنى) [1]، ومنها في مدينة الشحر قبر شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم السقاف، قال الشلي: (ومشهده في الشحر مشهور وبالأنوار مغمور وبالزيارة معمور) [2]، ومنها قبر الفقيه المقدم، قال الشلي في ترجمته: (وقبر الأستاذ بمقبرة زنبل المشهورة،وبالزيارة والقراءة معمورة، وقبره بها كالبدر ليلة الكمال، وكالشمس وقت الزوال، مقصود بالزيارة من كل البلاد، ويهرع إليه عند النوائب من كل ناد، ويسعى الناس كل يوم لزيارته سعياً حثيثاً، ويستسقى به قديماً وحديثاً، وكان حفيده الشيخ الإمام عبدالله باعلوي كثير الزيارة له وينشد عنده:

يا دار إن غزالاً فيك هيمني لله درك ما تحويه يا دار

لو كنت أشكو إليها حسن ساكنها إذن رأيت بناء الدار ينهار

وكان يقول إذا رآه " كل الصيد في جوف الفراء "وكان الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد يزوره كثيراً وإذا رأى القبر الشريف قبله، فقيل له:كيف تقبله وأنت تنهى عن تقبيل القبور فقال ما صبرت عنه) [3].

قبور من نواحٍ مختلفة:

فمن كمران قبر الفقيه محمد بن الحسن بن عبدربه، قال الشرجي في ترجمته: (حتى توفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة، ودفن إلى جنب مسجده في الجزيرة المذكورة،وتربته هنالك من الترب المشهورة، مشهورة الفضل، وآثار الفقيه وبركته ظاهرة على ذلك الموضع المبارك، وهو مأوى لعباد الله الصالحين المختفين والظاهرين، وقد تقدم في ترجمه الشيخ أحمد الصياد ما يدل على ذلك نفع الله بهم أجمعين) [4].

---

[1] المصدر السابق (2/29).

[2] المصدر السابق (2 / 115) .

[3] المصدر السابق (2/10-11).

[4] الطبقات ص (278) .

ومن قبور بلاد الزيدية قبر الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم المعروف بأبي طير، قال الأكوع في ترجمته: (وقبره معروف يزار ويتبرك به،وقد اندفع عوام الناس يعتقدون فيه اعتقادات باطلة حتى أخرجوه من آدميته،كما ذكر الإمام الشوكاني في رسالته " الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" ص(12) جاء فيها ما يلي:
(وروي لنا أن بعض أهل جهات القبلة وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين رحمه الله فرآها وهي مسرجة بالشمع، والبخور ينفح في جوانبها، وعلى القبر الستور الفائقة فقال عند وصوله إلى الباب: أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين ") [1].

ومنها قبر الإمام يحيى بن حمزة بذمار، قال الإمام الشوكاني في ترجمته: (ومات في سنة 705 خمس وسبعمائة بمدينة ذمار ودفن بها وقبره الآن مشهور مزور، ومما شاع على الألسن أنه إذا دخل رجل يزوره ومعه شيء من الحديد لم تعمل فيه النار بعد ذلك، وقد جربت ذلك فلم يصح، وكذلك اشتهر أنه إذا دخل شيء من الحيات قبته مات من حينه) [2]، ونقل المعلق على الكتاب هذه الأبيات التي كتبت على قبته وهي:

نور النبوة والهدى المتهلهل أرسى كلاكله ولم يتحول
في قبة نصبت على خير الورى وأشرف في الفخار وأفضل
وعلى الإمامة والزعامة والندا والجود والمجد الأثيل الأكمل
وعلى السماحة والرجاحة والنهى وعلى المليك الأوحد المتطول
والعالم المتوحد المترهب المتعبد المتنفل المتبتل
يحيى بن حمزة نور آل محمد لب اللباب من النبي المرسل

---

[1] هجر العلم (2/743) .
[2] البدر الطالع (2/333) .

كشـاف كل عظيمة ومـلاذ كل ملمـة ورجـاء كل مؤمـــل
يـا زائـراً ترجو النجاة من الردى عن قـبره وضريحــه لا تعـدل
لذ بالضريح وقف به متضرعــاً واطلب رضاك من المهيمن واسئل
تحــيى بـكل فضيلة ووسيلـة وتـنال خـيراً مـن علو المنزل
شرفت ذمـار بقبر يحيى مثلمـا شرفـت مديـنة يثـرب بالمرسل
فليهنأ أهل ذمار حسن جـواره فيما مضى وكذاك في المستقبـل [1]

المطلب الثالث: اعتقـادهم اسـتجابة الـدعاء عند بعض القبور:

تقدم اعتقاد القوم في مقابر معلومة اعتقـاداً شـاملاً لها كما تقدم اعتقادهم في بعض القبور، وإسباغ الفضـائل عليها بـدون تخصيص نوع معين من الكرامات الـتي تـدرك لـديها، وفي هـذا المطلب أذكر إن شـاء الله بعض القبـور الـتي قيل أن الـدعاء عندها مسـتجاب،وما دام أن الأمر مخصـوص باسـتجابة الـدعاء فإنني سأقتصر على ذكر القـبر واسم صـاحبه مع المرجع فقط طلبـاً للاختصـار إلا ما رأيت في غـير إيـراد نص كلام المـترجم فائدة فإنني سأذكره.

فمن تلك القبور:

- قبر أبي الخير الشماحي بزبيد ذكره الشرجي [2].
- قــبر علي بن الحسن الأصــابي بــأبين (المحفــد) ذكــره الشرجي [3].
- وقبر محمد بن علي مولى الدويلة بتريم ذكره الشلي [4].

---

1 المصدر السابق (2/333).
2 الطبقات ص (84) .
3 المصدر السابق ص (213) .
4 المشرع (1/202).

- وقبر أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ ذكـره الشـلي [5].
- وقبر عبدالله با علوي ذكره الشلي [2].
- وقـبر عبد الله بن محمد بن علي صـاحب الشـبيكة بمكة ذكره الشلي [3].
- وقـبر عقيل بن عمر أبي المـواهب بالربـاط قـرب ظفـار ذكره الشلي [4].

- وقـبر محمد بن عبـدالرحمن السـقاف ذكـره الشـلي في كيفية زيارة مقابر تريم. [5].

المطلـب الرابـع: اعتقـادهم قضـاء الحـوائج لـدى بعض القبور:

ومن تلك الاعتقادات الباطلة التي يعتقـدها القبورية في قبـور أوليائهم أن صاحب الحاجة إذا لزم تلك القبـور قضـيت حاجتـه، وكأنها هي الواهبة لها أو الواسـطة فيهـا، وكلا الأمـرين مبـني على ولاية أصـحاب تلك القبـور وما أعطـوا من التصـرف في الكون والتوسط بين الله وبين خلقه في إعطاء ما ينفع الناس.
فمن تلك القبور قبر محمد بن عبدالله بن يحيى الهمداني،قال الشرجي في ترجمته: (وقبره بالرباط المذكور مقصود للزيـارة واستنجاح الحوائج) [6]، ومنها قـبر مـرزوق بن حسن الصـريفي، قال الشرجي: (قلما قصده ذو حاجة إلا وقضيت) [7]، ومنها قـبر الإمام زيد بن عبدالله اليفاعي، قـال الشـرجي: (ولا تكـاد تخلو تربته من زائر، وقلما قصدها ذو حاجة إلا قضـيت) [8]،ومنها قـبر صـاحبي عواجة محمد بن أبي بكر الحكمي ومحمد بن حسـين

---

[5] المصدر السابق (2/47-48) .
[2] المصدر السابق (2 / 73).
[3] المصدر السابق (2/201).
[4] المصدر السابق (2/205)
[5] المصدر السابق (1/149) .
[6] الطبقات ص (319) .
[7] المصدر السابق ص (339) .
[8] المصدر السابق ص (138).

البجلي، قال الشرجي في ترجمة البجلي: (وقبره بقرية عواجة إلى جنب قبرصـــاحبه الشـــيخ محمد الحكمي، تســـتنجح بهما الحوائج ويستنزل بهما القطـر) [1]، ومنها قـبر محمد العيـدروس بن عبدالله بن شـيخ بالهنـد، قـال الشـلي في ترجمتـه: (ومن زاره بحسن نية وســلامة طوية أعطي ســؤاله ونـــال مأموله ونوالـــه) [2]، ومنها قـــبر أبي الحسن على بن قاسم العيلف بن هيش بن عمر بن نافع الحكمي،قـال الشـرجي: (يـروى أنه من قرأ عند قبره سورة ياسـين إحـدى وأربعين مـرة لم يقطع بين ذلك بكلام قضيت حاجته كائنة ما كـانت، وقد جـربتُ ذلك وصح والحمد لله على ذلــك) [3]، ومنها قــبر أبي الحسن علي بن عبد الملك بن أفلح، قال الشرجي في ترجمته: (وقبره بمقبرة باب ســهام من القبــور المشــهورة المقصــودة للزيــارة والتــبرك واستنجاح الحوائج والمطالب) [4]، ومنها قـبر أبي بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري، قال الشرجي في ترجمتـه: (وقـبره هنالك مشهور يزار ويتبرك بـه، ويـروى أن من قـرأ عند قـبره سـورة ياسين (إحدى وأربعين) مرة قضـيت حاجته كائنة ما كـانت وقد جرب ذلك وصح)[5]، ومنها قبر القاضي أحمد بن محمد باعيسى، قـــال الشـــلي وهو يتحـــدث عن كيفية زيـــارة مقـــابر تـــريم: (كالقاضي أحمد بن محمد بن محمد باعيسى حكي عنه أنه قال: من زارني بنية صادقة وطلب حاجة ضمنت له قضـاءها أو كما قال) [6].

المطلب الخامس: اعتقادهم أن بعض القبور أمان للخائفين:

من القضـايا المسـلَّمة عند القـوم أن بعض من ينسـبون إلى الصلاح تظل مقـابرهم محترمة مبجلة يـأمن فيها الملتجئ إليها ســواء كــان محقــاً في التجائه أو مبطلاً، وســواء كــان طالبه والبـاحث عنه محقـاً أو مبطلاً، مـادام الاثنـان مؤمـنين بقداسة تلك البقعة، معتقدين لولاية صـاحبها وكراماته الـتي فيها تـأمين

---

1 المصدر السابق ص(269).
2 المشرع (1/186).
3 الطبقات ص (208) .
4 المصدر السابق ص (209) .
5 المصدر السابق ص (378) .
6 المشرع (1/149) .

اللاجــئين إليــه، ولكن عنــدما يــأتي من لا يــؤمن بقداسة ذلك المحل خصوصــاً الطــالبين ولا يعتقــدون ما يعتقــده عامة الأمة فيه فإنه لا يحصل شيء من ذلـك، فـابن علـوان وأبو الغيث بن جميل والعيدروس وعلي بن حسن العطاس وغيرهم كثــير قيل في تــراجمهم أن تــربتهم مــأوى اللاجــئين وأمــان الخــائفين من التجأ إليها أمن ومن تعـــدّى عليها عوجل بالعقوبـــة، ويحكـــون حكايـات كثـيرة فمنها وقـائع وقعت لمن تعـدى على حرمة تلك الترب حتى قالوا إن علي بن حسن العطاس يحمي الناس من شهر ربيع الأول ولو قبل الوصول إلى مشهده، وذلك بـأن يقتل من أقارب المعتدي بعـدد الأيـام الـتي مضت من الشـهر، فـإن مضى يومان وحصل الاعتداء قتل اثنان وإن كان في الرابع منه قتل أربعة وهكذا [1].

إذن فــالأمر محقق عند القــوم بينما نجد أن هنـاك اعتـداءات (بحسب تعبــيرهم) ســافرة وقعت لا على الملتجــئين إليهم بل عليهم أنفســـهم فلم يـــدفعوا عن أنفســـهم ولم يحصل على الجاني أي شيء فما السر؟.

السر والله أعلم عدة أمور:

الأمر الأول: الحالة النفســية لأولئك المتعلقين فهم عنــدهم الاستعداد النفسي لقبول أي شيء من قبل هذه القبــور، وهــذا يضــعف المقاومة ويهــيئ الســبيل لوقــوع تلك الأحــوال الــتي يعــدونها عقوبـات لمنتهك حرمة ذلك المقـام، وهـذا أمر شـائع ومعــروف،فــالمجتمع الــذي يكـثر الحــديث عن الجن ويســرد القصص الكثــيرة يصــيبه من أذى الجن مــالا يصــيب المجتمع المُعْرِض عن ذلك الــذي لا يلتفت إليــه، وكــذلك قل في العين والطيرة ونحو ذلك ولعل القـرآن أشـار إلى ذلك في قـول الله تعالى: ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعـوذون برجـال من الجن فـــزادوهم رهقـــاً** ﴾ [2]، فحينما وجد الجن ذلك الضعف من الإنس نحوهم زادوا من أذيتهم.

والأمر الثاني: وجود خدم لبعض الأضرحة من الجن هم كما صـرحوا هم بـذلك وسـيأتي بيـان هـذا في موضع آخر إن شـاء الله.

---

[1] انظر: تاج الأعراس (1/209).

[2] الجــن (6) .

والأمر الثالث: حيل السدنة ومكرهم ودهاؤهم الذي يجعلهم يفعلون أفعالاً بطرق خفية وملتوية يتـوهم من لا يعـرف حقيقة الحال أن تلك الأفعـال صـادرة عن الـولي بينما هي من أفعـال السدنة.

والأمر الرابـع: وجـود فئـات من القبائل تـرى أنها ملتزمة لذلك الـولي وذريته وأن حمايته وحماية ذريته واللائـذين به من واجباتهم، فهم يقومون بالانتقـام ممن أخفر ذمة ذلك الـولي أو أحد ذريته أو محبيه اللائـذين بـه، فيقومـون بـذلك طبيعيـاً ثم يشاع أنه عقوبة من الولي، بينما نجد أن الـذين لا يفكـرون في تلك العقوبـات والتصـرفات المنسـوبة إلى الـولي لا يضـرهم شيء، فالجيش النجـدي الموحَّد المتوكل على الله حين هـاجم حضـرموت ضـرب تلك القبب وأزال توابيتها وسـواها كما أمر الرسـول ﷺ فلم يحصل عليهم شـيء، ولم ينتقم منهم أولئك الأولياء بشيء بل عـادوا إلى بلادهم سـالمين وإن حصل عليهم هزيمة في معركة ما فشـأن الحـروب فر وكر ونصر وهزيمة والعاقبة للمتقين.

وكذلك ما فعله الإمام أحمد بن يحيى حميد الـدين بقـبري ابن علوان وابن العجيل وغيرهما لم يصبه من أثـره شـيء، وأوضح من ذلك وأقـرب ما فعله الشـباب المحتسب بعد حـرب الانفصال (ربيع الأول 1415هـ) من تسوية القبور المعظمة في عدن ومنها قبر العيدروس لم ينتج عنه شيء عليهم، وهـذا كله دليل على بطلان تلك المزاعم وعلى صحة التفسير الذي تقدم والله أعلم.

ومن تلك القبـور، قـبر عيسى بن إقبـال الهتـار، قـال عنه الشـرجي: (ودفن بقرية التريبة بضم التـاء المثنـاة من فـوق تصغير تربة، قرية من قرى الـوادي زبيد وقـبره هنالك مشـهور يقصد للزيارة والتبرك من الأمـاكن البعيـدة، ومن اسـتجار به لا يقـدر أحد أن يتعـرض له بمكـروه، ومن تعـدَّى ذلك عوجل بالعقوبة والقرية كلها محترمة ببركتـه) [1]، ومنها قـبر أبي الغيث بن جميل، قال الشرجي: (ودفن بقريته بيت عطاء المشـهورة، وتربته هنالك من الـترب المشـهورة المعظمة قـلَّ أن يوجد لها نظير في اليمن، لا تكاد تنقطع من الـزوار من كل ناحيـة، ومن

---

[1] الطبقات ص(251).

استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه من أهل الدولة والعرب وغــيرهم) [1]، ومنها قــبر أحمد بن عجيــل، قــال الشــرجي في ترجمتــه: (ومن اســتجار به ســلم من جميع المخــاوف بل مَنْ وصل إلى قريته لم يقــدر أحد أن يتعــرض له بمكــروه، وليس للملوك وغيرهم على أهل قريته تصرف ولا ولاية كما في سائر القــرى كل ذلك ببركتــه) [2]، ومنها قــبر أحمد بن علــوان،قــال الشــرجي في ترجمتــه:(وقرية الشــيخ المــذكور محترمــة،ومن استجار بها لايقدر أحد أن يناله بمكروه)[3]، ومنها قبر سفيان بن عبدالله الأبيني، قال الشــرجي في ترجمتــه: (وتربته هنالك من الترب المشهورة المقصودة للزيارة والتــبرك، ومن اســتجار به لا يقــدر أحد أن يناله بمكــروه أبــداً، ومن تعــدَّى شــيئاً من ذلك عوقب أشد العقوبة من غير إمهال، وقد جرب ذلك غــير مــرة) [4]، ومن تلك القبور في عــدن قــبر محمد بن عبدالله الصــريفي، قــال الشــرجي في ترجمتــه:(ومن اســتجار به لا يقــدر أحد أن يناله بمكــروه، ولأهل عــدن فيه معتقد عظيم وله عنــدهم محل جسـيم وهو فـوق ذلك رحمه الله تعـالى ونفع بـه) [5]، ومنها في حضـرموت قبة عبدالله بن شـيخ العيـدروس، قـال الشـلي في ترجمة سقاف العيـدروس: (ودفن بقبة جـده عبدالله بن شـيخ، وقبره مشهور عند الناس، ومن اسـتجار به أمن من كل بـأس) [6]، ومنها كذلك قـبر الشـيخ أبي بكر بن سـالم صـاحب عينـات، قال الشلي في ترجمته: (ومن استجار بقـبره المـأنوس أمسى وهو محروس لا يقدر أحد أن يناله ببؤس)[7]، ومنها قــبر علي بن حسن العطــاس، بالمشــهد بحضــرموت، قــال صــاحب " تــاج الأعراس " ضمن حكاية سـاقها: (قلت: وقـول الحـبيب هـادون لجـده الحـبيب علي "وهز الـرمح " لما اشـتهر من أن الحـبيب علي كـان يلقب بـأبي حربـة، وسـبب تلقيبه بـذلك أنها تـواترت الأخبار من المعادين للحبيب علي في حياته وأهل الجــرأة على

---

1 المصدر السابق ص (410).
2 المصدر السابق ص (63) .
3 المصدر السابق ص(71).
4 المصدر السابق ص(149) .
5 المصدر السابق ص (283) .
6 المشرع (2/139-140).
7 المصدر السابق (2/29) .

مقـــام المشـــهد بعد وفاته أنهم يرونه في منامـــاتهم يطعنهم بحربته فيخبرون قراباتهم بذلك موقـنين بـالموت ويموتـون في الحــال بـــإذن الله القائـــل: "**من آذى لي وليــاً فقد آذنته بــالحرب** "،لا سـيما الــذين يعتــدون على غــيرهم في شــهر المشـهد أي ربيع الأول؛لأن الحـبيب علي قد جعله عُرضة بضم العين أي أمانــاً مؤبــداً في كل ســنة...الخ) [1]، فهــذه عــدد من الأمثلة على ذلك الاعتقاد من مواطن مختلفة من اليمن.

المطلب الســـــادس: اعتقـــــادهم بعض القبــــور متخصصة في قضاء حاجات معينة:

للناس عند زياراتهم لبعض القبور حاجات كثيرة يستغيثون بها من أجل الحصول على الولد والاستسقاء والاستشفاء وسيأتي ذلك تفصيلاً في السطور التالية:.

<u>الحصول على الولد</u>:

سبق في فروع الاعتقـاد بتصـرف الأوليـاء في الكـون أن من النــاس من يعتقد بــأن فلانــاً يعطي الولــد، وذكرنا هنــاك أمثلة لــذلك وبعض القبــور الــتي يعتقد ذلك في أصــحابها، ومن تلك القبور قبر الشيخ القرشي في مقبرة الفريط بـتريم حـتى أنهم يسمونه صاحب الذرية، وليس الأمر مجرد دعاء عند قــبره ذلك ولكن فقط وضع " حصاة " عند القبر [2].

<u>الاستسقــــاء:</u>

كذلك مرَّ في فروع عقيدة التصرف في الكون أنهم يعتقــدون في بعض الأولياء، أنهم ينزلون الغيث وذكرنا أمثلة على ذلك.

ومن القبور التي ذكرناها هناك قبر الشيخ جنيد باوزير صاحب النقعــــة، وذكرنا قصة علي بن جعفر العطـــــاس وقوله لأهل حريضـة: با نجيكم بسـيل من عند الشـيخ جنيد بـاوزير إن شـاء الله [3]، كما ذكرت قصة باسليمان واعتماده على الشــيخ ســعيد

---

[1] ? تاج الأعراس (1/208-209) .
[2] انظر : ص (239-241).
[3] انظر : ص (243).

بن عيسى العمـــودي في إنـــزال الغيث [1]، وذكر الجنـــدي في ترجمة الشـيخ أبي بكر بن أكـدر قـال: (أخـبرني الثقة من أهل تلك الناحية أنهما يزاران ومـتى عطش أهل حضـرموت واشـتد بهم الجهد وصـــلوا قبرهما واستســـقوا بهما فما يلبثـــون أن يسقوا) [2].

الاستشـــفاء:

سـبق أيضـاً في فـروع عقيـدة التصـرف بعض الأمثلة في الاستشفاء، نضيف هنا أمثلة أخرى منها ما ذكره صاحب تـذكير النــاس: (قــال ســيدي: ولما خــرج الحــبيب أحمد بن محمد المحضار من دوعن، لزيـارة تـريم وعينـات، ووادي ابن راشـد، بـات ليلة بـذي أصبح عند السـادة آل البحـر، فاشـتدت الحمى بابنه محمد، حتى غاب عن إحساسه، فأشفق عليه والده منهـا، فخـرج ليلاً إلى ضـريح الحـبيب حسن ابن صـالح، وكـان شـيخ فتحه، ووقف تجاهه، وقال: وعزة المعبود، إن لم تذهب الحمى من ولـدي محمد لأصـبح في خشـامر، عند بن علي جـابر، فلما كان آخر الليـل، عـرق ابنه محمد وخـرجت منه الحمى، وطلب الأكل، وأصبح:كأنما[3] نشط من عقال، وسرحوا من يومهم) [4].

ومنها ما قاله عبـــدالقادر العيـــدروس: (... وذلك أن بعض الأصحاب من أهل حضرموت أهدى لي طيباً فقلت: هلا أهديت لي من تـراب قـبر سـيدي الشـيخ سـعد بن علي ؟ فـإنَّ ذلك عندي من أشرف الهدايا، وأفخر أنـواع الطيب، ثم أنشـدت في هذا المعنى:

سألت العرفا عن طب دائي فقالوا تراب ذلك الجناب الأقدس
على الخبير سقطت فاغنم داؤك وربي إنه دريـــاق أنـْفَـسُ
داوني يا سـعد وأدرك قبل تِلافي وحقك أنـني لـك عبد أكيـسُ

---

1 انظر : ص (244).
2 السلوك (1/462) .
3 في الأصل (كما نما).
4 تذكير الناس ص (220) .

فأرسل إليَّ من العـــام القابل قليلاً من تـــراب ذلك الضـــريح الشريف في قارورة زجاج ولله الحمد...) [1].

وقد جـاء في ترجمة عمر المحضـار: (مـات وهو سـاجد في صلاة الظهر، يوم الاثنين ثاني عشرة في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وقـبره بـتريم يـزار ويتـبرك بـه، تريـاق مجرب يعرف استجابة الدعاء وكذلك مسجده) [2].

المبـــحث الثــاني

ظاهــرة البنـــاء على القبور وإســراجها وإلباسها

وفيه خمســـة مطالب:

المطلب الأول: القبور المعظمة الثابتة لأصحابها:

أقصد بهذا المطلب إعطـاء صـورة تقريبية للحالة الـتي وصل إليها القــوم من نشر لمظــاهر القبورية على الــرغم من النهي الصــحيح الصــريح عن البنـــاء على القبـــور واتخاذها مســـاجد وإسراجها والكتابة عليها ورفعها وإنارتها...الخ، وقد مرّ ذلك كله في الباب التمهيدي.

---

1 النور السافر ص(427) .

2 شرح العينية ص(195) ، والغرر ص (198) .

ومع ذلك النهي وتقريره في كتب علماء الإسلام ومنهم علماء الشافعية والهادوية الذين صرحوا إما بالتحريم أو بالكراهــة، بل إن ابن حجر المكي -وهو عمــدة علمــاء اليمن الشــافعية في الفقه- عدَّ ذلك كله من كبائر الذنوب،ولو أنني فصّلت في هــذا المطلب وتتبعت جميع القبور المعظّمة لطال جداً بل لاستغرق مجلـداً كـاملاً، ولكن الأمر لا يحتـاج إلى حشد الكثـير من الأدلة لظهور ذلك للعيان واستطاعة كل إنسان أن يرى تلك المشاهد والقبـاب والقبـور المجصصة والشـواهد الكبـيرة ذات الكتابـات الواضـحة الحاملة لمنـاقب ومزايا أصـحابها في كل مكـان، فما من مدينة أو قرية في اليمن إلا ولها نصــــيب من ذلك يقل أو يكـثر وكلما كـانت المدينة أعـرق في التصـوف والتشـيع كـان حظها أكـبر كزبيد وعـدن وتـريم والشـحر وصـعدة وغيرها من المدن والقرى على امتداد الساحة اليمنية.

وحتى يسهل الوقوف على ذلك سوف أستعرض ذلك محافظةً محافظة وليس من شرطي الاستقصـاء والإحاطة وإنما إعطـاء فكرة فقط كيفما تيسر.

محافظتي الحديدة وزبيد:

وأبدأ من حيث بدأت القبورية وانتشرت وفاقت غيرها وسبقت سـواها سـبقاً زمنيـاً وسـبقاً من حيث الكـثرة والكثافة من " تهامة "،وسـأذكر الأسـماء فقط دون أي إعتبـار للـترتيب لا من حيث الـزمن ولا من حيث المكـان ولا حـتى من حيث تـرتيب الأسماء على حسب الحروف:

- (أحمد بن موسى بن عجيل / بيت الفقيه) - (إبراهيم بن علي الفشلي/ زبيد)
- (أحمد بن محمد الرديـــني / قرية عـــازب الحلى) -(أحمد بن عمر الــزيلعي / اللحيــة) - (إسـماعيل بن محمد الحضــرمي / الضَّحِى) -(أحمد بن أبي بكر الرداد / زبيد)
- (بكر بن محمد بن حسن بن مرزوق / زبيـد) - (إسـماعيل بن إبراهيم الجبرتي / زبيد)
- (ســليمان بن أبي القاسم الهــاجري / المهجم) - (ســعد بن محمد العرضي/بيت حسين)
- (طلحة بن عيسى الهتــــار / التريبـــــة) - (علي بن عبدالله الطواشي / حلى)

- (علي بن محمد المعـروف بـابن الغـريب / قرية السـلامة) - (علي بن المرتضى الحضرمي / زبيـد) - (علي بن الحسـين بن رطاس / زبيد) - (عمر بن محمد بن رشيد / زبيـد) - (محمد بن أبي بكر الحكمي / عواجـــــة) - (محمد بن حســـــين البجلي / عواجـة) - (محمد بن عمر بن حُشَـيبر / بيت الفقيـه) (محمد بن يعقـــوب أبو حربة / وادي مـــدرر) - (أحمد بن أبي بكر بن يحـــيى المســـاوى /حـــرض) - (علي بن أبي بكر الأجحف / الحرجـــة) - (عثمـــان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبـــال / القــــرتب) - (مسعود بن عبدالله الحبشي / رمع)
- (أحمد بن عبدالله بن أحمد الصـريدح / المدالهـه) - (أحمد بن أبي الخير الشماحي / زبيد)
- (عثمـان بن هاشم الحجـري / بيت حسـين) - (محمد بن عمر النهاري / سهام)
- (أبو القاسم بن عثمان بن أبي القاسم / القــرتب) - (علي بن قاسم العليف الحكمي/ زبيد)
- (علي بن عبـدالملك بن أفلح / زبيـد) - (علي بن نـوح بن علي الأبوي / زبيد)
- (علي بن أبي بكر بن شداد / زبيد) - (عيسى بن إقبال الهتــار / التريبة)
- (عيسى بن حجاج العامري / بيت حسين) - (عيسى بن مطـير الحكمي/ بيت حسين)
- (محمد بن عبدالله الحقيص / زبيـد) - (محمد بن إبــراهيم بن دحمان / زبيد)
- (محمد بن عمر بن محمد بن شـــوعان / زبيـــد) - (محمد بن أبي بكر الزوقرى / زبيد)
- (محمد بن أبي بكر بن شـــييح / العامريـــة) - (محمد بن أحمد الزجاجي / زبيد)
- (مفتاح بن عبدالله الأسدي / بيت مفتـاح) - (مهـدي بن محمد المنسكي / المهجم) - (يوسف بن علي الأشكل / وادي سردد) - (محمدبن أبي بكرالأشكل/وادي سردد)
- (أبو بكر بن عيسى بن عثمــان الأشــعري / زبيــد) - (يوسف بن عمر المعتب/ حد القحرية)

- (أبو بكر محمد بن حسان المضري / التحيتا) - (أحمد الجنـدح / المثينة)
-(أبو القاسم بن محمد السهامي/ زبيد) - (عبلة ورزم / زبيـد)
- (رجل يقال له ابن سيرين / زبيد) - (الشيخ البكاء / زبيد)
- (أبوبكر السلاسلي / القرتب) - (الملبـك /زبـيد)
- (محمد بن يوسف الضـجاعي / وادي رمح) - (الصـديق بربش/زبيد)
- (محمد بن عبدالله المـؤذن / قرية الغصن من وادي مـور) - (محمد بن مهنا القرشي / وادي مور)
- (محمد بن إسـماعيل المكـدش / قرية الأنفة وادي سـهام) - (محمد بن مهنا الشريف / قرية البرزة)
- (محمد بن أبي مليكه / وادي سـردد) - (مـرزوق بن حسن الصريفي / زبيد)
- (أبـوبكر بن محمد بن علي الجنـدح / حيس) - (أبـوبكر بن محمد الحداد / زبيد)
- (الفيروزآبـادي صـاحب القـاموس / زبيـد) - (أبو الغيث بن جميل / بيت عطاء)
- (قراء ياسين العشرة / زبيد) - (الشيخ يونس / زبيد)
- (الحجب / التربية) - (عمر بن أبي القاسم الخزان / القطيع)
- (الشـيخ صـديق / الحديـدة) - (علي بن عمر الأهـدل / المراوعة)
- (الساكت / القطـيع) - (المقدم / القطيع)
- (حباك الماء/ التريـبة) - (أحمر العين / المنيرة)
- (الشيخ أدهل / الزيدية) - (حامي الحمى / القناوس)
- (سود بن الكميث / الفاشق) - (طاهر أبو الغيث / حرض)

محافظة تعـز:
- (أبو العبـاس أحمد بن محمد الصـبعي / سـهفنه) - (محمد بن عبدالله بن الخطيب / موزع)
- (عبـدالملك بن محمد بن أبي ميسـرة اليـافعي / الجـوه) - (السروي / منطقة جبا)

- (أحمد بن محمد الشـــــكيل / المخلاف) - (أحمد بن محمد الجماعي / سهفنه)
- (عبدالرحمن بن عقيل بن محمد صاحب المخا / المخا) -
- (الواسطي / الجند) - (محمد بن ظفر الشميرى/ الجند)
- (أبو السرور بن إبراهيم / الدملوة) - (الشـيخ سـلمان / حبيل سلمان تعز)
- (عفيف الـدين سـليمان بن عمر / تعـز) - (أحمد بن علـوان / يفرس)
- (زيد بن عبدالله اليفاعي / الجنـد) - (علي بن أحمد الرميمة / صبر تعز)
- (علي بن عمر الشـاذلي / المخـا) - (عمر بن عبـدالرحمن / صاحب الحراء)
- (أحمد بن محمد الضـــبعي / ســـهفنه) - (محمد بن عبدالله الخطيب / موزع)
- (أبوبكرمحمد بن ناصر الحميري/ الذنينتين قرب الجند) - (الحساني / جبل حيشي) - (عبدالله بن محمد العباس الحجاجي الشاكري / الجند) - (ابن ردمان / الصراهم) - (علي بن يوسف صاحب المجرية/ جبل شمير).

محافظـــة إب:

- (الحسين بن محمد بن الحسين السحولي / السحول) - (عمر بن عبدالرحمن بن حسان / الذهوب)
- (أبو موسى عمران الصـوفي / جبلـة) - (يحـيى بن أبي الخـير العمراني / ذي السفال)
- (علي بن أبي بكر التبـــاعي / المخـــادر) - (عمر بن ســـعيد الهمداني / ذي عقب)

محافظة لحج والضالع:

- (عبدالله بن علي بن حسن بن الشـــــــيخ / الوهط لحج) - (سفيان بن عبدالله / سفيان لحج)
- (عبدالله بن حسن الجـوهري / المحلة لحج) - (عمر بن علي/ الوهط)
- (حسن البحر / الحمراء لحج) - (طهرور / قرية طهرور)

- (بهية بنت موسى / عيديد لحج) - (موسى بن حســــــين / الجفاية لحج)
- (مزاحـــم / لحج) - (سعيد بن عيسى / مقيبرة لحج)
- (علي بن زين/ الشـــرج) - (عبدالله بن حسن الجــــوهري / المحلــة)

محافظات عدن وأبين وشبوة:
- (ريحان بن عبدالله العدني / عدن) -(علي بن حسن الأصــابي / المحفد أبين)
- (عبدالله بن محمد بن عبدويه / كمـــــــران) - (أحمد بن علي الحرازي / عدن)
- (أحمد بن محمد بامعبد / رضــــوم شـــبوة) - (محمد بامعبد / عين بامعبد / شبوة)
- (جـــوهر بن عبدالله الصـــوفي / عـــدن) - (علي بن أحمد بن قيدار القريضي / عدن)
- (أبو بكر بن عبدالله العيدروس / عدن) - (أبان بن عثمــان بن عفان / عدن) [1]
- (العثماني / الشيخ عثمان عدن) - (الهاشمي / الشـيخ عثمـان عدن)

محافظة حضرموت:

هي أكبر المحافظات تلوثاً بالقبورية بعد تهامـة،بل ربما زادت على تهامة خصوصاً هذه الأيـام فـإن حركة إحيـاء القبورية فيها قائمة على قـــدم وســاق في شـــتى مناحيها من حيث إشـــادة وترميم المشـاهد وإحيـاء الزيـارات والشـعائر القبوريـة، ونشر كتب الخرافة والدجل،وتأليف الرسـائل لتأصـيل تلك الخرافـات أوالرد على المعترضين عليها.

- (عبدالرحمن بن محمد يعرف بـ " سقاف العيدروس " / تريم) - (أبو بكر أكدر / تريم)
- (عبدالله بن عبدالرحمن الشهير بالنحوي/ روغه) - (عبدالله بن أبي بكر العيدروس / تريم)

---

[1] قال بامخرمه في تاريخ ثغر عدن : (وأظنه أبان بن عثمان بن عفان) ص(33) طبع دار الجيل بيروت – ودار عمار الأردن، تحقيق علي بن حسن عبد الحميد .

- (عبدالله بن شـــيخ بن عبدالله العيـــدروس / تـــريم) - (عبدالرحمن السقاف / تريم)
- (أبو بكر بن سالم صاحب عينات / عينات) [1] - (محمد بن علي الفقيه المقدم / تريم)
- (أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس / تريم) - (أحمد بن محمد الشهير بالحبشي / الحسيسة)
- (أحمد بن الأستاذ الأعظم / العجز) - (حسين بن عبدالله العيدروس / تريم)
- (محمد بن حسن المعلم أسد الله جمل الليل / تريم) (سالم بن بصرى / تريم)
- (أحمد بن عبدالرحمن المشهور بـ(شهاب الدين/تريم) - (محمد بن علوي بن أحمد بن الأستاذ / تريم)
- (عبدالله باعلوي / تريم) - (حسن بن علي بن محمد مولى الدويلة/ تريم)
- (علوي بن الأستاذ الفقيه المقدم / تريم) - (عبدالله بن الأستاذ الفقيه / تريم)
- (علي بن محمد صاحب مرباط / تريم) - (محمد بن عبدالله باعلوي / تريم)
- (علي بن عبدالله باعلوي / تريم) - (محمد بن علي عيديد / تريم)
- (علي بن علوي خالع قسم / تريم) - (الشيخ عمر المحضار / تريم)
- (علي بن أبي بكر السكران / تريم) - (حسن الورع / تريم)
- (سالم بن فضل / تريم) - (فضل بن محمد بافضل / تريم)
- (أحمد بايحيى واسع وعمه / تريم) - (إبراهيم بن يحيى بافضل / تريم)
- (أبو بكر بن الحاج / تريم) - (علي بن أحمد بامروان / تريم)
- (علي بن عمر القرشي / تريم) - (أحمد بن محمد بافضل / تريم)
- (علي بن محمد الخطيب / تريم) - (عبدالرحمن بن يحيى الخطيب / تريم)

---

[1] هذه البلدة تحتوي على عدد كبير من الأضرحة أشهرها سبعة ولها قداسة ومكانة عظيمة عند قبورية حضرموت) .

- (أحمد بن علي الخطيب / تـــــريم) - (أحمد بن محمد بن أبي الحب / تريم)
- (سعيد بن علي بامدحج / المشهور بالسويني / تـريم) - (يحـيى بن سالم بافضل/ تريم)
- (محمد الغريب / تريم) - (القطب عبدالله بن علوي الحداد / تريم)
- (محمد بن علي خــــرد / تــــريم) - (محمد بن علي مــــولى الدويلة/تريم)
- (أبوبكر بن عبد الله الشـهير بالإمـام / تـريم) - (أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ/تريم)
- (عباد بن بشر الصحابي رضي الله عنه / القريــة) - (أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله / الحسيسة)
- (سلطانه بنت علي الزبيدية / حوطة سلطانه قرب سيئون)
- (علي بن محمد الحبشي / سيئون) - (عمر بامخرمة / سيئون)
- (عيــــدروس بن عمر الحبشي / الغرفــــة) - (أحمد بن زين الحبشي / حوطة أحمد بن زين)
- (الحسن بن صالح البحر / ذي أصبح) - (أحمد بن عبد الله القديم باعباد / الغرفة)
جــرب هيصم مقــبرة شــبام تحتــوي على عشــرات القبــور المعظمة والقباب والمشاهد.
- (الهدار / القطن)
- (وفي بلد النقعه بالقرب من حورة قــبر الشــيخ جنيد بــاوزير)
- (وقبر الشيخ علي بن سالم باوزير)
وأما حريضة ففيها عدد كبير جداً من القبـاب والمشـاهد على قبـــــــور آل العطـــــــــاس منهــــــــــا:
قبر السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس ، وقبر طالب بن حسـين العطـاس، وقــبر أبي بكر بن عبد الله العطـاس، وقــبر أحمد بن حسن العطاس وغيرهم.
وفي وادي عمد أكثر من عشرين قبراً معظماً أشهرها:
صالح بن عبد الله العطاس، وصالح بن عبد الله الحامــد، وقــبر عمر بن حسين العطاس بنفحون.

ثم بقية قرى الوادي لا تكاد قرية واحدة تكون خالية من قبة أو مشهد أو قبر مجصص يزار في السابق، ولدي قائمة بـأكثر تلك القبور آثرت عدم كتابتها للاختصار.

وهناك مناطق لم تذكر وقبور كثيرة تركتها كذلك حيث القصد التمثيل وليس الحصر.

البــاب الثـــــاني

آثار القبورية

ويشتمل على مدخل وأربعة فصول

المدخل

وفيه بيان نشأة العقائد الضالة عن الغلو في الصالحين

الفصـــــــل الأول

عقائد القبورية الضالة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: عقيـــدة القطبية والتصـــرف في الكون.

المبحث الثـاني: عقيـدة الرجعة وإمكـان الاجتمـاع بالنبي يقظة.

المبحث الثالث: الاعتقاد بحياة الخضر واللقاء به.

الـمــدخـــــل

سبق في الباب التمهيدي تعريف القبورية وأنها**(طائفة غلت في أصــحاب القبــور واعتقــدت فيهم عقائد ضــالة، حملتها على تعظيم قبورهم وآثارهم،والتقرب إليهم بأنواع مـن العبادات حتى صيّرتهم أنداداً لله تعالى)**.

فهذه الطائفة أهم سماتها الغلو وهو مجـاوزة الحد في هـؤلاء الناس الذين زَعَمَتْهُم أولياء لله تعالى،مما نتج عنه عقائد ضالة، بعض هــذه العقائد شــرك وبعضــها دون ذلــك،وبنــاءً على تلك العقائد نشأ تعظيم القبور والآثار المنسـوبة إلى أولئك الأوليـاء، وبهذا التعظيم غرست بذور من بذور القبورية في نفوس هؤلاء القبورية ومقلـــــديهم من العــــوام، مثل المحبة والخــــوف المتجاوزَيْن حدود الطبيعة الذَين أوجبا التـذلل والانكسـار أمـام هـؤلاء الأوليـاء أحيـاءً وأمواتـاً، وحملا على التقـرب إليهم بما لا يُتقرب به إلا إلى الله سـبحانه من النـذر والـذبح والطلب منهم ما لا يجوز طلبه إلاّ من الله تعالى وهو الـدعاء، وبنـاءً على كل ذلك نشـــأت في الأمة أمـــراض فتاكة مثل الســـحر والكهانة والدجل والخرافة والتمايز الطبقي وتجهيل الأمة.

من هذا المنطلق سيكون تناولي لآثـار القبوريـة، وهنـاك آثـار كثـيرة لن أتكلم عنها لضـعف أو خفـاء ارتباطها بالقبورية الـتي حددتُ معالمها في هـذا التعريـف، والـتي قد يكـون لها بـواعث أخـرى غـير الغلو في أصـحاب القبـور،ومن أمثلة ذلك عقيـدة وحدة الوجود وإضـاعة الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر عند الصـوفية والسـماع الصـوفي، فهـذه الثلاثة النمـاذج وغيرها قد يتطلع القارئ لبحثها ودراستها ولكنني لن أخوض فيها لخروجها عما رسمته وحددته لنفسي، ولضـيق المسـاحة المحـددة لهـذا البحث.

الفـصــل الأول

عقائد القبورية الضالة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: تعريف القطب:

قال الجرجاني في تعريف القطب: (وقد يسمى غوثـاً باعتبـار التجـاء الملهـوف إليه وهو عبـارة عن الواحد الـذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سـريان الـروح في الجسد، بيـده قسـطاس الفيض الأعم, وزنه يتبع علمـه، وعلمه يتبع علم الحق،وعلم الحق يتبع الماهيات الغـير المجعولـة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إســرافيل من حيث حصــته الملكية الحاملة مـــادة الحيـــاة والإحســاس لا من حيث إنســانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القـوة الجاذبة فيهـا، وحكم عزرائيل فيه كحكم القـوة الدافعة فيها).[1]

---

[1] التعريفات ص (177 – 178) .

هـذا هو القطب، وهو مـأخوذ عن الإسـماعيلية كما سـبق عن ابن خلـدون[1]، والإسـماعيلية أخذته عن الفلاسـفة، وما النفس الناطقة إلا إحدى مراتب الألوهية عند الفلاسفة.

المطلب الثـاني: اعتمـاد ما تقـرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن:

ما اشتمل عليه تعريف القطب السابق هو ما اعتقده صـوفية اليمن ودانوا بـه، يقـول اليـافعي[2] بعد أن ذكر حـديث الأبـدال الموضـوع: ((وله واحد قلبه على قلب إسـرافيل))، قـال: (والواحد المـذكور في هـذا الحـديث هو القطب، وهو الغـوث ومكانته من الأوليـاء كالنقطة من الـدائرة الـتي هي مركزها به يقع صلاح العالم)[3].

وقال الحداد: (والقطب الغوث هـو: إمـام الأوليـاء أهل الـدائرة والتصريف، وهم المعدودون في الأخبار والآثـار الـواردة فيهم).[4]

وتلك الصفات التي يتحلى بها القطب قد أسبغها قبورية اليمن على أوليائهم، وبهذا وصف الشيخ علي الأهـدل صـاحبي عواجة البجلي والحكمي فقـال أثنـاء حكاية سـاقها الشـرجي عن اليـافعي في بعض مصـنفاته: (يا أبا الغيث هـذان في مقـام

---

[1] هو المـؤرخ المشـهور وواضع علم الاجتمـاع عبد الـرحمن بن محمد بن خلدون الحضـرمي الاشـبيلي تـوفي سـنة (808هـ) اشـتهر بالتـاريخ الـذي سـماه العـبر وديـوان المبتـدئ والخـبر ومقدمته الـتي تعد من أصـول علم الاجتماع ، تـرجم نفسه في آخر التـاريخ وترجمه الكثـير من البـاحثين ، انظر ترجمته في أخر كتـاب التـاريخ (7/365) وما بعـده ، والضـوء اللامع للسخاوي (4/145) ، الأعلام للزركلي (3/330) ،انظر : مقدمة التاريخ طبعه دار إحياء التراث العربي .

[2] عبد الله بن أسـعد اليـافعي تـوفي سـنة (786هـ) أحد أقطـاب صـوفية اليمن فقيه مـؤرخ صـاحب كتـاب روض الريـاحين في ذكر حكايـات الأوليـاء والصالحين ومرآة الجنان في التاريخ،انظر : طبقات الخواص ص (162) ، البدر الطالع (1/378) .

[3] روض الرياحين في حكايات الصالحين ص (16) تأليف عبد لله بن أسعد اليافعي ، وبذيله عمدة التحقيق في بشائر الصديق للشـيخ إبـراهيم العبيـدي المالكي ، نسخة مصورة بدون تاريخ .

[4] النفـائس العلوية في المسـائل الصـوفية ص (148)لعبدالله بن علـوي الحداد طبع دار الحاوي الطبعة الأولى(1414 هـ -1993 م).

التولية والعـزل، يوليـان ويعـزلان ويميتـان ويحييـان بـإذن الله تعالى وسوف أرثهما وترثني أنت) [1].

وبـــذلك وصف محمد بن أحمد باجرفيل الـــدوعني أبـــابكر العيدروس حينما استفسره محمد بن عمر بحرق عن تصـرفات مالية تصرفها العيدروس على غـير الوجه الشـرعي فقـال: (أنا أشهد أنه أمـير المؤمـنين المالك للتولية والعـزل والحل والعقد والتصرفات كلها، وأشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطنــاً) [2].

ووُصف بها الشـيخ عبـدالرحمن السـقاف، قـال عبـدالرحمن الخطيب: (الحكاية الســـــابعة والثلاثــــون بعد الثلاثمائة وهي السادسة والتسعون من مناقب السـقاف عن عبـدالرحيم بن علي الخطيب -رحمه الله تعـالى - قـال:كنت يومـاً في مجلس شــيخنا الشــيخ عبــدالرحمن - رضي الله تعــالى عنه - فتكلم الشـيخ في الشـيخ أبي الغيث بن جميل اليمـني [3] ثم قـال في أثناء مدحه:أتى فقهاء اليمن إلى الشيخ أبي الغيث وقالوا له: يا أبا الغيث ما عرفنا إيش مـــــذهبك أخبرنا إيش مـــــذهبك أنت شــــافعي أم مــــالكي أم حنبلي أم حنفي؟ فقــــال لهم: (لا أنا شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا حنفي، فقالوا له: (فـإيش أنت فقــال:جنــداري من جنــادرة الســلطان،ثم ســكت الشــيخ عبدالرحمن - رضي الله تعالى عنه - سـاعة ثم همز نفسه ومد يديه في الهواء وقـال بـأعلى صـوته: أنا جنـداري من جنـادرة السـلطان، قــال عبــدالرحيم ثم بعد ذلك بأيــام قلت للشــيخ عبدالرحمن - رضي الله تعـالى عنه -: وما جنـداري السـلطان، فقال: ما هذا معنـاه، هو الـذي يـدخل على السـلطان من غـير إذن ولا عليه حجــاب، ويــأمر وينهى ولا أحد يعارضه فيما يريد، وإذا دخل بلــداً أو مكانــاً لم يبق لأحد معه من أهل تلك الــديار والمكان أمر لا أمير ولا وزير ولاغيرهما، بل الأمر أمر الجنداري والحكم حكمه ما شاء فعل ولا معقب لأمره ولا مرد له...) [4].

---

[1] طبقات الخواص ص (266) .

[2] مواهب القدوس في مناقب العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية ص (14) .

[3] توفي سنة (651هـ) انظر هِجَر العلم (1/219) ، السلوك (1/184) .

[4] الجوهر الشفاف (1/81-82) .

قلت:وقبل هذه الحكاية حكايات أخرى ساقها صاحب الجـوهر فيها تأكيد وشــواهد على ما تضــمنته هــذه الحكاية من اعتقــاد القطبية للسقاف التي تجعله في مقام التصـرف التـام والتولية والعزل.

وإليك نص حكايـة منهـا، وهي الحكاية الخامسة والثلاثـون بعد الثلاثمائة عن عمر المحضـار بن عبـدالرحمن السـقاف[1] قـال: (كنت نائماً أظنه قال في مسجد مدينة رسول الله) قال:فلم أشعر إلا برجل من الصالحين قد وكزني برجله فــرفعت رأسي فقال: ما أجرأك تنام هنا وبطن أبيك ملانة كرعـان [2] [كم واحد قـال سـلبه ثم ولى عـني ولم أعرفه فسـأل الشـيخ عمر عن معنى قول الرجل بطن أبيك ملانة كرعـان][3] فقـال أخذ الخلق كلهم في بطنه يــولي من يشــاء ويعــزل من يشــاء رضي الله تعالى عنه)[4].

وقـال أحمد بن حسن العطـاس في أثنـاء حكاية (فقـال: إني صــاحب الــوقت وأتصــرف في أهله وأنت فلان ابن فلان، وإن كنت تريد أن تنظر إلى بلـــدكم تـــريم فأدخل رأسك في كمي فبهت من ذلك ولم أفعل، ثم قـــال لي: أتريد أن أتصـــرف في قلب الباشا بأن يقوم؟ وكـان جالسـاً في الحـرم فبمجـرد قوله ذلك قام الباشا وأتباعه وذهبوا خارجين من الحرم، فلما قـاربوا الخروج منه قال لي: أتريد أن أتصرف فيه بأن يرجع فيطـوف؟ فبمجــرد ذلك رجع هو وأتباعه وطــافوا، ثم قــال لي: أتريد أن أتصــرف في قلب الشــريف عبــدالمطلب بــأن يرجع الخمسة الديواني فتسلك في السوق وتمشي؟ فبمجرد قوله ذلك نــادى المنادي بأعلى صوته يقـول لكم الشـريف عبـدالمطلب لايمتنع أحد من الخمسة الديواني).[5]

فـانظر إلى هـذا الـذي إن صـدق النقل عنه فهو سـاحر كيف يدعي هذه الرتبة من مراتب الأولياء عند الصوفية وأنه يتصرف حتى في قلوب الناس ومقاصدهم ويحملهم على فعل ما يشـاء

---

[1] نقيب العلويين في زمانه وأحد أشهر أقطاب حضرموت توفي سنة(833هـ) انظر الغرر ص (192) ، المشرع (2/241) .

[2] هي قوائم الدابة انظر القاموس مادة كرع ص(980) .

[3] ما بين القوسين من الحاشية معلم عليه أنه ساقط من الأصل .

[4] الجوهر الشفاف (2/80) .

[5] تذكير الناس ص(216)

دون اختيـار منهم، وكيف يقص هـذا العـالم القـدوة من علمـاء صــوفية حضــرموت لأتباعه ومريديه هــذه القصة مســلماً بها مريـداً منهم أن يصـدقوها ويعتقـدوها، أليس هـذا هو التطـبيق العملي لعقيدة القوم في القطب الذي مر تعريفه؟

<u>المطلب الثالث</u>: التصرف في الكـون أهم وظـائف القطب:

اتضح من تعريف القطب بأنه هو المفوَّض من قبل الله تعالى في التصــرف في الكــون،وربما أطلقــوا على مرتبة القطبية (الخلافة العظمى)[1]، والمعـــنى: أن يكـــون القطب خليفة الله تعالى في تصريف الكون.

ولمعرفة ما يشـمله ذلك التفـويض لـدى القـوم نـذكر بعض النصـوص من كتبهم تـبين سـعة ذلك التفـويض وشـموليته من حيث الزمان والمكان ومن حيث الدنيا والآخرة.

نقل السيد علي بن محمد الحبشي[2] -أحد أقطاب حضـرموت- على سبيل الإقـرار والاستحسـان عن عبـدالعزيز الـدباغ قولـه: (إن تصرفي يصل حتى إلى الجنان، وإن الحـور ما يفعلن شـيئاً إلا بـأمر مـني)، وكـان يقـول لمريـده:(إن كنت تعتقد أن الْبِسَّ في جميع أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مـني فما أحسـنت الأدب معي)، ثم يعقب الحبشي على ذلك فيقـــول: (انظر إلى هذا الفناء العظيم وأين اليوم هذا الاعتقاد) [3].

---

[1] أنظر مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (2/ 619).

[2] علي بن محمد الحبشي العلـوي الحضـرمي صـاحب سـيؤن ومنشئ ربـاط العلم بها المسمى باسمه "رباط الحبشي " من أشـهر علمـاء زمانه ومـربي جيله تتلمذ عليه الكثير من الطلاب الذين نبغوا وأصبحوا من العلماء والأدبـاء غير أنه مع علمه قد نقل عنه من الخرافـات والهـذيان مـالا مزيد عليه وذلك ما حواه كتـاب كنـوز السـعادة الأبدية في الأنفـاس العلية الحبشـية كتبه من إملائه تلميـذه محسن بن عبد الله السـقاف وهو أيضـاً صـاحب زيـارة الحول المشهورة بحضرموت توفي رحمة الله سنة (1312هـ) انظر تاريخ الشعراء الحضـرميين (4/128) تـأليف المـؤرخ عبدالله بن محمد السـقاف الناشر مكتبة المعـارف الطبعة الثالثة سـنة (1418هــ) الطـائف ، ولوامع النور(1/197) .

[3] كنوز السعادة الأبدية ص (179) الذي قام بطبعه علي بن عيسى الحـداد .

فـانظر إلى هـذه الـدعوى الـتي شـملت التصـرف في الـدنيا والآخرة وجميع أقطـار الأرض وجميع العـوالم من عـالم الحـور العين إلى عالم الْبِسّ والفأر.

وإليك صورة أخرى للتصرف الشامل في الحياة وبعد الموت، قال الشلي: (وقال بعض العارفين: الفقيه المقدم تصرف على المشايخ الذين تصرفوا بعد مـوتهم كتصـرفهم في حيـاتهم وهم القطب الربـاني الشـيخ عبـدالقادر الجيلاني والشـيخ معـروف الكرخي والشيخ عقيل المنبجي وحيـوة بن قيس) ثم استشـهد على ذلك بهذه الأبيات لمحمد بن علي خـــرد بـاعلوي[1] صـاحب الغُرر:

تـصرّف شيخ في الــوجود معظّمٌ على السادة الأشياخ أهل المعـارف

على السيـــد الشيخ الفتى عبد قادر ومـعروفٍ الكـرخي منـجٍ لتالف

وقيـسٌ عقيل المنبـجي وشيخـــنا لتصــريفه لا يصرفون الصـارف

وتصريفهم فـي كـــل شيء محقـق سوى في جمال الدين عين لـواقف [2]

وتأكيداً لـذلك تجـدهم في الحضـرات وبعض الموالد ينشـدون إلى اليوم:

ربي اسألك باسرار الفقيه المقدم والذي قد حوى التصريف من قبل آدم

ويقــول صــاحب شــرح العينيــة: (وكــان ســيدنا الفقيه من الممكنين في التصريف بعد موتهم، قال المشايخ العارفون: ما صــلينا على جنــازة إلا والفقيه محمد بن علي بعد موته يصــلي معنا عليها)[3]،فانظر الشمول الزماني لهـذا التصـريف من الأزل

---

[1] صاحب غرر البهاء الضوي توفي سنة (760هـ) انظر ترجمته في الغرر ص (3-11) ، وتاريخ الشعراء الحضرميين (1/142) .

[2] المشرع الروي (2 / 6 - 7) ، وقال بعد أبيات (قوله : وقيس صوابه حيوة).

[3] شــرح العينية ص (161) نظم عبدالله بن علــوي الحــداد تـأليف العلامة أحمد بن زين الحبشي بـاعلوي طبع مطبعة كرجـاي المحـدودة سـنغافورة ، الطبعة الأولى (1407هـ - 1987 م).

إلى الأبد! بل زاد في الأنموذج اللطيف أن قال بعد ما ذكر صلاته على الأموات بعد موته: (فلا شك أنه ممن صلى على نفسه بنفسه)[1]

وفي مناقب عبدالرحمن السقاف يقول محمد بن علي خرد: (ومنها ما روي عن السيد عبدالرحمن بن علوي بن محمد بن الشيخ المذكور، قال كنت في عدن، وقد أصابني في عيني وجع، ولقيت الفقيه العالم القاضي محمد بن سعيد كبن، وأريته إياها وكان عارفاً بعلم الطب، وقيل،إنه كان يعرف اثني عشر علماً سوى العلوم المتداولة بين الناس معرفتها، ما يسأله أحد عن شيء منها، وقلت له يافقيه: أعطني لها دواء، فلما نظرها قال: (هذا مرض تسميه الأطباء الماء الأخضر وليس عندنا دواء حتى يكمل عماؤها، وإن أردت لها دواءاً قبل ذلك دللناك عليه فقلت: ما هو؟ فقال: اقصد جدك الشيخ عبدالرحمن، وقل له: يسلم عليك محمد بن سعيد كبن، وقل له: في عيني وجع أريدك تزيله بإذن الله فإنه يزول، فقلت له: تحولني على ميت؟ فنهض من مقعده وارتعش، ثم قال: والله،ثم والله ثم والله، إني أعتقد في الشيخ المذكور أنه يتصرف في مماته، كتصرفه في حياته،وأنه انتقل إلى الآخرة ولم تنتقل دولته، وفي رواية عن الفقيه الولي الصالح الشيخ سهل بن عبدالله باقشير،ما أخبرني عنه السيد شيخ بن عبدالله بن الشيخ عبدالرحمن، قال: لما رأى الفقيه عين عبدالرحمن رآها عمياء لكتيبة حصلت فيها هذا من أمر القدرة ما يزيل أمر القدرة إلا أهل القدرة، وجدك من أهل القدرة فأحاله عليه،فقال عبدالرحمن: ثم بعد مدة رأيت الشيخ في المنام على سرير فقلت له: إن الفقيه ابن كبن قال لي إنك تتصرف بعد وفاتك كتصرفك في حياتك، فأخذ بإذني وقال لي: (أنا ابن محمد بن علي، ما تصدق إلا إن قال: لك ابن كبن؟ أنا كذلك وأَزْيَد وأَزْيَد، ونفع به)[2]، فهذا لا يقتصر على التصرف في الكون في حياته وبعد مماته بل هو كذلك وأزيد وأزيد) ولا أدري ما هو الأزيد من ذلك؟!.

---

1 الأنموذج اللطيف في مناقب الغوث للأستاذ الأعظم الفقيه محمد بن علوي باعلوي دفين تربة تريم ص (213) مع البرقة المشيقة للسيد علي بن أبي بكر السكران طبع في مصر سنة (1347هـ) .

2 الغرر ص (398).

وهناك مثال عملي للتصـرف في الكـون مع تأويل له من أحد كبـار أقطـاب صـوفية اليمن: (من عجـائب الآيـات وغـرائب الكرامات ما وقع بين الشـيخين العـارفين السـيفين القـاطعين أعـني أبا عيسى واسـمه سـعيد وأحمد ابن أبي الجعد المـذكورَين، وذلك أنه ورد الشـيخ أحمد المـذكور في جمع من أصحابه على الشـيخ سـعيد في وقت جـاءوا إلى زيـارة القبـور الشريفة في حضـرموت، فوافقه الشـيخ سـعيد وأصـحابه على الزيارة ومشوا، فلما بلغوا بعض الطريق بـدا للشـيخ سـعيد أن يرجع في هذا الوقت ويزور في وقت آخـر، فرجع هو وأصـحابه إلى موضعهم واستمر الشيخ أحمد على عزمه حـتى انتهى إلى مقصـده فـزار ورجـع، والشـيخ سـعيد مكث أيامـاً ثم خـرج هو وأصحابه إلى الزيـارة المـذكورة فـالتقى الشـيخان وأصـحابهما في الطـريق فقـال الشـيخ أحمد للشـيخ سـعيد: توجـه عليك حـق الفقراء في رجوعك فقال: لا ما توجه علي حق، فقال له الشـيخ أحمـد:بلى قد توجه عليك الحق فقم وأنصف، فقـام الشيخ سعيد وقال: من أقامنا أقعدناه، فقال الشيخ أحمد: ومَنْ أقعدنا ابتلينـاه، وأصـاب كل واحد منهما ما قاله صـاحبه، فصـار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلى في جسمه ببلاء قطع جسمه حتى لقي الله تعالى رضي الله تعالى عنهما.

وهذه لعمري أحوال تَكِلُ في جَبِّ بعضـها السـيوف القاطعـة، وإنـما يقطع الحـالان معـاً إذا كـان صـاحباهما متكـافيين أو قريبـاً من التكـافي، فـإن لم يكونا كـذلك قطع القـوي منهما الضعيف، وقـد يقطـع السـابق دون المسـبوق فيما يظهر والله أعلم.) [1].

ومنهم من يدَّعي ذلك لنفسه كما قال الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب عينات:

(أنا أعزل أنا اللي ولي أنا شيخها قاضيها)[2].

وقـال أحمد بن حسن العطـاس قـال: (فـزعت مـرة من أحد النـاس فلما جئت إلى الحـبيب أبي بكر بن عبدالله قـال لي: لا تخف من حي ولا من ميت عـاد المفـاتيح إلا كلها بيـدي)،وقـال

---

[1] مرآة الجنان لليافعي (4/ 352-354) .

[2] من قصيدة شهيرة للشيخ المذكور ما زالت متداولة إلى اليوم ينشدها الصوفية في موالدهم وحضراتهم وضمن مولد الديبعي ص (93 - 95).

أيضاً: (قال الحبيب أبوبكر بن عبدالله انسدحت مرة في بندر الشحر في مسجد الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سالم بعد صلاة الصبح فأتوا بشيء كالبيضة وفيه شيء ونكتوه عند رأسي فإذا هو مختلف الألوان الأبيض والأسود والممتزج فقلت: لعله عالم الذر قال: نعم، فقلت لعله لما ولوكم عليه؟ قال: نعم)[1]، وهذا واضح أن الرجل يدّعي أنه بيده مفاتيح الكون ولا أحد يقدر على عمل شيء بغير إذنه هذا في الحكاية الأولى، وأما الحكاية الثانية ففيها أنه ولي على عالم الذر أي الخلق الذين لم يخرجوا إلى الحياة بعد.

وقضية القطبية واعتقادها عند أهل اليمن مبثوثة في كتبهم فلا يكاد أحد من كبارهم لا يوصف بها،حتى لقد قال عبدالرحمن بن محمد السقاف باعلوي [2]: (في تربة تريم ثمانون قطباً كلهم أشراف) [3] فهؤلاء فقط في تربة تريم، فكم في باقي ترب اليمن، والسقاف توفي عام (819 هـ) فكم جاء بعده من الأقطاب، وهذا كله في اليمن إلى ذلك التاريخ فكيف ببقية بلاد الله منذ أن خلق الله آدم إلى يومنا، لاشك أن عدد الأقطاب لا يمكن أن يأتي عليه الحصر رغم أنهم يقولون إن القطب واحد فقط ولا يولي غيره حتى يموت.

وعلى كل حال فإننا سنلمس الأثر الكبير لعقيدة القطبية بالمفهوم الصوفي فيما يأتي من المطالب حيث تتوالد العقائد الضالة بعضها من بعض.

وكما شارك صوفية اليمن بقية الصوفية في عقيدة القطبية شاركوهم كذلك في اعتقادهم بدولة الأولياء وديوان شورا هم، يقول أحمد بن حسن العطاس: (وعقد أي الديوان مرة في قبة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس ورأيت الحبيب أبا بكر ارتفع من قبره وفرشوا له فوق القبر حقه، وكان رئيس المجلس الحبيب أبوبكر، ورأيت بالجانب البحري من القبة، رجلاً فسألته: من هو؟ فقال: نقيب الأولياء بالقدس، والذي ظهر لي أن النوبة بقيت مع الحبيب أبي بكر مدة بعد موته، قال سيدي: والرجال الذين هم رجال ما يطلبون مقام

---

[1] الحكايتان في مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس رواية محمد بن عوض بافضل ص (25) وهو مخطوط مصور عند بعض الأصدقاء .
[2] جد آل السقاف انظر ترجمته في المشرع الروي ص (2/ 141)
[3] الغرر ص (96)

القطبية، ولا غيرها ويفـرون منهـا، ومثالها مثـال مَنْ قـال لـك: (هذه البلدة ونفقة أهلها، وخرج معاشهم ودوابهم، وأعطـاك ما يحتاجون إليه ماذا ترى لنفسك؟).

وقال أيضاً: (وفي ليلة وفاة الحبيب أبي بكر عبدالله العطاس، اجتمع الأولياء أهل الظاهر والباطن، وجلست أنا بالقرب منهم، وكـان ذلك في جـامع حريضـة، فكـان رئيس المجلس الشـيخ عبدالقادر الجيلاني فدعاني الشـيخ عبـدالقادر فقلت لـه: أنا ما فيَّ طاقة لشـيء إن معكم شـيء لي اطرحـوه في القـرآن، فطلع أحد مـن الأوليـــــاء لم أعرفه إلا من بعد، ولما انقضت نوبته اجتمعوا بأعلى شبام، بالقرب من العقّاد، وجعل الأمر بين اثنين، واحد على المعالي وواحد على المسافل)[1].

المطلب الرابع: فروع عقيدة التصرف في الكون:

الفرع الأول: درجة الكونية:

والمراد بها أن الولي قادر على أن يقول للشيء كن فيكـون، وهــذا مما اختَصَّ الله بــه، ولم يقم دليل على أن الله تعــالى منحه أحـداً من خلقـه، ولم يدّعه أحد من رسل الله فضـلاً عن غيرهم من البشر، ولكن الصوفية حينما ادّعـوا لأنفسـهم خلافة الله في تصريف الكون ساغ لهم ذلك الادعـاء الكـاذب المبـني على الادعاء الكاذب الأول.

ومن أدلة ادعائهم ذلك لأنفسهم وإقـرارهم من ادعـاه ما ورد في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم مـن المشرع قــال:(وحُكي أن الشيخ عبدالله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده فقال:(ظهر لي ثلاث أحـيي وأميت بإذن الله، وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون فقـال الشيخ عبدالله: نرجو فيك أكثر من هذا) [2].

وأعجب من ذلك ما ذكره صـاحب الجـوهر في ترجمة الشـيخ إبراهيم بن يحيى بن أحمد بن محمد بافضـل: (وقـال في بعض مصــنفاته وردت إليَّ رقعة من الفقيه ابن العــربي فــإذا فيها ورد علينا فقير وقال لنا: الفقير يحيي ويميت بـإذن الله تعـالى، والفقير يقول للشيء كن فيكـون بـإذن الله تعـالى والفقـير لم

---

[1] نظر الحكايتين في : تذكير الناس ص (206 - 207) .

[2] المشرع (2/ـ 211) وقد اعتمد القوم هذه المنقبة له حتى قال صـاحب النـور السـافر عنه ص (281) : (يقـول للشـيء كن فيكـون بـإذن الله) ، وانظر الغرر ص (372).

يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فأشكل علينا مافيها[1] فقال الشيخ إبراهيم بن يحيى شعراً:

إذا لم أفتكم بصريح علم فلا من بعدها تستفتيوني
بما في محكم القرآن أفتي وإلا بعـد هذا كذبوني

ثم أجاب عن الكل بجواب فايق عجيب وأتى على كل مسألة بدليل من القرآن) [2]. وحسبك بهذا إقرار لهذه العقائد الخبيثة وأخذ بها.

<u>الفرع الثاني</u>: الإحياء والإماتة:

مما تضـمنه توحيد الربوبية من الصـفات الـتي لاشـريك له سبحانه فيها الإحياء والإماتة، وقد جمع الله سـبحانه بين هـاتين الصفتين في آيات كثيرة جـداً، أقتصر على ثلاث منهـا، ففي آل عمـــران يقـــول تعـــالى: **والله يحي ويميت واللـــه بما تعملـون بصـير** [3]، وفي التوبة يقـول تعـالى: **إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير** [4]، وفي يـونس يقـول الله تعـالى: **هو يحـيي ويميت وإليه ترجعـون** [5]، ولما كـانت هاتـان الصـفتان من أكـبر الـبراهين على ربوبية الله تعـالى احتج بهما إبـراهيم على خصـمه فقـال وهو يحـاج ذلك الطاغيـة: **ربي الــذي يحــيي ويميت** فعاند الطاغية وكــابر فقــال: **أنا أحـيي وأميت** قـال المفسـرون: فلما رأى إبـراهيم سـفهه وسخافة دعواه عدل إلى دليل آخر أكثر ظهوراً ولا يستطيع أن يغالط فيه سفهاء الأحلام ممن حوله فقـال: **فإن الله يـأتي بالشـمس من المشـرق فـأتِ بها من المغـرب فبهت الذي كفر والله لا يهـدي القـوم الظـالمين** [6]،وقد عد المفسـرون هـذا الطاغية مـدّعياً للربوبية بـذلك وجعلـوه مثل

---

[1] هذه الكلمة غير مفهومة في الأصل وأظنها فيها .
[2] الجوهر الشفاف (1 / 146 - 147) .
[3] آل عمران (156) .
[4] التوبة (116) .
[5] يونس (56).
[6] البقرة (258).

فرعون الذي صـرح بـذلك حين قـال: **أنا ربكــم الأعلى** [1]
وقال: **ما علمت لكم من إله غيري** [2].
وهـذا كله يـدل بجلاء على أن من ادعى هـاتين الصـفتين فقد ادعى الربوبيـة، ومع ذلك فـإن الصـوفية القبورية يـدعون ذلك لبعض أوليائهم،أو يـدعيها بعضـهم فيقرونه عليهـا، وإذا أردنا أن نعتــذر لهم نقــول: إنهم لم يــدّعوا ذات الربوبية ولكنهم ادعــوا الخلافة العظمى عن الحق سـبحانه، ومن جملة وظيفة الخليفة التي فوضها إليه الرب سبحانه هذه الصفة وغيرها من الصفات التي يزعمونها لأوليائهم، وأما ادعاؤهم ذلك فثـابت لاشك فيــه، ومن الأدلة على ذلك ما مر من ادعاء علوي بن الفقيه المقــدم لذلك فيما حكاه الشلي كما في الفرع الأول.

الفرع الثالث: علم الغيب:

من مسـلّمات العقيـدة الإسـلامية اختصـاص الله تعـالى بعلم الغيب وأنه لا يشاركه فيه أحد لا ملك مقـرب ولا نـبي مرسل **إلا من ارتضى من رســول فإنه يســلك من بين يديه ومن خلفه رصداً** [3]، وأنه سبحانه عنده وحده مفاتيح الغيب كما قال تعالى: **وعنده مفــاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** [4]، وقد بينها سبحانه وحصر علمها عنده، وفي الحديث أن النبي قــال: ((**مفــاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلا اللــه؛ لا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطرأحد إلا الله، ولا تـدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم مـتى تقـوم السـاعة إلا الله**)).[5]

---

[1] ? النازعات (24).
[2] ? القصص (38).
[3] الجن (27) .
[4] الأنعام (59).
[5] 6 رواه البخاري من حديث ابن عمر كتاب التفسير بـاب قوله (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام) (4/ 1733)

بهذه النصوص وغيرها قطع علماء المسلمين أن علم الغيب مما اختص الله به، وأن من ادعاه فقد كذب[1] وأنه طاغوت [2].
ومع ذلك فقد ادعاه الصوفية القبورية لبعض أوليائهم أو ادعاه بعضهم وأقروه عليه وعدّوه من كراماته ومناقبه.
ومن الأدلة على ذلك ما مر في الفرعين الأول والثاني مما ادعاه علي بن الفقيه المقدم وذكر في مناقبه أنه: (يحيي ويميت ويقول للشيء كن فيكون ويعلم ما سيكون).
ومن ذلك ما جاء في ترجمة أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف أنه يقول:(أعرف من الفرش إلى العرش)[3]، وفي ترجمة أخيه حسن بن عبدالرحمن السقاف: (كان يقول: أنا أعرف السعيد والشقي وأعرف الصالحين بالشيم) [4]، وفي ترجمة أخيهما الثالث شيخ: (وقال والده عبدالرحمن السقاف:ولدي شيخ كعشرة شيوخ، وما سميته شيخاً إلا أني رأيته في اللوح المحفوظ شيخاً) [5].
وسأقتصر على هذه النماذج مع أن هناك دعاوى كثيرة من هذا القبيل.

الفرع الرابع: إعطاء الولد:
هذه الخصلة (إعطاء الولد) هي كذلك من خصائص الله تعالى كما قال : **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير** [6].
ولو قيل: إن صالحاً من الصالحين الأحياء دعا ربه لأحد من الناس بالولد فرزق بتلك الدعوة ولداً ماكان عليه من نكير، ولكن أن ينسب إلى الولي ذاته إعطاء الولد حياً كان أو ميتاً فذلك الذي فيه ادعاء ما هو من خصائص الربوبية، والقبورية يدعون ذلك لأنفسهم أو لأوليائهم أحياءً وأمواتاً، والدليل عليه

---

1 انظر :فتح القدير للشوكاني (2/ 123).
2 انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (3/282).
3 المشرع (2/33) .
4 المصدر السابق (2/ 89)
5 المصدر السابق (2/ 116) .
6 الشورى الآية (49–50) .

ما جاء في تذكير الناس قال جامعه: (وأهدى بعض السادة شيئاً لسيدي فدعا له بأن يرزقه الله ولداً وقال له: حولناك على الحبيب أحمد بن علي الهدار، وهذا الحبيب كان من أهل الأحوال العظيمة، وكان إذا جاءه أحد وسأله الدعاء بالذرية يقول له:بايأتيك ولد، أو اثنان أو أكثر فاعترض عليه أحد بقلبه فكاشفه الحبيب أحمد وقال له:يا فلان إن الذين قسمتهم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم سبعة آلاف ولد، وأنت يأتيك نصف ولد، فأتاه نصف ولد على رِجل واحدة ويد واحدة وناصفة وجه، نسأل الله العافية.) [1]

ويظهر من هذه الحكاية بشكل جلي أن الرجل لم يدعُ الله،وإنما يقول على جهة الوعد (بايأتيك ولد) وهذا باللهجة الحضرمية معناه سوف يأتيك ولد، فليس فيه أي معنى من معاني الدعاء، ويؤكد ذلك إنكار العامي وغضب الحبيب من ذلك الإنكار، ثم تصريحه بأنه قسّم، وقسّم من أين؟ قسَّم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم، فأبوبكر بن سالم عنده القدرة والإمكانية الواسعة جداً المشبهة بالبحر، وهذا ولده أخذ يقسَّم من ملك جده، أليس هذا صريح في أنهم يدَّعون القدرة الكاملة على ذلك وأنه من جملة ما يملكونه.

وبناءً على ترسخ هذه العقيدة لديهم نجدهم يطلبون ذلك فعلاً من أوليائهم، قال صاحب تذكير الناس:(قال سيدي: وزرنا مرة تربة الفريط بتريم نحن والأخ حامد بن أحمد المحضار، ولما كنا عند الشيخ القرشي صاحب الذرية أخذ الأخ حامد حصاة كبيرة ووضعها عند قبر الشيخ وقال: -والحاضرون يسمعون - شف نحنا نبغي ولداً لفاطمة عبوده بنت عبدالله بن عمر القعيطي، وكانت مسنة في ذلك الوقت ومستبعدٌ أن تحمل فقدّر الله أنها حملت بولد وعاش) [2].

وصاحب هذه الحكاية من كبار أقطاب القوم وعلمائهم ومع ذلك يروي هذه الحكاية مقراً لها، و"حامد المحضار " من كبارهم أيضاً وقد رفع صوته يطلب ذلك أمام العامة وأقره من حضر من الأكابر، إذاً هي قضية مسلّمة يربّون عليها أتباعهم.

---

1 تذكير الناس ص(321) .
2 المصدر السابق ص (322 - 323) .

ويقـول آخر من كبـارهم وُصف بأنـه:" العـالم الجليل نسـخة السـلف وقـدوة الخلف " في رحلته الموسـومة بـ " النفحة الشـذية إلى الـديار الحضـرمية وتلبية الصـوت من الحجـاز وحضرموت " في نفس الموضوع: (ولما وقفنا على قبر الشيخ عمر بن علي القرشي ويـروى أن من طـرح عند قـبره حجـرة يرزق ولـداً،وقيـل: لنا أن الحـبيب علي بن محمد الحبشي زاره وبصحبته الحـبيب عمر بن عيـدروس العيـدروس فأخذ الحـبيب عمر ملا ثوبه حصى ليطرحه عند القبر، فقال له الحـبيب علي: كثّـرت جم، فقـال: أريد نسـمات تـذكر الله أو قـال تعبد اللـه، فأخـذت أنا حصـاتين وطرحتهما عند القـبر على هـذه النيـة) [1]، فـإذا كـان هـذا فعل علمـائهم فمـاذا يا تـرى يصـنع عـوامهم وجهالهم؟.

الفرع الخامس: إنزال المرض ورفعه:

القـول في هـذا الفـرع كـالقول في بقية الفـروع فـالمرض لا يصيب به إلا رب العـالمين، قـال تعـالى حاكيـاً عن إبـراهيم أنه قـال لقومه وهو يـدعوهم ويـبين لهم حقيقة دعوته وعقيدتـه: **وإذا مرضت فهو يشفين** [2]، وقال الرسول : **((لا عدوى ولا طـيرة))** [3]،وقد صـرح العلمـاء بأنـه ليس المقصـود نفي العـدوى من أصـلها بـدليل قوله : **((لا يـورد ممـرض على مصـح))** [4]، لأنه واضح أن في ذلك اعتبـار العـدوى ولكنه نفى على المعنى الذي كانت الجاهلية تفهمه وهو أن الأمراض تعدي بذاتها فتنسب إلى الأمراض، فحسم هذا المعنى الباطل بهـذا اللفظ العـام ليكـون أبلغ وأشـمل [5]، فكيف يـأتي بعد ذلك من يقول أنه يضع المرض على من شاء وأنه يرفعه عمن يشاء، إن

---

[1] النفحة الشـذية إلى الـديار الحضـرمية ، وتليه رحلته تلبية الصـوت من الحجاز وحضرموت ص (175 –176)، تأليف العـالم نسـخة السـلف وقـدوة الخلـف الحـبيب عمر بن أحمد بن سـميط ، طبع على نفقة أحد المحبين من المحسنين (1397 هـ) .

[2] الشعراء آية (80) .

[3] البخاري في صحيحه (5/2158) ، كتاب الطب باب الجذام، ومسلم في صحيحه (4/1743) ، كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح.

[4] مسلم في صحيحه (4/743) في الكتـاب والبـاب السـابقين ، كلاهما من حديث أبي هريرة .

[5] انظر: (10/160-162) من الفتح .

ذلك لاشك ادَّعـــاء لخاصة من خصوصـــيات الربوبية وتعليق للخلق بغير الحق وهذا أيضاً مضاد ومناقض لما تدعيه الصوفية من تجريد قلوب الناس من سوى الله تعالى.

وإليك الدليل على زعمهم وضع الأمـراض على أنـاس ورفعها عن آخرين، فقد ذكر الشـرجي في ترجمة إسـماعيل الجـبرتي قـــال: (ومن ذلك ما يـــروى عن رجل من أهل مكة يقـــال له الفقيه عبـدالرحيم الأميـوطي أنه قـال: (كنت لا أعتقد الشـيخ إســـماعيل، وكنت أحط منـــه، فبينما أنا ذات ليلة بين النـــائم واليقظـــان، وإذا بي أرى الشـــيخ قد دخل عليّ في جماعـــة، فسمعته وهو يقول لآخر: هات الوجع الفلاني فجـاء به فوضـعه عليَّ ثم قـال: هـات الوجع الفلاني فجـاء به فوضـعه علي، ثم مازال يقول هـات الوجع الفلاني ويضـعه عليّ، حـتى وضع عليّ قدْرَ عشرين وجعاً حتى كدت أموت، وخرج، قـال: (فبقيت تلك الأوجاع عليّ باقي ليلتي ويومي ذلك إلى العصر، فأرسلت إليه واسـتعطفت خـاطره، فجـاء إليَّ فرفع ذلك كله عـني، وقمت كأن لم يكن بي شيء فتبت إلى الله تعالى، وحسّـنت عقيـدتي في الشيخ نفع الله به).[1]

إذاً فالـذي لا يعتقد فيهم ذلك فهو مهـدد بـالمرض من قبلهم، فهذا عمر المحضار يـروي عنه صـاحب المشـرع (... وكـان إذا غضب على أحد أصـابه الجـذام وغـيره من الأسـقام بعد ثلاثة أيام، فقيل لـه: أما تخشى أن ينالك بهـذا شـيء فقـال: إني لم أدعُ على أحد،ولكني إذا غضبت على أحد وقع في باطني نـارٌ لا تنطفئُ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض أو يتوب).[2]

الفرع السادس: إنزال المطر:

الآيات في تفرد الله تعالى بإنزال المطر كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿ **أفرأيتم الماء الـذي تشـربون، أأنتم أنزلتمـوه من المزن أم نحن المنزلون** ﴾ [3]، فلو كـان أحد من الخلق قادراً على ذلك فهل سيكون هذا التحدي صحيحاً؟ والجواب: لا قطعـاً فعلم أنه لا يـنزل المطر إلا اللـه، بل حـتى علم الـوقت الذي ينزل فيه المطر ومكان نزوله قبل نزوله لا يعلمه إلا الله: ﴿ **إن الله عنـده علم السـاعة ويـنزل الغيث ويعلم ما**

[1] طبقات الخواص ص(103) .
[2] المشرع (2/ 242- 243) .
[3] الواقعة الآية (68-69) .

في الأرحـام وما تـدري نفس مـاذا تكسب غـداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير **[1]، فإذا كان الأمر كـذلك فكيف يجـوز أن ننسب إنـزال المطر إلى عبد من عبـاد اللـه، بل إن رسـول الله قد حسم الأمر بشـكل أوضـح، وأبعد المؤمـنين عن تـوهم ذلك أو التلفظ بلفظ يـؤدي إلى ذلك الفهم الخاطئ، ففي صـحيح البخـاري من حـديث زيد بن خالد الجهـني قـال: ((صـلى لنا رسـول الله صـلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف، أقبل على النـاس فقـال: (هل تـدرون مـاذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: (أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته، فـذلك مـؤمن بي وكـافر بـالكوكب،وأما من قـال بنـوء كـذا وكـذا، فـذلك كـافر بي ومـؤمن بالكوكب)).**[2]

ومن الأدلة على أن القوم يعتقدون في أوليائهم إنـزال المطر ما جاء في ترجمة أحمد بن عمر الزيلعي من طبقات الخـواص حيث قـال: (وكـان للفقيه أيضـاً ولد يقـال له علي،كـان من الصـالحين، وكـان لا يُلازم في المطر إلا ويحصل سـريعاً حـتى عرف بذلك، وكان يقال له صـاحب المـاء) [3]، وقد كـان ذكر في ترجمة الجد حكايات تدل على أنه ينزل الغيث منهـا: (أنه وصل من اللحية إلى قرية المحمول وقد أجدبوا مدة طويلة، فعند أن وصل إليهم جـاءت إليه بهيمة وجعلت تخـور بين يديـه، فـدخل المسـجد ودعا الله تعـالى ثم قـال: (يا ميكائيل كـل، فـاجتمع السحاب للفور من كل ناحية ومطروا مطراً عظيمـاً بـإذن الله تعالى) [4].

ومنها قـول صـاحب الطبقـات:(وكـان أهل الـوادي خُلَب بضم الخـاء المعجمة وفتح اللام وآخـره بـاء موحـدة يصـحبونه ويعتقدونه، فجاء إليهم مرة وهم مجدبون فجعلـوا يلازمونه في

---

[1] لقمان الآية (34).

[2] البخاري في صحيحه (1/290) كتـاب صـفة الصـلاة بـاب يسـتقبل الإمـام الناس إذا سلم ، ومسلم (2/59-60) مع النووي كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

[3] طبقات الخواص ص (77) .

[4] المصدر السابق ص (75) .

السيل فقال لفقيرٍ له: (اذهب إلى رأس الوادي وقل له: يقـول لك الفقيه سل الآن، ففعل الفقــير ذلــك، فســال الــوادي من ساعته وسقوا سقياً هنيئـاً بفضل الله تعـالى) [1]، فلاحِـظْ أمـره لميكائيل في الحكاية الأولى وأمره للوادي في الحكاية الثانيــة، هل يدل على أن الأمر مجـرد دعـاء؟ كلا لا يـدل إلا على أنه هو المالك لذلك والمتصرف فيه.

وفي تـذكير النـاس: (قــال سـيدي: ووقع بحريضة في بعض السـنين قحط شـديد، فسـار الحـبيب علي بن جعفر العطـاس إلى النقعة، وهي قرية بقـــرب حريضة وقـــال لأهل البلـــد: سنجيئكم بسيل من عند الشيخ جنيد باوزير إن شـاء اللـه، فلما وصل إليها زار قـبر الشـيخ جنيد والشـيخ علي بن سـالم ورجع فسال وادي حريضة تلك الليلة). [2]

وأوضح من هذا ما ذكره، أيضـاً في تـذكير الناس قـال: (قـال ســيدي وبلغنا أن الشــيخ عبدالله بن أحمد بلعفيف كــان من أولياء الله المستجابة دعـوتهم، ويقـال له بيـاع السـيول، وصل إلى تـــريم في بعض زياراتـــه، فـــاجتمع ببعض الســـادة آل العيــدروس فقــال له أنت: بلعفيف بيــاع الســيول، فقــال له الشـيخ:نعم حاجة خدمة، فقـال له الحـبيب: نعم مرادنا سـيل، فقـال الشـيخ لا بـأس، بكم تشـتري؟ فقـال له الحـبيب بالـذي تريـده، فقـال الشـيخ: نـبيع لك سـيل بكبش سـمين، وخمس قهاول[3] برُ، فقال الحبيب:لا بأس تم الكلام، فقـال الشـيخ تبغي السـيل لأي أرض؟ قـال الحـبيب: للشـرج الفلاني حقي، فقـال الشـيخ: هـات الكبش والـبر وأخـرج رُعّاضك لشـرجك، فـأتى الحبيب بالبر والكبش وخرج الرُّعَّاض[4] وشرب الشرج بإذن الله وبركة أولياء الله) [5].

قلت:وحكى لي جـدي - رحمه الله - أن في قرية مجـاورة لنا رجلاً يقال له " فلان باسـليمان " وكـان حراثـاً عارفـاً بقـوانين الحراثة ومـتى يكـون السـيل أفضل للأرض، فكـان ربما جـاء السـيل في غـير الـوقت الـذي يـراه مناسـباً فلا يسـقي أرضه

---

[1] المصدر السابق ص (75) .
[2] تذكير الناس ص (187) .
[3] القهاول مقدار من الكيل يساوي ثلاثة أصواع تقريباً .
[4] الرَّعَّاض جمع راعض وهو الذي يعدِّل السيل في الحقول .
[5] المصدر السابق ص (188) .

فعـــوتب في ذلك لأنه ربما إذا لم يسق لم يـــأت ســـيل آخر، فيقول:(ما بيـني وبين السـيل إلا صـاع طحين) يعـني أنه يـتزود صاعاً من الطحين ويزور الشيخ سعيد بن عيسى فيأتي السيل، فهل يشك أحد في اعتقاد هذا العامي وأمثاله أن الشيخ ســعيد بن عيسى يملك إعطاء السيل؟!.

الفرع السابع: إجابة الداعي وإغاثة المستغيث:

إن هذا الفرع في الحقيقة هو النتيجة الحتمية لتلك العقائد بل الثمرة المرة الخبيثة لهـا، فـإن المريد الصـوفي أو العـامي من عوام المسلمين حينما يتكرر على سمعه أن فلانــاً من الأوليـاء هو القطب الغوث الذي أعطي الخلافة العظمى في هذا الكون والتولية والعزل فيـه، واعتبـاره الواسـطة بين الله وبين عبـاده فلا يصل خـــير إلى العبـــاد إلا بواســـطته، وأنه قد فـــوِّض إليه تصريف الكون، وأن تصـريفه نافذ على كل شـيء من العـرش إلى الفرش وحتى البِسْ لا يأكل الفـأر في جميع أقطـار الأرض إلا بإذنـه، وأنه يعطي ويمنع ويشـفي ويمـرض بل يميت ويحـيي ويُنــــــزل الغيث ويهب الولـــــد، إلى آخر ما ينسب إليهم من القدرات، ماذا سيتصور ذلك المسـكين، هـذا الـولي؟ لاشك أنه سيتصـور أنه هو السـميع المجيب وأنه على كل شــيء قــدير، وبموجب هذا التصور سيهرع إليه كلما نزلت به نازلة أو أصابته حاجة، فإنه لا رجاء في حصول أي مطلوب أو دفع أي مرهــوب إلا بالالتجاء إليـه، وهـذا هو الـذي يحصل في كثـير من الأحيـان والأحوال ولدى أكثر الناس من القـرون الـتي سـيطر فيها فكر القبورية على الناس.

وهم لم يكتفــوا بما مضى من دفع النــاس إلى ذلك الاعتقــاد والتصور الخاطئ، بل صرح الكثير من أوليائهم بأنهم يســمعون من ناداهم ويجيبونه ويغيثون من استغاث بهم وينقذونه مما هو فيه، ويروون مئات القصص الـتي تحكي كيف نـزل الضر بفلان فاستغاث بالقطب فأغاثـه، بصـور وأسـاليب متنوعة كلها تتـآزر على شـــيء واحد هو تعميق الاعتقـــاد في ذلك الشـــخص بأنه يفعل ويفعـــل، وأن على الجميع الالتفات إليه والاعتمـــاد عليه وإنزال حوائجهم به.

وهذا هو الشرك بالله تعالى، ولكنني لن أخوض في الرد عليه في هـذا الموضـع، وإنما ســوف أنقل بعض النمــاذج عنهم في

ذلك لإثبات أنهم يعتقـدون في أهل الولاية منهم أحيـاءً وأمواتـاً أنهم يجيبــون الــداعي ويغيثــون المســتغيث، وليس الأمر كما يقوله من يـروج تلك العقائد ويـدافع عن المـوروث الـذي كـان عليه الآباء والأجداد من أن ذلك مجـرد توسل بهم إلى الله وإن كان بلفظ الدعاء والاستغاثة.

وإليك النصوص الصريحة والوقائع الواضحة الشـاهدة على ما نقول:

أول ما نورد في ذلك تقرير عميد القوم وحجتهم وإمامهم في العلم والتصوف من يسـمونه (قطب الـدعوة والإرشـاد عبدالله بن علوي الحداد) وهذا التقرير في قصـيدة من أشـهر قصـائده لدى القوم وهي العينية حيث يقول فيها في صفة الولي:

مـن كل طود في العلوم وفي الحجا متبـحـر متـفنـن متوسع

داع إلى الله العظيـــم بفعلــه ومقــاله والحال غير مضيع

ذي عـفـة وفتـوة وأمانـــة وصيانة للسـر أحسن من يعي

وزهـادة وعبــادة وشهــادة منه الغيـوب بمنظر وبمسمـع

جمـع الرياضة والكشـوف ولم يزل يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي [1]

إذاً فهي حقيقة مسلّمة عند القوم أن الـولي ما يـزال يـترقى حتى يصـير ممن يسـتجيب إذا دعي [2]، فعند القـوم أن الـولي " يُدعى" وليس فقط يتوسّل به و" يجيب إذا دُعي " وليس الله يجيب من دعاه متوسلاً به.

وبناءً على تلك الحقيقة المعروفة لـديهم منذ عـرف التصـوف المنحـرف في اليمن والـتي عـبر عنها الحـداد في عينيتـه، تجد الدعوى متواصلة لأوليائهم بإغاثة من استغاث بهم.

ومن ذلك ما ذكره شارح العينية المـذكورة في ترجمة علـوي بن الفقيه المقــدم حيث قــال: (وكــان ســريع الغــوث لمن استغاث به، قـال السـيد الجليل العلامة المحـدث الإمـام محمد بن علي علوي خرد باعلوي في كتابه " الغُرر " أخبرني الشــيخ

---

[1] شرح العينية ص (ب) من المقدمة .

[2] انظر : شرح هذا البيت في العينية ص(17-18) .

عبدالرحمن بن علي أن العارفين قالوا: (ثلاثة من آل باعلوي لا تزال خيل حميتهم وإجابتهم مسـرجة ملجمة من دعا بهم أجيب وهم علوي المـذكور وابنه علي والشـيخ عمر المحضـار، وقـال صاحب كتاب الغرر المذكور في ذلك شعراً:

إذا خفـت أمراً أو توقّـعت شـدة فنوِّه بهم كي يدركـوك ويحضروا

فنـــوِّه بعلوي الفتى وابنـه علي كـذا عمـر فيما يـجل ويعسر

فغارتهم تنجـيك مـن كل شــدة وعُسرٍ وضيـقٍ أو بصدرك يكبر [1]

ولا يقتصر الأمر على أناس ينسـبون إلى الـولي أنه يغيث من يستغيث بـه، ولكن الـولي يـدّعي ذلك لنفسه ويفخر بـه، فهـذا عمر المحضار يقـول في قصـيدة مـازالوا إلى اليـوم ينشـدونها في حضرة السقاف.

إني سـريعُ الغوث في كل الشـدائد فاهتف باسمي تـــجدني أسرِعُ

قل يا شهاب الدين إن يعروك خطب يا فطن

فأنا لخطـــبك أدفعُ

وقال شارح العينية في ترجمة عبـدالرحمن السـقاف: (وكـان يرد على من غلط في مسجده وهو بالعجز [2] ويسـمعه الغالـط، وكـان يقلب الـتراب دراهم بـإذن الله تعـالى، وكـان يظهر لمن استغاث به جهاراً في الأماكن البعيدة بحراً وبراً) [3].

وفي كتاب " تاج الأعراس " في مناقب الحبيب القطب صالح بن عبدالله العطاس، قال المؤلف: (ومما أكرم الله به صـاحب المناقب، وخصه به من سـنيات المـراتب، وكـان ينفـرد به دون أقرانه من أهل المظـاهر والمناصـب، أنه يحضر عند من نـاداه وتوسل به إلى الله بصدق نية وصفاء طوية) [4].

وتقول الشيخة سلطانة الزبيدية كما في ترجمة السـقاف من المشرع: (ما رأيت أحداً أسرع إجابة عند الاسـتغاثة من السـيد

---

1 شرح العينية ص(174) وانظر أيضاً : المشرع الروي (2/212).
2 العَجُز : بفتح العين وضم الجيم قرية شرق تريم تبعد منها مسافة .
3 شرح العينية ص (188).
4 تاج الأعراس ص (1/ 94) .

محمد بن السـقاف، وكـانت تقـول:إذا حـدث أمر واسـتغثت بالأولياء فأول من يغيثني هو)[1].
وقـال صـاحب " تـاج الأعـراس " في ترجمة صـالح بن عبدالله العطاس: (وممن أثنى على صاحب المناقب واعترف له بمقام الغوثية شـيخ مشـايخ تلك العصـور، وعالمها وإمامها المشـهور، شيخ الإسلام ببلد الله الحرام السيد أحمد بن زيني دحلان قال: (إنه حصل عليَّ حال بمكة وكربتُ لذلك كرباً شديداً فاسـتغثت بـالحبيب صـالح بن عبدالله العطـاس صـاحب عمد وهو إذ ذاك بحضـرموت ودعوته بثلاثة أصـوات، فـإذا هو حاضر عنـدي في الحـرم المكي، راكبـاً على جـواد أخضر اللـون ومعه أربعـون جنـدياً كلهم مسـلحون، فحين رأيته ذهب عـني ذلك الكـرب وانشرحت انشراحاً كاملاً ببركته)[2].
وقـال كـذلك في ترجمة هادون بن هـود العطـاس: (ومن كرامات الحبيب هادون أيضـاً ما أخبرتـني به والـدتي الشـريفة العفيفة شيخة بنت الجد علي بن حسين بن هود العطاس الآتي ذكرها في ترجمة والـدي من البـاب السـادس عن والـدتها الشريفة العفيفة زينة بنت الحبيب هـادون المـذكور قـالت: لما كان والدي يجدد عمارة بعض المساكن بالمشـهد وعنـده جملة من العمال أصبحنا ذات يوم وليس عندنا في الـدار ما يفطر به الصـائم من أنـواع الطعـام، فلما رجع والـدي من المسـجد الإشراق كعادته أخبرناه بالحال فقال: لا بـأس، ولكنكم أوقـدوا ناراً في المطبخ كعادتكم ليستشـعر العمـال بـأن غـداهم يطبخ كالعادة،ثم خرج والدي إلى عند العمال وألقى بيتـاً من الشـعر الحميـني ارتجـالاً على الـذين ينقلـون المـدر منهم وأمـرهم أن يرتجزوا به، وكان قد استنجد فيه بجده الحـبيب علي بن حسن العطاس صاحب المشهد وهو قوله:

مع هادون يا بو حسن والخير واصل وهز الرمح لا تعمد[3] القبة وغافل

قـالت: فلم نلبث إلا يسـيراً وإذا نحن بقافلة أي عـير مرسـلة لمقـام المشـهد من أهل حجر بن دغـار وفيها الـذرة والتمر

---

[1] المشرع الروي ص (1 / 184) .
[2] تاج الأعراس (1/ 104) .
[3] هـذه الكلمة باللهجة الحضـرمية معناها (لا تبقى) أي لا تبقى في القبة غافلاً عنا .

والـدهن وغـير ذلـك، وبمعية العـير أنـاسٌ من تلك الجهة أيضـاً قاصــدين زيــارة الحــبيب علي بن حسن ومعهم ثلاثة أكبــاش سمان للمقام، فذبحنا وقدحنا وكان ذلك اليـوم من أسـعد أيـام العمال عليهم انتهى.

قلت[1]: وقــول الحــبيب هادون لجــده علي (وهز الــرمح) لما اشتهر من أن الحبيب علي كان يلقب بأبي حربة وسـبب تلقيبه بذلك أنها تواترت الأخبـار من المعادين للحــبيب علي في حياته وأهل الجــرأة على مقــام المشــهد بعد وفاته أنهم يرونه في منامــاتهم يطعنهم بحربته فيخبرون قرابــاتهم بــذلك موقــنين بالموت ويموتون في الحال بـإذن الله القائـل: ((**من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**)) لاسيما الذين يعتدون على غيرهم في شــهر المشــهد أي ربيع الأول؛ لأن الحــبيب علي قد جعله عُرضه بضم العين أي أماناً مؤبداً في كل سـنة بين المحـاربين من قبائل تلك الجهة وأخذ عليهم العهد في ذلك ليـــــــأتي كل منهم وهو مطمئن البال إلى المشهد لحضـور قصة مولد نــبيهم محمد وســماع شــمائله الشــريفة وما يضــاف إلى ذلك من المواعظ الدينية، فكـان مما أكـرم الله به الحـبيب علي وعظم به شهر المولد النبــوي أن من اعتــدى فيه بالقتل ونقض العهد يعجل الله له العقوبة بإهلاك عـــدد من أولاده وقبيلته بمقـــدار الأيــــام الماضــــية من ذلك الشهر، فمن قتل فيه في اليــــوم الخـــامس مثلاً يهلك الله خمسة من رجاله في أســـرع وقت، ومـن قتل فيه في اليوم السـابع يهلك الله منهم سـبعة وهكـذا حـتى صـار ذلك عند قبائل الجهة من المجربـات الـتي لا خلاف فيها) [2].

وأعتـذر للإطالة بنقل الحكاية كاملة وذلك لما فيها من دلالات كثيرة يجـدها المتأمل وليعـرف كيف يسـخِّر القبوريـون النـاس لمصالحهم ويبنون على حطام عقائدهم مجدهم الموهوم.

وأسألُ صاحب التاج وكل من ينشر هذه الحكايات ويغرس بها تقـديس هـؤلاء النـاس في نفـوس عـوام المسـلمين أين كـان الحـبيب علي وحربته يـوم هجم الجيش النجـدي على المشـهد فأخربه وهدّم قببه وكسّر توابيته؟.

---

[1] الكلام ما زال لصاحب تاج الأعراس .
[2] تاج الأعراس (1/ 207-209) .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره صاحب مقدمة ديوان العيدروس قال: (وأخبرني السيد الفقيه محمد الظمطاوي المكي وقد رويتها عن المريد الصادق نعمان بن محمد المهري أنه قال: (كنا في سفينة سائرين إلى الهند فحصل في السفينة خرق عظيم فأيقن أهل السفينة بالهلاك فضجُّوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى وهتفوا بالمشايخ، فقال نعمان: فهتفت بشيخي أبي بكر بن عبدالله العيدروس، فأخذتني سِنة فرأيت شيخي وهو داخل السفينة وبيده منديل أبيض متيمماً نحو الخرق، فانتبهت فرحاً مسروراً وناديت بأعلى صوتي يا أهل السفينة أبشروا فقد جاء الفرج، فقالوا لي: ماذا رأيت، فقلت لهم: رأيت شيخي دخل السفينة الساعة وبيده منديل فسد به الخرق فافتقدوه فوجدوا الخرق مسدوداً بمنديل أبيض). [1]

وفي نفس الكتاب في آخره قال: (وأخبرني الأمير مرجان بن عبدالله عبد السلطان عامر بن عبدالوهاب قال: كنا في محطة صنعاء الأولى فحصل علينا ما حصل، وأنا إذ ذاك في جماعة، فحمل علينا العدو ففر أصحابي ووقع في فرسي جملة أكوان[2] فسقط بي، فزار بي العدو من كل جانب وأنا أهتف بالصالحين، ثم ذكرت الشيخ الأجل أبابكر بن عبدالله العيدروس فهتفتُ به فإذا هوقايم فو الله العظيم لقد رأيته نهاراً وعاينته جهاراً أخذ بنا صيتي وناصية فرسي وشلني من بينهم حتى أوصلني إلى المحطة السعيدة فعند ذلك مات الفرس ونجوت ببركات الشيخ نفع الله به وأعاد علينا من بركاته) [3].

فهذه النماذج إن شاء الله كافية لإثبات أن القوم يعتقدون في أوليائهم أنهم يسمعون استغاثاتهم، وأنهم يغيثونهم عند ذلك، فحيناً يحضرون بأنفسهم،وحيناً يحصل المطلوب بدون حضورهم، وعليه فإن دعاءهم لأوليائهم ليس مجرد توسل إذ التوسل إنما هو دعاء لله تعالى مع ذكر المتوسَّل به وسؤال الله سبحانه أن يحقق المطلوب بجاه أو ببركة ذلك المتوسَّل به، ولذلك فإن الذين يعرفون حقيقة التوسل ويقتصرون عليها

---

[1] مقدمة ديوان العيدروس المسمى (محجة السالك وحجة الناسك) ص (242) , تأليف الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن باوزير ضمن المجموعة العيدروسية.

[2] أي جراح .

[3] المصدر السابق ص(247) .

لا يجـيزون دعـاء المتوسل بهم ويصـرحون بـأنهم لا يـدعون ولا يجيزون دعاء غير الله، وإنما يـذكرونهم في ضـمن دعـائهم لله للتبرك بذكرهم وليكونوا سبباً في عطاء الله.

الفـصــل الأول
أساليب القبورية في محــاربة مخــالفيها
وفيه ثـلاثة مباحــث
المبحث الأول:
أسلوب الاحتـواء والاختراق
وفيه مطلبان:

<u>المطلب الأول</u>:محاولة احتواء المخالف:

إن رواد القبورية في الأمة الإسلامية وهم الباطنية الشيعة، ومن جاء بعدهم من الصوفية، إنما هم تلاميذهم وأتباعهم والناقلون لعقائدهم وأساليب دعوتهم وطرق تثبيت دولتهم، مع شيء مــن التطوير الــذي يتناسب مع وضعهم بين أهل السنة،ولا يخفى على من قرأ التاريخ براعة الباطنية في احتواء المخالف، والتأثير عليه بالطرق والأساليب الملتوية الكثيرة، وسنرى في هذا المطلب صورة منها، وهكذا تلاميذهم الصوفية استخدموا تلك الطرق والأساليب مع مخالفيهم هنا في اليمن، وإليك بعض الأدلة على ذلك:

سبق عند الحديث عن الإسماعيلية بيان طرقهم في الدعوة، وكيفية الوصول إلى إقناع المدعو، والترقي به درجة درجة حتى يصل إلى القناعة التامة بما هم عليه، وهناك صورة واضحة في طريقة الاحتواء وتحويل الخصم إلى أن يصبح من أقوى المناصرين لهم، وهي احتواء علي بن محمد الصليحي الذي كان أبوه قاضياً من علماء أهل السنة خصوم الإسماعيلية، وكيف استطاع داعية الإسماعيلية احتواء ابنه علي حتى كان هو الذي أسس دولة الإسماعيلية الفاطمية في اليمن، قال الخزرجي: (أجمع علماء التاريخ ورواة الأخبار من أهل اليمن أن القاضي محمد بن علي الصليحي والد الأمير علي بن محمد الصليحي كان فقيهاً عالماً سنيّ المذهب، وكان قاضياً في بلده حسن السيرة مرضي الطريقة، وكان أهله وجماعته يطيعونه ولا يخرجون عن أمره، وكان الداعي عامر بن عبدالله الزواحي يلوذ به، ويركب إليه كثيراً؛ لرياسته

وسؤدده وصلاحه وعلمه، فرأى يوماً ولده علياً فلاحت له فيه مخايل النجابة، وكان يومئذ دون البلوغ، وكان الداعي عامر بن عبدالله الزواحي كلما وصل إلى القاضي يتحدث مع ولده علي المذكور، ويخلو به، ويطلعه على ما عنده حتى استماله، وغرس في قلبه ولبِّه ما غرس من علومه وأدبه ومحبة مذهبه، وقيل: كانت عند الداعي عامر بن عبدالله الزواحي حلية الصليحي في كتاب " الصور "، وهي من الذخائر القديمة، فأوقفه منه على مستقبل حاله وشرف مآله، وأطلعه على ما أطلعه عليه سراً من أبيه القاضي محمد وأهله جميعاً، ثم مات الداعي عامر بن عبدالله الزواحي، فأوصى له بجميع كتبه، وأعطاه مالاً جزيلاً قد كان جمعه من أهل مذهبه، وقد كـان رسخ في ذهن الصليحي ما رسخ، فعكف على الدرس، وكان ذكياً فلم يبلغ الحلم حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها، وبالجد السعيد تدرك غاية الأمل البعيد، فكان فقيهاً في مذهب الإمامية، متبصراً في علم التأويل، ثم صار يحج بالناس دليلًا على طريق السراة، ولم يزل كذلك نحواً من خمس عشرة سنة، وكان الناس يقولون له: بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره، فكره ذلك، ونكره على من يقوله مع كونه قد شاع على ألسنة الخاصة والعامة، فلما كان في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثار في رأس مسار وهو أعلى جبل في تلك الناحية) [1].

تلك صورة من صور الاحتواء الإسماعيلي للمخالفين، وفي تاريخ الصوفية الكثير من تلك الصور، من ذلك قصة الصوفي عبدالرحمن بن عمر باهرمز مع الفقيه عمر بن عبدالله بامخرمة، فقد كان الصوفي باهرمز له طريقة قبيحة في تصوفه، وهو أنه عندما يرد عليه الحال - كما يقولون - يجمع النساء الحسان متزينات بأحسن الزينة فيغنين ويرقصن حتى يذهب ما به، وهذا أمر منكر لا إشكال فيه، وقد سمع عمر بامخرمة بذلك فأنكره، وعزم على الذهاب إليه للإنكار عليه، فرحل أول مرة، ثم رجع من الطريق، ثم عزم وصمم حتى دخل عليه فلما رآه الشيخ كاشفه بنيته وعزمه وقال له: (عاد وقتك ما جاء)، فرجع إلى بلاده، ثم عاد الثالثة، وعند دخوله عليه أمر بعض النساء الحسان اللاتي يرقصن عنده أن تعتنقه،

[1] العسجد المسبوك ص (56) ، وانظر : قرة العيون ص (173-174).

قال العيدروس: (فما هو إلا أن فعل به ذلك خر مغشياً عليه، فلما أفاق تلمذ للشيخ، وحكمه في ذلك الوقت، وفتح الله عليه ببركة الشيخ، وصار من كبار العارفين المربين، وقيل: إن الفقيه لما طلب التحكيم من الشيخ قال: له: صلِّ ركعتين إلى المشرق، فامتثل، فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه) [1].

المطلب الثاني: محاولة اختراق صفوف المخالفين وبث الفتنة في أوساطهم:

إن البدع في الغالب تكون مخالفة للفطرة، مناقضة لأدلة الشرع وأصوله، يرفضها العقل السليم الذي لم يتلوث بأمراض الشبهات؛ ولهذا لم يبق أمام دعاة البدع إلا الكيد والمكر وأساليب اللف والدوران لمقاومة الخصوم والتغلب عليهم، وقبورية اليمن من أولئك المبتدعة، لم يدعوا أسلوباً من أساليبهم إلا اتبعوه، ومن ذلك أسلوب الدس والمكيدة وبث الفتنة في صفوف المخالفين، وإليك بعض الأمثلة على ذلك:0

المثال الأول: مـا فعله والي الدولة الصليحية على الـجند من بث الفتنة بين فقهائها حتى يسلم هو وأهل نحلته من انصرافهم لمقاومتهم والعمل على إزالة دولتهم، قال الجندي في ترجمة الفقيه الإمـام زيد ابن عبدالله اليفاعي: (وكانت مدرسة الفقيه عن يمين المنبر، وربما اتكأ وقت التدريس على المنبر، وكان أصحابه فوق ثلاثمائة متفقه، في غالب الأيام يقوم بإعالتهم قوتاً وكسوة، وكانوا يملئون ما بين الباب والمنبر كثرة، وكان الفقيه أبو بكر شيخه يقرئُ في الزاوية التي تحت جدار بئر زمزم [2]، وكان أصحابه في غالب الأحوال نحو خمسين طالباً، هكذا ذكر بعض معلقي أخبارهم، ولم يزل ذلك من شأنهم حتى تمت الحيلة من المفضل [3] في التفريق بينهم، وذلك أنه مـات ميت من أهل الجند، فخرج الإمام زيد والإمام أبو بكر بن جعفر في أصحابهما يقبرون، وعليهم الثياب البيض لبس الحواريين، والمفضل يومئذ بقصر الجند فحانت منه نظرة إلى المقبرة، فــرأى فيها جمـعاً عظيماً مبيضين،

---

1 النور السافر ص(59).

2 بئر في مسجد الجند يسمى بذلك .

3 المفضل والي الصليحين على الجند .

فسأل عن ذلك، فقيل: قُبرانُ ميتٍ، غالب من حضره من الفقهاء، فعرض بذهنه ما فعله ابن المصوع [1] مع أخيه حيث قتله، وقال: هؤلاء يكفروننا ولا نأمن خروجهم علينا مع القلة، فكيف مع الكثرة؟ ثم قال لحاضري مجلسه: انظروا كيف تفرقون بينهم، وتدخلون البغضاء عليهم بالوجه اللطيف، فجعلوا يولّون القضاء بعض أصحاب الإمام زيد أياماً، ويعــزلونه، ويولّون مكانه من أصحاب الإمام أبي بكر بن جعفر، ثم يولّون إمامة الجامع كذلك، ثم النظر في أمر المسجد كذلك حتى ظهر السباب بين الحزبين، وكاد يكون بين الإمامين، فعلم الإمام زيد ذلك، فارتحل مهاجراً إلى مكة) [2].

فانظر كيف لجأ هذا الباطني الإسماعيلي إلى الدس بين هؤلاء الفقهاء الطيبين! وكيف استطاع بخبثه وطيبتهم أن يفرقهم، وأن يملأ صدورهم حقداً على بعضهم البعض حتى قضى على دعوتهم!.

المثال الثاني: ما ذكره الأستاذ صلاح البكري في " تاريخ الإرشاد بإندونيسيا " من عمل القبورية أصحاب الرابطة العلوية لزرع الفتنة بين أصحاب الإرشاد- لولا أن سلم الله - وقُضيَ على الفتنة قبل استفحالها.

قال الأستاذ البكري تحت عنوان " **أول مؤامرة ضد جمعية الإرشاد** ": (من الأحداث الخطيرة التي قام بها دعاة العنصرية، تلك المؤامرة ضد حياة جمعية الإرشاد الإسلامية، فقد اتصل بعض آل باعلوي وأنصارهم برئيس الجمعية الشيخ سالم بالوعل، وسيطروا على عواطفه بأوهام فارغة، وهيمنوا على أفكاره حتى صار كالآلة الصـماء في أيديهم، ولا غرابة، فهو أمي ساذج أو كما يقول الحضارم: "على تَوّه"، واقترحوا عليه إبدال اسم " جمعية الإرشاد " بالجمعية الكثيرية؛ ليدخل في الإدارة أعضاء من قبيلته آل كثير؛ ليفوزوا بالأكثرية عند اجتماع الإدارة، وأزمع الشيخ بالوعل على ذلك، ثم أعلن لجميع الإرشاديين في العاصمة وفي خارجها ليجتمعوا في جاكرتا (بتافيا)، وأقبل الإرشاديون أفراداً وجماعات من العاصمة ومن خارجها، فشك البوليس الهولندي في هذا التجمع الذي لم

---

[1] ابن المصوع أحد فقهاء أهل السنة ثار في جماعة على أخي المفضل أحد أمراء الصليحين فقتلوه واستولوا مدة على قصره ثم أمسك بهم .

[2] السلوك (1/263) .

يسبق له مثيل، فاتصلوا بنقيب العرب الشيخ عمر منقوش، يستفسرون منه الأمر حتى اطمأنوا، ولما رأى الشيخ بالوعل قدوم الإرشاديين أعلن تأجيل الاجتماع إلى أجل غير مسمى. ولكن وفود الإرشاد قررت إقامة الاجتماع كما نُشر في الصحف، وفعلاً اجتمعوا في دار الجمعية وأحضروا كاتب عدل ومحامياً، وتقرر في هذا الاجتماع فصل الرئيس الشيخ سالم بالوعل من الإدارة ومن الإرشاد، وتكونت إدارة جديدة للإرشاد من كبار الشخصيات وهم:

الشيخ غالب بن سعيد بن تبيع رئيساً

الشيخ محمد عبيد عبود كاتباً

الشيخ عبدالله بن عبدالقادر بن هرهرة أميناً للصندوق

الشيخ سالم عمر بالفاس مستشاراً

كان ذلك عام 1920م.

بذلك سلمت جمعية الإرشاد من المكيدة التي دبرها المرجفون والرجعيون ودعاة العنصرية ومن على شاكلتهم من الأغبياء والمخدوعين.

أما الشيخ بالوعل فقد اعتبر فصله من إدارة الإرشاد ومن عضويتها إهانة شنيعة؛ لذلك رفع دعوى ضد جمعية الإرشاد هي والأعضاء الجدد الذين أدخلهم في العضوية قبيل حضور الوفود، وذهب بهم إلى دار الجمعية فوجدها تحت حراسة البوليس، فعاد إلى منزله بزملائه الأعضاء، وهناك قرروا إبطال قرار الفصل وحل جمعية الإرشاد، ثم رفع دعوى ضد الإدارة الجديدة بأنها غير شرعية، ولكن أراد الله لجمعية الإرشاد أن تزدهر ويتألق نجمها في إندونيسيا، ثم أسدل الستار على الدعوتين إلى الأبد) [1].

المبحث الثاني

الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية

وفيه مطلبان:

---

[1] تاريخ الإرشاد في إندونيسيا ص(22- 23) تأليف صلاح عبد القادر البكري ، الإدارة المركزية لجمعية الإرشاد الإسلامي، جاكرتا - إندونوسيا ط الأولى (1992 م) .

المطلب الأول: تربية المجتمع على التسليم المطلق لأوليائهم وأقطابهم:

وهـذه سـمة أخـرى من سـمات الباطنية أن يربـوا المجتمع بشكل عام على التسليم لهم وعدم معارضتهم، وأن المعارضة سبيل إلى الحرمان، وما أفلح من اعترض، والفوز والقبول في التســليم للقــادة والأئمة والأوليــاء؛ وذلك أن علــومهم الباطنة المزعومة لا يمكن إقامة الحجة عليهــا، فلا كتــاب ولا ســنة ولا إجمـــاع ولا عقل يمكن أن يـــدل عليهـــا، فما بقي إلا أن يسلّم الســامع، وأن يلغي عقله حــتى لا يحــرم، وكــذلك تصــرفاتهم المخالفة للشــرع والعقل لا يمكن تبريرها إلا بــذلك، ولو ذهبتُ أبحث عن الأمثلة، وأحصـــرها لضـــاقت عنها مســـاحة هـــذا المطلب، ولكن أضرب أمثلة قليلة تدل على أمثالها وأشكالها:

المثال الأول: في كتاب " السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية "التي ألقاها صاحبها (علي الحبشي) في مجالسه التي كان يعقدها؛ لتعليم الناس وإرشادهم؛ ولتدريس وتربية طلابه، وتلقاها وجمعها أحد طلابه وهو (محسن بن عبدالله بن الحبيب الإمام محسن بن علوي السقاف)، وردت هذه الحكاية، قال: (وأورد الشيخ عبد العزيز الدباغ كلاماً في حسن الظن وكونه نافعاً، وإن لم يكن المعتقَد فيه متصفاً بذلك، فقال: كان رجل تاجراً وله مال كثير، فاشتاقت نفسه إلى ما مع الرجال أهل الكمال، وعزم أن يتجرد إلى الله، وينقطع إليه، وكان في البلد رجل مشهورٌ بالصلاح وتربية المريدين، وهو في الباطن على خلاف ذلك، فكان إذا رجع إلى خلوته يأتون إليه ناس من أصحابه على طريقته، فيلهون ويسكرون، فباع الرجل التاجر جميع ما معه وصيره نقداً، ثم سار إليه ومعه ذلك المال؛ ليتحكم له ويوصله إلى الله، فصادف وقت خلوته، فلما دق الباب أشرفت جارية، فقالت: من بالباب؟ فقال: عبدالعال، وكان واحد من أصحابه أهل الملاهي اسمه عبدالعال، فلما أخبرت الشيخ باسمه ظن أنه صاحبه، فقال لها: افتحي له الباب، فطلع الرجل، فوجد الجواري والشراب وآلات اللهو عنده، فما التفت إلى شيء قط بل جثا بين يدي الشيخ، فخجل لما رآه غير صاحبه، وهو يظهر الصلاح، فقال له: يا سيدي، أنا رجل أريد الطريق إلى

الله، وأريد أن تسلّكني، وتدلني على الله، وهذا ما معي من المال، فلما وضعه بين يديه تقاصرا لخجل، فقال: إن الوظائف جميعها مشغولة إلا عمل في حديقة لنا بعيدة، خذ المكتل والمسحاة، وسر إليها، واشتغل فيها إلى أن يفتح الله عليك، فامتثل أمره، ولم يغـير حسن ظنه فيه مـا شاهده عنده، وحين وصل إلى الحديقة، ابتدأ في العمل، ومات أحد الأبدال في تلك الليلة، فاجتمعوا هم والقطب، فقالوا: من يصلح بدله؟ فقالوا: فلان، يعنون ذلك الرجل الذي في الحديقة؛ بسبب حسن ظنه، فدعوا منه، وقالوا له: خذ هيل بلا كيل، واتصل بربه، فاطلع على حالة شيخه، فقال:أنا قد أدركت مطلوبي، وهو يصطلح هو وربه) [1].

هذه هي التربية التي يربون بها أتباعهم، وينشئون عليها أجيالهم، فهل سيكون لدى خريج هذه المدارس أي غيرة أو نخوة تدفعه لإنكار منكراتهم، والاعتراض على أي شيء يقدمون عليه من أقوال أو أفعال مهــما بلغت في القبح والسوء؟! وليس هذا هو المثال الوحيد، ولكن الأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

المثال الثاني:ما ذكره الشلي، وهو يتحدث عن كرامات الأولياء ووجوب التسليم لهم فيها، وإن ظهر منهم أي مخالفة، فإنهم لاشك أن لهم في الباطن ما يسوِّغ ذلك، قال: (وأنا أورد قصة، فيها أبلغ زجر وآكد ردع من الإنكار على أولياء الله تعالى وأتمّ حث على اعتقادهم والتأدب معهم وحسن الظن بهم ما أمكن، وهي ما حكاه إمام الشافعية في زمنه " أبو سعيد عبدالله بن أبي عصرون " قال: دخلت بغداد في طلب العلم، فرافقت ابن السقاء بالنظامية، وكنا نزور الصالحين، وكان ببغداد رجل يقال له الغوث يظهر إذا شاء، فقصدنا زيارته، ومعنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وهو يومئذ شاب، فقال ابن السقاء: لأسأله مسالة لا يدري جوابها، وقلت: لأسأله مسألة، وأنظر مـا يقول، وقال الشيخ عبدالقادر: معاذ الله أن أسأله شيئاً وأنا بين يديه أنتظر بركته، فدخلنا عليه، فلم نره إلا بعد ساعة، فنظر إلى ابن السقاء مغضَباً، وقال: ويحك يا ابن السقاء تسألني مسألة لا أدري جوابها، وهي كذا وجوابها كذا،

---

[1] كنوز السعادة ص(374 – 375) .

إني لأرى نار الكفر تتلهب فيك، ثم نظر إليّ وقال: يا عبدالله تسألني؛ لتنظر ما أقول فيها وهي كذا وجوابها كذا، لتخران [1] عليك الدنيا إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك، ثم نظر إلى الشيخ عبدالقادر، وأدناه منه، وأكرمه، وقال له: يا عبد القادر، لقد أرضيت الله ورسوله بأدبك كأني أراك ببغداد، وقد صعدت الكرسي متكلماً على الملأ، وقلت: قدمي هذه على رقبة كل ولي، وكأني أرى الأولياء في وقتك، وقد حنوا رقابهم؛ إجلالاً لك، ثم غاب عنا، فلم نره بعد. قال: فأما الشيخ عبدالقادر فقد ظهرت أمارات قربه من الله، وأجمع عليه الخاص والعام، وقال: قدمي هذه على رقبة كل ولي، فأجابه في تلك الساعة أولياء الدنيا، قال جماعة: وأولياء الجن، وطأطأوا رؤوسهم وخضعوا إلا رجلاً بأصبهان فسُلِب حاله، وممن طأطأ رأسه أبو النجيب السهروردي، وأحمد الرفاعي، وأبو مدين، والشيخ عبدالرحيم القناوي، قال ابن أبي عصرون: وأما ابن السقاء فإنه اشتغل بالعلوم حتى فاق أهل زمانه، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم، وكان ذا لسان فصيح، وسمت مليح، فأدناه الخليفة، وبعثه رسولاً إلى ملك الروم، فأعجب به، وجمع له القسيسين، وناظرهم، فأفحمهم،وعظُم عند الملك، فأراد فتنته فتراءت له بنت الملك، فافتتن بها، فسأله أن يزوجها له،فقال: لا إلا أن تتنصر، فتنصر والعياذ بالله، وتزوجها، ثم مرض، فألقوه بالسوق يسأل القوت، فمر عليه من يعرفه، فقال له: ما هذا؟ فقال: فتنة حلّت بي بسببها ما ترى، فقال: هل تحفظ القرآن؟ قال: لا إلا قوله تعالى: ﴿ رُبَما يودُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ [2]، ثم جاز عليه وهو في النزع، فقلبه إلى القبلة، فاستدار عنها، فعاد فاستدار عنها، فخرجت روحه لغير القبلة، وكان يذكر كلام الغوث، ويعلم أنه أصيب بسببه. قال ابن أبي عصرون: وأما أنا فجئت إلى دمشق، فأحضرني السلطان نور الدين الشهيد، وأكرهني على ولاية الأوقاف، فوليتها، وأقبَلت علي الدنيا إقبالاً كثيراً، فقد صدق الغوث فينا كلنا انتهى.

---

[1] كذا في الأصل.
[2] سورة الحجر (2) .

فهذه الحكاية التي كادت تتواتر في المعنى بكثرة ناقليها وعدالتهم فيها أبلغ زجر عن الإنكار على أولياء الله تعالى خوفاً أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقاء نعوذ بالله من ذلك) [1].

قلت: هذه من خرافات القوم ولا يرهبنا وصفه لها بأنها كادت أن تتواتر، فأين أسانيده بذلك؟ ثم لو فرض تواترها، فلا تعدو أن تكون من أخبار الكهنة الذين يخبرون ببعض المغيبات،ويصدقون في بعضها؛ لأن الولي الحق ليس من شأنه أن يظهر متى شاء، ويختفي عن الأبصار متى شاء، وليس من شأنه أن يبشّر عبدالقادر بذلك العلو والاستكبار الذي يجعله يتحدى الأولياء ويقول: (قدمي على رقبة كل ولي)، ولكن الرجل قد بلغ بعض ما يريد من إقناع قرّائه بالتسليم للأولياء وعدم الاعتراض عليهم؛ لما يترتب على التسليم من الفوز والفلاح، وعلى الاعتراض من الطرد والحرمان.

المثال الثالث: ما نقله الشرجي عن أبي بكر بن أحمد بن دعسين في ترجمته أنه: (كان يقول: أقل درجات الإيمان أن تسلم للأولياء أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم، فإن لم تعرف معناها،ولا اهتديت إليه، فاحمل جميع أمورهم على أحسن الأشياء وأعدلها، وما صح عنهم فسمع وطاعة وحب وكرامة) [2].

قلت: هذه أقل درجات الإيمان فما أعلاها يا ترى؟.

المثال الرابع: ما ذكره صاحب تذكير الناس، قال: (وقال سيدي أحمد: وقد أمدّ الله الوقت للشيخ عمر أبا مخرمة من بعد العصر إلى المغرب ثلاثين ألف سنة، فاستشكل بعضهم هذا، فقال له سيدي: أما في بالك حديث يوم القيامة طوله خمسون ألف سنة، وأنه يكون على المؤمن كأخف صلاة صلاها في الدنيا وهذا منه، فقيل له: وكيف صارت تلك المدة ليالي أو أياماً أو غير ذلك، فقال: هذا علم تصديق وإيمان، ما هو علم ها توه أشوفه) [3]. فقوله: (هذا علم تصديق وإيمان ما هو علم هاتوه أشوفه)، واضح جداً أنه ليس من علم الدليل والحجة التي يصح أن يطالب بها السامع، وإنما هو علم تصديق وإيمان لا اعتراض وانتقاد، وقوله: (هاتوه أشوفه) يعني أرني إياه حتى أنظر إليه.

---

[1] المشرع (1/167) .
[2] الطبقات ص(390) .
[3] تذكير الناس ص(125).

المثال الخامس: من قواعدهم المسلّمة وكلماتهم الدارجة المنتشرة، قول عبدالله بن علوي الحداد:

وسلِّم لأهل الله في كل مُشْكِلٍ لديك،لديهم واضحٌ بالأدلةِ [1]

وقول الآخر:

وإذا لم تر الهلال فسلِّم لأناس رأوه بالأبصار

هذه خمسة أمثلة تدل كلها على ما عنوناً له في هذا المطلب، وهو تربية الأمة على الرضوخ والاستسلام وإلغاء العقول وتجاوز القواعد والأصول الشرعية؛ لأجل أن يمشي ما يريده القوم، ويسلم لهم ما يأتون من أقوال وأفعال دون حاجة إلى أدلة شرعية أو عقلية، وقد اقتصرتُ على هذه الأمثلة الخمسة مع وجود الكثير من الأمثلة في تراث صوفية اليمن، أما صوفية البلاد الأخرى فلا أخال قواعدها في هذا الموضوع خافية على المتابع لتواريخهم.

<u>المطلب الثاني</u>: استخدام الخرافة [2] والشعوذة [3] والاستعانة بالجن لإرهاب المخالف:

لقد سعى الصوفية والباطنية لترسيخ وتعميق القدرات الخارقة للأئمة والأولياء، حتى لقد بالغوا في ذلك، فوصفوهم بعلم الغيب وتصريف الكون والقدرة على إظهار الخوارق التي لم يُظهر مثلها الأنبياء، وأنهم قادرون على أن يتجزءوا بأجسادهم، وأن يكون الواحد منهم في عدة أماكن في آن واحد، وكل ذلك قد مر، حتى أصبح حكم الناس على صلاح الشخص هو إظهاره تلك الخوارق مع ادعاء الولاية، وعندما ترسَّخ ذلك في أذهان المجتمع، وتربى عليه، بادروا بافتراء الأكاذيب ورواية الخرافات عمن يريدون أن يسبغوا عليهم صفة الولاية حتى يقنعوا الناس بولايتهم، كما بادر طلاب الجاه والمناصب في الرياضات الموصلة إلى خرق العادات، وتعلموا أنواعاً من علوم السحر، حتى أتقنوا ذلك، وعملوا به، وعقدوا الصلح مع الجن؛ ليقوموا لهم بأعمال خارقة يطلعونهم على

---

[1] الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم لعبدالله بن علوي الحداد ص(41)،طبع مطبعة المدني بالقاهرة سنة (1388هـ - 1968 م)

[2] تقدم تعريف الخرافة في الباب الثاني ص (364)

[3] الشعوذة : خفة في اليد وأخذ كالسحر ، يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين ، وهو مُشعْوِذ ، ومشعوَذ . انظر:القاموس المحيط ص(427) .

مغيبات واقعة، ثم جعلوا ذلك كله سلاحاً يشهرونه في وجه كل من يخالفهم، وينكر عليهم، وهذه عدة أمثلة توضح ذلك وتثبته:

المثال الأول: ما ذكره الشلي في ترجمة محمد بن علي مولى الدويلة، قال: (وتواجد يوماً بحضرة عمه الشيخ الإمام عبدالله بن علوي حتى غُشي عليه، ثم أقيمت الصلاة، فصلى معهم، فلما فرغوا، قال العارف بالله علي بن سلم لعمه عبدالله: صلى ابن أخيك بلا وضوء؛ لأنه زال عقله، فأخبره عمه بقول الفقيه علي بن سلم فقال: وعزة الحق إني توضأت، وشربت من الكوثر، ونفض لحيته، فتقاطر منها الماء، ثم قال:يا فقيه، نزل علينا شيء لو نزل على الجبال لدكت، ثم أنشأ يقول:

الـحب حبي والحبيب حبيبي والسبق سبقي قـبل كـــل مجيب
نوديت فأجبت المنادي مسرعاً وغطست في بحر الهوى وغدي بـي
لي تسعة وثلاثة مع تسعـــة والعقد لي وحدي وعـلا نصـيبي
ما تعلموا أني المقدم في الـملا ليلة سرى باليثربي ســـرى بي)[1].

فانظر إلى هذه الدعوى العريضة والتي برهانها أنه نفض لحيته، فتقاطر الماء منها، ولو كان ذلك الماء من ماء الكوثر، هل سيذهب هكذا هدراً ولا يعرف له ميزة عن غيره من المياه، ولا تظهر له رائحة، ولا يبقى في موضعه؟ إلى آخر ما يمكن أن يظهر من الدلائل، ثم أعجبُ لهذا الفقيه وسرعة تصديقه وتسليمه واقتناعه بما حكى هذا الرجل عن نفسه!.

المثال الثاني: ذكر الشلي في ترجمة الشيخ عمر المحضار أنه قال: (قال لابن أخيه الشيخ عبدالله العيدروس: أن رجلاً يغضب لغضبه جبار السماوات، وأشار إلى نفسه) [2]، ثم استدل الشلي على إثبات ذلك بقوله: (وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، فقيل له: أما تخشى أن ينالك بهذا شيء؟ فقال: إني لم أدعُ على أحد، ولكني إذا

---

[1] المشرع (1/200-201) .
[2] المصدر السابق (2/242).

غضبت على أحد، وقع في باطني نار لا تنطفئ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض، أو يتوب) [1]. هذه الحكاية الله أعلم بصحتها ولكن على فرض صحتها، فإنها رادع قوي لكل من يفكر أن يخالف هذا الشيخ، وربما كان ذلك من السحر إذ الصحيح أن الساحر قد يصيب المسحور بعوار واختلال في عقله أو في بدنه، والقصة بغضِّ النظر عن صحتها أو عدم صحتها فالغرض منها حاصل حين تُروى، ويتداولها الناس، فإنه يترتب عليها هيبة عظيمة من التعرض لإغضاب من يدّعي الولاية.

المثال الثالث: ما قدمناه في الباب الثاني في مطلب التصرف في الكون [2] عن " مرآة الجنان " [3] في قصة أحمد ابن أبي الجعد وسعيد بن عيسى العمودي، حيث ذكر أنه عندما أقام ابن أبي الجعد الشيخ سعيد؛ للإنصاف من نفسه، قال: (من أقامنا أقعدناه فقال الشيخ أحمد: ومن أقعدنا ابتليناه، فأصاب كل واحد منهما ما قال لصاحبه، وصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلىً في جسمه حتى لقي الله تعالى)، وهذه الحكاية تصب في نفس الغرض، وهو إرهاب الناس من التعرض للأولياء ومخالفتهم.
المثال الرابع: ما ذكره صاحب " تذكير الناس " عن أحمد بن حسن العطاس أنه ذكر حكاية طويلة منها أن عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس دخل مصر، قال: (وحصلت بينه وبين أهل مصر مناظرة في الإمامة، وقال لهم: أنا أحق بها منكم؛ لِمَا اجتمعَ فيَّ من الشرف والعلم والتبرع، فقالوا له: لا نسلم لك إلا بدليل، فتوجه بحاله إلى القناديل التي في المسجد فابتلعها، فقالوا له: هذه ولاية، ومسلّمون لك فيها) [4].
والحكاية ظاهرة الدلالة على أن برهان الولاية هو هذه الخوارق التي لا يبعد أن تكون من السحر.
المثال الخامس: ما حكاه الشلي في ترجمة محمد بن علي مولى الدويلة، قال: (وأكثر أعماله قلبيات، وكان يخفي أعماله عن أصحابه حتى عن أهله، وربما اعترض عليه بعض من

---

[1] المصدر السابق (2/242-243) .
[2] انظر : ص(235) .
[3] وانظر أيضاً : طبقات الخواص ص(73) .
[4] تذكير الناس ص(129-130) . و انظر: تاج الأعراس (1/ 342-343) .

اتصف بالعلم وليس من أهله، حتى إن بعضهم قام يصلي، والسيد عنده نائم، فقال في نفسه: أنا ساجد وقائم وهذا مضطجع نائم، ويدّعون أنه قدوة للعالم. فلما سجد عجز عن رفع رأسه، فتاب عما وقع له في نفسه، فأمر صاحب الترجمة بعض من عنده بأن يرفع رأسه من السجود، ولما فرغ اعتذر إليه، وعاهده على أن لا يعود) [1].

فانظر إلى ما لقي هذا العالم من العقوبة والتأديب لقاء اعتراضه على هذا الولي، ثم كيف سلّم له ولايته، وتاب من الاعتراض عليه.

المثالان السادس والسابع: ما تقدم [2] نقله عن " تاج الأعراس " في مطلب استخدام الجن حيث نقلنا هناك حكاية سالم العطاس الذي كان له جني، اسمه " مزنقب "، وكيف سلطه على تلك القبيلة التي أبت أن تستقبل الركب العطاسي حسب تعبير المؤلف: (فصرخ بهم مزنقب صرخات، روّع بها نساء القبيلة وأطفالها؛ مما اضطر رجال القبيلة إلى الرضوخ لآل العطاس واسترضائهم والاعتذار إليهم وضيافتهم).

وحكايته مع شريف مكة وكيف فجّر"مزنقب" الماء في مجلس الشريف مما اضطره للتسليم له كذلك.

---

[1] المشرع (1/200) .
[2] انظر ما تقدم ص (351) .

المبحث الثالث
استخـدام القـوة في محاربة الخصـم
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اللجـوء إلى السلطان:

اللجوء إلى السلطان شأن المبتدعة والباطنية في كل زمان ومكان؛ لفقدهم الدليل المقنع، فيلجَئون إليه، يداهنونه، ويطرُونه، ليدافع عنهم وعن باطلهم، ويدفع خطر خصومهم

لا يفزعون إلى الدليل وإنما في العجز مفزعهم إلى السلطان

ويقول العلامة الحسين بن عبدالرحمن الأهدل في كلامه عن الصوفية: (فإن عادة هذه الطائفة أعني "ابن عربي "وأتباعه التحبب إلى الدولة وإيراد أحاديث وروايات في فضائلهم، حتى يجعلوا السلطان الجائر من الأبدال [1] والعادل هو القطب، وربما ألقوا في سمعه أن له درجة التحكيم والتفويض فيما فعله بلا حرج؛ ولذلك لم يكد يتبع [2] إنكار العلماء من قديم

---

[1] في الأصل (الأنذال) وهو غلط واضح وقد صححه كذلك عبدالله الحبشي عند نقله في الصوفية والفقهاء (74) .

[2] كذا هو يتبع ، وهو محتمل ، ومحتمل أن يكون (ينفع) هو الصحيح

الزمان وهذا من مكرهم، قاتلهم الله) [1]، وكلام الأهدل هذا هو الذي استفاض، بل تواتر معناه، وهناك مواقف كثيرة جداً للصوفية في التزلف إلى السلاطين والتمكين لأنفسهم لديهم منذ نشأة الصوفية إلى اليوم، والذي يعنينا هم صوفية اليمن وقبوريتها، فإليك بعض تلك المواقف: من ذلك تبشيرهم بالـمُلك أو بخلوده في أعقابهم، ومنه ما ذكره الخزرجي في "العسجد " في ابتداء أمر الدولة الرسولية، قال: (قال صاحب السيرة المظفرية: أخبرني الشيخ الصالح سليمان بن منصور بن حزينة قال: لما وصل الملك المسعود [2]، وعبر طريق خبت القحرية، وكان على قارعة الطريق شيخان من مشايخ الصوفية الصالحين، يسمى أحدها المغيث، والآخر الهدس، فقال أحدهما للآخر: هل ترى ما أرى؟ فقال له: وأي شيء تراه؟ قال: أرى شخصاً إن سار سار العسكر جميعه. فقالوا: لعله الملك المسعود فقال: لا، بل هو الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، والملك في عقبه إلى آخر الدهر) [3].

ومن ذلك بشارة صاحبَي عواجة محمد بن أبي بكر الحكمي ومحمد بن حسن البجلي مؤسس الدولة الرسولية عمر بن علي بن رسول المذكور سابقاً بانتقال الملك إليه وتقوية عزمه عليه.

قال الأستاذ عبدالله الحبشي تحت عنوان " تاريخ الصوفية في عهد بني رسول ": (ولعل بداية تاريخ الصوفية مع الرسوليين يبتدئ ببداية هذه الدول، بل قبل البداية بسنوات عدة، فالمؤرخون يذكرون تلك الصداقة الوطيدة بين مؤسس الدولة الرسولية الملك المنصور عمر بن علي بن رسول.- حكمه من 629 – 647هـ - وبين الفقيه الصوفي محمد بن أبي بكر الحكمي سنة 617هـ وصاحبه الصوفي محمد بن حسين البجلي المتوفى سنة 621 هـ وهما من كبار الصوفية في اليمن. ويقال أنهما اللذان قويّا عزمه في الاستيلاء على الحكم بعد مشاهدتهما تضعضع الدولة الأيوبية وتنافس أمرائها فيما بينهم على الحكم. ونحن إذا أدركنا أن موت الحكمي كان قبل قيام الرسولي بالحكم بنحو عشر سنوات، ندرك مدى العلاقة

---

[1] كشف الغطاء ص(218) .

[2] آخر ملوك الأيوبيين في اليمن .

[3] العسجد ص(192) .

التامة بين الصوفية ودولة بني رسول، ولندع الباحث المعاصر الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي، يشرح هذه المسألة، فيقول: (عرف ذلك الشاب المتطلع لملك اليمن عمر بن علي الرسولي وهما قد تنبآ له بالملك ما يمكن لطموحه المتطلع من الاستفادة من نفوذهما الروحي، فأخذ في تقديرهما، وكانا عند قدوم مساح الأرض الزراعية لتقدير الخراج علـى المزارع، يكتبان أغلب أراضي أهل جهاتهما، فلما جاء دور الفقيهين لمسح أراضيهما وأخذ الضرائب عنهما، عفا عنهما الأمير عمر بن علي الرسولي وقد بلغ ذلك نحو خمسة عشرة ألف دينار، وأدركا بلا شك مطمعه البعيد، فأخذا يروجان مقالتهما السابقة بملك اليمن له ويشيعان ذلك سراً، ثم يذيعانه مقدماً؛ لتهيئة النفوس والعقول لوثبته، وشاعت كلمتهما، فتقبلها الناس بالترقب) [1].

إذاً فالدولة الرسولية، تدين للصوفية بوجودها بعد أن مهدوا لها عند الناس، وأصبحت مما ينتظر وقوعه. ولا أحتاج إلى تعليق على ما قرره الأستاذان الحبشي والعقيلي.

ومن تلك البشارات بشارة الصوفي إبراهيم بن الحسن بن أبي بكر الشيباني للملك المظفر، قال الشرجي في ترجمته: (وكانت له كرامات ظاهرة، من ذلك أنه زاره الملك المظفر في أيام والده الملك المنصور ابن رسول، ولازمه في الملك بعد أبيه، فضرب الفقيه بيده على كتف المظفر، وقال له: الـمُلك لك ولذريتك لا أسد الدين ولا فخر الدين، يعني بني عمه. وكان المظفر يخاف أن ينازعوه في الملك بعد أبيه،فكان كما قال: تولى الملك المظفر وذريته من بعده وبطل أسد الدين وفخر الدين، فلما صار الملك إلى الملك المظفر، سامح الفقيه في خراج أرضه وأراضي أهله، ولم يزالوا على الجلالة والاحترام مدة المظفر وبعده) [2].

ومن تلك البشارات بشارة إسماعيل الجبرتي للملك الأشرف بانهزام جند قصدوه، فكان كما قال الشوكاني: (وصارت له عنده منزلة وكلمة لا ترد) [3]. ذلك بعض ما لدى صوفية تهامة، ولدى صوفية حضرموت ما يشابهه، أو يزيد عليه، من ذلك ما

---

[1] التصوف في تهامة ص (119) ، الصوفية والفقهاء ص (45-46).
[2] الطبقات ص(47 -48).
[3] البدر الطالع (1/139) وسيأتي كلام الشوكاني كاملاً في هذا المطلب .

ذكره صاحب " تاريخ الدولة الكثيرية " في ترجمة بدر أبي طويرق تحت عنوان " نسبه واهتمام العلويين به " قال: (تصدّى جماعة من السادة العلويين في أوائل ظهوره للبحث والتنقيب عن سلسلة نسبه، ثم أسفرت نتائج بحوثهم عما يأتي:

هو بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر ابن كثير بن ظنة بن عبدالله بن حرام بن عمر بن سبأ الأكبر، ثم ينتهي النسب إلى يشجب بن يعرب ابن قحطان بن هود .

هكذا جاء في دشتة العلامة زين العابدين بن عبدالله بن شيخ العيدروس العلوي، قال: ولما أن تحققوا صحة هذه النسبة ذهب سبعة منهم إلى ضريح النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، واعتكفوا هناك متضرعين إلى الله سبحانه، أن يقيض هذا السلطان؛ لحفظ القطر كله. قال وظهرت آثار الإجابة في السنة نفسها، إذ طرق بدر جميع الجهة الحضرمية، واستولى عليها من عين با معبد غرباً إلى ظفار شرقاً، وذلت له رقاب أهلها في بضعة شهور، ولم يبق بها إلا مواضع حقيرة، استكملها فيما بعد، كما سيأتي) [1]. فالقوم عندما لاحظوا أمارات النجاح وعوامل النصر واستعداد هذا السلطان، لتكوين سلطنة قوية واسعة ذات نفوذ، أحبوا أن يكون لهم عنده يد، فمثلوا هذه الرواية، وأحكموا فصولها، وأقنعوا بها السلطان، وكسبوا وده.

وقريباً من ذلك فعل بعضهم مع منصب آل عمودي الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبو ست، قال علوي بن طاهر الحداد، وهو يتكلم عن نسب آل العمودي الذي أثبته محمد بن ياسين باقيس إلى أبي بكر الصديق في كتاب له باسم " النبذة ": (وفي هذه النبذة التصريح بنسبهم على ما يقوله السادة الأشراف العلويون وهو مخالف، لما يقوله المؤرخون، وسيأتي بسط القولين ومستندهما في بابه قال: قال: " أي الحبيب عبدالله الحداد " فزرنا الشيخ العارف بالله معروف باجمال مؤذن بضرفون [2] ومن في تربته،وطلعنا بضة، واجتمعنا فيها

---

[1] تاريخ الدولة الكثيرية ص(36) .

[2] موقع بالقرب بضة بوادي دوعن .

بكثير من أهل الفضل من آل العمودي وغيرهم. منهم السيد عمر باعقيل باعلوي وزوجته الصالحة بنينة ومن آل العمودي الشيخ عبدالقادر والشيخ مطهر والشيخ عبدالرحمن والشيخ سعيد أولاد الشيخ الكبير الشهير عبدالله بن عبدالرحمن بوست، وهو والي منصب آل العمودي أعني الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن، وسمي بوست؛ لأن له في كل يد ست أصابع لأنه شبيه، بعبد الله بن عبدالرحمن ابن سيدنا أبي بكر الصديق ؛ لأنه جدهم، وينسبون إليه على ما ذكره بعض سادتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم في بعض مكاشفاته، ولا تكون إلا حقيقة؛ لأن الكشف الصادق إخبار عن عين اليقين وهو، حق وصدق، وقد أمر بالأخذ بأقوال الصالحين في الأثر المروي عنه ، وهذا منه) [1]، ثم قال: وأما ما ذكره الشيخ محمد بن ياسين عن الحبيب عبدالله الحداد عند ذكر الشيخ عبدالرحمن ابن عبدالله أبو ست وانتساب آل العمودي إلى أبي بكر الصديق، وقوله: " على ما ذكره بعض سادتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم " فمراده بالبعض المذكور السيد الشريف أستاذ الفقهاء والمتكلمين، وإمام الزهاد الورعين أحد الأولياء المعتقدين عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر السكران بن عبدالرحمن السقاف، له كتاب فيه الوقائع التي وقعت له في اليقظة والمنام وما بينهما، وهي إطلاعات روحية، تتمثل لهم فيها المعاني والأرواح، ذكر أنه اجتمع بروح الشيخ الكبير سعيد بن عيسى، وسأله عن نسبه، فذكرله سلسلة نسبه إلى أبي بكر الصديق ، والقصة أطول مما ذكرنا، وقد رأيناها بقلم بعض أشياخ آل العمودي) [2]، ثم قال:(وقد نقل الشيخ عبدالرحمن بن عثمان - الآنف الذكر - تلك الواقعة،وكتبها في مصحفه، ومنه نقلتها، وهي: وذكر الشريف عبدالرحمن بن علي: أن عبدالله بن عبدالرحمن بن الإمام أبي بكر الصديق كان له ست أصابع، السادسة على صورة الإبهام تليها. وكان ذا فراسة وفهم في الأمور. كان إذا دخل البلد، لا يستطيع أحد من أهل البلد، أن يكذب خشية أن يعرفه، ويسمع كذبه بفراسته. وكان يقول له والده عبدالرحمن: سيخرج من صلبك ولدٌ اسمه كاسمك،

---

[1] الشامل ص(163) .
[2] المصدر السابق ص(165 – 166) .

وصورته كصورتك، والله إني أنظر إلى أصبعه الزائدة تتحرك عند حركتك،وتكون له فراسة كفراستك، وفهم كفهمك ووالله لولا أنه في غرة كل موجود ليس كمثله شيء، لقلت أنك هو، وهو أنت. وكان الشيخ محمد بن عمر باعفيف يقول لشيخه الشيخ عبدالرحمن: يا سيدي، أهو قد ظهر؟ فيقول. لا، إلا أنه قريب الظهور انتهى. والحبيب السيد الشريف عبدالرحمن بن علي المنسوب إليه هذه الواقعة الكشفية الروحية ولد سنة(850)، وتوفي سنة (923 هـ). وقد تحققتْ بولادة الموعود به الشيخ المعمر عبدالله بن عبدالرحمن المذكور في أواخر القرن العاشر، وتوفي سنة (1072 هـ)، وكان له في كل يد ست أصابع، الزائدة على صورة الإبهام تليها. وهذه الحكاية من أغرب ما يروي) [1]،وقد كان عبدالرحمن أبوست العمودي حاكماً على منطقة دوعن مدة طويلة.

وهذه النماذج وغيرها كثيرة كافية للدلالة على منهج القوم في استرضاء السلاطين والحكام؛ لكسب تأييدهم، وضمان وقوفهم معهم ضد مخالفيهم، ولم ينتهِ هذا المنهج أو يتغير، فصوفية اليوم هم صوفية الأمس، وإن ما حدث أيام حرب الانفصال - ربيع الأول 1415 هـ من صوفية حضرموت لكافٍ في الدلالة على ذلك. فقد وقفوا مع الانفصاليين بكل ما أوتوا من قوة، وقد تبارى خطباؤهم في تأييد حركة الانفصال، وأصدروا البيانات المؤيدة لها، وأفتوا بأن القتال في صفوف الاشتراكيين جهاد في سبيل الله؛ لأنه دفاع عن الأنفس والأعراض والأموال إلى غير ذلك من المواقف، بل إن بعض من يكتب اليوم في التنظير للصوفية والدفاع عنها قد قَبِل أن يكون وزيراً للأوقاف في حكومة الاشتراكيين الانفصاليين، ولكن سرعان ما تغيرت المواقف، وتبدل الولاء، وتناقضت الخطب والبيانات بمجرد انتصار القوات (الحكومية) وأصبحوا يتظاهرون بتأييدها، وأنهم كانوا مؤيدين لها طيلة المحنة التي مرت بها البلاد، ولا أدري كيف يثق الحكام بمن هذه مبادؤهم ومواقفهم؟! أم أنها مناورات من الطرفين على حد قول الأول: (كلانا عالـمٌ بالترهات).

---

[1] المصدر السابق ص(166) .

وإليك أخي القارئ الكريم بعض المواقف التي استعان فيها الصوفية بالحكام ضد مخالفيهم:

الموقف الأول: ما ذكره الخزرجي في ترجمة الفقيه حسين بن أبي بكر السودي، قال: (وكان فقيهاً صالحاً فاضلاً مشهوراً بالفقه والصلاح، وشهدت له كرامات كثيرة، وكان معظماً عند الناس، ولكن بلغ الملوك عنه أنه يتصل بإمام الزيدية في عصره، وهو محمد بن مطهر، فكرهوه، وهموا بأذيته، فكان لا يستقر في موضع ينالونه فيه، وكان ينكر على الفقراء الرقص والسماع؛ فلذلك أجمع الفقراء والفقهاء عليه، ولم يزل حذراً من السلطان حتى توفي في السنة المذكورة سنة "704هـ ") [1].

الموقف الثاني:ذكره شيخ الإسلام الشوكاني - رحمه الله - في ترجمة إسماعيل الجبرتي، قال: (وكان أول ظهور أمره أنه بشر السلطان الأشرف بانهزام جند قصدوه، وكان الأمر كذلك. وصارت له بذلك عنده منزلة وكلمة لا ترد، وكان منزله ملجأ لأهل العبادة ولأهل البطالة وأهل الحاجات، فأهل العبادة يحضرون للذكر والصلاة، وأهل البطالة للسماع واللهو، وأهل الحاجات لوجاهته، فأنه تتلمذ له أحمد بن الرداد، ومحمد المزجاجي، فجالسا السلطان، وكان مغرى بالسماع والرقص داعياً إلى نحلة ابن عربي حتى صار من لا يحصل نسخة من الفصوص، تنقص منزلته عنده، واشتد البلاء على العلماء الصادعين بالحق، بسببه وفيه يقول بعض الأدباء، وكان منحرفاً عنه ومعتقداً لصلاح صالح المصري:

صالح المصري قالوا: صالح ولعمري إنه للمنتخـب
كان ظـني أنه مـن فتـية كلهم إن تمتحنهم تختلب
رهط إسماعيل قطاع الطر يق إلى الله وأربـاب الريـب
سفل حمقى رعاع غاغـة أكلب فيهم على الدنيا كـلب

وقد كان قام صالح المصري هذا على صاحب الترجمة، فتعصبوا له حتى نفوه إلى الهند، ثم كان الفقيه أحمد الناشري عالم زبيد يقوم عليه وعلى أصحابه، ولا يستطيع أن يغيرهم

---

[1] العقود اللؤلؤية (1/302) .

عما هم فيه؛ لميل السلطان إليه) [1]. فانظر كيف استُغِلَّ نفوذ هذا الصوفي على السلطان إلى هذه الدرجة من الظلم والاضطهاد للخصوم، وهناك مواقف كثيرة سيجدها المتتبع لو بحث عنها.

ولصوفية حضرموت مواقف تندرج في نفس هذا المسلك الدنيء، وتسير على ذات المنهج الرديء، وكان أبرزها في أثناء الصراع الذي نشب في إندونيسيا بين العلويين والإرشاديين:

فمن ذلك سعيهم لدى حكومة بريطانيا وإقناع قنصلها في العاصمة الإندونيسية بتافيا (جاكرتا) بأن الإرشاد، تعمل ضد السياسة البريطانية، قال صلاح البكري: (وقد تأثر القنصل لجهله حقيقة الإرشاد، فأرسل إلى الحكومتين القعيطية والكثيرية؛ ليأخذوا حذرهم من كل إرشادي يدخل حضرموت، ويرسل المسؤولون في الحكومتين منشوراً على كافة الحضارم بإندونيسيا) [2]. ثم ذكر نص البلاغ الذي يتهدد ويتوعد كل من بقي في جماعة الإرشاد، ويصفه بأنه عدو لوطنه ولمواطنيه عاقاً لهم مخالفاً لجماعتهم في كل مقوماتهم ساعياً في تسميم عقولهم وأفكارهم [3]، ولم يقف الأمر عند ذلك، بل تحول إلى اضطهاد حقيقي للإرشاديين في بلدهم الأصلي حضرموت، قال البكري: (لم يكتف آل باعلوي وغيرهم من المعارضين لثورة الإرشاد الدينية الحرة عند هذا الحد، فاتجهوا بوشاياتهم إلى حضرموت، واستطاعوا أن يؤثروا على السيد حسين بن حامد المحضار وزير الحكومة القعيطية بمدينة المكلا. فقد كان هذا الوزير يتلقى الرسالة تلو الرسالة من قريبه السيد محمد المحضار ببندووسو بجاوه، يحرضه على عرقلة كل إرشادي يأتي من إندونيسيا إلى وطنه بحضرموت. وقد تأثر الوزير بتلك الرسائل إلى حد كبير، فأخذ يضطهد كل إرشادي قادم إلى حضرموت، وأسهم في ذلك والي دوعن

---

[1] البدر الطالع (1/139 – 140) وقد ذكر طرفاً من قصة صالح المصري الخزرجي في العقود اللؤلؤية (2/225) في حوادث سنة (797هـ) ، وعبد الله الحبشي في الصوفية والفقهاء ص(118) .

[2] تاريخ الإرشاد ص(79) .

[3] المصدر السابق ص(81) .

عمر بن أحمد باصرة، أسهم في التعذيب؛ إرضاء لوزير الحكومة القعيطية)[1] .

ولم يكتفوا بالتنكيل بالمنتمين إلى جمعية الإرشاد فحسب، بل تعدى الضرر والاضطهاد إلى أسرهم وأقربائهم للضغط عليهم وحملهم على إخراج أقاربهم من جمعية الإرشاد، وقد شرح ذلك الأستاذ البكري، وأوضح أن نائب السلطنة بدوعن، تولى ذلك، وأورد على ذلك دليلاً هو رسالة من أحد أقرباء عضو من أعضاء الإرشاد. هذا نصها:

(الحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

إلى جناب الأكرم المكرم المحترم العزيز الأخ سالم بن أحمد با مصفّر سلمه الله تعالى آمين. وعليه مني السلام وأزكى التحية والإكرام ورحمة الله وبركاته على الدوام. صدر المرقوم من قيدون، والعلم خير ولطف وعافية، نرجو الله الكريم أنك وكافة المعارف بخير وعافية.

قد سبقت إليك جملة كتب وفيها من الحقائق كفاية، وعرفناك أن نحن بغيناك تخرج من هذه الجمعية "جمعية الإرشاد"؛ الله الله لحيث المشقة ضاوية علينا، وقد وصّالنا المقدم، وبتينا إلى عنده، وأعطى لنا مهلة لما شهر شعبان، من خرج من هذه الجمعية يخبر الحبيب محمد بن أحمد المحضار ولعاد عليه شيء، ومن لا خرج بايوصي المقدم لأهله،وأنت بُصْرك. الله الله في الجواب مطلوب وأما فينا فما تحتاج إلى وصاه والسلام.

حرر في 12 ربيع الثاني سنة: 1338 هـ

طالب الدعاء

محمـد بن أحمــد بامصفـر)[2]

ولم يكتف العلويون بذلك، بل ذهبوا إلى أبعد منه حيث وشوا إلى شريف مكة، وحذروه هؤلاء الإرشاديين، ووصفوهم له بأنهم نواصب، يبغضون آل البيت، ولديهم أفكار سامة، يريدون منعهم من الحج والعمرة ودخول أراضي الحجاز؛ حرصاً على سلامة أهله وسائر الحجاج من انتقال عدوى هذه الأفكار إليهم؛ ومنعاً من أن يلتقي هؤلاء الخوارج بإخوانهم الذين على

---

[1] المصدر السابق ص(84) .

[2] تاريخ الإرشاد ص(121).

شاكلتهم، يعنون أتباع الدعوة النجدية، وقد أورد البكري نص الرسالة المتضمنة لذلك [1].

هذه بعض الأدلة على لجوء القبوريين إلى السلطان أياً كان هذا السلطان مسلماً أو كافراً، مادام أن الالتجاء إليه سيحقق لهم غرضاً.

وقد لفت نظري سقاف بن علي الكاف في مؤلفه " حضرموت عبر أربعة عشر قرناً ". حين أرخ لهذه الحوادث، وقد حاول أن يضبط نفسه، وأن يقاوم مشاعره، فلم يتحامل تحاملاً ظاهراً على أصحاب الإرشاد، ولكنه أورد رسالتهم إلى وزارة الخارجية البريطانية ليومئ إلى القارئ أن هؤلاء القوم حملهم بغضهم لخصومهم وهواهم المتبع على أن يلجئوا إلى العدو الكافر، ويستعينوا به على خصومهم وقد نسي أن أصحابه قد فعلوا أكبر من ذلك وأكثر وليس فقط مع بريطانيا، بل مع بريطانيا وهولندا وغيرهما من دول المسلمين والكفار وأن بريطانيا استجابت لطلب العلويين وجارتهم على رغبتهم، وضايقت الإرشاديين في بعض مستعمراتها [2].

__المطلب الثاني:__ اللجوء إلى القبائل وحملها على إخضاع خصومهم:

تقدم بيان ما وصلت إليه الصوفية القبورية من سلطة ونفوذ على القبائل، والإشارة إلى أنها تستخدم ذلك النفوذ ضد كل من يخالفها، وتسخرها؛لتهديد وأذية خصومها، وقبل أن نذكر تسخير الصوفية للقبائل في ضرب الخصوم الأباعد، نذكر قصة طريفة تؤدي الغرض، وتظهر مدى استخدامهم لذلك النفوذ والزج بالقبائل في فتن لا ناقة لهم فيها ولا جمل، قال محمد بن هاشم تحت عنوان" قضية التابوت ": (الذي يظهر أن نفسيات السراة والزعماء من السادة وغيرهم من أهل ذلك القرن قاسية متصلبة، لا تعرف المرونة، ولا تجنح إلى المجاملة. وربما تغلّب على القوم التعسف الأناني، والتعصب

---

[1] المصدر السابق ص(82-83) .

[2] قد يقول قائل : وأنت فعلت نفس الشيء ، فذكرت ما صدر عن العلويين ، ولم تذكر ما صدر عن الإرشاديين . قلت : لا سواء ، فالكاف مؤرخ لحضرموت ومن المفترض أن يكون عادلاً منصفاً لكل أهل حضرموت ، وأما أنا فقد حددت منهجي وهو الكلام عن الصوفية فقط ناقداً وكاشفاً عن حقيقتها ، ولست مجرد مؤرخ ناقل للأحداث .

الأعمى الذي تنكره العقول، وتمجه الأذواق، وتقف الطباع السليمة حسرى دون شأوه. وقضية التابوت يستنتج منها ما ذكرناه، ويعلم منها مبلغ التخبط السياسي الذي تعانيه حضرموت في ذلك العهد وإليك ما قالوه عنها، قالوا: "وفي سنة 1161هـ كانت واقعة التابوت الذي أرسله الشيخ العمودي لضريح الجداد، وهو شبيه التابوت الذي على قبر المحضار ". فاختلف رأي السادة فبعضهم رضي ذلك كالحبيب أحمد بن علي ابن الشيخ أبى بكر بن سالم ومنهم من لم يرض كالسادة آل العيدروس، وكذلك اختلف رأي القبائل على هذا حتى وقعت الحرب على وضعه. وأصابت رصاصة رأس السيد صالح بن علي بن أحمد ونفذوا به إلى عينات حيث قضى نحبه. وبقي التابوت موضوعاً في بعض الديار بأمر من يافع أشهرهم أحمد غرامة البعسي، وصمم الحبيب أحمد بن علي على وضعه على الضريح فجاء الرتبة من يافع ووضع بحضورهم قيل على رضى من آل همام ممزوج بخداع.

وبعد وضعه قام السادة آل العيدروس وعظم عليهم الأمر واستنجدوا بالشنافر وساروا على أحيائهم فصار بعد ذلك ما صار من حريق التوابيت كلها التي على القبور. ثم تراجع الناس واجتمع الرأي على إرجاع التوابيت فأعيدت على حالها وأصلحن بأعواد هندية مصهرة) [1].

ومما يظهر نفوذ أولئك الصوفية وتسخيرهم للقبائل ما قاموا به إزاء الحملة النجدية على حضرموت، والتي استهدفت وادي حضرموت من المشهد جنوباً غربياً إلى عينات في الشمال الشرقي، أو إلى قبر هود شرق عينات، فبعد الكر والفر والأخذ والعطاء، وحينما همَّ النجديون بدخول وادي عمد والذي أول مُدنهِ مدينة حريضة، جمع آل العطاس قبائل تلك المنطقة وكونوا منهم جيشاً كبيراً تصدى للنجديين وكسروهم وذلك عندما بدأ الضعف يَدبُّ فيهم بسبب هجوم محمد علي باشا على عاصمتهم الدرعية وقد فصل ذلك صاحب تاج الأعراس في عدة مواضع [2]، ومما قال وهو يتحدث عن القائد العام

---

[1] تاريخ الدولة الكثيرية ص(115-116) . وانظر : جواهر تاريخ الأحقاف (ج 2/218-219)..تأليف العلامة محمد بن علي بن عوض باحنان,طبع مكتبة الفجالة الجديدة ، القاهرة (1382هـ-1963م).

[2] انظر: (1/ 174) و (1/ 230 – 231) و (1/ 234)

لجيش حضرموت علي ابن جعفر العطاس:(ومما أكرمه الله به من دقة النظر، فمن فطانته ودقة سياسته أنه جعل على كل قبيلة من تعتقده وتحترمه من السادة المتقدم ذكرهم زيادة على غيره) [1]، وكانت القبائل التي جمعها آل العطاس وقادوها بأنفسهم قبائل الجعدة قال: (ومما يجدر بالذكر هنا أن المقدم عمر بن علي باصليب المشجري لما بلغه الخبر بهجوم الوهابيين على بلد حريضة جاء إليها في ثلاثمائة رامي من قومه آل باصليب سكان حالة باصليب والمعقل بوادي عمد منجداً للسادة آل العطاس وقبائل الجعدة ففرحوا بهم ومنهم وشكر الحبيب علي بن جعفر المقدم باصليب وقومه.. الخ) [2].

وهذا نموذج آخر من استخدام القبائل للحفاظ على مصالح آل باعلوي وإلا فالجيش النجدي ما كان يريد إلا أن يطهر البلاد من أدران القبورية، وأن يصلح ما أفسده الصوفية والقبورية من عقائد الناس، وصاحب المصلحة الحقيقية في ردعه وصده هم القبوريون أما سائر الأمة فكان من صالحهم أن ينتصر وأن يزيل مظاهر القبورية التي أفسدت عقائد الناس وأن يعلموهم دينهم كما حصل في المناطق التي استولوا عليها في كثير من أرجاء الجزيرة العربية كما قرر ذلك شيخ الإسلام الشوكاني في ترجمة "الشريف غالب بن مساعد "من البدر الطالع قال وهو يتكلم عن حروبه مع صاحب نجد " عبدالعزيز بن سعود ": (فإن صاحب نجد تبلغ عنه قوة عظيمة لا يقوم لمثلها صاحب الترجمة. فقد سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز. ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام، ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعده غالبهم إما رغبة وإما رهبة، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئاً ولا يقومون بشيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم بها من عوج. وبالجملة فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا، ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها، ولكنهم يرون أن من

---

[1] تاج الأعراس ص(233-234).
[2] المصدر السابق (1/ 234) .

لم يكن داخلاً تحت دولة صاحب نجد وممتثلاً لأوامره خارج عن الإسلام) [1].

وقد أكد ما قلت عن الجيش النجدي العلامة ابن عبيد الله في مادة المحيضرة من "إدام القوت " حيث قال: (ولم يفسد حرثاً ولا أهلك نسلاً، وإنما هدم القباب، وسوى القبور المشرفة، وألقى القبض على المناصب وأهانهم، وأتلف قليلاً من الكتب، كثره بعض العلويين، كصاحبنا الفاضل السيد علوي ابن سهل بدون مبرر من الدليل) [2].مع أن أهل حضرموت في تلك الفترة بأمس الحاجة إلى من يعلمهم أمر دينهم ويبصرهم بما هم عليه من أخطاء في العقائد والأعمال. فكان قيام تلك القبائل تضحية بمصالحها الحقيقية للحفاظ على مصالح سادتهم، ولما لم يكن هناك مقاومة تذكر من علماء حضرموت تستحق التصدي القوي لها باستخدام القبائل لم أر شيئاً واضحاً في ذلك إلا في الصراع العلوي الإرشادي، فقد حاول آل باعلوي أن يستفيدوا من نفوذهم الروحي على قبائل يافع، فكاتبوهم يحرضونهم على مواجهة الإرشاديين وقمعهم ولكن الأحوال قد تغيرت، والعقول قد تفتحت، والعقائد التي كانوا يعتقدونها فيهم قد ظهر زيفها، فلم يسعفوهم ولم يستجيبوا لمطالبهم، بل سخروا بها وإليك بعض رسائلهم إلى قبائل يافع لذلك الغرض:

الرسالة الأولى: من محمد بن أحمد المحضار إلى علي بن حسن بن نقيب اليافعي قال فيها: (الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله مهدي السلام الخاص من الشيخ المكرم والمحب المحترم علي بن حسن ابن نقيب وعلى من بقي له اتصال بالحبيب والشيخ مولى الكثيب [3] وأما من خرج عن دائرة أهل البيت فيأكله الكلب أو الذئب، وماله في الأمر من نصيب وكتاب الشيخ علي وصل وفرحنا به وزواج الأولاد صالح

---

[1] البدر الطالع (2/5) .

[2] إدام القوت ص(122-123) الحلقة (40) المنشور في مجلة العرب .

[3] مولى الكثيب هو أبو بكر بن سالم صاحب عينات سمي مولى الكثيب لأنه عندما قربت وفاته حاول بعضهم أن يستخلفه فأبى وقال : (إذا ما لحقنا حد متأهل با نطرحه في كثيب عينات) فاشتهر الكثيب منذ ذلك الوقت وقالوا عنه أنه ترياق مجرب ودواء ناجع للأمراض المستحكمة المعدية) ... الخ، انظر:الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر ص (117) .

وصالح مبارك وقدوم إلى خير وبودنا أن نرسل واحداً من الأولاد ولكنهم معذورون وبالنية حاضرون، والسلام وسلموا على الخال طالب عوض وسمعنا بعزمه إلى الحج والزيارة وربح التجارة وفرحنا له، ومن الله على الجميع، والسلام منا ومن الأولاد عليكم ولأهل الوداد أما أهل الفساد "يعني الإرشاديين" فلهم الإبعاد وأشد من بعد عاد والمولى بالمرصاد والشفيع سيد الرسل يوم الميعاد والتناد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. وبلغنا أن الإمام " يحيى إمام اليمن " مجهز على يافع، ويافع لا يصلح الأمر ويطفي الجمر إلا الأخ محمد بن علي الحييد لأن الإمام يكاتبه ويافع قد هم حقه [1] أن بغيته يعزم أجمعوا على الذي يليق به من الخرج والفتح على يده، وخبر الإمام واجب الانتباه له - يعني إمام اليمن – لأن الأمر مهم جم جم، ومعه قصد – لعل الكاتب يقصد من سؤاله غزو حضرموت – لا يقدرون يافع ولا غيرهم بمقاومته وهو هزم التركي ومعه دولة كبيرة والله يختار.

حرر في بندووسو في 7 جمادى الآخرة سنة 1338هـ

الداعي / محمد بن أحمد المحضار. [2]

والرسالة الثانية:- أيضاً من المحضار ذاته (الحمد لله ونسأله بالاسم الأعظم والحبيب الأكرم ومحبهم يغنم نخص المحبين بني مالك لا يزالون ملوك الممالك مازال الكل في مسلك المصطفى سالك،والشيخ أبو بكر ضامن لهم بذلك وفوق ما هناك [3] ونهدي السلام للجميع ونخص منهم الشيبان والشبان،جاء العزم إليكم بعد مولد ربيع الأول، والحذر شيء يدخل عليكم مما دخل على الكثير من أهل الزمان الذين استحوذ عليهم الشيطان وخرجهم من الأمان وسيخرجهم من الإيمان. بلغنا أنه وصل عندكم باعشر العشير وحمار الحمير وخنزير الخنازير قطعوا حباله وصفعه بالنكير وخبث الحديد ما

---

[1] قوله : "قدهم حقه" أي إنما هم حقه أي ملكه وهذه العبارة كثيراً ما يطلقها السادة على أتباعهم والمتعلقين بهم أنهم حقهم أو فقراؤهم أو عسكرهم وهكذا .

[2] تاريخ الإرشاد ص(118 – 119) .

[3] انظر : هذه العبارة وقارنها بكلام دعاتهم اليوم الذين يقولون إنهم موافقون لخصومهم بأن من أعتقد الضر والنفع لغير الله فهو مشرك فأي نفع أعظم من هذه الضمانة باستمرار السلوك على سبيل النبي .

يصفيه إلا الكير وشنو النكير. وإن بلغنا دخول شيء المكان تركنا كليران (بومي أيو) والله المستعان.

محمد بن أحمد المحضار) [1]

وقد علق الأستاذ البكري على هذه الرسائل فقال: (لم يستطع السيد المحضار الوقوف أمام تيار النهضة الفكرية ولم تؤثر رسائله في يافع فلم يقيموا لكلامه وزناً ولا لتهديداته ثمناً، بل كان الأمر بالعكس، كانوا يهزءون برسالته كل الهزء)[2].

المطلب الثالث: اعتماد التصفية الجسدية للخصوم:

مرّ بنا الأذية الكبيرة التي قام بها إسماعيل الجبرتي وأعوانه ضد الذي كان ينكر عليهم في زبيد " صالح المصري " [3]، وقد ذكر الشوكاني العجائب من ذلك مما يحاول القبورية والمنحرفون فعله بدعاة السنة كما في كتابه أدب الطلب سواء ما وقع للإمام محمد بن إسماعيل الأمير أو له شخصياً أو لغيرهما، وقد تناقل الناس ذلك في أنحاء اليمن في الجبال والتهائم وحضرموت وما بين ذلك ومما تناقلوه: الضرب ومحاولة القتل بالسلاح واستخدام السم ولكني في مثل هذه القضايا لا أعول على ما كان متداولاً بين الناس دون أن يكون مكتوباً وعليه فإنني أقتصر على ما ذكره صلاح البكري مما حدث ضد أصحاب الإرشاد بإندونيسيا. فقد قال تحت عنوان "محاولة اغتيال رائد النهضة الدينية ":

(حاول جماعة من آل باعلوي اغتيال الشيخ أحمد محمد السوركتي، وذلك بدس السم داخل فاكهة تسمى " بلمنبنق " وكان الشيخ مولعاً بأكلها فابتاع منها كمية وأكلها وبعد لحظات شعر بمغص شديد وأخذ يئن من شدة الألم فاستدعى طبيباً، وبعد الفحص قرر الطبيب أنه مسموم، ولولم يسعفه الطبيب بالدواء لذهب الشيخ إلى رحمة ربه، وهكذا أراد الله تعالى للشيخ أن يعيش ليستمر في تأدية رسالة الإسلام. وفي مدينة بوقور هاجم جماعة من العلويين وأنصارهم الشيخ عبد العزيز

---

[1] تاريخ الإرشاد ص(119 – 120) .
[2] المصدر السابق (120) .
[3] تقدم في هذا المبحث .

الكويتي ضيف إندونيسيا ومؤيد الحركة الإرشادية الحرة وضربوه بآلة حادة في رأسه ولكن عناية الله أحاطت به وأنقذته من الموت.) [1].

وهناك حادثة أخرى ذكرها ابن عبيد الله وهو يتحدث عن حاكم تريم، فيقول: (وكان ينكر بطبعه غلوا القبوريين، فوافقته آراء الوهابية، وأكثر التعليق بوحيد عصره، وفريد دهره، مقدم الجماعة، وشيخ الصناعة، الذي انتهت إليه رياسة العلم بتريم، العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان، المتوفى بتريم سنة 1248هـ، وقد اتهمه العلويون بأنه هو الذي يعلم عبدالله عوض غرامة آراء الوهابية، ويحثه على الالتزام بها، ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتاله، فهرب إلى بيت جبير)[2].

وأما الإمام الشوكاني فقد طالت شكواه من الخصوم الجهلة والمتعصبة القبورية وغيرهم وذكر أنواعاً من الأذى الذي حاولوا أن يلحقوه به وبغيره من دعاة السنة والتوحيد، فقال - رحمه الله -: (ومن عجيب ما أشرحه لك أنه كان في درس الجامع بعد صلاة العشاء الآخرة في صحيح البخاري يحضره من أهل العلم الذين مقصدهم الرواية وإثبات السمع جماعة، ويحضره من عامة الناس جمع جم لقصد الاستفادة بالحضور، فسمع ذلك وزير رافضي من وزراء الدولة وكانت له صولة وقبول كلمة بحيث لا يخالفه أحد وله تعلق بأمر الأجناد، فحمله ذلك على أن استدعى رجلاً من المساعدين له في مذهبه فنصب له كرسياً في مسجد من مساجد صنعاء، بمكان يسرج له الشمع الكثير في ذلك المسجد حتى يصير عجباً من العجب فتسامع به الناس وقصدوا إليه من كل جانب لقصد الفرجة والنظر إلى ما لا عهد به، والرجل الذي على الكرسي يملي عليهم في كل وقت ما يتضمن الثلب لجماعة من الصحابة صانهم الله، ثم لم يكتف ذلك الوزير بذلك حتى أغرى جماعة من الأجناد من العبيد وغيرهم بالوصول إليَّ لقصد الفتنة، فوصلوا وصلاة العشاء الآخرة قائمة ودخلوا الجامع على هيئة منكرة وشاهدتهم عند وصولهم، فلما فرغت الصلاة قال لي

---

[1] تاريخ الإرشاد ص(135) .

[2] ? إدام القوت ص(122).الحلقة (40) من مجلة العرب .

جماعة من معارفي إنه يحسن ترك الإملاء تلك الليلة في البخاري فلم تطب نفسي بذلك، واستعنت بالله وتوكلت عليه، وقعدت في المكان المعتاد، وقد حضر بعض التلاميذ وبعضهم لم يحضر تلك الليلة لمَّا شاهدَ وصول أولئك الأجناد، ولما عقدت الدرس وأخذت في الإملاء رأيت أولئك يدورون حول الحلقة من جانب إلى جانب ويقعقعون بالسلاح ويضربون سلاح بعضهم في بعض، ثم ذهبوا ولم يقع شيء بمعونة الله تعالى وفضله ووقايته. ثم أن ذلك الوزير أكثر السعاية إلى المقام الإمامي هو ومن يوافقه في هواه ويطابقه في اعتقاده من أعوان الدولة واستعانوا برسائل بعضها من علماء السوء، وبعضها من جماعة من المقصرين الذين يظنهم من لا خبرة له في عداد أهل العلم. وحاصل ما في تلك الرسائل إني قد أردت تبديل مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأنه إذا لم يتدارك ذلك الخليفة بطل مذهب آبائه ونحو هذا من العبارات المفتراة والكلمات الخشنة والأكاذيب الملفقة. ولقد وقفت على رسالة منها لبعض أهل العلم ممن جمعني وإياه طلب العلم ونظمنا جميعاً عقد المودة وسابق الألفة فرأيته يقول فيها مخاطباً لإمام العصر: إن الذي ينبغي له ويجب عليه أن يأمر جماعة يكبسون منزلي ويهجمون مسكني، ويأخذون ما فيه من الكتب المتضمنة لما يوجب العقوبة من الاجتهادات المخالفة للمذهب، فلما وقفت على ذلك قضيت منه العجب، ولولا أن تلك الرسالة بخطه المعروف لديَّ لما صدقت، وفيها من هذا الزور والبهت الكلمات الفظيعة شيء كثير، وهي في نحو ثلاثة كراريس،وعند تحرير هذه الأحرف قد انتقم الله منه فشَّردَه أمام العصر إلى جزيرة من جزائر البحر مقروناً في السلاسل بجماعة من السوقة وأهل الحرف الدنيئة وأهلكه الله في تلك الجزيرة، ولا يظلم ربك أحداً) [1].

المطلب الرابع: تشويه صورة الخصم بالإشاعات الكاذبة:

[1] أدب الطلب ص (32-33)للإمام محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية صنعاء .

هذا مسلك لأهل الباطل قديم، فأعداء الرسل قد استخدموه وقريش قد أكثرت منه لتشويه صورة النبي فقالت " ساحر " و"شاعر " و" مجنون " و: كذاب " و**إنما يعلمه بشر** [1] الخ تلك الألقاب الكاذبة والإشاعات المغرضة المضللة، ومازال ذلك شأنهم مع العلماء القائمين مقام النبي والوارثين له، وهو نفسه يتكرر مع علماء اليمن ودعاته كلما واجهوا جهّال ومنحرفي قومهم في سائر أنحاء اليمن، فأئمة التجديد قد عانوا أشد المعاناة من ذلك المسلك الظالم لدى خصومهم، وعبروا عنه بأساليب مختلفة، يقول العلامة الإمام محمد بن إبراهيم الوزير حاكياً ما لقيه من متعصبة عصره: (وإني لما تمسكت بعروة السنن الوثيقة، وسلكت سنن الطريقة العتيقة، تناولتني الألسنة البذيئة من أعداء السنة النبوية، ونسبوني إلى دعوى في العلم كبيرة، وأمور غير ذلك كثيرة حرصاً على ألا يُتَّبَع ما دعوت إليه من العمل بسنة سيد المرسلين والخلفاء الراشدين والسلف الصالحين، فصبرت على الأذى وعلمت أن الناس مازالوا هكذا:

ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا) [2]

ثم جاء دور المقبلي ولقي من الأذى ما لقي حتى أنه حين قال بيته المشهور:

قبَّح الإلهُ مفرِّقاً بين الصحابة والقرابة

أجابه أحد غلاة الزيدية فقال:

أطرق كرا يامقبلي فلأنت أحقر من ذبابة

وقال الآخر:

المقبـلي ناصـبي أعــمى الشقا بصره

فرق ما بين الـنبي وأخـيـه حيــدره

لا تعجبوا من بغضه للعــترة المـطهـرة

فأمـه مـعرفــة لكن أبــوه نكـره [3]

والبيت الأول فيه وقاحة وخسة، والأبيات الأخرى فيها قذف له ولأمه. وقد أعـرب الإمـام العلامة محمد بن إسـماعيل عن ذلك وشكى منه أمر الشكوى قال في قصيدته النجدية:

---

[1] النحل (103) .

[2] من مقال محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم و القواصم للقاضي إسماعيل الأكوع(1/21-22) .

[3] هجر العلم (1/271) .

وأقبح من كل ابتداع سمعــته وأنكاه للقلـب الموفـق للرشــد

مذاهب من رام الخلاف لبعضها يعض بأنياب الأسـاود والأســد

(5) يصب عليه سوط ذم وغــيبة ويجفوه من قـد كان يهواه عن عمد

ويعزى إليه كـل مالا يقــوله لتنقيصه عند التهامي والنجــدي

فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد

وليس له ذنب سوى أنه غــدا يتابع قول الله في الحل والعـــقد

ويتبع أقوال النبي محمــــد وهل غيره بالله في الشرع من يهدي

لئن عدّه الجهال ذنباً فحــبذا به حبذا يوم انفرادي في لحــديد [1]

وأما الشوكاني فقد جمع إلى همه هموم المتقدمين عليه، وشكى مما أصابه وأصابهم وحل به وبهم، وهو لاشك أصدق تعبيراً فالنائحة الثكلى ليست كالمستأجرة، وقد تقدم كلامه في المطلب الثالث فأرجع إلية

وعندما نشب الخلاف بين العلويين وأصحاب الإرشاد في إندونيسيا تفنن العلويون في تشويه سمعتهم وإطلاق الألقاب المنفرة عليهم فكان مما أطلقوا عليهم من ألقاب: (أنهم وهابيون، ونصارى، وأنهم يعملون ضد مصالح هولندا وإنجلترا والقعيطي والكثيري، وأنهم خوارج يبغضون أهل البيت) [2].

وهذه عبارة مقتطعة من رسالة محمد بن أحمد المحضار إلى يافع في منطقة " يومي أيو " في إندونيسيا يقول أثناءها عن أحد الإرشاديين: (وصل عندكم باعشر العشير وحمار الحمير وخنزير الخنازير قطعوا حباله وصفعه بالنكير وخبث الحديد ما

---

[1] ديوان الأمير الصنعاني ص(167) طبع منشورات المدينة الطبعة الثانية (1407هـ - 1986 م).

[2] الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت ص (152) .

يصفيه إلا الكير وشنوا النكير)[1]. وقد وصفوهم في رسالتهم إلى شريف مكة بما يلي: (وينهون إلى مقامكم السامي أنها نجمت من مدة قريبة من الخوارج في هذه البلاد، عقيدتها بغض أهل البيت الطاهر وتحقير النبي وبث الدسائس وإيقاد الفتن، ولهم من النشرات الجمة ما يبين خبيث قصدهم)[2] هذه شذرات مما صدر عن القوم من تشويه وطعن لخصومهم.

1 تاريخ الإرشاد ص (120) .
2 المصدر السابق ص (82) .

المبحث الثالث
الردود الوارده على القبورية في كتب الفنون المختلفة
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الـــــردود على القبورية في كتب التاريخ:

إن جميع من له إدراك وفهم - ولوكان بسيطاً - يدرك بسهولة ضلالات القبورية وانحرافاتها، وقد تناثر نقد العلماء وردهم على تلك الضـلالات والخرافـات في ثنايا مـاكتبوا من شـتى الفنـون، وأنقل إليك جملة مما ظفرت به من كلامهم:

فمن المـؤرخين القاضي العلامة محمد بن علي الأكـوع رحمه الله يقول في مقدمة السلوك للجندي منتقداً عليه شدة ولوعه بتتبع الكرامــات والزيــارات ومايقــال عن المقــابر وما لها من فضائل: (ومؤرخنا رحمه الله ولوع بشدة وبشـكل جـدي وكبـير بـذكر كرامـات الأوليـاء والمنامـات والمـرائي الخلابة الـتي هي أغرب من الخيال وتلحق بقسم المستحيل وبحديث خرافة.

وكان يصدر أحكامه بتلك الكرامات عن عقيدة راسـخة لاتقبل الجـدل والمناقشة وعن نفس مؤمنة بـذلك خصوصـاً إذا تلقاها عن الثقات فإنها تصير عنده من القطعيات.

والحق أن أكثرها بالخرافـــات أشـــبه وبخـــرق العـــادات اعلــق،وبالبله السـذج ألصـق، لأن البعض منها يخرجها عن حد المعقول إلى حـيز المحـال والتجـديف، على أنا لاننحي باللائمة على مؤرخنا الجندي الذي انساق وراء هــذه العاطفة الروحانية الزايفة لأن الوسط الـذي كـان يعيش فيه الجنـدي كـان ملغمـاً بهذه الخرافـات،ومنغمسـاً في هـذا الجو القدسي في نظـرهم كما سـبقه إلى هـذا غـيره، وسـير الأئمة وغـيرهم مليئة بهـذه الحكايات.

خدعة الملوك:

ومما يسـتغرب أن الملـوك والرؤسـاء انجرفـوا وراء هـذه الظاهرة ومع السـواد الأعظم وفي هـذا المسـار كما يحكي لنا الجندي في بعدة مواقف عن ملوك عصره ومن قبلهم.

وأعتقد جازمـاً أن انسـياق الملـوك والرؤسـاء وراء هـذه الروحانية الزائفة "خدعة سياسـيةـ" لاتمت إلى عقيـدتهم بصـلة،كيف لا وبعض الملـوك مهـزوز العقيـدة مضـطرب في الإلهيـات. وإنما يقصـدون من وراء ذلك تضـليل العامة وجعلهم في متاهة الجهـالات وحـتى يبتعـدوا عن تتبع مسـاوئ الحكـام والبحث عن كبائر جرائمهم وقد يكون البعض منهم صـادقاً في ذلك والله من وراء العلم.

ويبـدو أن هـذه الظـاهرة وهـذه البلـوى عمت جميع الأقطـار الإسـلامية، وما السـيد البـدوي والدسـوقي والسـيدة زينب وأضـرابهم في القطر المصـري والشـيخ عبـدالقادر الجيلاني والبسطامي وغيرهم في بغـداد والنابلسي وابن عـربي بالشـام وقل في المغرب العربي وإفريقية المسلمة وإيـران وغـير ذلك إلا من هذا القبيل.

أما كرامة أوليـاء بلادنا اليمن الأعلى فهم الأوليـاء المسـلحون الذين يحملون السيف والرمح ويجالدون على الإمامة ويقاتلون دونهـا، وذلك مثل الإمـام الهـادي والإمـام أحمد بن الحسـين صاحب ذي بين وسـيل الليل أحمد حسن وغـيرهم، والعجب أن تخرج من ثنايا هذا الصراع الدموي كرامات وعجـائب وغـرائب. وتعليل هـذه الظـاهرة والموجه العارمة الـتي نـزلت في بلاد الإسلام، هو ابتعاد المسلمين عن روح الـدين الحـنيف الصـحيح الذي جـاء عن محمد بن عبدالله وأتباعه السـلف الصـالح من الصـحابة والتـابعين، وبما أدخله أعـداء الإسـلام من الشـوائب والبدع الـتي صـدأت جـوهره الصـافي النقي وولـدت مثل هـذه القضايا وكانت سبباً لتأخر المسلمين كما قيل.

وصـدق رسـول الله ((**لتتبعن سـنن من قبلـكم حـذو القذة بالقذة حـتى لو دخلـوا جحر ضـبٍ لـدخلتموه))**[1] هذا وليس هنا بسط القول عن هذه المسألة، فمن شاء معرفة ذلك فعليه بكتب ابن تيمية وكتب تلميـذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعـالى، وفي كتـاب الله جل شـأنه مافيه مقنـع، وحسـبنا ذلـك) [2]. وهكـذا نـرى هـذا العلامة المـؤرخ ينتقد هـذه الظواهر، ويحللها، ويبين موقف الحكام منها، ويربط بين تبنيهم

---

[1] تقدم تخريجه ص (   ) .

[2] مقدمة السلوك للجندي (1/ 27-28)

لها وسياسة الملك الـتي يعمبلـون على تثبيتها وأنهم ما جـاروا القبورية إلا للاستفادة منهم في ذلك.
المؤرخ الثاني: القاضي العلامة إسماعليل بن علي الأكـوع وهو أخو القاضي محمد وقد تعـرض للقبورية في عـدة مواضع من كتابه "هجر العلم "منها ما في بيت الفقيه في ترجمة "أحمد بن موسى بن العجيل "حيث قال في معرض الترجمـة: (وكـان على قـبره تـابوت وقبة أزالهما الإمـام أحمد بن الإمـام يحـيى حميد الدين سنة 1348هـ حينما كـان وليـاً للعهد بعد أن تغلب على معارضة قبيلة الزرانيق -الـتي كـانت تعـرف من قبل بالمعازبة - لامتداد نفوذ الإمام يحيى إلى بلادهـا، ودخولها تحت حكمه.كما أزال الإمام أحمد كذلك التـابوت من على قـبر أحمد بن علـوان في يَفْـرُس من ناحية جبل حبشي سـنة 1362هـ لاعتقـاد جهلة العامة في صـاحبي القـبرين الضر والنفـع، وتالله لقد أحسن الإمـام أحمد صـنعاً في كلتا الحـالين ولو أن يـده امتدت إلى سـائر القبـاب والتـوابيت الأخـرى الـتي يعتقد عامة النـاس في أصـحابها الضر والنفع لأجـزل الله مثوبته وأحسن إليه، ولاسيما القبور التي يلتمس عندها العامة الخـير والبركـة، ويرجـون منها النفـع،ودفع الضر والشـر)[1]، ثم ذكر كلام الشوكاني في وصف قبة الإمـام "أحمد بن الحسـين " نقلاً عن الـدر النضـيد وتقـدم ذلك النقل [2]، ثم ذكر رسـالتين مهمـتين لإمامين من أئمة الزيدية يأمران فيهما ببناء مشـاهد على قبـور بعض المقربين إليهما ثم قال حفظه الله: (وكان الـواجب على الإمام أحمد هدم القبور التي يلتمس العامة منها الخير والبركة امتثـالاً لأمر الرسـول لأمـير المؤمـنين علي بن أبي طـالب بهدم القبور، كما ورد في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: " قال لي علي بن أبي طالب ألا أبعثك علىمابعثني عليه رسول الله أن لا أدع تمثـالاً إلا طمسـته ولا قـبراً مشـرفاً إلا سويته "[3]. وأفضل التشيع بالإمـام علي رضي الله عنه الاقتـداء بـه، والعمل بسـيرته الـتي هي مقتبسة من سـيرة المشـرّع

---

[1] هجر العلم (1/222-223) .
[2] انظر : ص (   ) .
[3] تقدم تخريج الحديث ص (   ) .

العظيم رسـول الرحمة إذ لايكفي المحبة باللسـان والمخالفة في العمل) [1].

وفي ذي الجنان "قرية أحمد بن علوان " قـال في ترجمة ابن علوان: (وقد فتن به العامة في عهده وبعد وفاته وحـتى اليـوم فقـبره مقصـود للزيـارة وكنت أعتقد أن افتتـان النـاس به إنما حدث بعد وفاته)[2]، وبعد أن ذكر موضوعاً عن الزبيري وقصـيدة له فيهدم قبر ابن علوان وستأتي إن شـاء الله في موضـعها ثم قال: (ولكن الأخ القاضي فضل بن علي الأرياني أطلعـني علي قصيدة لأحمد بن علوان تدل على أنه كان يدعي لنفسه أمـوراً خارقة للعادات، نـذكرها هنـا، ونـذكر كـذلك جـواب الفقيه علي المقصـــري الســـرددي عليها ومن يطلع عليهما لا بد أن يحكم عليه بأنه كـــان يـــزعم لنفسه كرامـــات أختص بها وأن أتبـــاع طريقته قد فتنوا به في حياته. نسأل الله الهداية والتوفيق إلى اتباع أحكام كتابه وسـنة رسـوله على الوجه الـذي يرضـاه)[3]. وهذا كله يدل على توجه الرجل وحرصه على سلامة المعتقـدة ومقته للقبورية والقبوريين.

المـؤرخ الثـالث: الأسـتاذ صـلاح البكـري وهو من مـؤرخي حضرموت المنتمين إلى جمعية الإرشـاد بإندونيسـيا وقد عنـون في كتابه "تاريخ حضرموت السياسي" هذا العنوان " الخرافات " عـــدّد تحته الكثـــير من تلك الخرافـــات المتعلقة بـــالقبور وبالاعتقاد بالجن وتقديم ما يدفع شرهم من ذبائح أو كسر بيض على بـــاب الـــدار لئلا يحتلها الجن وأبـــان من يقف وراء تلك الخرافـــات، ولا أطيل فهـــذا نص كلامـــه: (ولقد ابتـــنى بعض العلويين قباباً كثيرة لبعض موتاهم رحمهم اللـه، ووضـعوا على أجداثهم التوابيت، ودعوا الناس لزيارتها، والتبرك بها، والتوسل إليها لقضاء الحاجـات واسـتنزال البركـات، وقد يوجد في القبة خزانة " تيحه " في داخلها إناءان: أحدهما للنقود والآخر للزيت الذي يقدمه المريـض لطلب الشفاء، وأقرباء الميت هم الـذين يتمتعون بهذه القـرابين والنـذور، وقد يبـالغ بعض المرضى في الضلال فيأكلون قليلاً من تراب ذلك القبر لطلب الشفاء، وإني لأذكر أني حينما كنت في حضـــــرموت وأنا يومئذ لم أبلغ سن

---

[1] هجر العلم (1/225) .

[2] المصدر السابق (2/750) .

[3] هجر العلم (2/751) .

الرشد أصبت بحمى، فذهبت إلى قبة المرحــوم عمر بن محمد الهـــــــدار العلـــــــوي الواقعة على مقربة من حوطة أحمد ناصـر،وأكلت قليلاً من تـراب قـبره ’ وقبلت تابوتـه، وتوسـلت إليه ليـــذهب الآلام، ويعيد إلي صــحتي كاملة غـــير منقوصـــة، ووضعت في الخزانة أوقية وربعاً، وعـدت إلى الـبيت وأنا أرتعد من حمى الورد، ومن حسن حظي أني في اليوم الثاني شفيت من مرضي، ولكن من سوء حظي أن ازداد اعتقادي في الهدار واعتمادي عليه من دون اللـه، فـذهبت في الحـال إلى السـوق وابتعت رطلاً من زيت السمســـم، ثم ذهبت إلى قبة الهـــدار، ووهبت له الزيت في الخزانة، وهكـذا ذكـرت صـاحب القبة في السراء والضراء خفية وجهرة، وهو لاينفعـني بشـيء، ولم أذكر الله عزوجل، الـذي هو أقـرب إلي من حبل الوريـد، وبيـده كل شيء.

ويوجد في الروحـانيين وبوجه أخص في العلــويين من يصــنع التمائم والعزائم للمرضى وغيرهم من طلاب الحاجـات، ويبـالغ بعض الدجالين من أصحاب السلطة الروحية فيسقون المريض ماءً ممزوجاً ببزاقهم للشفاء، ويتجرع هذا المريض " المغفل " ذلك البزاق القذر، وهو مسرور كل السرور متوهماً أن الشـفاء آت لاريب فيه.

وهنـاك كتب ألفت ورسـائل دونت كـان لها أثرها السـيء في عقلية الشعب، وتسميم أفكـاره،وإفسـاد عقيدتـه، وفي مقدمة هذه الكتب " المشـرع الـروي " لصـاحبه الشـيخ محمـدبن أبي بكر الشـلي المشـحون بالكفريـات والخـزعبلات، ثم كتـاب: " الجوهر الشفاف " وغيرهما.

ويقسم كثـير من النـاس بالأضـرحة ويخافونها إذا حنثـوا في أيمـــانهم أكـــثر مما يخـــافون اللـــه، فقد يطلب المشـــتكي من خصمه أن يقسم على ضريح مقـدس خـيراً من أن يقسم بالله أو بالقرآن، ويعتقدون أن لتلك الأضـرحة قـوة الانتقـام إذا كـان المقسم حانثاً، وأهم الأضرحة التي يقسمون بها هي:

الاســـم	المـــكان	الاســـم	المـــكان
أحمد بن زين الحبشي العلوي	حوطة أحمد بن زين	الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي	عينات
عبدالله العيدروس العلوي	تريم	سعيد بن عيسى العمودي	قيدون
عمر بن محمد الهدار العلوي	حوطة أحمد ناصر	معروف باجمال	بضـة
علي بن حسن العطاس العلوي	المشهد	عيدروس بن عمر الجيشي العلوي	الغرفة
حسن بن صالح البحر العلوي	ذي أصبح	عمر المحضار العلوي	تريم

وفي زعمهم أنه إذا أراد الشخص أن يأتيه كساء من أبيه أو من أحد أقربائه المهـاجره في جـاوة أوفي غــيرها، فما عليه إلا أن يذهب إلى إحدى القباب ويقطع جزءاً صغيراً من ثوبه، ويربطة باللعـاب، ويقـذف به في الحائـط، ولا تمضي سـنة إلا وقد نـال مطلوبة ولذلك تظهر الحيطـان في بعض القبـاب كأنها مغطـاة بطبقة من الورق المزخرف أو زينت بنقوش مختلفة الألوان.

وبعض المرضى وبالأخص إذا كـان صـغيراً يُطـاف حوله حَمَل مراراً، ثم يقطع جزءً من أذنه ويعلقه في ذراع المريض، ويـذبح ذلك الحمل ويــوزع لحمه على الجــيران بعد أن يأخذ الــدجال الـذي أشـار لهم بتلك العملية جـزءً كبـيراً منـه. وأول ما يعمله الشخص الذي يريد أن يبني بيتاً أن يدق أربعة أوتـاد في البقعة التي سـيبني فيها المـنزل لطـرد عين السـوء،وذلك بعد أن أخذ رأي أحد الروحـانيين، وعنـدما يتم بنـاء الـبيت يـذبح حملاً على عتبته كما يفعل الفرنجة عند الاحتفــال بــإنزال الســفينة لأول مرة في البحر بكسر زجاجة خمر، وفي بعض أجزاء حضرموت يذبح صاحب البيت شـاة، ويأخذ من دمها بيـده ويخضب البـاب. وبعضهم في أثناء عملية البناء ويأكل البناؤون لحمها، ويريقــون دمها على الحيطـان، وعنـدما يـدخل صـاحب الـبيت لأول مـرة

يكسر بيضتين على عتبة الدار، وأخريين على الـدرج، وأخـريين عند الطابق العلوي)[1]

والمؤرخ الرابع: الذي نستشهد ببعض كلامه هو الأستاذ كرامه سـليمان بـامؤمن صـاحب كتـاب" الفكر والمجتمع في حضرموت" وهو كتاب حديث تناول موضوعاً مهماً جـداً وجانبـاً حساسـاً من جـوانب الحيـاة في حضـرموت،هو جـانب الفكر مرتبطـاً بـالمجتمع،وقد كشف أسـراراً وأبـان مخبـآت لم يـرق للبعض ظهورها ولـذلك فالكتـاب ومؤلفه مسـتهدفان بالتشـهير وهـذا أقل ما يمكن أن أقولـه،وإلا فيمكن أن يكـون أكـثر من التشـهير، وإليك نموذجـاً واحـداً من ألصق ما ا حتـوى عليه الكتـاب بموضـوعنا "القبورية " قـال - حفظه الله - تحت عنوان"نقد الفكر الصوفي ماله وماعليه": (الإنسان كما أشـرنا سـابقاً مكـون من جسم وروح لايفترقـان إلا عند المـوت. والتوازن بين نشاطهما هو مادعا إليه الإسلام. والتصوف جنـوح نحو نشاط الروح مقتبساً فلسـفته من ثقافـات الأمم السـابقة للإسلام، خاصة الثقافة المسيحية الـتي سـنت الرهبنة والتنسك والخلوة في الكهـوف والأديـرة، وتـرك طيبـات الحيـاة المباحة كعدم الزواج عند الرهبان والراهبـات قـال الله تعـالى: ﴿ وجعلنا في قلـوب الـذين اتبعـوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتـدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضـوان الله فما رعوها حق رعايتها﴾"الحديـد: 27 "، والاعتـدال في التصـوف قـولاً وعملاً والإلـتزام بالكتـاب والسـنة دون تأويل ومغـالاة لا يخـرج المتصـوف عن عقيدته التوحيدية وشـريعته الإسـلامية. وكم من هـؤلاء الصـوفية المسـتقيمين قد عـرفهم العـالم الإسـلامي واليمن وحضـرموت.وقد وقفـوا في وجه الغلو والانحـراف الصـوفي واستنكروا ما صدر من المغالين من شذوذ وانحـراف ومحـذور قولاً وعملاً. ومما يعقّد مشكلة التصوف الضعف البشري أمـام حالات مذهلة تتراءى للمتصـوفة فتفقـدهم تـوازنهم ولايثبت إلا الراسخون في العلم والعقيدة. ولاسيما أن كثيراً من مثل هـذه الأحوال وخوارق العادات تحصل للبر والفـاجر وللمسـلم وغـير المسـلم. ناهيك عن أن للشـيطان أحابيله لغواية الإنسـان كما أن للعلم والسحر دورهما في كثير مما يصـوره بعض الصـوفية

[1] تاريخ حضرموت السياسي (119-121) .

أنه كرامات كما تستغل الصدف والفراسة للإدعـاء بالكرامـات. ولا تقتصر الخطورة في غلو الصوفية وانحرافـاتهم وشـذوذهم، عليهم أنفسـهم فحسب فهـذه أمرها سـهل ومحصـور. وإنما الخطر كل الخطر في التـأثير على النـاس والمجتمع وخاصة على العوام والسذّج لأنهم أكثر فئات المجتمع تـأثراً وانصـياعاً لمـؤثرات الفكر الصـوفي المنحـرف. ويجب أن ننظر إلى المتصـوف وأحواله حالة خاصة به وحـده. أما أن يجعل من أحواله وتصرفاته منهاجاً يقتـدى بها - وأمامنا كتـاب الله وسـنة رسـوله وهـدي أصـحاب رسـول الله والتـابعين ومن اهتـدى بهديهم- فهذا مما يجب أن لا يكـون ولايصح إطلاقـاً أن نجـزىء القرآن الكـريم والحـديث الشـريف الصـحيح إلى ظـاهر للعامة وباطن للخاصة يؤلون معاني ألفاظ القـرآن الكـريم كما نـزلت من عند الله على رسول الله ، وألفـاظ السـنة كما تحـدث بها الرسـول لعامة المسـلمين ويطلقـون عليها علـوم الشـريعة وفي تقديرنا إن أخطر وأوسع ثغرة فكرية تهـدد بنيـان الإسـلام وتشـوه عقيـدة المسـلم هو هـذا المـدخل في تجزئة القـرآن الكـريم والسـنة إلى ظـاهر وبـاطن وإلى شـريعة وحقيقـة. ولا تقف الخطـورة عند تجزئة الإسـلام إلى منهـاجين وعلمين أحدهما للخاصة والآخر للعامة،بل تتعـداها إلى تقسـيم المجتمع الإسـلامي إلى طبقـتين أو فئـتين اجتمـاعيتين هما فئة التعـالي وهي فئة الخاصة المحدودة في المجتمع وفئة الأتباع- وهي فئة العامة العريضة في المجتمع -, ويتمادى التمييز الاجتمـاعي في غيه عنـدما تكـون فئة الخاصة هي المـدبرة والمسـيرة لحيـاة ومعـاش وسـعادة فئة العامة من خلال سـلطتها الروحية المطلقة الـتي يمثلها الـديوان المصـرفي وجهـازه التنفيـذي الهرمي اللذان تطرقنا إليه فيما سبق.

وإذا رجعنا إلى آداب وتراث الفكر الصوفي الحضرمي؛ نجـده مليئـاً بحـالات التصـرف المطلق من قبل الأقطـاب والأوليـاء والأحياء والأموات في حياة النـاس من شـفاء الأمـراض، ورزق الأطفال، وغفران الذنوب، ورد الكوارث، وتـأديب المتطـاولين، وقتلهم أحيانـاً بالقـدرة، واسـتئناف حيـاة الأمـوات من جديد واللقاء بالأحياء. يقول السيد علي بن حسن العطاس (من قـام لله بالقـدرة كلامه يتم). وهنـاك من يقـول تأكيـداً لمقولة

العطاس هذه: (إن بعضهم كان يكلم الصـوفي الشـهير بـدوعن الشـيخ سـعيد بن عيسى العمـودي بعد موته ويشـاوره). في أموره. كما يروي البعض الآخر أنه كان يخـاطب الفقيه المقـدم أمام قبره بل ويخرج الفقيه المقدم من قبره ليتناول مع زائـره القهوة، ويتبادل أطراف الحديث.

إن عـودة الـروح مسـألة قديمة وكـان فراعنة مصر يعتقـدون بعـودة الـروح إلى الجسد بعد المـوت. ولهـذا كـانوا يهـيئون مـدافنهم كالأهرامـات كل ما سـيحتاجه الميت من أدوات ومأكولات وغيرها. ينما يروي لنا الرسول أن روح المؤمن بعد وفاته تُعَلَّق على[1] شـجر الجنة ولا تعـود إلى الجسد إلا عند البعث. وفي الواقع إن كيفية حياة الإنسان بين المـوت والبعث وعلاقة الروح بالجسد وعذاب القبر ونعيمه، وتلاقي الأرواح هي من الغيبيـات، ونكتفي بالتسـليم بما جـاء نصه في القـرآن والحديث ولا نزيد. ويعلمنا الرسول أيضاً أنه إذا مـات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ورثه لعلمـاء ينفعـون به النـاس، وصـدقة جارية تصـدق بها قبل مماتـه، وابن صـالح يـدعو في حياته لأبيه الميت. إن التطـرف في تمجيد الأوليـاء والأقطـاب يـؤذي الأوليـاء أنفسـهم ويخـرجهم عن بشـريتهم. وقد تـبرأ الرسول من الغلو في الدين. أو طلب شيء منه لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: قل إنما أنا بشرمثلكم يوحى ألي أنما إلهكم إله واحد "الكهف -110")[2].

ونقد المؤرخين لهذه العقائد والأعمال ليس مختصاً بمـؤرخي أهل السـنة والمعارضـين للقبوريـة، ولكن بعض المـؤرخين المحسـوبين على القبـوريين هم كـذلك ينقـدون هـذه الأمـور ويحذرون منها، وقد تقدم كلام المؤرخ العلوي علوي بن طـاهر الحداد في مباحث الزيـارات القبورية وقد كـان شـديد الانتقـاد لهم مصـرحاً بـأن بعض تلك العقائد والأعمـال هي كفر بالله تعالى فارجع إلى هناك [3].

المطلب الثاني الردود على القبورية الـتي جـاءت على ألسنة الشعراء:

---

[1] الصحيح " تعلق في " والمعنى أنها تأكل .

[2] الفكر والمجتمع (228-230) .

[3] ص (   ) .

وهـذا البـاب واسع جـداً فقد تفنن الشـعراء في الـرد على القبورية من جوانبها المختلفـة، فمن ناقد لبعض العقائـد، ومن ناقد لبعض البدع والأعمـال كالسـماع ونحـوه، ومنهم من ينتقد المتظـاهرين بالولاية ممن هم في الحقيقة من المحتـالين على خلق اللـه، ومنهم من يصف القبـور المعظمة وما يفعل عنـدها من مناكر وضلالات، وهذه بعض تلك القصائد:

وأبدأ بشاعر من شعراء حضـرموت وكبـير من كبرائها العلامة الشـاعر الصـوفي المتشـيع أبـوبكر بن شـهاب الـدين العلـوي المتــوفى ســنة (1341هــ)، وله قصــيدتان الأولى في كشف مخاريق من يدعي الولاية ويتظاهر بمظاهرها ويتقمص لباسـها، ثم من وراء ذلك يختل الغافلين ويصـطاد أمـوال الجـاهلين، بل ويتعـــدى الأمر إلى النســـاء ومايفعل تجـــاهن باسم الـــدين والولاية.

قــال جــامع ديوانه (وقــال نفع الله به في وصف دجاجلة المتصوفة بزماننا:

هل للغرائـب من حكيـم عاقـل	**أو عالـم يقضـي بحكم فاصـل**
أمِـنَ الذئاب المُعـط صنفٌ ناطق	**في صـورة البشـر السوي الكامل**
أأقـول: كـلا والعيان مكـذبي	**كـلا بل المفـتي أسـير السائـل**
معـط الذئاب الناطقات هم الأُلى	**جعلـوا التصـوف صنعة للداجـل**
فترسمـوا برسومـه كي يحسبـوا	**صوفيـة مثل الفضيـل الفاضـل**
يضعـون للتمويـه والتغريـر في	**مشـكاة نور الحـق نار الباطـل**
لبسـو العبايا والمسابـح والحـبى	**والطيلسـان يـدار فوق الكاهـل**
والمظهـرين الـبر والتقـوى وإد	**مـان التنسـك خدعة للجاهل [1]**
و إذا خلـوا عكفـوا	**مـن لاعـب أو**

[1] في الأصل للجافل .

على شهواتهم
هجروا كتاب الله
واستغنوا بألــ
زعماً بأن الطار
والمزمار والـــ
أيقــوم دين الله
بالسفـهاء من
بئس الطـوائف لا
مـرام لهم ولا
ولهــم حبائل
لاجتلاب المال لم
ويطــوف أطراف
البلاد دعاتهم
ممن يبيــع
ولايبـالـي دينــه
فـي كل واد لاتطيش
ســهامهم
ويذيع كل ما افترى
من نعت شيـ
من صومـه وصلاتـه
وقيامــه

شـارب أو آكل
حــان السماع
ورقصه المتداول
أوتـار تنعـش كل
قلـب ذاهل
ذي مزهـر أو زامـر
أو طابـل
مرمـى سـوى جمع
الحطام الزائل
تـدرك غوائلـها لغيـر
الفاتـل
ودهاتهـم من كل
صـل صائـل
بيـع المـزاد ولـو
بشـاة شائل
مـع كل حاف
يَحْفِـدون وناعل
خهم الغـوي ولو
خرافـة هـازل
جنـح الظـلام وزهـده
في العاجل

يـروون عنـه خوارقاً
للرسـل ما
ولأجـل نفـي الريب
مهما حدثوا
وهنـالك الأسـتاذ
يجهـد فكره
يترقـب الفرص التي
فيها قطيــ
يثـني على أهـل
الثراء مصـوبـاً
زيدٌ ربيعُ نَدى وعمروٌ

وقعـت ولا اتفقـت
لساحر بابل
حلفـوا لسامـع
إفكهم والقابـل
فـي سلـب ثـروة كل
غر غافل
ـع الصـيد يبدو مكثبـاً
للنابل
أفعالـهـم مستـدرجـاً
للفاعـل
مِ كـذا وبكـرٌ في

في مقــا الرعيل الواصل
ويشير رمـزاً في الحديـث بأن ما يحكيـه مـن إلهـام غيـب نازل
حتى إذا اعتقـدوا علـو مقامــه ومشـت عليـهم حيلـة المتحائل
غمـروه جـوداً واستزاروه التمـا ساً للتبرك فـي المقـر العائلـي
ولمسحه رأس الصغيـر ووضعــه يده الكريمـة فـوق بطـن الحامل
ومتى تحكَّم مصلحـاً فـي حالة جعل البخيـل فريسـة للبــاذل
وتـراه يصدع بالمواعـظ خاطباً في القـوم بهـرة كل جمـع حافل
يملـي زخـارف زوره متأوهـاً متباكيـاً ليرق قلـب النــاكل
طوراً يـرغب في الثـواب وتارة أخـرى ينــدد باللئيم الباخـل
وإذا رأى في الجمــع من أكياسه مـلأىمن التبر الوفيـر الطائــل
أوحى إلى أحـد الشياطـين الألى منهـم تعـوذ كل غـول غائـل
فيقول: يامسكين زر شيخ الشيـ ـوخ تنل بـه أقصـى أماني الآمل
وإذا أتـى ألفـاه في المحـراب في جـد وشغـل بالعبـادة شاغــل
ويقـال بعـد الانتظار هـنيهةً: أدخـل فأنت اليـوم أسعد داخل
ولك البشـارة إن رزقــت ولاءه بالانتشال من الحضيض السافــل
فإذا تقدم قال شيـخ السوء أهـ ـلاً يابـني ومرحبـاً بالواصـل
إنـي لرؤيتك ابتهجت ولسـت أد ري سر هـذا الابتهـاج الحاصل

فلعل في لـوح ... سـر اتصـال
السوابـق بيننــا ... بالأواصـر واغـل
ولعـل حالك في ... نيـا علـى دعـة
أمور الدين والد ... ولطف شامـل
إن كنـت محتاجاً ... تقـوى بـه وتقيـم
فخـذ ما تبتغي ... ميـل المائـل
لا تخشَ إملاقاً علـيَّ ... ـك فنحن في كنف
ولا عليــ ... الرسول الكافل
أعلمتَ أني بعد ختم ... سحَـراً أعرتنـي
وظيفتـــي ... غفوة المتـثاقـل
فرأيته صلـى عليـه ... ـتسمـاً يقول وكان
الله مبـــ ... أصدق قائل
أبشـر فأنـت ... ورعايتـي لمقيمكـم
وتابعوك بذمتـــي ... والراحــل
نِـب عن نبيك في ... ة المعـوزين وفي
مواساة العفـا ... عظـاة الجاهــل
جُد بالنوافل ما ... مـى والأيامـى
استطعت على اليتا ... والفقير العائـل
خذ ما تشاء من ... ـحسـنى ولم يعبأ
امرىءٍ سبقت له الـ ... بعذل العـاذل
وأنا الضمين لمـن ... طول الحيـاة وفي
يعينك بالغنـى ... الجنـان مخاللـي
فيصدِّق المسكـين ... ممـزوجـة بزعـاف
كاذبَ قصـة ... سـمٍّ قاتـل
فيشـاطر الأستـاذ ... لسـداد ذي عـوزٍ
خالص تبـره ... ورفد أرامـل
ولكَـم لهـم في السر ... إبليس لـم يطمع لها
غامض حيلة ... بممـاثــل
ولهـم من الجنس ... أبَتِ المـروؤة
اللطيـف لطائف ... شرحـها للناقــل
لكن على الأزواج ... ت فهـم أشـد بلادة
عار المرســلا ... من باقــل
هـذي طرائقهـم ... تعسـاً لهـم من

وهـذا شأنهم | خائـن ومخاتـل

أفهكذا كانت طريق مشايخ الــ | إسـلام أربـاب السلوك الـعادل

كالتستري وكالسري والكالجنـيـ | ـد الحبـر والشبلي أو كالشاذلي

كلا وحاشى بل هم عمد الهـدى | وسحائـب الفيض العميم الهاطـل

الزاهدون المتقون العارفـــون | بربهـم من كل بـر عامـــل

وهـم البراء من الألى كذبـواعلى | حضراتهم وخصومهـم في الآجـل

فإليك ربـي المشتكى وبك العيـا | ذ من انتقامـك والعذاب الهائـل

واسمـح بإرشاد الجميع إلى طريـ | ـق الحق واصفح عن خطايا الخاطل

وتغش بالرحمـات روح المصطفى | والمرتضـى تعداد طش الوابـــل

ضاعف صلاتك والسلام عليهمـا | وبنيهمـا مدد الوجـود الشامـل

والصحب من بسيوفهم ثلت عرو | ش الشرك واندرست رسوم الباطل

ما تاب ذو خطـأٍ وآب مفــرط | وأناب عبـد في العتيـم الحائـل)[1]

وهذه القصيدة تجسد حال الكثير ممن يدعي الولاية على امتداد الأرض اليمنية، بل على امتداد البلاد الإسلامية وللأسف الشديد، وهؤلاء لاشك يخرجون من تحت عباءة المتصوفة والشيعة القبورية.

وهناك قصيدة أخرى لهذا الشاعر في نفس المعنى أضيفها هنا.

قال جامع ديوانه:(وقال نفع الله به:

[1] ديوان ابن شهاب (193 – 196) طبع مكتبة التراث الإسلامي صعدة ، ودار التراث اليمني صنعاء ، الطبعة الثانية سنة (1417هـ - 11996م).

العـلم والمجد رضيـعا لــبان والجــهل يرمي ربّه بالهـــوان
لايدعي العلــم امرؤ جاهــل يخــاف أن يفضحه الامتــحان

فهـو لـدى أشـكالـه باسـل   و إن جرى البحث الشرودُ الجبانُ
بـلى يقـول الجاهـل المدعــي   العلـم نـور مشـرق في الجنـان
العلـم ســـر الله إلهـامـه   فـي القلـب لا لقلقـة باللسـان
العلـم إمـا ظاهـر وهو في الـ   ـكتـب وللأحكام فيـه البيـان
أو باطــن يعرفـه أهلـــه   وهـو لديهـم واجـب أن يصان
يومـي بما يملـي إلـي أنـــه   في أشـرف القسميـن رب العنان
وقـد علـت أصـوات أمثالـه   بمثـل هـذا فالأمـان الأمــان
نشكو إلـى الرحمـن من هذه الـ   ـغوغاء شكوى من رمـاه الزمـان
مـن ماكـر ذي سبحـة أو مرا   ء قـارىء همسـاً وذي طيلسـان
ورامـز بالغيـب فـي حيلــة   يلفـظ بالقـول الكثير المعــان
رواد صيـد كلهــم حــاذق   فـي الرمـي لايصطاد إلا السمان
شباكهم دعـوى الكرامات والـ   ـكشف وتزوير المرائـي الحسـان
هـذا يـرى المختـار فـي نومه   وذاك يستخبــره بالعيـــان
كأنـه مـن بعـض   يحضـر فـي كـل

أتباعهـــم	**مـكان وآن**
ومنهـم المخبـر عن بـرزخ الـ	**ـموتـى شقـي أو سعيـد فلان**
وقـد أرانـي الله شيخـاً لــه	**جماعـة رجـلاه مصـفرتـــان**
فقلـت: ماذا نابـه؟ قيل: مـن	**وطء حشيــش الجنـة الزعفران**
أف لقـوم همهـم كيدهــــم	**وجمعهـم للمـال من حيث كان**
بالمـال تلقاهـم سكارى كمــا	**يسكر من يشـرب خمــــر الدنان**
إن أحــسن الظــن بتلبيسهـم	**مُثْـرٍ رأوا تطهيـره بالختـــــان**
من كل ما الإنسـان يخشاه مـن	**مستقبل الدارين يعطـي الضمـان**
وإن رأوا فـي عقلــه خفــةً	**باعـوه في الدنيـا قصور الجنـان**
وكـم وكـم قد موهوا زائفــاً	**فظنـه البلـه ثميـن الجمــــان**
يارب يامنـان أنـت السريـــ	**ـع الغـوث والمفـزع والمستعان**
وفـق رجـال الدين للصدق والـ	**إخـلاص والإعراض عن كل فان**
ونـزه الإسـلام عـن غش أهـ	**ـل المكـر والتـدليس كيلا يهان**
واغفر ذنوب الكل واصفح ومـن	**قلوبنا اغـسل كـــل ريب وران**
وصـل أزكــىماتصلـي عـلى	**مـن أشرقت من نوره الخافـقـان**
والآل أهـل المجد والصحـب مـا	**أمـالت الريح الغصون اللـــدان)[1]**

---

[1] ديوان ابن شهاب ص : (237 – 238) .

وللشاعر الأديب والعالم الثبت - مفـتي حضـرموت في زمانه والشـاعر المـبرز على أقرانه العلامة عبـدالرحمن ابن عبيدالله السـقاف - نقد لاذع وبيـان سـاطع في نقد دجاجلة الصـوفية والمتاجرين بالولاية حسب تعبيره، إليك بعضـاً منه وهو مقدمته لإحدى قصائده في الموضوع: (وقد اتفق لي في شرخ الشباب أن أفضت في درسي كجاري عادتي في النعي على الخرافـيين وتفنيد مزاعمهم وأنكرت قول بعضهم: إن أتـان الفقيه المقـدّم - قدّس سره - كانت تعـرج الى السـماء وتـأتي بخبرها طـرفي النهار، مع أن الـبراق لا يقـدر على ذلـك، فلو أنها حضـرت ليلة المعراج لأغنت عنـه؛ لأن الـبراق لم يجـاوز إيليـاء على الأصـح، وقول بعض آخر عن بعض العلويين: إنه كانت له زوجة شـريفة مضى لحملها سـتة أشـهر فـتزوج فلاحـة، فنشـزت الشـريفة؛ فخيرها بين الرجـــــــــوع أو يأخذ الحمل من بطنها إلى بطن الفلاحة، ولما أصرت فعل ما تهدَّدها بـه، وولـدت الأخـيرة لثلاثة أشهر من حين الـدخول! وقـول آخر أن أحد الأوليـاء مـات عن زوجة صـالحة من غـير ولد فاشـتد حـزن تلك الصـالحة وعظم وجـدها عليه فكـان يـتردد عليها من ضـريحه حـتى أحَبَلها بعد موته، فجاءت بولد نسبوه إليه.!
وطالما أنكـرتُ مثل هـذه الأضـاليل الـتي لها يتـذمر الإسـلام، وتنتكس الأعلام، وتكل عن عد شـــرها الأقلام، فما حصـــلتُ إلا على الملام، وذلك هو الـــذي اســتغرق جهـــدهم في تشـــويه سمعتي والتمضمض بعرضي والتقول عليّ والسعاية بي - لــولا وقاية الله.
ومع هذا فلا يتظنّى امرؤ أني أحط من مراتب الأولياء السامية، أو أغمط من فضائلهم النامية، كلا والله فانني أتـبرك بمـواطئ أقدامهم وأتشرف بـأن أعـدّ في جملة خـدّامهم، وبحمد الله قد حصل لي الحظ الأوفى من اعتنائهم، والنصيب الأكبر من صدق ولائهم، أولئك الذين لا اعـتراض للشـرع عليهم بحـال. ولا للنقد في طريقهم أبداً مجـال، ومن زعم أن بين الشـريعة والحقيقة تخالفاً وقع في الضلال، وقد قال الشعراني سمعت المرصـفي يقــول: لا يكمل الرجل في مقــام العلم والمعرفة حــتى يــرى الحقيقة مؤيــدة للشــريعة وأن التصــوف ليس بــأمر زائد على السنة المحمدية وإنما هو عينها، وقال سـمعت الخـواص يقـول

مــراراً: ومن ظن أن الحقيقة تخــالف الشــريعة أوعكسه فقد جهل. انتهى.
وجـاء عن غـير واحد من العـارفين أن الطـرق إلى الله تعـالى مســدودة إلا على من اقتفى أثر الرســول ، وقــال: إذا رأيتم الرجل يطــير في الهــواء وقد أخــلّ بحكم واحد من الشــريعة فقولـوا إنه زنـديق، والأدلة في هـذا عن الصـوفية فضـلاً عمن سواهم من الفقهاء لا يضبطها الحصر.
ولئن اشـترط القشـيري الحفظ للأوليـاء فالعصـمة بالاتفـاق لا تكون إلا للأنبيـاء، وقد أثر عن إمـام دار الهجـرة أنه كـان دائمـاً يقول: كل يؤخذ من كلامه ويترك إلا صاحب هذا القبر الأعطر.
ويعجبني من الآلوسي تأويله ما ذكره ابن عربي " الطائي" من حيــاة أربعة من الأنبيــاء وأنهم لايزالــون في الأرض وقوله بعد ذلك ما معناه: حسب الشيخ منا أن نـؤول كلامه حـتى يتفق مع كلام الله تعالى وكلام رسوله وأما العكس فمما لا سـبيل إليه إذ الدين يصير بذلك لعبة لعّاب انتهى بمعناه)[1].
وقال في القصـدة الرابعة عشـرة: (وهـذه في وصف بعض حال المموِّهين ووجوب الاعتماد على والإطراح لما عداها.

سوق الفضيلة في أيامنا رخصــا … **كأن ما فيه من درّ الكمال حصـى**
لا حظّ إلا لأبناء السفاح ومــن … **نمته أم حصان كابد الغصـصــا**
ما زالت الناس قبلي يشتكون لـما … **يلقون من قلة الأحرار والخلصــا**
واليوم أطلب إنسان فأعــــوزني … **ولم أجد غير وحش تلبس القمصـا**
فهـل حقيقة هذا الجيل ثابــتـة … **أم لا فإشكال هذا الأمر قد عوصـا**
ما للزمان قد استشرى الفساد بـه … **والخير فيه على أعقابه نكـصــا**
غنيمة المرء بعد الناس عنه فــلا … **تفرح بآت ولا تحزن لمن شخصــا**
ولا يغرّك زي النسك … **فكم تنسك دجال**

---

[1] ديوان ابن عبيد الله (258-259).

من أحـــد ... ليقتنصـــــا
يمشي الهويـنا بشئ في عمامتـــه ... كأنه الرّوق لكن في امتداد عصـــا
كأنـما هو حـــاو لا تفـــارقه ... رقـطاء يغوي بها من عقله نقصـــا
ممـوّه يذكر الأخيار منتهـــزاً ... بذكرهم من صغار الأنفس الفرصـا
يروي غريب كرامات بلا سـند ... وربما اختلق الأخبار والقصـصـــا
خلوا الخرافات والأحلام إن لـنا ... ديناً قويماًمن الأوهام قـد خلصـــا
مـا في شريعتنا وهم ولا شبـــه ... لكن عزائم صدق مازجت رخصـا
وهـذه سيرة الهادي وسنتـــه ... من حاد عنها ولو قيد البنان عصـى
خير النبيين من شباكه لنـــهى ... أهل النهى قـد غدا من حبه قفصـا
لـه وللمرتضى منّا التحية مـــا ... غنّى الحمام وما بان النّقا رقصـــا
وما هدي الركب بالريح النسيم وما ... انضى الدليل بأنواعه الحدا القلصا)[1]

الأستاذ الزبيري:

وللأستاذ الشاعر محمد محمود الزبـيري مشـاركة في نقد القبورية قالها حينما أمر الإمام أحمد بن يحـيى حميد الـدين بإزالة قـــبر ابن علـــوان وتســـويته ونقل رفاته إلى مكـــان مجهول، فأهتبل الزبيري هذه الفرصة وأنشأ قصـيدة طويلة مـــدح الإمـــام فيها ببيـــتين أو ثلاثة ثم أخذ في نقد القبورية فقال:

(كذلك المجـد إمـا رافعاً علمـــاً ... أو باعثـاً أممـاً أو هادماً صنمـا

[1] ديوان ابن عبيد الله (238-239).

يا مـن يجـدد من آثـار أمتــه ... مالو رأى جـده المختـار لابتسما

جرح علـى كبـد الإسلام متسع ... وضعت فيه ذباب السيـف فالتأما

خديعـة للجماهيـر التي زعمـت ... بـأن مـن دينهـا أن تعبـد الوهما

قالوا له كتـب في القبــر يكتبها ... ينهـى ويأمـر أنـى شـاء محتكما

فليت شعـري أسحـر ذاك يزعمه ... أم أنــه اتخـذ القرطاس والقـلما

أم أنـه اتخـذ القبر المقيـم بــه ... عرشـاً يدبـر فيه اللوح والأمما[1]

كاد ابن علوان إذ بَرَّدتَ مضجـعه ... يسعـى بأكفانـه للعرش مستلمــا

يشكو إليك أناساً أحدثوا بدعــا ... ما كان وصاهـم فيها ولا علمــا

جاؤوه وهو رهين القـبر منتـظرٌ ... هـول السؤال يخـاف الويل والنقما

يعتـد منطقه كـي يستجاب لـه ... وقتـاً تضيع فيه الألسـن الكلـما

فبينما هو يخشـى هفوةً سلفـت ... صغيرةً فيـه فيمـا قـال أو زعمـا

إذا بـه يجـد الدهـماء تعبــده ... جهـراً وتجعلـه ربـاً، وإن رغمـا

فظل يرجف من خوف ومن خجل ... وبقـرع السـن مـن أعدائه ندمـا

فكاد يهـرب من مـولاه معتذراً ... إليـه لو أنـه أحيـى له قدمــا

ربّاه، إنيَ لم أرض الذي صنعوا!! ... وكيـف أرضى ربـي عندك التهمـا

قد عشت عبـداً فلما آن منقلبـي ... إليك صيّرنـي أهـل الهـوى صنما

---

[1] مجلة الإكليل (39) مقال لعبدالله البردوني .

ما كان أخلص توحيـدي لو أنهم ... ترسمـوا الديـن والآيات والحكما
وكيـف تخلق حلقاً ثم أسألهــم ... عبادتي دون مـن أولاهـم النعمـا
وكيف أطلب حقاً أنت مالكه الـ ... ـقهـار تأخذ مـن ناواك واجترما
وكيف أجعل نفسي ندّ من خلق الـ ... أفلاك والشمس والأقمار والديمـا
لو كنت أدفع عن نفسي لما وجدت ... للمـوت طعمـاً ولا ذاقـت له ألما
لو كنـت أزعمها ربـاً لما دفنت ... بـين التـراب وصارت جيفة ودمـا
ما كنـت آمرهم إلاّ بما أمــرت ... به الأناجـيل والقرآن والحكمــا
مادمت فيهم فقد كنت الشهيد لهم ... وكنـت أزجـر من ثنّى ومـن ظلما
لما توفيتني كنـت الرقيب علــى ... مـا يصنعون، وكنت الشاهد الحكما
وأنت أعلم من نفسـي بما صنعت ... نفسي وأعدل من جارى ومن حكما)[1]

وقد أطال الزبيري الاعتذار عن ابن علوان وأنه غير راض عما يعمله النـاس عند قـبره، ولكن القاضي الأكـوع كما سـبق في المطلب الذي قبل هـذا قد صـرّح أنه وجد من كلام ابن علـوان نفسه ما يــدل على افتتـــان النـــاس به في حياته وادعائه تلك الخوارق التي تحمل الناس على التعلق به، وهذا شأن كثير من أقطاب الصوفية.

وفي نفس الحادث يقول الشاعر المناضل زيد الموشكي:

(ياعيـن هــذا الصنـم الأكبــر ... وهــذه "يفـــرس " والمنــكر
هـذا ابـن علـوان وذا ... يعبـــده العالــم لا

[1] هجر العلم (2/750 – 751) .

قبــره يفتـــر
ياعيـن هــــــذا هبـل آخـــر وقــد يفـــــوق الأول الآخـر)[1]

وأما علي أحمد باكثير الشاعر الكبير والأديب الشهير ففي مســرحيته " همــام، أو في بلاد الأحقــاف " قد شــخص لنا الــولي " ولي اللـــه" الــذي عرفه مجتمعه الحضــرمي تلك الحقبة من الزمن الذي لم يبق علم ولا تصـوف كما يصــرح بــــذلك جمع من عقلاء تلك البلاد في ذلك الــــزمن، وإنما رسوم ومظـاهر وراءها نفـوس فارغة من الصـلاح، وقلـوب خاوية من الإيمـــــان،وعقـــــول مـــــردت على الكيد والاحتيال،وياليت القوم كانوا عصابة سـرقةٍ أو قطـعِ طريق أو شــبه عصــابات " المافيا " إذن لهــان الأمر إذ يوجد ذلك في كل مكــــان، ويأخذ النــــاس حـــــذرهم منهم،وتتحمل الســلطات مســؤولية ملاحقتهم، ولكن باسم الــدين وباسم الولاية وباسم الكرامــات هــذا ما لا يطيقه مســلم عــرف الإســلام، لـذلك جـاء نقد الأديب بـاكثير عنيفـاً وفي صـورة صارخة من السخرية والهزء بهذا النوع من الناس فاســمعه يصف الولي المحتال:

(ولـــي الله ذو الـــحبو ة والأرديــــة الخضـــر!
وذو والعمَّــــة المســـواك قـــد أربــى علــى الشـبر![2]
ورب السبحــة الغـــــار ق فـي التسبيــح والذكـــر
بــهــا يذكــر في النـاس ولا يذكــر فــــي الســـر
ومـــن يمشـــي بعكازيـــن مـــن أتباعـــه الكُثـــر
يطـأطـىء رأسـه لــــلأر ض كالبــاحث عــن ســر)[3]

---

1 مجلة الإكليل مقال البردوني (39)
2 في الأصل تقديم المسواك والصواب ماذكر .

وبعد أن كشف بـاكثير عن شخصـية الـولي الحي الـذي يعتقد النـاس فيه الصـلاح وهو يمكر بهم ويحتـال عليهم، يتجه اتجاهـاً آخر إلى ولي ميت وماذا يدور حول قبره وأثنـاء زيارتـه، ومـاذا يريد النـاس منـه، ثم ختم المشـهد بغضب همـام وثورته على هذه الخرافات وهذا الجهل والتجهيل،وقد صرح بــذلك في وجه داعية الخرافة:

فهذا همام بطل المسرحية يسأل محمداً أحد أشخاصها قائلاً:

(محمــد هــات عـن قيــدو ... ن مــاذا كـان مـن أمــر؟
ومــا شاهــدت فـي الموسـم ... مــن عــرف ومــن نـكر؟
وهــل وفقـت فـي الإنــكار ... والتذكيـــــر والزجــــر؟

فيجيبه محمـــد:

توافــى النــاس أفـواجـــاً ... إلــى قيــــدون كالـــذر
فمِـــن سا عِيَـة تمشـــي ... ومــــن راكبــة الحمـــر
هنـاك الساحـــة الكبــرى ... تحاكــي ساحـــة الحشــر
بـهـا ما شئـت مــن لهـــو ... ومــن لغــو ومــن هــذر
وقـــد غصــت بأشتــات ... مــن الآســـاد والعفــر!
تبــارت ثــــم فــــي الحليــة ... والأبـــــراد والخمـــر
وقد يقتلـــن بالمعصــــم ... أو بالنظـــر السحــــري!!
مــن الظهـر إلــى ... إلــى منبلــج

---

[3] همام أو في بلاد الأحقاف لعلي أحمد باكثير ص (47) منشورات الصبان وشركاه ، الطبعة الثانية (1385-1965) .

العصـــر   الفجــــر!
هنـــاك الخســـر فـي الديـــن   وحسـب النـاس مـن خســـر
ولا يربـــح فـي تـــلك الـــ   ـزيـارات ســوى التجـــر
وأمـــا ســـادن القبـــة   فهـــو الرابـــح المـثـري!
تسـاق لـــداره الأكيـــا   س مـن حـب ومـن تمـــر
و " للصنـــدوق " مـــا يبـــا   ع مــن ورق ومـن تبـــر!

*

ولمـــا حضـــر الوقـــت   تداعـــوا كضحـــى النفـــر
وأمُّـــوا نحـو قبـر الشيـــ   ـخ بالطبــــل وبالزمـــر
يصيحـــون ولـــي اللــه   جئنــــاك إلـى القبــــر!
أتينـــاك لكـــي تحمــــل   عنّـــا ثقـــل الـــوزر
وكـــي تسبـــل ياقطـــب   علينـــا ضافـــي الستـــر
وفـــي الأنفـــس حاجـــات   بهـا ياسيـــدي تــــدري!
أتينـــاك لكـــي تقضـــى   ونحظـــى منـــك بالســـر

*

ولمـــا وصلـــوا القبـــة   داروا دورة الحمـــــــر
وأهـــوت راح ذاك الجمـــ   ـعِ فـي التابـوت بالنقـــر
فـــلا تسمـــع إلاَّ مـــا   يصيـــب السمـــع بالوقـــر

هنـــاك النــاس غيـــر النــاس فــي الإخبــات والذكــر!

فهـــذا خاضــع شـــاك وهـــذا دمعــه يجــري

وهـــذا ينشــج النشجــة تستعصـــي علــىالصــدر!

وهـــذا يرعــد الرعـــدة فــي أعضائــه تسـري!

وهـــذا ينـــذر النـــذر وهـــذا جــاء بالنـــذر

وهـــذا صائــح يـــا سيــدي عطفـــاً علــى فقـــري

علــى عجــزي وإهمــالي علــى ضعفــي على ضري

وقــدجُلِّلَــت القبـــة بالزينـــة والستـــر

وبيضــات مــن البلـــور علقــت علــى الجــدر!

فمــن حمــر إلى صفــر إلــى زرق إلـــى خضــر

ومصبـــاح كبيــر الضــوء مثــل الكوكــب الـــدري

وللتابــوت معنـــى مـــن جـــلال العتــق والقــدر[1]

قــد اسـود من التقبيـل فـــي مختلـــف العصــر!

عليـــه ضـــبب الفـــضـــة فـــي أســـود كالحبـــر

فتبـــدو كثغـور الزنــج إذ تضحك من أمـر!

فثـــم الضـــم و التقبيـل بالثغـــر وبالنحـــر

---

[1] العتــق : القـــدم .

تــلاقـى فيــه دمعـــا الشــا ب والجاريـــــة البكـــر

*

ولمــا سكـــن الجمـــــع	**سكـــون المـوج فـي البحـــر**
تــراءى النــاس شيخــاً ذا	**شقـاشــق فيهــم هـــدر**
ينــادي أيهــا النـاس إهـ	**ـنـأوا بالفــــوز والنصــر**
بهــذي النعمــة العظمــى	**بنيــل الفضــــل والفخـــر**
قصـدتـم بـاب ذي عطـف	**وذي جـــود وذي بــــــر**
وأنَّ الشيـــخ لا يتــــرك	**مــن زار بــــلا أجـــر!**
عليـــــكم بخلـــــوص القصــد	**فـي الســر وفــي الجهــر**
وبالتسليـــــم للأقـــــطا	**ب والخدمـــة والصبـــــر**
وإيّــاكم وســـوء الظــ	**ــن بالصوفيـــة الغـــــر**
فأهــل الله هــم جــازوا	**منــاط النهــي والأمـــــر**
ملــوك لهــم التصـــريـ	**ــف فـي البـر وفـي البـحر**

*

سمعنـا أن فــي (حــدرى)	**تبا شيــــر مــن الكفــر[1]**
تصــدى ناشــيء غـــر	**بـــلاه اللـــه مـن غــّر!**
يربــي الشعــر	**ق إذ يعنـــون**

---

[1] تطلـق حدرى على ما سـفل من حضرموت كشبام وسيئون وتريم ، وعلوى على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين.

كالفســا بالشعـــــر
تلقــى مــن فنــون العلــ ـــم مــازاد علــى القــدر
فأغـــــــواه وأرداه وجــاء النفــع بالضـــر
ومــن شقوتــه استحلـــى حميـــــم الأدب المـــزري

جـــرى القلــب لايعبــ ــأُ بالتهديـــد والزجـــر
يبــث الســم فــي الجا هــ ــل والعــلامــة الحبـــر
يســيء الظـن بالأقطـــا ب أهــل المــدد الســري!
لــه أتبـــاع ســـوء كلـ ـهم يدعـــو إلــى الشـــر
*
هنــا قمــت وقـد ضــاق بــي الواسـع مـن صــدري
ومــا باليــت بالغوغـــا ءِ فــي عسكرهــا المجــــر
وقلـت اسكـت عجـوز السـو ءِ يــا داعيـــة النكــــر
عـــدو الله والإصـــــلا ح! هـل تهـذي ولا تــدري؟
أتدعــو النـاس للنكـــر وتهجــو داعــي الخيـــر
فصــا ح الشيــخ غــولوه فــذا مــن شيعـة الغـــر
فلــــولا أن تســـللت مـــن الجمهـــور بالفـــر
لكانــوا أعدمونــي مهــ ـجتـي بالضـرب والدفـــر [1]

*

همام يضحك ويقوم إ لى محمد ويضرب على كتفيه:

حماك الله من سوء وقاك الله من شر

لقد قمت مقاماً لا يوازي عظمة شكري

ولا بد لذي الإصلا ح من عزم ومن صبر!)[1]

هذه بعض القصائد في نقد القبورية العامة، وهناك قصائد أخرى كثيرة في هذا الباب ولكنني أكتفي بما سبق لئلا يطول هذا المطلب.

<u>المطلب الثالث</u> نقول عن بعض من يعتقدهم القبورية في نقد عقائدهم وأعمالهم:

الباطل لايمكن الإجماع عليه لأنه لو حصل ذلك للبِّس على الناس دينهم ولبطلت خصيصة من خصائص هذه الأمة، وهو أنها " لا تجتمع على ضلالة "، فالطائفة المنصورة دائماً ظاهرة في مخالفة الباطل وإنكار المنكر في أي جانب كان.

وفوق ذلك فإن من المحبين لأهل الباطل الواثقين بهم المقلدين لهم من هو من أهل الخير والصلاح، ولو رجع إلى نفسه ودرس الأمر بعيداً عن المؤثرات لميز الحق من الباطل ولظهر له خطأ كثير مما استصوبه أصحابه، فلذلك عندما تتاح لهذا النوع من الناس تلك السوانح فإنهم يقتنصونها وتظهر على أقوالهم وأفعالهم، وهناك من هو متمكن في الضلال ولكن يأبى الله إلا أن يجري كلمة الحق على لسانه أو قلمه، فمن أجل ذلك كله عقد هذا المطلب لإيراد نماذج من تلك الفتاوى والتقريرات التي وردت إما من القبورية أو ممن هو محسوب من أنصارهم وأتباعهم من علماء وفقهاء اليمن، ولن أخوض في نوايا أولئك الناس أو أحكم عليهم بضلال أو هداية، إذ المقصود هنا فقط هو تأييد الحق الذي يعرفه أهل السنة،

---

1 الدفر : الدفع في الصدر .

1 همام (48-52) .

ويقررونه ويستدلون عليه بالأدلة الشـرعية المعتمـدة بما يقوله من يحسب القبورية أنه منهم أو من أنصارهم وأشياعهم.

النموذج الأول:

فتــوى الســيد عبدالله بن محفــوظ الحــداد مفــتي ســاحل حضرموت في زمنه [1] إذ سأله بعض أهالي تـريم عن الاسـتغاثة بالأموات: وماحكم تلفظ القائل عند حدوث مكروه،مثل سقوط طفـل: ياالله ياشـيخ سـعيد أو ياالله يامحضـار، وأحيانـاً يقـول: يامحضار احضر..... الخ.

فأجـاب: (الحمد لله والصلاة والسلام على سـيدنا محمـد، إن مثل هــذه العبــارات من العبــارات الشــركية الــتي يجب على المسلم أن يتنزه عنها. فقد قـال الرسـول ﷺ لمن قـال: ماشـاء الله وشئت: "أجعلتني لله نداً " وهذه الاسـتغاثات ممنوعة لأنها موهمة وتـؤدي إلى خلل في العقيـدة خصوصـاً العـامي الـذي يعتقد أن لهؤلاء الأولياء تصـرفاً وأنهم يحضـرون عند الاسـتغاثه بهم – وإنما يستغاث بـ الله جل جلاله – لا بغيره من الملائكة أو الرسل أو الأوليـاء والصـالحين فكل مما يجب منعه ومحاربتـه. ومع الأسف فإن هذه الألفاظ يكررها العوام، والعلماء يسمعون فلا ينهــونهم ولا ينبهــونهم على خطرها لأنها تتصل بالعقيــدة.

---

[1] السيد عبدالله بن محفوظ الحداد وهو ممن عاصرته مدة وعملت معه في بعض الدورات الشرعية التي أقامتها وزارة الأوقـاف والإرشـاد بحضـرموت ، والرجل درس في رباط تريم ثم سافر مبتعثاً إلى السودان وتخرج من هناك وعـاد ليتولىرئاسة محكمة الاسـتئناف بـالمكلا ثم رئاسة القضـاء بحضـرموت واستمر فيه إلى عام 1970م ثم استقال منه .

وهو قد استفاد من تفرغه أيام الحزب الاشتراكي في أول عهده وعهد الجبهة القومية فقرأ كثيراً ومما قرأ فتاوى شيخ الإســلام ابن تيمية ، ولكنه مع ذلك ظل متمسكاً بالأشعرية على طريقة الغزالي ، وكـان يكـره الخـوض في مجال البدعة بل إن له كتاباً أيد فيه أصل الابتداع في الأمور العملية ورد على صاحب كتاب "السنن والمبتدعات "وكان يغضب عندما يسـأل عن حكم القبــاب الــتي على القبــور ، ثم بعد اشــتداد موجة التصــوف تعــاطف مع المتصوفة أكثر وكان يقول إن علي بن حسن السقاف - صاحب الأردن الذي ألف رســائل في تأييد بعض البــدع ورد على الشــيخ الألبــاني وابن تيمية وغيرهما - يقول عنه أنه مجدد هذا القرن .ومع ذلك كان يفتي هـذه الفتـاوى في أن الاستغاثه بغير الله شرك إلى آخر حياته - رحمه الله - .

فالله هو النافع الضار المحيي المميت مالك الملك لاشريك له، ليس لأحد معه شرك ولا تصرف.

قال في " بغية المسترشدين ": " مسألة ك [1]" جعل الوسائط بين العبد وربه فـإن صـار يـدعوهم كما يـدعو الله في الأمـور ويعتقد تأثيرهم في شيء من دون الله فهو كفر، وإن كـان نيته التوسل بهم إلى الله في قضاء مهماته مع الاعتقــاد أن الله هو النافع الضار المؤثر في الأمور دون غيره، فالظاهر عدم كفــره وإن كان فعله قبيحاً أ.هـ.

قلت: فإن قوله الظاهر عدم كفـره أن ذلك حـرام لأنه يـؤدي إلى الكفر خصوصاً من العوام الذين أصـبحوا يعلنـون مثل ذلك في كلامهم وحـــتى عند الجنـــائز – فأهل الســـوق يقولـــون: يامحضار، وأهل النويدره يقولون: ياشهاب الدين – وهـذا إن لم يكن كفراً صـريحاً فهو قـريب منـه، ويجب على العلمـاء التنبيه عليه والتحذير منه ومنع إعلانه في المجتمعات كالجنائز ونحوها من الحريق وغيره، وليأخذوا بالسـبيل القـويم الأسـلم. وإذا كنا نعذر بعض العلماء مما ورد في أشعارهم لأنهم علمـاء يعلمـون مايقولون فإذا نادى ميتاً فإنما لأجل مدحه لا للاستغاثة بـه. وإن كان فيه اسـتغاثة حملنـاه على المحمل السـليم لعلمـه، أما أن نترك العامة يأخـذون الألفـاظ ويعلنونها كأنها من الأذكـار فهـذا مالا يجـوز قطعـاً. والسـاكت عن الحق شـيطان أخـرس. والله المستعان) [2].

ولما انتشرت هذه الفتوى ومضت مدة لانتشارها شـكك البعض فيها فعـاد أحد طلابه إليه وذكر له ذلك فأصر على صـواب تلك الفتـوى، وأصـدر فتـوى أخـرى فـرق فيها بين الاسـتغاثة الـتي يحرمها ويعتبرها من الشـرك وبين التوسل المعـروف بالأوليـاء بأشخاصـهم أو بأعمـالهم وهو ممن يجـيز التوسـل، وهـذا نص الفتـــوى الثانيـــة:(إن المتوسل متوجه بطلبه إلى اللـــه، وذكر المتوسل به على سبيل التحبب، وأما الاستغاثة فيمكن اعتبارها توسلاً ظنياً لمن يفهم وينـوي طلب الـدعاء، وإلاّ فإنها ممنوعة وبالذات للعـوام الـذين قد يعتقـدون في المسـتغاث به القـدرة

---

[1] ? حرف الكاف رمز للشيخ العلامة محمد بن سليمان الكردي مفتي الشافعية في زمانه معزو إلى فتاواه .

[2] هذه الفتوى صدرت بخطه وتوقيعه وختمه ثم طبعت في ورقة أخرى ووزعت في حياته ولازالت النسختان محفوظتين .

على تحقيقها اسـتقلالاً، ولهـذا فهي محرمة على العـوام وعلى إظهارها الفتوى بها، ونعذر العلماء الـذين جـاءت في أشعارهم لعلمنا بصحة عقيدتهم وأنهم إنما يقصدون التوسل بالمسـتغاث به وطلب دعائه) [1].

وهذه الفتوى وسابقتها للعلامة الحداد لم تصل إلى المسـتوى المطلوب أو لم تخـلُ من بعض المآخذ ولكن المـراد من إثباتها هنا إثبـات أن مبـدأ اعتبـار الاسـتغاثة بغـير الله شـرك شـائع ومعـــروف عند كل من خلع ربقة الهـــوى والتقليد ومن تعصب بدون بصيرة، وإن اختلفت العبارات وتفـاوت مسـتوى التحقيق والتدقيق في الفتاوى.

ويقرب من ذلك ما قرره العلامة عبدالله بن أحمد باسـودان - رحمه الله - وهو من أكـابر فقهـاء حضـرموت في وقتـه، ومن المنطوين في السـادة العلـويين؛ بل يعتـبر شـيخاً للكثـير منهم في كتابه "ذخيرة العبـاد شـرح راتب الحـداد " (وقد فشت في العامة اعتقادات فاسدة في أولياء الله، فإن مرضوا، قالوا: هذا صـــدر من فلان، وإن شـــفوا؛ قـــالوا: بركة ســـيدي فلان، فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم؛ حلفـوا بهم ونـذروا لهم من دون اللـه، واستشفوا بهم من دون الله، فإن أجـرى الله سـبحانه الـوادي؛ قـالوا: شـيء لله يـافلان، وإن قبض الله عليهم المطـر؛ قـالوا: قبضـها فلان.. والله سـبحانه القـابض الباسط المحـيي المميت وكل شــيء بيـده في ملك ملكـوت، ولو ذهبنا لما في الكتـاب والسـنة من التحـذير في ذلك لعـرف النـاس أنهم قد هلكـوا، وأكثر هؤلاء بل كلهم أتباع الدجال نعوذ بالله من الضـلال، ويقع من هؤلاء في زيارة قبور الأولياء أو غيرهم كثـيرٌ من الجهـالات والمآثم المتكـررة، هـذا ما قاله الشـيخ عبـدالخالق المزجـاجي الزبيدي.) [2].

والمهم في هـذا النقل قولـه: (فلما اعتقـدوا ضـرهم ونفعهم حلفـوا بهم ونــذروا لهم من دون الله واستشـفوا بهم من دون

---

[1] وهذه الفتوى حررت يوم الاثنين 12 صفر 1416هـ وهي كـذلك محفوظة بخظ المفتي وتوقيعه .

[2] ذخيرة العباد شـرح راتب الحـداد (124-125) بواسـطة طريقة السـاده العلـــويين نقلاً عن كتبهم (7-8) كتبها مجموعة من الشـــباب كنـــوا عن أنفسهم بـ (مخلصـون) وقـدم لها السـيد عبدالله بن محفـوظ الحـداد وهي مخطوطة لدى.

الله)، وهـذا هو الـرد الحاسم على المزايـدين من المعاصـرين، الـذين يقولـون: إن تلك الأفعـال الـتي يفعلها العامة [1] إنما هي مجرد أعمال لاتقوم على اعتقاد ضر ولانفـع، ولو صح أن هنـاك اعتقاد ضر أو نفع لقلنا بشركهم، فهذا العالم الذي تعتبرونه من أجل علمـائكم يصـرح بـأن هـذه الأعمـال ما صـدرت إلا عن اعتقاد.

أما نحن فنقول: إن مجرد فعل هذه الأعمال وصرفها لغير الله شرك ولولم يصحبه اعتقـاد وانظر ما قـرره الإمـام الشـوكاني رحمه الله في هذه المسألة في الدر النضيد. [2]

ويشـبه ذلك - أيضـاً - ما نقله علـوي بن طـاهر الحـداد عن " الإمـام " الحـداد المشـهور " عبدالله بن علـوي " حيث قـال: (وأما الغلو في الأوليـــاء فســـببه الجهل وقلة المعرفة بعقائد الـدين وقد ينتهي ببعض النـاس إلى أن يثبت لهم القـدرة على الضر والنفع كما يثبت لله عزوجـــل، وهـــذا انتكـــاس على أم الرأس وفقد لحقيقة الإيمان والإسلام: قال الإمام العارف بالله محيي الطريق وداعي الفريق الحبيب عبدالله بن علوي الحداد العلوي: التصرف الحقيقي الذي هو التأثير والخلق والإيجـاد لله تعالى وحده لاشريك له ولا تأثير للـولي ولا غـيره في شي قط لاحياً ولاميتـاً، فمن اعتقد أن للـولي أو غـيره تـأثيراً في شـيء فهو كافر بالله تعالى انتهى). [3]

وهو كالـذي قبله يثبت أن للعامة اعتقـاداً منحرفـاً في الأوليـاء بفقد حقيقة الإيمان والإسلام وأن (من اعتقد أن للولي أوغـيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى)

---

[1] إن هذا القـول إنما هو تنصل من الحقيقة وإلا فهو قـول العامة وكثـير من الخاصة ولئن كـان العـامي تـربى على ذلك واعتقـده تقليـداً، فـإن بعض من يحسب من الخاصة من يقوله ويدافع عنه ويقيم الحجج بزعمه على صـحته ، ثم عند المناظرة يراوغ ويقول إنما هــذا فعل العامة ومن اعتقد الضر والنفع في غـير الله فقد أشـرك ، فله مـذهبان مـذهب عند الأتبـاع هو تأصـيل ذلك وتأييــده ومــذهب عند الخصــوم هو المراوغة والتقية وإســكات الخصم بما يوافقه وإن كان خلاف مايعتقده ذلك المناظر .

[2] الدر النضيد ص (110) .

[3] عقود الألماس بمناقب الإمام العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس (1/47)

وفي مسألة الذبح لغير الله قال العلامة عبدالرحمن المشهور في "بغية المسترشدين " " مسألة ب"[1]: (القنيص المعروف بحضرموت من أكبر البدع المنكرات والدواهي المخزيات، لكونه خارجاً عن مطلوبات الشرع، ولم يكن في زمن سيد المرسلين والصحابة والتابعين أجمعين، ومن بعدهم من الأئمة ولم يرجع إلى أساس ولم يبن على قياس، بل من تسويلات الرجيم وتهويسات ذي الفعل الذميم والعقل الغير المستقيم؛ لأن من عاداتهم أنه إذا امتنع عليهم قتل الصيد قالوا: بكم ذيم. [2] فيذبحون رأس غنم على الطوع - يعني العود الذي تمسك به الشبكة - تطهيراً للقنيص من كل شك ووسواس فالذبح على هذه الصفة لايعجل قتل مالم يَحْضُر أجله، إذ الأجل كالرزق والسعادة والشقاوة له حدّ ووقت مقدر كما قال تعالى: **لكل أجل كتاب** [3]، وفي الحديث: " فرغ الله من أربع: من الخلق والأجل والرزق والخلق " ثم الذبح علىمثل هذه الحالة يتنوع إلى ثلاثة أمور: إما أن يقصد به التقرب إلى ربه، ولم يشرك معه أحداً من الخلق، طامعاً في رضاه وقربه وهذا حسن لابأس به، وإما أن يقصد به التقرب لغير الله تعالى كما يتقرب إليه معظماً له كتعظيم الله كالذبح المذكور بتقدير كونه شيئاً يتقرب إليه ويعول في زوال الذيم عليه فهذا كفر والذبيحة ميتة، وإما أن لا يقصد ذا ولا ذا بل يذبحه على نحو الطوع معتقداً أن ذلك الذبح على تلك الكيفية مزيل للمانع المذكور، من غير اعتقاد أمر آخر فهذا ليس بكفر ولكنه حرام والمذبوح ميتة أيضاً وهذا هو الذي يظهر من حال العوام؛ كما عرف بالاستقراء من أفعالهم، كما مقت هذه الصور الثلاث أبو مخرمة فيمن يذبح للجن)[4] والشاهد في النص اعتبار الذبح لغير الله على سبيل التعظيم شرك بالله تعالى، وتصريح هؤلاء الثلاثة العلماء الكبار به وهم من مشاهير علماء

[1] يعني أن هذه المسألة فتاوى عبدالله بن الحسين بن عبدالله بافقيه كما في مقدمة العينية (2).

[2] (الذيم) يظهر أنه اصطلاح خاص بالقوم ولم يفسره المصنف ولعله مانع من موانع حصول الصيد بسبب معين .

[3] سورة الرعد (38) .

[4] بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين تأليف عبدالرحمن بن محمد باعلوي طبعة دار الفكر بدون تاريخ ص (255-256) .

حضـــرموت المحســـوبين من قـــدوات الصـــوفية:بامخرمـــة، وبافقيه،والمشهور.
وفي نفس الموضوع يقول ابن عبيدالله مفتي حضـرموت في وقته: (ولنضرب مثلاً بأوليـاء الـرحمن فـإن من اسـتخف حقهم وأنكر خصوصيتهم اقتحم الغلط وأتى بـأكبر شـطط ومن طلب منهم مالا يطلب إلا من جبـار السـماوات واعتقد أن لهم تـأثيراً من دون الله فقد وقع في صريح الإشراك)[1].
وفي الحلف بغــير الله يقــول عبدالله بن حســين بن طــاهر: (وأحـــذركم الحلف بالله في جميع شـــؤونكم (ولا تجعلـــوا الله عرضة لأيمانكم)[2]، وأما الحلف بالآباء والجـدود وبكل مخلـوق - وإن عظم - فهو محذور ويختلف الحكم فيه بـاختلاف المقصـود فبعض صـوره قـادح في التوحيد ومـادون ذلك فمكـروه؛ للنهي الشـديد وأشـدّ من ذلك الحلف بالأمانة فالمحتـاط من كف عن ذلك لسانه)[3]
والشـــاهد جعله بعض صـــور الحلف قادحـــاً في التوحيد ولعله يقصد إذا قصد الحالف تعظيم المحلوف به.
وهذا ظاهر عند الذين يصرون على ألا يقبلوا الحلف إلا بـــالولي ويرفضون الحلف بالله وكذلك الذين يتهيبون من الحلف بالولي ولا يتهيبون الحلف بالله
وفي النـذر قد سـبق ما قاله العلامة أبو بكر الخطيب وموضع الشاهد قوله: (أقول وأنت خبـير بـأن العـامي الجاهل الصـرف يخفى عليه ملاحظة أن هـــذا التصـــدق لايعتقد إلا في القـــرب ومعرفة ما هو قربـة، فليتنبه لما يجـيئون به للـولي أو قـبره أو مشـهده وهو ميت فـإن الغـالب أنهم يقصـدون به تعظيم ذات الـولي أو قـبره أو مشـهده وذلك باطـل؛ كما تقـدم والله أعلم بالصواب)[4]، أقول والذي تقدم قوله: (الـذي تحصل للفقـير من كلام أئمتنا الشـافعية - رحمهم الله تعـالى - ملخصـاً من كلام

[1] مذكرة طريقة السادة العلويين كتبها مجموعة من الشباب كنوا عن أنفسهم بـ (مخلصون) وقدم لها السيد عبدالله بن محفوظ الحداد وهي مخطوطة لدى ص (10) عن رسالتي (المساواة والملكية) للسيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف .
[2] البقــرة (224)
[3] المجموع لعبدالله بن حسين بن طاهر ص (237) بواسطة طريقة السادة العلويين ص (8- 9) .
[4] الفتاوى النافعة ص (249) .

طويل لهم في مثل هذه المسألة أن ما تصدق به على النبي أو الـولي الميـتين أو على قبرهما أو مشـهدهما مثلاً سـواءاً كـان بنــذر أو وقــف، ومثل ذلك الأمل[1] المعــروف بالجهة عنــدنا أنه قصد به تمليك الميت أو القـبر أو المشـهد بطـل؛ لعـدم صـحة تمليك من ذكر وكـذا لو نـوى بـذلك التقـرب إلى من ذكـر؛ لأن القـرب إنما يتقـرب بها إلى الله تعـالى لا إلى خلقه ومثل ذلك ما إذا كان المتصـدق به شـمعاً أو زيتـاً، ومثله السـليط والقـاز عنــدنا وقصد به الإســراج للتنــوير تعظيمــاً للبقعة أو القــبرأو التقـــرب إلى من دفن فيها أونســـبت إليه كما يعتقـــده بعض العامة فـإنهم يعتقـدون أن لهـذه الأمـاكن خصوصـيات بنفسـها ويـرون أن التصـدق عليها مما ينـدفع به البلاء..) [2] أقـول واضح من هـــذا النقل أن هـــذا الفقيه يوافق في قوله هـــذا القـــول الصـحيح من أن النـذرلغير الله شـرك إذا كـان عن اعتقـاد في المنذورلـه، وهـذا على قـول من يجعل النــذر بمعـنى الهبة أو العطيــة، وأما من يقــول إن النــذر لايســمى نــذراً إلا إذا كــان عبادة؛ فإنه يكون النذر - على قولهم - وعلى من نذر على هـذا الوجه - شركاً ولولم يصحبه تعظيم.

يقول السـيد عبـدالرحمن المشـهور في التفريق بين الكرامة والسحر والإشارة إلى أن بعض من يدعي الولاية قد يكـون من السحرة المشعوذين والتنصيص على بعض المجاذيب من أتبـاع الرفاعي أو أحمـدبن علـوان أن بعضـهم إنما يفعل ذلك بطريق السـحر وتأكيـده على أن الكرامة لا تكـون على يد فاسق ولا يتعلم من حصـلت على يـده سـببها ولا يسـعى إليها وأن من التشـبه بأصـحاب الكرامـات من ليسـوا منهم من يسـتعملون الجان يقول في ذلك كله: "مسـألة ى" [3] (خـوارق العـادة على أربعة أقسام: المعجـزة المقرونة بـدعوى النبـوة المعجـوز عن معارضتها الحاصلة بغير اكتساب وتعلم،والكرامة وهي ما تظهر على يد كامل المتابعة لنبيه من غـــير تعلم ومباشــرة أعمــال مخصوصــة، وتنقسم إلى ما هو إرهــاص وهو ما يظهر على يد

---

[1] الأمل يشبه نذر المكافأة كأن يقول إن شفي مريضي فللولي الفلاني كذا كذا .

[2] المصدر السابق ص (248-249).

[3] أي أن هذا النقل عن الشيخ عبدالله بن عمر بن أبي بكر بن يحيى كما في المقدمة (2) .

النـبي قبل دعـوى النبـوة، وما هو معونة وهو ما يظهر على يد المؤمن الذي لم يفسق ولم يفتر به' والاسـتدراج وهو مـايظهر على يد الفاسق المغتر، والسحر وهو ما يحصل بتعلم ومباشرة سـبب على يد فاسـق، أو كـافر، كالشـعوذة وهي خفة اليد بالأعمال وحمل الحيات ولدغها له، واللعب بالنار من غير تأثير، والطلاسم والتعزيمات المحرمة، واستخدام الجان وغـير ذلـك. إذا عرفت ذلك علمت أن ما يتعاطاه الذين يضـربون صـدورهم بدبوس أو سكين أو يطعنون أعينهم أو يحملون النار أو يأكلونها وينتمون إلى سيدي أحمد الرفـاعي أو سـيدي أحمد بن علـوان أو غيرهما من الأولياء أنهم إن كانوا مسـتقيمين على الشـريعة قائمين بالأوامر تـاركين للمنـاهي عـالمين بـالغرض العيـني من العلم عاملين به لم يتعلمـوا السـبب المحصل لهـذا العمل فهو من حـيز الكرامة وإلا فهو من حـيز السـحر إذ الإجمـاع منعقد على أن الكرامة لا تظهر على يد فاسق وأنها لاتحصل بتعلم أقوال وأعمـال وأن ما يظهر على يد الفاسق من الخـوارق من السـحر المحـرم تعلمه وتعليمه وفعله ويجب زجر فاعله ومدعيه، ومتى حكمنا بأنه سحر وضلال حـرم التفـرج عليـه؛ إذ القاعـدة أن التفـرج على الحـرام حـرام؛ كـدخول محل الصـور المحرمـة، وحـرم المـال المـأخوذ عليـه، والفـرق بين معجـزة الأنبيـاء وكرامة الأوليـاء وبين نحو السـحر أن السـحر والطلسمات والسيمياء وجميع هذه الأمور ليس فيها شيء من خوارق العادة؛ بل جرت بترتيب مسببات على أسباب، غـير أن تلك الأسـباب لم تحصل لكثـير من النـاس، بخلاف المعجـزة والكرامة فليس لهما سـبيل في العـادة، وإن السـحر مختص بمن عمل له، حتى أن أهل هذه الحرف إذا طلب منهم الملوك مثلاً صـنعتها طلبـوا منهم أن يكتب لهم أسـماء من يحضر ذلك المجلس فيصـنعون ذلك إن سـمي لهم فلو حضر آخر لم ير شـيئاً وأن قـرائن الأحـوال المفيـدة للعلم القطعي المحتفّة بالأنبيـاء والأوليـاء من الفضل والشـرف وحس الخلق والصـدق والحيـاء والزهد والفتـوة وتـرك الرذائل وكمـال العلم وصـلاح العمل وغيرهما، والساحر على الضد من ذلك) [1].

---

[1] بغية المسترشدين ص (298 – 299) .

وهـذا تفصـيل حسن لخـوارق العـادات وتميـيز للمعجـزة عن الكرامة من الاسـتدراج والسـحر. والفائـدة الكبـيرة والقاعـدة العظيمة التي تجلي الفرق بين الكرامة والسحر، أن الكرامة لا تكون بتعلم لما يحدث ذلك الأمر فـإن كـان ذلك الخـارق ناتجـاً عن سبب ظاهر وتعلم له، كان الخارق من حـيز السـحر لا من حـــيز الكرامة ولو أننا مع الصـــوفية جميعـــاً وقفنا عند هـــذه القاعدة وطبقناها تطبيقـاً حاسـماً وسـليماً لاتضح أن معظم ما تطفح به كتب الصـوفية في منـاقب أوليـائهم مما صح نسـبته إليهم من بـاب السـحر لا من بـاب الكرامة لأن جماعـات منهم اشتهروا أو ثبت عنهم تعلم السمياء أو علم الحـروف وذلك من السـحر كما في هـذا النقل وغـيره، فمن ثبت أنه عـالم بـذلك مسـتعمل له فاسم الفسق قد وقع عليـه، ثم ذلك الخـارق قد أصبح صادراً عن تعلم فـانتفى أن يكـون من حـيز الكرامة ولم يبق إلا أن يكون من حيز السـحر وكـذلك من يتعـاطى الرياضة الـتي هي في صـورة عبـادات لم يشـرعها النـبي فـإن تلك الرياضة سبب يتوصل به إلى إظهار خـوارق للعـادات، وقد نص الشعراني على أن بعض النصابين يمارسون الرياضات ليوهموا الناس أنهم من الأولياء ذوي الكرامات [1]

فاتضح أن هنــاك فــارقين أساســيين بين الكرامة والســحر أوالاسـتدراج وهمـا: التعلم واتخـاذ الأسـباب، فمـتى وجد هـذا الفرق حكم على الخارق بأنه سحر، ولو كان على يد من يظهر عليه سيما الصلاح؛ لأنه قد يكون في الباطن بخلاف ذلـك. وأما الفــرق الثــاني: وهو الاســتقامة للكرامــة، والفسق للســحر والاستدراج؛ فإنه قد تحايل عليه الصوفية ولم يبق له أثر لديهم ولا لدي أتباعهم؛ حيث قرروا أصلاً خطيراً وهو أن الولي يتجـزأ ويظهر بمظـاهر مختلفة وأن ما تـراه لديه مما ظـاهره الفسق فإنه في الباطن شيء آخر، بل إن الخمر إذا رأيته يشربها فإما أنها خمر لَدُنِّية من الحضـــرة الربانية وإما أنها مشـــروب آخر ظهر لمصـلحة في صـورة الخمـر، وكل ذلك قد ضـربت عليه أمثلة،وأيضـاً نقلت عنهم كيف يعتـذرون لمن لم ير يصـلي قط وأنه فحص فظهر أن له عشر صـور، صـورة واحـدة هي الـتي رآها المعــترض لا تصــلي بينما تسع صــور دائبة في العبــادة

---

[1] انظر الطبقات الكبرى (1/ 108) .

وصدقهم من رأى ذلك ونقل الحادث على أنه كرامة من أشهر وأكبر كرامات ذلك الولي. فلنتأمل هذا الفرق ثم نحكم بموجبه على كل خارق من الخوارق على يد من كان من الناس.

شهادة حــق من أصحاب وحــدة الوجــود:

قلت في مبحث سابق إنـني لم أجد لعلمـاء حضـرموت قـولاً فاصـلاً واضـحاً في أصـحاب وحـدة الوجـود مع عمـوم إحسـان الظن بهم واعتبـارهم من الأوليـاء، ولكـني اطلعت أخـيراً على نقل نقله علــوي بن طــاهر الحــداد عن الشــيخين الشــافعيين الشــهاب الــرملي وابن حجر المكي يــدل على أنه موافق لها فيه، وهذا النقل مهم جداً خصوصــاً عن ابن حجر المكي الــذي اشتهر عنه التأويل لأصحاب وحدة الوجود يقول الحداد:

(وسئل الشيخ أحمد الرملي عن القائل بوحدة الوجود فقـال: يقتل هــذا المرتد وتــرمى جيفته للكلاب؛ لأن قوله هــذا لايقبل تأويلاً. وكفره أشد من كفر اليهود والنصارى، واستحسن الشيخ ابن حجر منه هـــذه الفتـــوى، وكـــان قبل ذلك يتمحل لبعض المتصـوفة القائلين بها ويؤول كلامهم فرجع عن التأويل.) [1]

وأخيراً طعنة من الحداد في صميم دعاوى قومه:

قـال جـامع كتـاب النفـائس العلوية في المسـائل الصـوفية: (وسأله بعض الأصحاب أيضاً عن الكبش الذي يعتـاد أهل الغيل تركه في بيــوتهم ويســمونه مســايراً. فأجــاب رضي الله عنه ونفعنا بـه: أما الكبش الـذي يعتـاد تركه أهل الغيل في بيـوتهم ويسمونه " مسايراً " وكلما ذهب أبـدلوه بغـيره. فهـذا والعيـاذ بالله من الشرك بالله والشـرك ظلم عظيم،وهو وأمثاله سـبب تسلط الشيطان وجنوده على العاملين به. فـإن الله تعـالى قد سلط الشيطان على من يتبعه من بني آدم، وهذا من الاتباع له قـال الله تعـالى: (إن عبـادي ليس لك عليهم سـبلطان إلا من اتبعك من الغــاويين)[2] [3] موضع الشـــاهد أنه جعل اتخـــاذ هـــذا الكبش شـركاً. ومن المعلـوم ضـرورة أن متخـذه لم يعتقد أنه يضر وينفع من دون الله قطعاً؛ لأنه يعرف هـذا الكبش ويعـرف

---

[1] عقود الألماس (1/104) .

[2] الحجر (42) .

[3] النفائس العلوية في المسائل الصوفية ص (127 – 128) لعبدالله بن علوي الحداد طبع دار الحاوي الطبعة الأولى (1414هـ - 1993م) .

حقيقته ومن أين جــاء، وكيف يمــوت وينتهي، ومع ذلك كــان اتخاذه شركاً. إذن فكيف لايكون من يدعو غـير الله مشـركاً إلا إن كـان يعتقد اسـتقلاله بالضر والنفع من دون اللـه، وصـورة الـدعاء لغـير الله أظهر في الإشـراك من صـورة اتخـاذ هـذا الكبش؟

المطلب الرابع: فتاوى وبيانـات جماعية للتحـذير من عقائد وأعمال القبورية:

لكي يعلم القاريء الكريم أن موقف علماء اليمن المعاصرين هو موقف أسلافهم الكرام الرافض للقبورية بعقائدها وأعمالها، أسوق في هذا المطلب عدداً من الفتاوى والبيانات الجماعيــة، التي انتقد كاتبوها والموقعون عليها أعمالاً من أعمـال القبورية أو أيدوا خلافها وهي تتناول البناء على القبـور وبعض الزيـارات والشعائر القبورية وادعاء علم الغيب.

الفتوى الأولى: كانت رداً على سؤال بعث به أحد القـائمين على بعض القبـــاب في جهة تهامة ونص الســـؤال هـــو: **(ماقولكم سادتي العلماء رضي الله عنكم في قضـية عظيمة الخطر هي مايمارس الناس من أعمـال،فهم يقربون الذبائح إلى القبور وينذرون لها ويذبحون لها ويستعيذون بها ويعتقدون فيها النفع والضر والحياة والموت " ورأس بـرأس " فهل هـذا يرضـاه الإسـلام ياعلمـاء الإسـلام، وهل ارتفـاع القبـور والقبـاب من الإســلام في شــيء، وهل يــؤجر عليها فاعلــه،فأنا منصوب قبة الشيخ داود بن الزين والناس يأتون إلي بريالات وكباش وعجلان وأشياء أخـرى يقولـون هـذه حق الشـــيخ داود وإذا نهيتهم قـــالوا الـــولي سيضـرك،أولئك كـانوا يعملـون ويقبلـون، فلمـاذا لا تسـير على ما سـاروا عليـه، قولـوا لنا كلمة الإسـلام في الموضــوع - وفقكم الله -، والســائل مســتفيد وهنــاك قبــاب كثــيرة ومناصــيب أخــرى والعمل هو العمل ويــأتي جهلة بـــدوان ويقومـــون بحركـــات ورعشات،أفتونا لا خلا عنكم الوجود؟**

وقد جاءت الفتوى هكذا (الحمد لله حيث كان الحال ماشرحه السائل، فالتقرب بالذبائح إلى القبور والأوليـاء والإسـتعانة بهم

والنذر لهم دائر بين أمرين خطيرين، إما كفر بواح، وإما وسيلة إلى الكفر، ذلك أنه إذا صـدر هـذا الفعل الشـنيع ممن نشأ في دار الإسلام عالمـاً بأحكـام الشـرع في مثل هـذا معتقـداً النفع والضر من الــولي يكفر فاعلــه، فتجــري عليه أحكــام الــردة جميعها وإن كـــان قـــريب عهد بالإســـلام أو نشأ في غـــير دار الإسلام،أو في دار الإسلام نائياً عن أماكن المعرفة، فيكون هذا الفعل في حقه وسيلة من وسائل الكفر، فيجب تعليمه وتبــيين الأدلة له وإقامة الحجة عليه فـــــــإن انتهى بعد ذلك منها وإلا فحكمه أن يكفر.

فعلى كل يجب على ولاة الأمر الــردع من مثل هــذه الأمــور والأخذ بيد من حديد، لكل مـن يقـــدم على هـذا المنكر الفظيع ولو أدى ذلك إلى هـدم القبـاب الموضـوعة على القبـور سـداً للذرائع،هذا مـا نعتقـده في هـذا الموضـوع والله على ما نقـول وكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

وقد كتب الفتوى أحد كبار علماء زبيد المعاصرين وهو الشـيخ أسد بن حمزة بن عبدالقادر وصادق عليها جمع من علمـاء زبيد وغيرها، ومنهم: محمد بن محمد بن سليمان الأهـدل، محمد بن علي البطـاح الأهـدل، أحمد بن عبـدالقهار بن صـالح، محمد بن عبد الجليل العـــزي، عبـــدالجليل بن علي خليـــل، محمد ابن عبدالله بازي، محمد بن عيدروس علــوي، عبد المجيد بن عزيز الزنــداني، عمر بن أحمد سـيف، علي ابن محمد واصـل، حامد بن مختـــار شـــرف، محمد بن أحمد كــــديش " عضو محكمة الحديــدة التجارية "، محمد بن علي مكــرم، حســين بن محمد عثمان الوصابي، أحمد بن عبدالله سعيد الضـافري، عبدالله بن قاسم الوشـــــلي، أحمد بن محمد عـــــــامر، وعلي بن محمد الوشلي، محمد بن محمد عزيز القديمي، وإبـراهيم ابن حسـين صـائم الـدهر، عبـدالرحمن الوشـلي، عبـدالرحمن بن عبدالله الأهدل، هذة الأسماء التي تبيَّنْتُها وهناك أسماء لم أتبيّنها.

وقد علق حـاكم زبيد السـابق – رحمه الله – عبدالله الأنبـاري على الفتوى فقـال: (أنا أقــرر ما قــرره الأئمة السـادة العلمـاء بمنع كل بدعة قبيحة تخــالف منهج الشــريعة المطهـــرة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، فالضر والنفع بيدالله سبحانه وتعالى، والذبح لغير الله لايجوز، ومن ثبت تعاطيه لــذلك فيمنع

ويضـــبط حـــتى يتـــوب. وفق الله الجميع لخدمة كتابه وســـنة رسوله والاهتداء بهدية وجعل الأعمـال خالصة لوجهه الكـريم وصلى الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.)[1]

الفتوى الثانية:كما وزعت فتوى أخـرى على شـكل ملصق علق في المسـاجد وغيرها يحتـوي على فتـوى مقاربة للفتـوى السـابقة ملخصة من مجمـوع ما أفـتى به العلمـاء، وإليك نص السؤال وملخص الجواب:

نص السؤال: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فإن في بلادنا قبور رجـال صـالحين، مرفوعة ببنـاء فوق الأرض، فيها حفرة صغيرة، بداخلها تراب يتبرك به ويستشفى به، وتقام لهذه القبور زيـارات سـنوية موسمية في شـهر رجب الحـرام وغـيره،، يـذبح فيها الكبــاش لأصــحاب القبــور، ويجتمع عنــدها الرجــال والنسـاء والباعة والألعـاب، ويحتفل بهـذه الزيـارات كالاحتفال بيوم العيد، وتهان فيها القبور أيما إهانة. فما هو قــول الســادة العلمــاء والأئمة الفضــلاء في رفع القبـور بالبنـاء؟ وما حكم هـذه الزيـارات؟ وهل هي الزيـارات الشـرعية الـتي حث عليها أبو القاسم محمد ؟ أفتونا مـــأجورين. نفع الله بكم الإســـلام والمسلمين.

وقد تفضل أصـــحاب الفضـــيلة العلمـــاء بالإجابة على هـــذا الاستفتاء. ننشر هنا خلاصة إجاباتهم:

أولاً: أوضح العلمـاء في فتـاواهم على أنه لا أحد من الخلق لا ملك ولا نـبي ولا ولي يضر أو ينفــع، وأن الأمــوات لا ينفعــون الأحيـاء ولا يغنـون عنهم من الله شـيئاً بل الأمـوات بحاجة إلى دعــاء الأحيــاء لهم، والاســتغفار لهم، وإذا كــان ســيد الأولين والآخــرين نبينا محمد لا يملك لنفسه نفعــاً ولا ضــراً، فكيف يملك ذلك غـيره ممن هو دونـه، وعليه فلا يجـوز اعتقـاد النفع والضر في أصــحاب القبــور مطلقــاً،لأنه من الشــرك الأكــبر المخرج من ملة الإسلام.

---

[1] لدي صورة طبق الأصل من هذه الفتوى وقد وردت ضمن كتيب بعنوان" الفتاوى اليمنية في تحريم رفع القبور والزيارات البدعية والشركية "وهو من سلسلة باسم (السلسلة الدعوية) رقم (9) ويوزع مجاناً بدون تاريخ .

ثانيــاً: أوضح العلمــاء أن شد الرحــال إلى القبــور بدعة محدثة منكـرة وقد جـاء الشـرع بـالنهي عن شد الرحـال إلا إلى ثلاثة مســاجد، كقــول النــبي : **((لا تشد الرحـال إلا إلى ثلاثة مسجدي هذا والمسـجد الحـرام والمسـجد الأقصـى))** أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.
ثالثاً: أكد العلماء على حرمة رفع القبـور أكـثر من شـبر لقـول النبي لعلي بن أبي طالب:**((لاتدع تمثالاً إلا طمسـته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته))** أخرجه مسلم.
رابعـــاً: أكد العلمــاء على حرمة البنــاء على القبــور مطلقــاً، وتجصيصـها، والكتابة عليهـا، والقعـود عليهـا، لحـديث جـابر بن عبدال له: **((نهى رسول الله أن يقعد على القبر،وأن يجصص أو يبـنى عليـه))** أخرجه أحمد وأبو داود والنسـائي وفي روايـة: **((نهى رسـول الله أن يكتـب على القـبر شيء))** أخرجه أبو داود وابن ماجه.
خامساً: بيّن العلماء الفرق بين الزيارة الشـرعية للقبـور، الـتي تكـون للعظـة، والاعتبـار، وتـذكر الآخـرة، والـدعاء والاسـتغفار للميت. وبين الزيارات البدعية والشركية التي يتقـرب فيها إلى أصـحاب القبـور، بالـذبائح،والنـذور، والاسـتغاثات، وما إلى ذلك من أمـور الشـرك الأكـبر المخـرج عن ملة الإسـلام،وأن هـذه الأمور لا تكون إلا لله وحده لا شريك لـه، لقوله تعـالى: **قل إن صــلاتي ونســكي ومحيــاي وممــاتي لله رب العــالمين، لاشــريك له وبــذلك أمــرت وأنا أول المسـلمين** ولقوله تعــالى: **فصـل لــــربك وانحـر** ولقــول النــبي : **((لعن الله من ذبح لغـير اللـه))** أخرجه مسلم.
سادســاً: أكد العلمـاء على أن وضع حفـرة على القـبر وجعل التراب فيها للتبرك والاستشـفاء به من وسـائل الشـرك الأكـبر المخرج عن ملة الإسلام.
سابعــاً: أكد العلماء على تحريم، وخطـورة ما يجـري في هـذه الزيـارات، من الاختلاط بين الرجـال، والنسـاء،وخـروج الباعـة، والطبول، ومايجره من الفتن، والفواحش والموبقات، علماً أن النبي :**((لعن زوَّرات القبور))** أخرجه أحمد والترمذي.

ثامنــاً: أوضح العلماء تحريم تخصيص شهر من السنة، لزيارات قبور الأوليـاء، خاصة في شـهر رجب الحـرام، وأن ذلك وسـيلة من وسائل الشرك، الذي لايغفره الله - إن مات صــاحبه عليه - لقول النبي **((لا تجعلوا قبري عيداً))** أخرجه أبو داود.

وإليك أسماء بعض العلماء والمشايخ الذين أفتـوا ووقعـوا على هذه الفتوى.

(1) محمد بن إسماعيل العمراني (2) مقبل بن هادي الـوادعي (3) د. إبراهيم القريبي (4) د. عبـدالوهاب الـديلمي (5) محمد الصادق مغلس (6) عبد المجيد الزنداني (7) عبدالعزيز الدبعي (8) عبدالمحسن ثـــابت (9) عبدالمجيد الـــريمي (10) عقيل المقطري (11) محمد بن عبـدالوهاب الوصـابي (12) د. أحمد محمد زبيلة (13) أحمد حسن المعلم (14) إسـماعيل العنسي (15) محمـد المهـدي (16) عبـدالرحمن ابن عبدالله شـميلة (17) حســــين بن محفـــــوظ (18) عمر أحمد سيـف (19) عبـــدالقادر الشـــيباني (20) صـــالح الـــوادعي (21) طـــارق عبدالواسـع (22) عبدالله الحاشدي (23) ناصر الكريمي (24) عيسى شـريف (25) أحمـد حســان (26) علي بـارويس (27) علي بن فتيـــني (28) عبدالله الحمـــيري (29) أحمـد أهيـف (30) أميـن جعفـر (31) عمّـــار ناشـــر (32) محمد الوادعـي (33) عـارف أنـور (34) علي مقبول الأهدل (35) محمد سـالم الزبيدي (36) محمد سعد الحطامي (37) حسن صغير الأهـدل (38) مـراد القدسي (39) إسـماعيل عبد البـاري (40) حسـن الزومـي (41) حـــاكم زبيد عبـــدالكريم النعمـــاني (42) محمد المعمـري (43) عبدالله فيصل الأهدل (44) عمر سقيــم.

<u>الفتوى الثالثة</u>: نص السؤال: ما حكم الشرع في هذه النتيجة التي يصدرها هذا الرجل، والتي يذكر فيها ما سيحدث للأشخاص والبلدان، وكذلك مختلف الأحـداث والتغـيرات السياسـية والاقتصـادية والكـوارث وغـير ذلــك، معتمــداً كما يقــول على علم الجفر والنجــوم وغيرها؟ وهل يجوز إصدارها أو بيعها وشراؤها؟

وقد تفضل أصحاب الفضـيلة بالإجابة عن التسـاؤل، ننشر هنا خلاصة تلك الإجابــــات، آملين أن نتمكن مســــتقبلاً من نشر إجابات العلماء مفصلة.. والله الموفق.

ركز العلماء على أن عمل هـذا الرجل هو ادعـاء لعلم الغيب، وأن من أصـول العقيـدة الإسـلامية المقـررة عند أهل الملة أن الله اسـتأثر بعلم الغيب فلا يعلمه أحد سـواه، وأدلة ذلك جـدّ كثيرة، ومنها:

1- قوله تعـالى: **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون** "النمل 65"

2- وقوله تعـالى: **وما كـان الله ليطلعكم علـى الغيب ولكـن الله يجتـبي مـن رسـله مـن يشاء** "آل عمران179"

3- وقوله تعالى: **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هـو.** "الأنعام 59 ".

4- وقوله تعالى: **ويقولون لـولا أنـزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله** " يونس 20 ".

5- وقوله تعالى: **ولله غيب السموات والأرض** " النحل 77 ".

6- وقوله تعالى: **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً** "الجن 26 ".

وعلى هذا فعلم الغيب محجوب عن جميع الخلق، بما في ذلك الملائكة والنبيين، قال الله تعالى حكاية عن الملائكـة: **قـالوا سـبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** " البقـرة 32 ". وقـال الله حكاية عن محمد : **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير** "الأعراف 188 ". وقال الله آمـراً نبيه محمد : **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب** " الأنعـام 50 "، وقـال اللـه: **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحـداً إلا من ارتضى من رسـول** " الجن 26 ". وقـال الله عن الجن: **فلما خر تبينت الجن أن لو كـانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العـذاب المهين** "سـبأ 14 "، ويقول تعالى: **وما تدري نفس ماذا تكسب غـداً وما تدري نفس بأي أرض تموت** "لقمان34".

فالله قد حجب علم الغيب عن أكـرم خلقه وهم الأنبيـاء والملائكة إلا ما أعلمه الله لهم، أبعد هـذا يـأتي هـذا ويـدعي معرفة الغيب؟!. إن من ادعى علم الغيب قد نازع الله، وكـذب القرآن، وفارق هذه الملة.

ركز العلماء في إجابتهم على أن هـذا العمل من الكهانة الـتي جاء الإسلام بتحريمها؛ إذ أن الكاهن هو الذي يدعي معرفة علم الغيب، وما سيقع من أحداث مستقبلية، وأن صاحب هذا العمل كاهن، والرسول يقول: **((ليس منا من تطيّر أو تُطيِّر له أو تكهَّن أو تُكهِّن له))** رواه البزار والطبراني.
وأن من أتى كاهنـاً، فسـأله عن شـيء لم تقبل صـلاته أربعين يومـاً، كما جـاء في صـحيح مسـلم عن النـبي ، أما إن سـأله وصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمـد، كما جـاء عن النـــبي في ســـنن أبي داود والنســـائي والترمـــذي وابن ماجـه،وصـححه الألبـاني في الإرواء "2006"،هـذا في السـائل فما بالك بالمسؤول.
-علم النجوم الذي يـدّعي صـاحب هـذه النتيجة الاعتمـاد عليه في معرفة علم الغيب - يقـول فيه الرسـول : **((من اقتبس شعبة من النجـوم فقد اقتبس شـعبة من السـحر زاد ما زاد))**. رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد،وصححه الألباني في السلسلة " 793 ".
وقد جاء في البخاري عن قتادة: (خلق الله هذه النجـوم لثلاث: زينة السـماء، وعلامـات يهتـدى بهـا، ورجـوم للشـياطين، فمن تأوّل فيها غير ذلك، أخطـأ، وأضـاع نصـيبه، وتكلف ما لا علم له به.
وقال الإمام الخطابي في معالم السـنن: (علم النجـوم المنهي عنه هو: ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ســتقع وما في معناها من الأمــور الــتي يزعمــون أنها تــدرك معرفتها بســير الكــواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقهــا، ويـدعون أن لها تـأثيراً في السـفليات، وهـذا منهم تحكّم على الغيب، وتعاط لعلم قد استأثر الله به، فلا يعلم الغيب سواه).
- وأما علم الجفر (وأنه العلم الإجمـالي بلـوح القضـاء والقـدر والذي يحتوي على ما كـان ويكـون وأن الرسـول خَصّ به عليـاً وذريته من بعـده)، فـأمر وهمي لا حقيقة لـه. وأدلة ذلك كثـيرة ويكفي منها:
ما جــاء عند البخــاري من ســؤال أبي جحيفة لعلي - -: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن أو ليس عند الناس؟. فقال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما عنـدنا إلا ما في القـرآن، إلا

فهمـــاً يعطى رجل في كتابه وما في الصــحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسـير وألا يقتل مسـلم بكـافر. وما جاء عند مسلم بـرقم" 1987 " عن علي قولـه: (ما خصـنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قــراب سيفي هذا) وأخرج صحيفة مكتوب فيها: **((لعن الله من ذبح لغير الله...)).**

فعلم الجفر باطل، وما بني على باطل فهو باطل.

وبناءً على ما سبق؛ فقد أكد العلماء على أنه لا يجوز التصريح بإصــدارها، كما أنه لا يجــوز طبعهــا،ولا بيعهــا، ولا شــراؤها، ولا تـــداولها. وأنه يجب على الجهــات المختصة مصـــادرتها والأخذ على يد صـــــاحبها ومحاكمتـــــه، وأنه يجب عليه التوبة إلى الله والابتعاد عن هذه الضلالات، وأنه يجب إسداء النصيحة لكل من يقتنيها أو يطلع عليهـــا، وتبــيين مخـــاطر ذلك على العقيـــدة والتوحيد لعمــوم المســلمين. تلك هي بعض أهم النقــاط الــتي ركز عليها العلماء سارعنا في إخراجها؛ إقامة للحجة؛ وتوضيحاً للحق؛ ونصحاً للخلق.

أما العلماء الذين تكرّموا بالإجابة على هذا التساؤل فهم:

محمد بن إسماعيل العمـراني، عمر أحمد سـيف، عبد المجيد الريمي، محمد الصـادق، حسـين عمر محفـوظ، محمد المؤيـد، حسن حيــدر الوصــابي، على العــديني، مــراد القدســي، أحمد حسان، عارف أنور عمار بن ناشر، عبدالله بن أحمد المرفدي، أحند مقبل بن نصـر، عبد الـرحمن قحطـان، عقيل المقطـري، عبد الله سيف، عبد الله سنان، طارق عبد الواســع، عبد الملك داود، عبد القـــادر الشـــيباني، فاضل محمد عبداللـــه، يحـــيى الجهراني، د0 حسن الأهـدل، أمين عبدالله جعفـر، د0 عبد الله الأهدل، محمد سعيد الحطامي، عمر علي سقيم، حسن صــغير الأهــدل، عبد الــرحمن عبد الله الأهــدل، أحمد حسن المعلم، عبده عبدالله الحميـدي، حميد عقيـل، محمد المهـدي، القاضي علي البعـــداني، محمد بن علي الرحـــبي، عبد الله بن غـــالب الحميري، عبد الـرحيم الشـرعبي، عبد الله عبـده الإِبي، يحـيى السوسوة.

كما تم الاعتماد على فتوى حول الموضوع لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ومعه لجنة الافتـاء الدائمة المكونة من كل من:،

عبد العزيز آل الشيخ، صالح الفوزان، بكر أبو زيد، عبد الله الغديان.

الفتوى الرابعة:السؤال: ما حكم شد الرحال إلى الجند من قبل الرجال والنساء؟ وما صحة ما ينسب إلى النبي في ذلك؟

- **ما حكم الموالد التي تقام داخل المسجد ليلة ذلك اليوم؟ وما حكم ما يفعله المجاذيب من طعن الرؤوس؟**
- **ما حكم اختلاط الرجال بالنساء داخل المسجد؟**
- **ما صحة ما يشاع من أن الذهاب هو حج الفقراء؟**

وقد تفضل أصحاب الفضيلة العلماء بالإجابة على تلك الأسئلة. ننشر هنا خلاصة إجاباتهم، آملين أن نتمكن من نشرها كاملة ومفصلة.

أولاً: أكد أصحاب الفضيلة على شد الرحال إلى الجند بقصد التقرب والتعبد بدعة محدثة منكرة. وقد جاء الشرع بالنهي عن الابتداع. فالنص النبوي يقول: **((وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)** ويقول: **((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))**. وفي رواية: **((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))**.

هذا وقد جاء نص نبوي آخر له صلة بحرمة شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد يقول الرسول : **((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا))**، وأما ما يردده بعض الجهال أن الرسول قال: **((إلى أربعة مساجد))** بإضافة مسجد الجند، فكذِب على النبي والرسول يقول: **((ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار))**.

ولا يخفى على أحد خطـورة الابتـداع في الـدين، ويكفي في ذلك قوله : **((إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدعها))** حسنه الألباني.
ومما يزيد النكارة،ويشدد الحرمة ممارسة منكرات أخرى في ليلة ذلك اليـوم في ذلك المكـان، ومنهـا: (السـحر الـذي يفعله المجاذيب، وامتهـان المسـجد بـاختلاط الرجـال والنسـاء – وهو منكر في حد ذاته – ومضغ القات وغير ذلك..
ثانيـاً: أكد العلمـاء على أن تخصـيص أول جمعة من رجب، هو بدعة أخرى لا دليل عليها، وكذلك اتخـاذ ذلك المكـان بعينه في ذلك الـوقت ومن بـاب اتخـاذه عيـداً، مع العلم أن الرسـول ، نهى عن اتخاذ قبره عيداً، فهذا المكان من باب أولى.
ثالثـاً: أكد العلمـاء على أهمية محبة الرسـول ، وعلى أنها من الأمـور الواجبة على كل مسـلم، بل لا يتم إيمـان المـرء حـتى يكـون الرسـول أحب إليه من نفسه وولـده ووالـده والنـاس أجمعين، كما أكــــدوا على أهمية تــــدارس ســــيرته وتعلمها وتعليمهــــا، وليس من ذلك إقامة الموالـــد، ســـواء في تلك المناسـبة أو في غيرهـا، بل الموالد أمر محـدث لم ينص عليه كتـاب ولا سـنه، ولم يفعل في عهـده ، ولا في عهد صـحابته الكرام، ولا في عهد التـابعين، ولا في عهد الأئمة الأربعـة، وهم أكمل الناس حباً لرسـول اللـه، وأكـثرهم تعظيمـاً له وقد كمّل الله دينه، وأخبر عن ذلك بقوله: **اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمـتي** وليست هـذه الموالد من الـدين الـذي أكمله اللــه، بل تـدخل في قوله : **((من أحـدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))**.
رابعاً: أكد العلماء على أن ما يحصل ممن يُسـمَّون بالمجـاذيب هو نوع من السحر المعلوم حُرْمته، ومعلوم ما جاء في صـحيح البخــاري أن عمر كتب إلى ولاتـــه: (أن اقتلـــوا كل ســـاحر وســــاحرة) وقوله تعـــالى: **وما كفر ســـليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمـون النـاس السـحر** الآية وقوله تعالى: **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** الآية.
خامســاً: أكد أصـحاب الفضـيلة على حرمة الاختلاط في ذلك المكـان وفي غـيره، وعلى النكـارة الشـديدة لشد الرحـال من

قبل النساء إلى ذلك المكان، فإذا كانت المـرأة لا ينبغي لها أن تخـرج من بيتها للصـلاة جماعـة؛ إذا تـرتب على خرجوها فتنـة، فهذا من باب أولى.

والاختلاط أصل كل بلية وشـر، وهو من أعظم أسـباب نـزول العقوبات وسبب في كثرة الفواحش.

سادسـاً: أشـار العلمـاء إلى أنه لم يثبت في فضل رجب أو في فضل العمل فيه رجب شيءٌ، وأنه كغيره من الشهور. غــير أنه فقط من الأشهر الحرم، وقد ألف الحافظ ابن حجر رسالة في ذلك..

سابعاً: ذكر بعض الباحثين ممن أجاب على السؤال: أن مسألة بنـــاء معـــاذ لمســـجد في الجند بحاجة إلي مزيد من البحث والتحري وحـتى لو ثبت ذلك فليس في ذلك أدنى دليل على ما يفعل من شد الرحـال إلى هنـاك، فالصـحابة بنـوا العديد من المسـاجد في الشـام والعـراق ومصر وغيرهـا، ولم يكن ذلك البناء مدعاة إلى شد الرحال إليها.

ثامناً: أكد العلماء على أهمية دور العلماء والمرشدين في إنكار مثل هذه البدع؛ قياماً بواجب النصيحة **((الـدين النصـيحة))**، وقوله : **((من رأى منكم منكراً فليغيره بيـده فـإن لم يستطع فبلسانه...))**

وأكـدوا على أهمية دور أصـحاب السـلطات في ردع المنتفعين من ذلك؛ لما يقومـون به من التغرير بالعامة والتلـبيس عليهم، وأكــدوا - أيضــاً – على أهمية تظــافر الجهــود في إزالة هــذا المحدث وغيره من المحدثات.

تاسعاً: أكد العلماء على أن القول بأن الذهاب إلى هناك يعــدل حجة هو من الكــذب على اللــه، ومعلــوم قوله تعــالى: **لا تقولـوا لما تصف ألسـنتكم الكـذب هـذا حلال وهـذا حـرام لتفـتروا على الله الكـذب، إن الـذين يفـترون على الله الكذب لا يفلحـون، متـاعٌ قليل ولهم عـذاب اليم .**

عبد الله سـيف الحيـدري، أحمد حسن المعلم، عقيل بن محمد المقطــري، عبد الله بن غــالب الحمــيري، محمد بن محمد المهدي، عبده عبد الله الحميـدي، علي بن علي البعـداني، عبد الــرحيم الشــرعبي، محمد بن علي الرحــبي، علي بن يحــيى

شمسان، حميد قاسم عقيل، عبد الملك داود عبد الصــمد، عبد القــادر الشــيباني، يحــيى بن محسن الجهــراني، فاضل محمد عبدالله، عبد العزيز الدبعي، سعيد بن سعيد حزام، أحمد مقبل ابن نصر، عبد الله سنان، د0 حسن شــبالة، عبد الله بن فيصل الأهدل، عبد المجيد الريمي، عبد الـرحمن سـعيد الـبريهي، عبد الله بن سعيد الحاشدي، كمال بن عبيد القادر بامخرمـة، محمد الصادق مغلس ن عبدالله علي صعتر، عبد المجيد الزنــداني ن عبد الوهاب لطف الديلمي، صالح الضـبياني، علي ابن عبد الله العــديني، حسن بن محمد حيــدر الوصــابي، مــراد بن أحمد القدسي، مهيوب بن حسين المعولي، د0 علي مقبول الأهــدل، عبد الله عبـــــده الإبي،القاضي العلامة محمد بن إســـــماعيل العمراني، محمد عبد الرحمن غنيم، د0 صـالح صـواب، حسـين عمر محفـــوظ ن محمد بم على الـــوادعي، صـــالح ابن علي الوادعي، أحمد حسـان، محمد بن علي المؤيـد، طـارق بن عبد الواسع، عبد العزيز البرعي.

الفتوى الخامسة: فتوى بمنع ما يســمى " زف الختاميـات " التي يقيمها القبورية في بعض مدن حضرموت كالمكلا والشحر وغيرها، والزف هو السير الجماعي من المسجد الذي يقام فيه الحفل " حفل ختم القـرآن" إلى قـبر ومشـهد معين, ويصـحب ذلك السماع الصـوفي بالـدفوف والطبـول وأنـواع من الملاهي ويحتشد لحضوره جمع كبير من الناس رجـالاً ونسـاءً وأطفـالاً, ويحصل فيه مفاسد كبيرة، يقول أخونا الشيخ أحمد برعـود في كتابه " الأضواء المضـيئة على بعض العـادات الحضـرمية " وهو يتكلم عن تلك العـادة " البدعة " بدعة الختاميـات:(ولقد أمليت على هذه الفتوى وكتبتها بيدي ووقع عليها المشايخ المـذكورون في نفس الجلسة عــدا الســيد عبــاس حامد الحــداد لم يكن حاضـراً، كما زكى الفتـوى السـيد عبدالله بن محفـوظ الحـداد. فإليك أخي القارىء نص الفتوى:

" بسم الله الـرحمن الـرحيم، الحمد لله رب العلمين والصـلاة والســلام على ســيدنا محمد ســيد المرســلين وبعــد: فقد اتفق طلبة العلم بمدينة الشحر على أن تمنع زفـوف الختاميـات بعد نهاية الصــــلاة والقــــرآن لما يـــــترتب على ذلك من المفاسد والمنكرات التي لاتتفق مع الشــرع الشــريف، فعليه نطلب من

حكومتنا الموقرة أن تمنع وأن تلاحظ من يخالف هذا الأمر؛ لأن الرسـول يقـول:((**من رأى منكم منكـراً فليغـيره بيـده فـإن لم يسـتطع فبلسـانه، فـإن لم يسـتطع فبقلبه وذلك أضـعف الإيمـان**))، كما نطلب من السـيد الفاضل عبدالله بن محفوظ الحداد في هذا الموضـوع أن يصـدر فتـوى لمنع الزفوف منعاً لما يحصل بسببها من المنكرات والمفاسـد، وبعد هـذه الفتـوى ينبغي ويلـزم كل مسـلم أن يمنع أهله من الحضـور لمثل هـذه المجموعـات الـتي تحصل فيها المنكـرات حصولاً ظـاهراً, ومع العلم أنه ليس هنـاك ختم حقيقي للقـرآن الكـريم كما كـان السـلف يقـرأون من أوله في الصـلاة ثم يختمونه في إحـدى اليـالي ويـدعون اللعه بعد الختم ويحضـره الناس في المسجد ثم يتفرقون إلى بيوتهم هذا وبالله التوفيق.

وكـذلك نعلم حكومتنا المـوقرة أن هـذه الليـالي من رمضـان يجتمعن كثير من النساء في الأسواق لشراء حوائجهن، فيجتمع بسببهن كثير من السـباب فيحتكـون بالنسـاء احتكاكـاً متعمـداً يأبـاه الشـرع الحكيم وأهل النفـوس الزكيـة، فـالمطلوب من حكومتنا الموقرة أن تقوم بملاحظة هؤلاء النـاس، ودفعهم عن النساء وهم المسـؤولون بين يـدي الله سـبحانه وتعـالى. والله الموفق

21/ رمضـان 1411هـ

التوقيـع:

" الشيخ عبد الكريم عبـدالقادر الملاحي، الشـيخ سـالم خميس حبليل، الشيخ السيد عباس حامد الحداد ".

الحمد لله وأنا بدوري أزكي ما قاله مشـايخ الشـحر وعلماؤها وأضم صوتي إلى صوتهم لتقوم الحكومة بمنع هـذه المنكـرات المحدثه.

التوقيع:

عبد الله بن محفوظ الحداد)[1].

بيان بشأن أحداث تسوية القبـور بعـدن بعد انتهـاء حـرب الانفصال سنة (1415هـ/1994م)

[1] الأضواء البهية على بعض العادات الحضرمية تأليف أحمد بن علي برعود ص (37).، الطبعة الأولى: (1421 – 2001) .

وقد صدرت ردود فعل كثيرة تجاه تلك الحوادث معظمها كـانت في معـرض النقد والاسـتهجان لـذلك العمل منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي إسلامي أو غير إسـلامي كما صـدرت عـدة بيانــات تعــبر عن مواقف أصــحابها منه ومعظمها إما رســمي يراعي سياسة الدولة التي كانت في موقف محرج أمـام الجهة الإعلامية الـتي جوبه بها الحــدث أو كــانت منطلقة من منطلق حـزبي تعـبر عن الموقف الرسـمي للحـزب فلـذا لم يـبرز فيها الحكم الشرعي كما هو عند علمـاء الشـرع السـالمين من تلك الضــغوط والحســابات الأخــرى وما رأيت في تلك البيانـــات والكلمات والمواقف ما يمثل الحكم الشـرعي الصـريح الا هـذا البيان الذي وقعه مجموعة من خيرة من علماء اليمن ونشــرته مجلة المنتـدى الـتي كـانت تصـدر تلك الفـترة من صـنعاء في عددها.

وهــذا نص البيــان وأســماء المــوقعين عليــه: (الحمد لله رب العالمين والصلاة والســلام على نبيه الأمين محمد ابن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد: فقد تـابع العلمـاء الموقعـون على هذا البيان الأحداث الأخيرة في عدن:

الأول منها نتج عنه تسوية القباب والقبور التي تعلق بها عوام الناس من قديم حـتى أضـفوا عليها من القداسة والتعظيم إلى درجة عبادتها من دون الله تعــــالى متمثلة في دعائها لكشف الضر وتفريج الكرب والذبح والنذر لها.

والحدث الثاني وهوحـدث لا صـلة له بـالأول ألا وهو اشـتباك مســلح بين رجــال الأمن وبعض الشــباب وذلك حــول مقر ما يســمى بمليشــيا الحــزب الاشــتراكي وســببه خلاف في ملكية المنزل.

كما تابع العلماء البيانات السياسـية والمقـالات الصـحفية ورأوا أن الحقيقة الشرعية ضاعت بين دهاء سياسي وسبق صـحفي، وكلا الأمرين لم ينطلقا من ضوابط شرعية وثــوابت عقدية في ديننا الإسلامي.

لهذا رأى الموقعون على هذا البيـان أن يـبينوا الحكم الشـرعي في هــذه القضــية حــتى لا يشــملهم قوله تعــالى:﴿**إن الـذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بينـاه للنــــاس في الكتــــاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم**

اللاعنـون، كما أن هـذا البيـان ينطلق من قوله فيما رواه مسلم من حديث أبي سعيد [1] الخدري ((الدين النصيحة، الـدين النصـيحة، الـدين النصـيحة، قلنا لمن يارسـول اللـه؟ قـال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)).

الشرك وخطره:

من المعلـوم من الـدين بالضـرورة ومن قطعيـات الشـريعة ويقينياتها خطورة الشرك وأنه مخرج من ملة الإسلام ومـوجب لصاحبه عدم المغفـرة وحبـوط العمـل؛ قـال تعـالى:إن الله لا يغفر أن يشـــرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشـــاء ، وقـــال تعـالى:أنه من يشـرك بالله فقد حـرم الله عليه الجنة ومـأواه النار ، وقال تعالى:ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك .

وإن أصل دعــوة الرسل عليهم الصــلاة والســلام قــام على محاربة الشرك وتأسيس التوحيد، قالى تعالى:وما أرسـلنا من قبلك من رسول إلا نـوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبـدون، وإن من وســائل الشــرك الــتي ابتليت بها الأمة تعظيم الصــالحين ونصب القباب لهم فكانت نتيجة ذلك الغلو أن دعوهم من دون الله بحجة أنهم أوليــاء صــالحون، وهــذا من تــزيين الشــيطان وإضلاله، لأن الغلو في التعظيم يجر إلى العبـادة الـتي لا يجـوز صرفها إلا لله تعالى.

نعم الواجب توقير أولياء الله ومحبتهم وإثبات الكرامات لهم؛ ولكن لا يجوز دعـاؤهم والاسـتعانة بهم والـذبح والنـذر لهم كما يفعله الخرافيون.

والزيـارة الشـرعية لأمـوات المسـلمين سـنة لأنها تـذكرهم بالآخرة، أما الزيارات المبتدعة التي تكون موسـمية ويجتمع لها الرجال والنساء ولاعبو القمـار ويحـدثون حـول تلك القبـور من المفاسد البدعية والشـركية والسـلوكية ما لا يرضى بها عاقـل، بل هي من المنكـرات والصـور الـتي شـوهت جمـال الإسـلام وصفاءه، ويجب على العلماء إنكارها والبراءة منها.

وقد أنكر العلماء قديماً وحديثاً هذه الظواهر، وهذه أقوالهم:

1- قال ابن حجر الهيتمي المكي:

---

[1] االصحيح أن لحديث من رواية أبي رقية تميم بن أوس الداري

(وتجب المبادرة لهدمها وهدم القبـاب الـتي على القبـور، إذ هي أضر من مســجد الضــرار؛ لأنها أسست على معصــية رسول الله لأنه نهى عن ذلك وأمر بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قنــدل أو ســراج على قــبر، ولا يصح وقفه ونذره) اهـ.- الزواجر عن اقتراف الكبائر " 1/149".

2- الإمام الشوكاني:

وقال في الدر النضيد ص 22:(وروي لنا أن بعض أهل جهات القبلة وصل إلى القبة الموضوعة على قـبر الإمـام أحمد بن الحسين صاحب " ذي بين " رحمه الله فرآها وهي مســرجة بالشمع والبخور ينفح في جوانبها وعلى القبر الستور الفائقة فقـال عند وصـوله إلى البـاب: " أمسـيت بـالخير يا أرحم الراحمين".

3- قال الإمام الصنعاني في " تطهير الاعتقاد ":

(وكـذلك تسـمية القـبر مشـهداً ومن يعتقـدون فيه وليـاً لا تخرجه عن اسم الصنم والـوثن، إذ هم معـاملون لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحجـاج بـبيت الله الحـرام ويسـتلمونهم اسـتلامهم لأركـان الـبيت ويخـاطبون الميت بالكلمــات الكفرية من قــولهم: " على الله وعليك " ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها.

فأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولـون: يا زيلعي يابن العجيل، وأهل الجبال: يا أبا طير، وأهل اليمن: يابن علوان).

4-فتوى دار الإفتاء المصرية:

هـذا وقد صـدرت فتـوى من دار الإفتـاء المصـرية في عهد الشـيخ عبد المجيد سـليم بتـاريخ "2/7/1928م"، ونصـها: (اعلم أنه يحــرم رفع البنــاء على القــبر ولو للزينة ويكــره للإحكـام بعد الـدفن بل تكـره الزيـادة العظيمة من الـتراب على القـبر لإنه بمنزلة البنـاء وهو منهي عنه لما في صـحيح مسـلم عن جـابر قـال: نهى رسـول الله أن يجصص القـبر وأن يبنى عليه.انتهى من الدر المختار وحاشية رد المحتار.

وحين نقـول يجب إنكـار الشـرك ومظـاهره فلا يعـني ذلك إعطاء الفرصة للذين يصطادون في المــاء العكر ولكن لا بد

من الحكمة في ذلك واتخاذ الوسـائل الناجحة في استئصـال كل المظاهر التي تسيء إلى ديننا وأمتنا ومراعـاة المصـالح والمفاسد وهدم كل مظاهر الشـرك من النفـوس والقلـوب أولاً بواســـطة نشر الـــوعي بين المســـلمين بالوســـائل المشروعة حتى يتيسر هدمها في الواقع، ألا ترى أن النبي أوكل إلى خالد ابن الوليد بعد أن اســـتقر في قلبه هـــدم العزى، حتى قال خالد :

ياعزُ كفرانك لا غفرانك إني رأيت الله قد أهانك

ولقد حرص الحـزب الاشـتراكي على دعم الخرافـيين الـذين تحالفوا معه وأيدوه في قرار الإنفصال وذلك سعياً منهم في طعن الإسلام وتدميره باسم الإسلام.

وإنه من ما ينبغي التنبيه عليه ان الحامل لبعض الشـــباب المسلم على تسوية القبور التي قدست من دون الله هو ما قدمنا من مسـلمات الـدين وضـرورياته، وما ثبت عن النـبي ،أنه قال:((لعن الله اليهود والنصارى اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مساجد)) - متفق عليه -.

وروى مســلم في صــحيحه أن عليــاً قــال لأبي الهيــاج الأسدي: ((ألا أبعثك على ما بعثـني عليه رسـول الله أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته..)).

إلا أن بعض الســاعين إلى الفتنة والحاقــدين على وحــدة الأمة استغل الحـدث أبشع اسـتغلال بغية ضـرب المسـلمين بعضـهم ببعض وشق صـفهم ولبس الحق بالباطـل، وتشـويه الحقائق حتى صيروا المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

وأدخلت قضيتان في بعضـهما مع أن كلاً منهما منفصـلة عن الأخرى، فقضـية تسـوية القبـور كـانت يـوم الجمعة 27 ربيع الأول 1415هـ وما قبلها من أيام ومرت بسلام.

وقضية الصراع حول مركز المليشيا كـانت يـوم السـبت 28 ربيع الأول 1415هـ وهي القضـية المؤسـفة جـداً الـتي أدت إلى سفك دماء الأبرياء سواء من الأمن أو الشـباب، فسـفك الــدماء بهــذه الطريقة يــدل على عــدم مسـؤولية وتصــرف أرعن يجب التحقيق المنصف لمعرفة المتســـبب لهـــذه الحادثة، وحتى لا يكون بداية سـيئة وخطـرة يسـتغلها أعـداء

شـعبنا لتفجـير صـراعات داخلية واسـتغلالها سياسـياً في الخارج وتلك هي أمنية الانفصاليين.

وعلى ضوء ما تقدم نوصي بالتالي:

1- على ولاة الأمر والعلماء القيام بواجبهم الشرعي في محاربة الشرك ومظاهره واتخاذ الوسائل الشرعية لذك وتكوين هيئة للأمر بالمعروف والنهي لتتولى محاربة جميع ظواهر الفساد، وهذا يسد أبواب الفوضى والاضطراب.
2- اتحاد كلمة العلماء وخصوصاً في مثل هذه المواقف الخطرة وأن يصدروا عن مواقف مشتركة ومنسقة تخدم دين الله .
3- على الشباب الرجوع إلى العلماء والالتفاف حولهم وأن لا يقدموا على عمل دون الرجوع إلى العلماء ومعرفة توجيهاتهم والحكم الشرعي في ذلك، مع العلم أن ما حصل في عدن لم يكن بمشاورة العلماء مما أدى إلى هذه النتيجة غير المرضية.
4- أن يتم تغيير المنكرات بالحكمة ومراعاة الواقع وقاعدة المصالح والمفاسد.
5- أن يحذر المسلمون الفرقة والتنازع لأن هذا مما يضعفهم ويقر عيون أعداء الإسلام.
6- تشكيل لجنة من العلماء والالتقاء بالشباب لمعرفة ملابسات الحادث والعمل على إطلاق سراحهم.
7- أن يقوم ولاة الأمر برعاية مصالح الأمة وشبابها وصيانة دينها فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.
8- يجب عدم إعادة الأضرحة وتشييدها وخاصة بعد معرفة الحكم الشرعي في ذلك ويجب إنفاق الأموال المرصودة لذلك للمتضررين من الحرب وخاصة في المحافظات الجنوبية.

والله من وراء القصد

صادر عن مجموعة من علماء اليمن بتاريخ 11 ربيع الآخر 1415هـ

العلماء الموقعون على البيان هم:

عقيل المقطري، عمار بن ناشر، طارق عبد الواسع، عبد العزيز الدبعي، عبد القادر الشيباني، أحمد علي معوضة، علي محمد بارويس، عارف أنور، أحمد الشيباني، عبد الكريم الضراسي، زيد بن ثابت، عبد الله سنان، مجاهد الوصابي، علي صالح عنان محمد، عبد المجيد الريمي، محمد عبد الله الإمام، يحيى الجهراني، د. عبد الوهاب الديلمي، حمود علي ناصر السعيدي، علي العديني، عبد الله الحاشدي، مراد القدسي، يحيى علي محمد جغمان، صالح الوادعي، محمد الوادعي، أحمد مقبل، خالد أحمد سعيد.

المبحث الرابع

الجهود العملية لمواجهة القبورية

وفيه أربعة مطالب:

<u>المطلب الأول</u>:أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على القبورية:

<u>التعريف:</u> (4)

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة تجديدية، هدفها إعادة الأمة إلى ماكان عليه الأمر في عهد النبي وأصحابه

الكرام، وذلك بالدعوة إلىالتوحيد الخالص، وتنقية عقائد الأمة مما داخلها من عقائد ومفاهيم منحرفة،أدت إلى الشرك بالله تعالى، ودعوة للاتباع الكامل للنبي ،وتنقية عبادات الأمة مما ألصق بها من البدع والمحدثات، والمجاهدة؛لإقامة الشرع في حياة الأمة وإزالة ما يخالفه.هذا ملخص ما يمكن أن تُعرَّف به دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

نشأتها:

نشأت الدعوة السلفية التي جددها الشيخ محمد بن عبدالوهاب "دعوة الإسلام الأولى" في ذهنه، بعد أن بدأ في طلب العلم،وبدأ يقارن بين ما يتعلمه من مبادئ الشرع وأحكامه وما يرى عليه الناس، ثم بدأ فعلاً عندما عاد من رحلاته إلى بلده، ولكن الدعوة راوحت مكانها بل كـاد أن يُقضى عليها بالقضاء على الشيخ نفسه،حينما عزم أمير العيينة على تصفيته جسدياً [1]، فهاجر من العيينة إلى الدرعية وفيها نشأت الدعوة النشأة الأخيرة العملية، ومنها انطلقت حينما وجد الشيخ المناصرة الكاملة من قبل أميرها محمد ابن سعود -رحمه الله -وذلك سنة (1157 هـ).

وبعد أن تقبلت الدرعية وأهلها دعوة الشيخ وآمنت بها، وصَدَقتْ في ولائها، انطلق دعاتها حاملين مبادئها إلى ما حولها من ديار نجد،ثم إلى الإحساء والمناطق الشرقية،وإلى الحجاز وسائر أرجاء الجزيرة العربية، وكان بعض ذلك في حياة الشيخ والإمام محمد بن سعود وبعضه بعدموتهما في أيام عبد العزيز ابن محمد بن سعود على يد ابنه سعود، وكان من فضل الله على عباده أنه في زمن قصير تحقق للدعوة نجاح كبير،وطُهِّرت نجد وما حولها من البدع والشركيات ووسائلها،ثم أخذ أئمة الدعوة من أبناء وأحفاد الإمامين يسيرون في الأرض دعاة مجاهدين، فمن أجاب قبلوا منه،ومن أبى قاتلوه.

المآخذ على الدعوة النجدية:

وعندما تكاثر الأتباع والأنصار حدث من بعضهم حوادث غير مرضية، وقضايا على خلاف مقتضى الشرع.

---

[1] عنوان المجد في تاريخ نجد ص(11) تأليف عثمان بن بشر – طبع مكتبة الرياض الحديثة – بدون تاريخ.

وهذا طبيعي فليس كل الجند بل ولا كل القادة هم من العلماء العاملين والـدعاة المخلـصين، وإنـما هناك من يركب الموجة، وهناك من يطمع في الغنيمة،وهناك أصناف من الناس مختلفو المقاصد وجرائرهم كلها تلقى على كاهل الشيخ ودعوته، ولقد صار لتلك الدعوة صدىً واسع، وانتشر لجيوشها رعب كبير بين الناس،وخاف كل ذي سلطة على سلطته من أمراء وأشراف وشيوخ طرق،كلهم رأوا أن الدعوة تهددهم، فبدأت الحرب بشتى وسائلها،الحرب العسكرية والحرب الدعائية، وغيرها من أنواع الحروب، وكان الذي تولى كبر ذلك الدولة العثمانية بإسطنبول،وذلك لأمرين أساسيين:

الأمر الأول: السياسة، إذ خشيت على أجزاء كبيرة من أطراف مملكتها، ومن أهم تلك الأطراف الحجاز بما فيه مكة والمدينة،أن تخرج عن سيطرتها.

الأمر الآخر: إن الصوفية الاتحادية،كانت هي المسيطرة على الخلفاء،وهم أعدى أعداء هذه الدعوة للاختلاف العقدي بينهما.

فمن هناك طارت الدعايات، وانتشرت الشائعات ضد دعوة الشيخ -رحمه الله تعالى- وكانت كما وصفها الشيخ الإمام ابن الأمير (وأتتنا فيها جوابات من مكة المشرفة ومن البصرة وغيرهما، إلا أنها جوابات خالية عن الإنصاف[1])واستغل خصومها بعض الهفوات التي يقع فيها بعض المحسوبين على الدعوة فضخموها، وزادوا فيها، واتخذوها أدلة على ضلال الدعوة وانحرافها، ولكن ذلك كله مازاد الدعوة التجديدية هذه إلا رسوخاً وانتشاراً وقبولاً في الأرض؛ خصوصاً بعد أن دخلت الحجاز، وحكمت الحرمين، والتقى دعاتها بالحجاج من كل مكان مباشرة، فعرف الناس الحقيقة، وتبين لهم زيف الدعايات التي كانوا يسمعونها، فحملوا هذه الدعـوة إلى بلادهم، ونشروها بين أهليهم وإخوانهم، وهاهي الدعوة " الوهابية " كما سميت وشاع ذلك عنها، هاهي لا يخلو بلد من بلدان المسلمين من حاملين لها فيه، وكم من علماء وجمعيات وهيئات علمية ودعوية تسير على الخط السلفي الذي جدده الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى- في

---

[1] الديوان ص(172) .

مشارق الأرض ومغاربها،رغم أن الدولة العثمانية وبواسطة واليها على مصر محمد علي باشا قد حاولوا القضاء عليها، وتمكنوا من القضاء على الدولة والقوة العسكرية والكيان السياسي، ولكنهم لم يتمكنوا من القضاء على ما أشربته قلوب الناس من الحق، فما خرج الجنود الغزاة من نجد حتى عادت الدعوة والقوة والدولة بشكل قوي، ربما أقوى من ذي قبل، وهاهي قائمة إلى اليوم في أوسع مداها وأقصى انتشارها.

علاقة الدعوة النجدية باليمن:

من الطبيعي أن الداعية الموقن بصحة ما يدعو إليه المخلص لمبادئه محب الخير لأمته، لا تقف همته عند حد، ولا يكتفي في نشر دعوته ببلد دون بلد؛ لذا فإنه قد كان اليمن كل اليمن مستهدفاً للدعوة مُعرّضاً لدعاتها وجيوشها، ولقد شقت جيوشها الطريق إلى اليمن من جهتين، من الغرب عبر الحجاز وجبال السراة حتى وصلت إلى مناطق عسير جبالها وتهائمها، فكانت القاعدة لها بعد أن انضم أهلها إليها، وفتنوا بمبادئها، ودخل بعض أشرافها وأمرائها مع النجديين، وآزروهم على نشر الدعوة حتى وصلوا إلى الحديدة، بل إلى زبيد وحيس وما حولها [1].

وحينما بلغت الدعوة النجدية تلك المكانة من الاستيلاء على البلاد ودخول القبائل معها والقبول بما تدعو إليه، تجاوبت القبائل اليمنية لذلك، وشعرت بضعف دولة صنعاء في عهد الإمام " المنصور " أحد الأئمة الذين عـاصرهم الإمـام الشوكاني، وتقدمت تلك القبائل حتى حـاصرت صنعاء بعد عـام (1216هـ)[2]، وكانت الرسل في أثناء ذلك ترد إلى صنعاء من الدرعية بالدعوة إلى التوحيد وهدم القباب والمشاهد، وحينما أحس الإمام المتوكل بالضغط الشديد شاور من بحضرته في هدم تلك القباب والمشاهد، فقالوا له: إن كان هذا الهدم لوجه الله وتنفيذاً للشريعة فنعمَّا هو، وإن كان إنما

---

[1] البدر الطالع – ترجمة الشريف حمود بن محمد صاحب أبي عريش (1/ 240-241) .

[2] فرجة الهموم والحزن للواسعي ص(234) و الشوكاني حياته وفكره ص(55) .

هو مجاملة لأصحاب نجد فلا فائدة [1]، قال الشوكاني: (ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة ذمار وما يتصل بها) [2]،كما أنني لا أشك أنهم عندما مروا بمدن وقرى تهامه قد أزالوا ما فيها من مشاهد وقباب وسووا ما فيها من قبور مشرفة؛ لأن هذه هي عادتهم في كل مكان يستولون عليه، وإن لم أظفر بذلك في مرجع خاص، والفرقة الأخرى من جهة الصحراء حتى وصلت حضرموت.

وصول الدعوة النجدية إلى حضرموت:

وصلت الدعوة النجدية إلى حضرموت رسمياً بوصول الجيش النجدي الذي يقوده ناجي بن قملا وكان ذلك في سنة (1224هـ)، فاستولوا على الكسور، وفيها حورة وهينن وحواليهما،وصَالَحَ ابن قملا القبائل اليافعية والنهدية والشنفرية، وهدم غالب رؤوس القباب المبنية على القبور من دوعن غرباً إلى قبر هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام شرقاً [3]، ولم يكن التأثير مقتصراً على هدم القباب فقط، بل وصل إلى إقناع القبائل وجماعات من أبناء حضرموت بهذه الدعوة وحملهم لها ورفضهم للخرافات والعقائد القبورية التي كانت سائدة في البلاد، ومـن تلك القبائل قبيلة " آل علي جابر " ببلد خشامر ومـا حولها في منطقة العقّاد بين القطن وشبام، وحتى بعض رجال السادة العلويين تابعوهم على ذلك، كما ذكر ابن عبيدالله في "إدام القوت" عند كلامه على الحوطه "حوطة أحمـد ابن زيـن" [4]وبشكـل أوسع في منطـقة " المحيضرة " إحدى ضواحي تريم وهو يتكلم، عن السلطان عبدالله عوض غرامة، فقد قال: (وكان ينكر بطبعه غلو القبوريين، فوافقته آراء الوهابية، وأكثر التعلق بوحيد عصره وفريد دهره مقدم الجماعة، وشيخ الصناعة والذي انتهت إليه

---

[1] حوليات يمانية ص(22-23) .

[2] البدر الطالع (1/262-263) .

[3] ? تاريخ حضرموت المسمى بـ (العدة المفيدة) (1/321) للشيخ العلامة سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي . تحقيق عبدالله محمد الحبشي . مكتبة الإرشــاد . صــنعاء (الطبعة الأولى ، 1411 هــ - 1991 م) ، وتــاج الأعـراس (1/ 174) .

[4] انظر إدام القوت لابن عبيدالله ص(227) .

رياسة العلم بتريم،العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان،المتوفى بتـريم سنة (1248هـ)،وقد اتهمه العلويون بأنه هو الذي يعلم عبدالله عوض غرامة آراء الوهابية، ويحثه على الالتزام بها، ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتاله، فهرب إلى بيت جبير،ولم يقدر عبدالله غرامة على حمايته بتريم؛ لأن غرامة لا يملكها كلـها، وفي أيـامه كــان وصـول الوهابـية إلى تريم سنة (1224 هـ)،بقيادة الأمير علي بن قملا[1]، فطوى بهم حضرموت، ولم يفسد حرثاً،ولا أهلك نسلاً، وإنما هدم القباب،وسوى القبور المشرفة،وألقى القبض على المناصب، وأهانهم،وأتلف قليلاً من الكتب،كثره بعض العلويين، كصاحبنا الفاضل السيد علوي بن سهل، بدون مبرر مـن الدليل، وأقاموا بتريم نحـو أربعين يوماً، وعاهده عبدالله عوض غرامـة، وعبدالله بن أحمد بن يماني على أن يكف الأذى عـن بـلادهما، عـلى شـرط أن يـقومـا بنشـر دعـوته، الـتي لاقـت هـوى مـن نفـوسـهـم وقـبـولاً من خـواطـرهـم) [2].

إذاً فهذا إمام كبير وعلامة شهير من سادة تريم،كان يوافق أهل نجد على منهجهم،وقد اتهم بنشر هذا المنهج وتعليمه لهذا السلطان،حتى أن السلطان عبدالله عوض غرامة أرسل رسـالة عـزاء في قـتيل قـتل في مشاجرة بغير قصد، جاء فيها: (إننا لا نريد ذلك ولانحبه، وإنما كان قتله على غير اختيار منا، ولكن شؤم أعمالكم والتفاتكم إلى غير الله وعبادتكم للأموات والقبور هو الذي جر عليكم المصائب، وسيجر عليكم ما هو أعظم)، قال ابن عبيدالله: (ويقال أن هذه المكاتبة كانت من إنشاء إمام تريم لذلك العهد المتقدم، ذكره السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان، والله أعلم) [3]، بل هناك نص أوضح وأصرح في استجـابة الكثير من قبائل حضرموت وبعض السادة العلويين للدعوة الوهابية، بل وطلبهم وصول دعاتها إلى حضرموت، يقول ابـن عبيد الله في ترجمة أحمد بن سـالم منصب عينات: (وفي أيامه كان وصول الوهابية إلى حضرموت، بطلب من بعض السادة وآل كثير، ولم يكن لهم عسكر كثير، وإنما كانوا ينشرون دعوتهم، ويستجيب لهم

---

[1] كذا قال والصواب ناجي بن قملا .

[2] إدام القوت الحلقة (40) في مجلة العري التي تصدر في الرياض .

[3] إدام القوت ص(123) .

الناس، وكان ممن استجاب لهم آل علي جابر بخشامر، غربي شبام، وبعض السادة وبعض آل كثير وعبدالله عوض غرامة بتريم)[1]، ولكن وجود النجديين في حضرموت لم يدم طويلاً حيث كان وصولهم إليها في آخر عمر الدولة السعودية الأولى، والتي انتهت بـوصول القوات المصرية إلـى الـدرعيـة سنـة (1233هـ)[2]، وكانت جيوشهم قد وصلت إلى ساحل ينبع سنة (1 226 هـ)[3]، وما بين هذين التاريخين كان أهل نجد مشغولين بقتال القوات المصرية، ومن هنا قلّت إمداداتهم إلى جيوشهم التي تقاتل في أطراف الجزيرة العربية ومنها الجيش الذي بحضرموت؛ ولذلك فقد هـزم هـذا الجيش بالقرب من حريضة على يد قبائل الجعده وقيادة السادة آل العطاس[4]، ورجعوا إلى بلادهم.

ولكن آثار دعوتهم مازالت موجودة، وكان أشهر بلد استقرت على مبادئ هذه الدعوة هي بلد خشامر وأهلها آل علي جابر؛ لذلك كانت من النوادر أن أحداً إذا أراد من وليٍّ كرامة فلم تحصل يهدَّده باللجوء إلى آل علي جابر في خشامر، كما ذكر في تذكير الناس قول الذي قال في زيارة المشهد:

زوار جينا بانــزورك ياعلي لي تكرم القاصد وترحب بالغريب
إن شيء كرامة با تقع ذا حلها والا رجعـنا لا قَـدَا صالح حبيب [5]

أي إذا لم تكرمنا فإننا سنذهب إلى صالح حبيب شيخ آل علي جـابر الوهابيين، وقول الآخر حينما جاء إلى الحسن بن صالح البحر، وله ولد مريض، فخاطبه بقوله: (وعزة المعبود إن لم تذهب الحمى من

ولدي محمد لأصبح في خشامر عند بن علي جابر)[6]. وكل ذلك قد تقدم.

ومالبث الناس بعد ذهاب النجديين إلا يسيراً، فنشأت جمعية الإرشاد بإندونيسيا، فتواصل التأثير، ولله الحمد،حتى جاء الله

---

1 إدام القوت ص(43) .
2 عنوان المجـد (ص 191 – 214) .
3 المصدر السابق ص(157) .
4 انظر تاج الأعراس (230/1-237)
5 تذكير الناس ص(219) .
6 تذكير الناس ص(220) .

بهذه الصحوة التي هي سلفية سنية منابذة للقبورية متمسكة بمنهج السلف الصالح رضوان الله، عليهم نسأل الله أن يتم نوره، ويعلي كلمته، ويهدي الجميع للتمسك بما يرضيه

<u>المطلب الثاني</u>: دعوة الإرشاد بإندونيسيا وأثرها على القبورية في اليمن:

من خلال العوامل التي أدت إلى قيام دعوة الإرشاد يمكننا أن نتعرف على أهم ملامحها، فالعوامل التي أدت إلى قيامها هي:

1) الجهل المركّب الذي يسود العرب في إندونيسيا.

2 2) تمادي العنصريين في استعلائهم على الناس واستغفالهم لهؤلاء ماديّا واجتماعيّا.

3) كثرة البدع والخرافات.[1]

من خلال هـذه العوامل يتضح أن هذه الدعوة كانت ثـورة على الجهـل الذي كان يسود العرب في مهجرهم، ووسيلة إزالته العلم، وثورة على التعالي العنصري، والمطلوب هو التساوي والعدل الذي جاء به الإسلام، وثورة على البدع والخرافات،وسبيل ذلك هو نشر التوحيد والاتباع وتعلم الإسلام الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله .

ومن مجموع ذلك نتعرف على جمعية الإرشاد الإسلامية بإندونيسيا، فنراها تقوم على ثلاثة أصول:

1) نشر العلم وإفشائه بين سائر الطبقات.

2) المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع الشرائح في المجتمع.

3) محاربة البدع والخرافات ونشر ضدها من التوحيد والاتباع.

وهذه الأصول كلها نقض لبعض أركان القبورية في اليمن، وقد سبق ذكرها مفصلة في الباب الثاني في آثار القبورية.

وقد وصلت هذه الدعوة إلى اليمن وإلى حضرموت بوجه خاص موطن، مؤسسي هذه الجمعية، وكان لها أثرها الطيب؛ حيث تنبه الناس من غفلتهم واستيقظوا من رقدتهم، فهرعوا إلى العلم، ورفضوا التمايز الطبقي، ودعوا إلى التوحيد والسنة ورفض البدع والخرافات والشركيات، وقام بعضهم بتسوية بعض القبور في مناطقهم، وأذكر أن أحدهم في قريتنا عَمَدَ إلى ثوب كان يكسى به صناديق مكتبة الشيخ عمر بن أحمد

---

[1] تاريخ الإرشاد ص(6) .

العمودي الشهيرة والمعروفة عند المؤرخين بـ " المكتبة الشُعبية " وعند العوام بخزانة
الشيخ عمربن أحمد، قام بأخذ هذا الثوب الذي تكسى به صناديق الكتب -على جهة التعظيم- وألقاه في بئر معطلة بالقرب من الخزانة، وذلك الرجل هو الشيخ عبدالرحيم ابـن محمد المهجوس العمودي رحمه الله، وكان أول من أعلن الدعوة إلى السنة ومحاربة البدع والشركيات في ذلك البلد.

وهكذا لم يبق وادٍ أو منطقة مـن مناطق حضرموت إلا ووجـد فيها مثل ذلك الرجـل، وفي كثير من الأماكن كان لهؤلاء أنصار وأعوان، يحملون هذه الدعوة ولو في أنفسهم وأقاربهم.

ومما يدل على وجود هذا الأثر ضجة القبوريين من هذه الدعوة والشكوى منها ونشر الدعاية ضدها، من ذلك ما هو مكتوب، ومنه ما هو على الألسنة.

المطلب الثالث: جهود أئمة وعلماء اليمن الأعلى في المواجهة العملية للقبورية:

إن القبورية لم تترسخ في اليمن الأعلى مثلما ترسخت في بقية مناطق اليمن، وذلك أن الفرقة الزيدية والمذهب الهادوي ليس فيهما من الغلو ما في مذاهب أهل الرفض والباطنية من الإسماعيلية والصوفية الغلاة، لذلك؛لم يكن في أصل المذهب الهادوي ترخيص في البناء على القبور، ولا في عقائد الزيدية اليمنية الأولى شيء من ذلك، وإنما طرأت تلك الأقوال في القرن السابع عندما توافد الصوفية على اليمن وحينما بنى بنو أيوب المشاهد على قبور سلاطينهم،وميزوها عن قبور الناس، عند ذلك سرت العدوى إلى ديار الزيدية، وبقيت محصورة علـى الأئمة الحاكمين وأسرهم ومقربيهم، فهي فتوى سياسية أكثر منها شرعية واعتماد على إلحاح الواقع لا على أدلة الشرع؛ ولذلك فليس هناك تعظيم للقبور التي في ذلك الجزء من اليمن كما هو في بقية الأجزاء الأخرى، وليس هناك فلسفة لزيارتها كما يوجد عنـد الصوفية؛ لذلك كله كان من السهل على علماء تلك البلاد وبعض حكامها أن يدركوا الحكم الصحيح لتلك المشاهد وأن يتمكنوا من هدمها وإزالتها بيسر أكثر مما عليه الحال في مناطق الصوفية، كذلك فقد كانت هناك جولات لبعض العلماء وبعض الأئمة وجهود عملية؛لإزالة بعض تلك

المشاهد وتسوية القبور المعظمة عند بعض العامة،وقد اطلعت على جولتين من تلك الجولات.

الجولة الأولى: على عهد الإمام المهدي العباس بن الحسين بن القاسـم المولود (1131هـ) والمتوفى سنة (1189هـ) والذي كان معاصراً للإمام ابن الأمير الصنعـاني رحـمه الله المتـوفى (1182هـ)، فقد قام هذا الإمام بهدم كثير من تلك المشاهد والقبور المعظمة بتحريض جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى، قال الإمام الشوكاني رحمه الله: (وقـد تكلم جماعة من أئمة أهل البيت -رضوان الله عليهم- ومن أتباعهم رحمهم الله، في هذه المسألة بما يشفي ويكفي، ولا يتسع المقام لبسطه، وآخر مـن كـان منهم نكالاً على القبوريين،وعلى القبور الموضوعة على غير الصفة الشرعية، مولانا الإمام المهدي العباس بن الحسين ابن القاسم رحمه الله، فإنه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنة للناس وسبباً لضلالهم، وأتى على غالبها، ونهى الناس عن قصدها والعكوف عليها فهدمها،وكان في عصره جماعة من أكابر العلماء ترسلوا إليه برسائل، وكان ذلك الحامل لـه على نصرة الدين بهدم طواغيت القبوريين [1].

---

[1] الدر النضيد ص(126 – 127) .

أما الجولة الثانية: **فقد تم فيها إزالة القباب والمشاهد في اليمن الأعلى بجهود علماء صنعاء وحث أئمة الدعوة النجدية، قال الإمام الشوكاني -رحمه الله- في ترجمة سعود بن عبدالعزيز بن محمد ابن سعود في البدر الطالع: (ومازال الوافدون من سعود يفدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور، وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة، ويكتب إليّ أيضاً مع ما يصل من الكتب إلى الإمامين، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأماكن المجاورة لها وفي جهة ذمار،ومايتصل بها)[1].**

وقد ورد هذا الخبر مزيداً ومفصلاً في كتاب "حوليات يمانية" الذي حققه ونشره السيد عبدالله الحبشي حيث قال: (وفي سنة (1229 هـ) تهيأ المتوكل على خروجه على النجدي على تهامة، وعلى الشريف وعاهد الإمام القاضي عبدالله العكـام، ووصل وقد رحل المتوكل من صنعاء إلى ذمار، وبقي خارج ذمار،وطلب المغلّبات من الإمام،ولم يتم منه بشيء ونهب محل اليهود في ذمار لا رحمه الله، وتعدى إلى الطريق المسبلة،ورحل خارج اليمن، وتبعه المتوكل وجرت بينهم حروب.

وفيها وقعة السرايم خارج جبلة، وخاب السعي من النفوذ على تهامة، فكلما هيأهم المتوكل للتحضير على المخالفين طلبوا المغلَّبات، وما مقصدهم إلا الفساد، ووقع لهم شيء من المال ورجعوا بلادهم، ورجع الإمام إلى صنعاء، ورجح مكاتبة النجدي ومداهنته، حتى وصل من الدرعية المطاوعة الآخرون الأمير محمد، ويوسف القرماني وجماعة معهم، وخاطبوا المتوكل في خراب المشاهد والقباب المنصوبة على قبور الصالحين والأئمة الهادين، فجمع الإمام أعيان دولته وعلماء حضرته، وأجاب عليه العلماء بأنه إذا كان العمل بالشريعة حقيقة لا على أنها مداهنة للنجدي وقبول قوله فهذه القباب

---

[1] البدر الطالع (1/262-263) .

ورفع القبور بدعة لاعلى الوجه المشروع،كما روي عن أمير المؤمنين بهدمها وتسويتها بالأرض، فرجح المتوكل الأمر بهدمها وهدمت الذي في صنعاء وما حولها قبة صلاح الدين، وقبة المنصور حسين في الأبهر،وقبة الفليحي،وسدة قبة المهدي العباس التي فيها القبر، ولم يبق إلا قبة المتوكل للصلاة، وهدمت قبة أحمد بن أحسن في الغراس وأرسل على بقية النواحي بهذا [1].

ومن هذا النص نفهم أن أصحاب نجد قد شددوا على الإمام في صنعاء في هذا الأمر وقد وجد الإمام نفسه مضطراً لقبول ضغوطهم والعمل بمايدعون إليه، ولكن أراد أن يحمل المسؤولية العلماء بدل أن يتحملها بمفرده، وكان العلماء يتحينون هذه الفرصة؛ لأنها تحقق جـزءاً مهماً مـن دعوتهم،ولذلك كان جوابهم: (بأنه إذا كان العمل بالشريعة حقيقة لا على أنها مـداهنة للنجـدي، وقبول لقوله فهذه القباب ورفع القبور بدعة على الوجه المشروع، كما روي عن أمير المؤمنين بهدمها وتسويتها بالأرض،فرجح المتوكل الأمر بهدمها)[2]. فهذا جهد كبير كان الدافع له دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتنفيذه برغبة وقناعة تامة من علماء اليمن، والنتيجة هي هدم تلك القباب وتسوية تلك القبور المشرفة وإن كانت قد أعيدت إلى سالف عهدها فيما بعد،ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

ونموذج آخر قام به أحد الأئمة ولكن، هناك شكوك في دوافعه، تلك الجهود هي التي قام بها الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين حينما كان ولياً للعهد في أيام أبيه وحاكماً للواء تعز، فقد قام بهدم قبة أحمد ابن موسى بن العجيل في مدينة بيت الفقيه عام (1348هـ)، وتحطيم تابوت أحمد ابن علوان وإخراج رفاته ثم دفنه في مكان مجهول عام (1372هـ)، وهذا العمل من حيث أنه تحقق به أمر مطلوب شرعاً فهو جيد، ولكن الشكوك ساورت الناس حينما اقتصر على هدم مشاهد البلاد الشافعية بينما البلاد الزيدية فيها مشاهد كثيرة،ومنها ما

---

[1] حوليات يمانية ص (22-23) .

[2] هنا في التعليق على الكتاب ص(22) رقم (7) قلت : وفي هذه المناسبة ألف العلامة محمد بن علي الشوكاني رسالة (شرح الصدور في تحريم رفع القبور) .

قد فتن به بعض الناس، ومع ذلك لم يمسها بشيء من ذلك، قال القاضي إسماعيل الأكوع في "هجر العلم" بعد أن ذكر هدم الإمـام أحمد لهذين المشهدين: (وتالله لقد أحسن الإمام أحمد صنعاً في كلتا الحالين، ولو أن يـده امتدت إلى سـائـر القباب والتوابيت الأخرى التي يعتقد عامة الناس في أصحابها الضر والنفع لأجزل الله مثوبته وأحسن إليه، ولاسيما القبور التي يلتمس عندها العامة الخير والبركة، ويرجون منها النفع ودفع الضر والشر [1]، ثم استطرد في الموضوع إلى أن قال: (وكان الواجب على الإمام أحمد هدم القبور التي يلتمس العامة منها الخير والبركات؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ)[2].

قلت: وفي هذا إشارة إلى أن الإمام أحمد ما فعل ما يجب عليه،وما كان مقصده تطبيق أمر الشرع بشكل خالص؛ وإلا لعمم ذلك، وربما يعتذر له بأن هذه المشاهد تحت سلطته بينما غيرها ليس له عليها سلطة، فقد مر أن أباه كان يؤيد تلك المشاهد التي على قبور الأئمة، وقد أمر ببناء واحد منها في منطقة أرحب على قبر الإمام أحمد بن هاشم الـويسي المتـوفى سنة (1269 هـ) والمدفـون في (دار أعـلا من أرحب للتبرك به، وهددهم بأنهم إن لم يفعلوا ذلك فإنه سينقل رفاته إلى مكان آخر، فما كان من أهل أرحب إلا أن بنوا له قبة، ووضعوا على قبره تابوتاً) [3].

والخلاصة أن هناك جهوداً عملية قام بها أئمة وعلماء في هذه المناطق، وقضوا ما عليهم، وقاموا بما أمروا به، فمن كان منهم مخلصاً فأجره على الله، ومن كان له مقصد آخر؛فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى.

<u>المطلب الرابع:</u> الجهود العملية المختلفة التي قام بها أناس مختلفون في سائر أنحاء اليمن:

إن الجهود العملية لتسوية القبور المشرفة كانت من عهد النبي ﷺ ولا تزال إلى اليوم، وقد مر في الباب التمهيدي حديث علي -رضي الله عنه- حين قال لأبي الهياج الأسدي: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا

---

1 هجر العلم (1/ 223) .
2 المصدر السابق (1/ 225) .
3 المصدر السابق (1/225) .

قبراً مشرفاً إلا سويته)[4]، وهو يدل على أن النبي بـذل جهوداً في محاربة القبور المشرفة، وكذلك علي -رضي الله عنه- في أيام خلافته وقبل ذلك في أيام عثمان حيث كان يتفقد المقابر بنفسه، ويأمر بتسويتها، وقد مر هناك.

ثم مازال ولاة الأمور يتابعون هدم ما بني في المقابر، كما صرح الإمام الشافعي -رحمه الله- بذلك في الأم ونقلته في الباب التمهيدي، وإنما تخاذل ولاة الأمر في ذلك بعد تمكن الباطنية من مقاليد الأمر في القرن الرابع كما مر كذلك، وفي القرون المتأخرة أصبح السلاطين يؤيدون القبورية؛لأغراض سياسية فعمقوها وجذروها في الأمة،وأصبحت الجريمة ليست هي بناء المساجد والمشاهد على القبور، وإنما هدم وإزالة تلك الأبنية.

وبالمناسبة أقول: إنه لدينا في اليمن تجري السلطة على نفس منهج السلاطين المتقدمين من مجاراة للقبورية ومداهنة لهم، ونتوهم أنهما بذلك يكسبونهم ويكسبون الأمة من ورائهم، وهذا وهم كاذب، فالصوفية لا تحب هذا النظام أوتنصح له، وأكبر دليل ما حصل منها أثناء حرب الانفصال وكل الناس يعرفون موقفها من ذلك، وعندما يقوم فرد أو مجموعة من الغيوريين بتنفيذ أمر سول الله فيسوون قبراً أو يهدمون مشهداً،تقوم عليهم الدنيا ولا تقعد ويساقون إلى السجون، وتشهر بهم الصحف المأجورة، ويتناولهم بأنواع السباب والشتائم من لا علم ولادين ولاخلق له، والعلة في ذلك حسب زعمهم هي: إثارة العوام، وإثارة القلاقل، والإخلال بالأمن، واحتمال وقوع الفتن والقتل، ونحو ذلك من العلل.

وأقول: إنه قد يحصل شيء من هذا،لكن أليس ما يقوم به القبورية اليوم على مرأى ومسمع من الجميع من بناء مشاهد جديدة وترميم وإصلاح المشاهـد القديمة وبعث العادات والبدع القبورية الميتة، أليس هذا كله يستفز الأمة التي قد وعت وعرفت أن ذلك حرام ووسيلة من وسائل الشرك؟ وجميع المسؤولين والمهاجمين لمعارض القبورية معترفون به، فإذن لِمَ تجوز الإثارة من قبلهم ولا تجوز من قبل معارضيهم؟ مع أنهم على باطل ومعارضوهم على حق باعتراف قيادات الأمن

---

[4] انظر الباب التمهيدي (   ) .

وقضاة المحاكم وأساطين الصحافة؟ هل لأن الدعاة لا يلجأون للإثارة وتهييج الجموع؟ والقبورية يتقنون ذلك؟ أم أن هناك إيحاءً بذلك من جهات لا نعرفها؟ يجب أن نسمع جواباً شافياً على هذا التساؤل وعدلاً وإنصافاً مـع الأطراف المختلفة والـتخلي عن محاباة طرف على حساب الآخر.

ويجب أن يزول كذلك وهم أن الصوفية القبورية ومن على شاكلتهم قادرون على أن يحققوا لبعض الأحزاب أهدافها، فوالله ماهم بفاعلين؛ لأنهم إنما يسعون لمصلحة مبادئهم ومناهجهم لالمصلحة أحد سواهم، ولو فرض إرادتهم نفع هذا الحزب أو ذاك فلم يعودوا قادرين عليه؛لأن الأمة قد سحبت ثقتها منهم ولم يعد نفوذهم يسيِّرها.

<u>نماذج من تلك الجهود:</u>

بعد هذه المقدمة التي أطلت فيها حيث لم أستطع تجاوز هذا الموضع بدونها أقول: (إن هناك نماذج مشرقة في مواجهة القبورية في اليمن مواجهة فعلية، وتقدم قريباً ما فعل علماء صنعاء عندما واتت الفرصة لهم، كما سبق في مبحث من مباحث هذا الباب، ما فعله القاضي العلامة عبدالله عوض بكير وزملاؤه أعضاء لجنة الشؤون الدينية حينما قامت اللجنة الشرعية وأعطي لها الصلاحيات من إزالة الكثير من مناكر الزيارات القبورية، وكذلك ما فعله بحكم منصبه القضائي من إغلاق لمشهد " علوية " بمدينة المكلا ومنع إقامة الحضرة فيه.

ولقد تساند بعض القضاة الصالحون مع بعض مسؤولي النواحي في -ما كـان يعـرف بالشطر الشمالي من اليمن- فقاموا بجهود مشكورة ومساندة للدعاة لإزالة بعض المشاهد وتسوية بعض القبور المعظمة وهاك مثالاً على ذلك وهو مـا أخبرني به الأخ الشيخ محمد بن علي الغيلي مـن احتساب، قام به الشاب الغيور الداعية إلى الله في بلاد المحابشة من محافظة حجة الأستاذ الشهيد -إن شاء الله- " أحمد بن أحمد الأمين " مع مجموعة من إخوانه طلبة العلم والدعاة حيث قرروا إزالة هذه المشاهد وما يترتب عليها من مفاسد،وبدأوا بالتوعية والتهيأة لذلك،ثم اتصلوا بالعلماء فوجدوهم مجمعين على أن ذلك من البدع المنكرة، غير أنهم ما كان بمقدورهم الإفصاح عن ذلك، ثم اتصلوا بالمسؤولين "العامل والقاضي

ومسؤول الأوقاف"، وقد وافقهم الجميع، ثم أخذوا أمراً من القاضي " محمد بن علي الخزان " حاكم القضاء، هذا نصه:

(نأمر المذكورين المحررة أسماؤهم بالعزم بمعية الولدين محمد علي الغيلي، وأحمد الأمين لهدم مشهد "الصوفرة" ليزول الاعتقاد والفساد لدى العوام وفي ذلك عمل صالح تخدمون به الإسلام والعقيدة الحقة، اعتمدوا هذا.

11/شعبان سنــة 1394هـ حاكم القضاء

محمد بن علي الخــزان

وذكــر أسماء المكلفين بذلك، وقد نفذت العملية صبيحة يـوم الرابـع عشر مـن شعبان عـام (1394هـ) وذلك من قبل الشباب المذكورين، ومعهم عدد من الجنود المسلحين، ولم يحدث شيء يذكر من فتنة ولاغيرها ثم قضى على بقية المشاهد في المنطقة، والحمد لله رب العالمين.

هذا ملخص ما حكاه الشيخ محمد الغيلي حفظه الله، وصورة أمر القاضي موجودة لدي،

وإليك مثالاً ثانياً على المواجهة العملية للقبورية في اليمن من محافظة شبوة حيث قام مجموعة من المهاجرين إلى الحجاز الذين جالسوا علماء مكة والمدينة وعرفوا منهم الحق في موضوع القبورية قاموا بعمل ملفت حيث اتفقوا مع الشيخ الجليل والداعية المعروف الشيخ محمد بن عبدالوهاب البناء المصري أحد أعضاء جماعة أنصار السنة المحمدية،والذي كان مقيماً في المدينة حيناً وفي مكة حيناً آخر، اتفقوا أن يصحبوه إلى بلادهم للدعوة إلى الله عزوجل ونشر السنة والتوحيد وإصلاح ما أفسدته القبورية، فارتحل معهم وذلك قبيل استقلال البلد عن الاستعمار البريطاني بقليل،حتى وصلوا إلى بلادهم والتي كانت تسمى"سلطنة الواحدي " ومكثوا مدة طويلة فيها، يدعو الشيخ ويعلم الناس، وتلك المجموعة تناصره وتحميه، وقد اتصل بالمسؤولين والعلماء وكبار الناس في المنطقة، وكان لدعوته أثر طيب،منه قيام أولئك النفر ومن تأثر بهم بهدم بعض القباب والمشاهد وتسوية بعض القبور المعظمة،ومنها القبر المزعوم والمنسوب إلى من قالوا أنه النبي (دانيال ابن هادون بن هود)،ولا أدري كيف أجازوا إضافة نبي لم يخبر به كتاب ولاسنة ولا أثر صحيح، المهم اكتُشف

القبر ورسخ في عقول ونفوس الناس أنه قبر هذا النبي " المزعوم "، فصار مشهداً تقام له زيارة سنوية في رجب،وتحصل فيها اجتماعات وكرامات، هذا القبر الذي فتن الناس به،هدمه أولئك الرجال جزاهم الله خيراً [1].

ومن العجب -وكل أمر القبورية عجب- أن بعض الإخوة الذين عاصروا هدم ذلك القبر أخبرني أنه عندما هدمت القبة، وأزيل ما على القبر لم يوجد به أي قبر وإنما وجدوا صفاة صماء لا حفر فيها ولا أي أثر يدل على أنه قد دفن فيه أحد.

ومثال ثالث أخير على المواجهة العملية وهو من محافظة عدن، وهي الحادثة التي كان من نتائجها تسوية القبور المشرفة، وهدم القباب المرتفعة، وتحطيم التوابيت التي على قبور من يدعون أنهم أولياء، فيفتتن بهم عامة المسلمين، تلك الحادثة وقعت في عـدن عقـب انتهاء حـرب الانفصال في عـام (1415هـ) والتي قام بها مجموعة كبيرة من شباب الصحوة من سائر فصائل العمل الإسلامي، بعد أن رتبوا أو على الأقل أبلغوا الجهات الأمنية ولم تجد معارضة لفعلهم، غير أنه وبعد يومين من بداية الحملة انعكس توجه الحكومة ويبدو أن ذلك كان تحت ضغوط داخلية وخارجية كبيرة، وبـدأوا يلاحقـون الشباب الذين شاركوا في تلك الحملة، وزجوا بمجموعة كبيرة منهم في السجون، وقد ضخمت تلك الحادثة في وسائل الأعلام تضخيماً كبيراً، ووصف القائمون بذلك العمل بشتى الأوصاف القبيحة من إرهابيين ومجرمين وجبناء وغير ذلك، وكان من نتيجة ذلك هدم قبة الهاشمي وتسوية ما بداخلها من القبور المشرفة وكذلك قبة العثماني وكلاهما في الشيخ عثمان، وتحطيم تابوت العيدروس وما بجواره من القبور المشرفة، وعددها حوالي اثني عشر قبراً، ثم إخراج القبور من المساجد وهي قبر العراقي من مسجد حسين، وقبر مجاور للمسجد، وقبر المهدلي وقبر حسين الأهدل وقبر في مسجد العلوي بالقطيع وقبر الحامد من مسجد بالزعفران وتسوية قبر أو قبرين بـ (صيره).

---

[1] انظر ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان تأليف السيد / محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر الحوت المحضار لم تذكر له دار نشر وتاريخ ص(33) .

 وربما كان هناك أخطاء في تلك الحملة قبل البدء فيها حيث لم ينظر بدقة إلى عواقب الأمر، وما سيترتب على ذلك العمل من نتائج وفي ظل أجواء مشحونة بالتوتر ووجود فئات مهزومة،لم يبقَ لها إلا سلاح الدعاية والإشاعات الخبيثه،وتوجه إعلامي كامل نحو اليمن إثر الحرب التي انتهت قبل أيام.
 كما حصل أثناء الحملة بعض الأخطاء، مثل: الحفر عن بعض القبور، وإخراج جثث الموتى منها، ولا أدري في أي مكان دفنت بعد ذلك، فهذه بعض المفاسد وهي طفيفة،وأما المصالح فكانت كثيرة فمنها: امتثال أمر النبي الخاص بتسوية القبور المشرفة، ومنها: إزالة أماكن المنكـر والفتـنة التي يضل بها فئام من الناس كل حين، ومنها: إقامة البرهان على كذب الدعاوى العريضة التي كان سـدنة تلك المشاهد يرددونها حول الكرامات الخارقة التي يزعمونها لأولئك الأولياء، ومنها: هذه الكرامة التي ينسبونها للعيدروس حيث يقولون: (إن القطب أبابكر العيدروس كان يمازح الولي الشهير سعد السويني، والعيدروس بعدن، والسويني بحضرموت، إذ ضجر السويني من ممازحة العيدروس، فرماه بمسواكه فأقبل المسواك " كالصاروخ سكود " فاكتشفه العيدروس وأمر طلابه بأن يخفضوا رؤوسهم حتى لايصيبهم، ولكـن المسـواك ارتفع عن المسجد ومن فيه ووقع في الجبل القريب منهم فأحدث فتحة كبيرة، لاتزال موجودة إلى اليوم)، هكذا يقولون للسذج من الناس ويصدقهم الكثير منهم، ويلغون عقولهم فلا يفكرون في إمكانية ذلك من عدم إمكانيته، فلما كسر التابوت وحطم أجزاء من المباني حوله بل وحفر القبر ورفع الرفات المتبقي من تلك الجثة، أيقن العقلاء أن ذلك هراء ودجل صريح، فهذه الفائدة كبيرة جداً، وإن كان بعض المخدوعين مازالوا يعتقدون بتصرف العيدروس في الكون حياً وميتاً، ولم يعدم السدنة والمضللون من القبورية حيلاً يبررون بها ما جرى، ولله الأمر من قبل ومن بعد.
 ولعمري لقد أدى أولئك الشباب واجباً، وقاموا بفرض تخلى عنه الآخرون، فجزاهم الله خير الجزاء، وغفر لهم ما فيه من أخطاء.

ولقد تباينت ردود الأفعال كثيراً حول تلك الحادثة، وقال كلٌّ بما أراد أن يقول، إمـا عن اجتهاد أو هوى، وقد صدرت على إثر ذلك الحادث بيانات وكتبت مقالات، كان الغالب عليها مراعاة الحالة السياسية والوضع الذي تمر به البلاد والتأثر بما قامت به وسائل الإعلام العالمية من هجوم ضد منفذي هذه العملية، ولم أر من تلك البيانات والمقالات أكثر تجرداً، ولا أوضح تناولاً، ولا أنصح من بيان العلماء الذي سبق نقله في المبحث الثالث من هذا الفصل؛لأن الموقعين عليه من العلماء العاملين والدعاة المخلصين والمتجردين من الضغوط والأهواء المختلفة، فهو بحق يمثل الموقف الشرعي الصحيح إزاء ذلك الحادث، ويعتمد على الأدلة الصحيحة والبراهين الناصعة، فجزى الله من أصدره خير الجزاء.

الخاتمة

الحمد لله الـذي أتم عليَّ نعمـه، ووالى عليَّ مننـه، وأعـانني فـأكملت هـذا البحث بهـذه الصـورة الـتي أرجو أن أنـال بها رضاه،وأن يكون البحث نافعاً محققاً للغرض منـه،وقد توصـلت من خلاله إلى عدة نتائج من أهمها:

1. أن بني آدم كـانوا على التوحيد الكامل حـتى طـرأ عليهم الشرك وذلك بالغلو في الصالحين ولم يعرف شــرك في البشرية قبل ذلك.
2. أن اليهــود والنصــارى واليونـــان كـــانوا قبورية متعلقين بالقبور معظمين لها معتقدين فيها عقائد باطلة وقد أخبر الرسول أن هذه الأمة ستتبعهم في ذلك.
3. أن العرب كـانوا موحـدين على ملة أبيهم إبـراهيم، حـتى حــرفهم عمــرو بن لحي الخــزاعي وكــان من أســباب انحرافهم الغلو في بعض البشر، كما حصل عنـدما أحبـوا (اللات) وعظموا موضعه،ثم اتخذوه إلهاً، وبالغلو في آثـار الأنبياء حتى عظموا الحرم وحملوا حجارته معهم تعظيماً له، ثم أنهم عبدوا تلك الأحجار بعد مدة.
4. أن الشرك بعد ذلك عمّ جزيرة العرب والعـالم كله حـتى مقتهم الله تعـالى إلا بقايا من أهل الكتـاب ومعهم عــدد قليل من حنفاء العرب.
5. أن رســول الله لم يمت إلا وقد طهر الجزيـــرة العربية من الشرك وعلم أمته طرق حماية التوحيد وحـذرهم من الشرك ووسائله أبلغ تحذير.
6. أن القــرون المفضــلة كــانت خالية من جميع مظـــاهر القبوريـة، وأن الصـحابة والتـابعين وأتبـاعهم من علمـاء وأمـراء عملـوا على إزالة أي مظهر من مظـاهر القبورية المتمثلة في البنـاء على القبـور، وتعظيمها بـأي نـوع من أنواع التعظيم حتى أن الخلفاء والأمراء كانوا يتولون ذلك بأنفســهم أو بــوكلائهم، وأن ما يســتدل به القبورية على وجود مبان وقبور مرتفعة في ذلك الوقت إنما هو مجــرد شبه لا وزن لها

7. أن الشيعة كانوا يحاولون منذ زمن مبكر إنشاء مبان على قبر الحسين وإقامة مراسيم بدعية له، ولكن الخلفاء كانوا يمنعونهم من ذلك، ويشددون في المنع، ويزيلون ما يحدث في حين الغفلة، وأن ذلك كان بدافع الحرص على منع الابتداع في الدين وليس كما يقول الرافضة بسبب بغض الحسين وأهل بيته.
8. أن الشيعة الغالية من رافضة وإسماعيلية وباطنية هم الذين أنشأوا المظاهر القبورية في العالم الإسلامي ضمن بدع كثيرة ابتدعوها حينما حكموا بلاد المسلمين أواخر القرن الثالث وسائر القرن الرابع وبعض الخامس وأن تلك المظاهر قد ألفها المسلمون منذ ذلك الحين ولذلك فإن الدول السنية التي جاءت بعدهم قد قلدتهم في ذلك ونشرت تلك المظاهر في البلاد التي لم تصلها الدولة الشيعية.
9. أن الصوفية المتأخرة القائمة على الفلسفة هي نبته غريبة على الإسلام ولا علاقة لها بالزهد الذي حث الشرع عليه، وليس لها قدوة من صحابي أو تابعي أو إمام معتبر من أئمة المسلمين.
10. لقد أخذت باطنية الشيعة جملة من العقائد عن الفلاسفة وغيرهم من الأمم الكافرة وطبقتها على أئمتها وصاغتها صياغة تناسب ملتها ثم نشرتها بين اتباعها وحملتهم عليها ثم إن المتأخرين من الصوفية أخذوا ذلك عنهم ودمجوه في منهجهم وعملوا به واعتقدوه ومن ذلك عقيدة القطبية والتصرف في الكون التي انبثقت عنها معظم العقائد الضالة في الأولياء والكرامات.
11. كما أخذت الباطنية الشيعية والصوفية بعلة الزيارة التي قررها الفلاسفة وأصبحوا يزورون القبور بمقتضاها لا بمقتضى العلة الشرعية التي علمها رسول الله لأمته وتلك العلة المأخوذة عن الفلاسفة هي الاستشفاع والاستمداد من أرواح الأموات المزورين واعتقاد أنها تمد من استمد منها
12. إن الصوفية الغالية الحريصة على إظهار الخوارق وعدها كرامات تدل على ولاية من جرت على يديه قد اخذوا

بعدد من علوم السـحر واسـتخدموها ونشـروها في الأمة ومنهم من كـان يعـاني أنواعـاً من الرياضـات للوصـول للكشف وخرق العادة على طريقة سحرة الهند وغيرهم.

13. ليس ما ذكرته عن الصـوفية منطبقـاً على كل من انتمى إليهم أو وصف بولاية منهم، بل ممن نسب إليهم مَن هو بـرئ مما نسب إليـه، وهنـاك من اعتقد عقائـدهم وعمل ببدعهم؛ تقليـداً لهم وإحسـاناً للظن بهم، فهـؤلاء أمـرُهم إلى اللـــــــه، وأما ما نسب إليهم من ذلك فهو باطل وانحراف وهو إدانة للمنهج الصـوفي ودليل على بطلانـه؛ لأن الصوفية هم الذين نسبوا ذلك إلى شيوخهم ونشـروه مرتضين له، بل يعدونه من أعظم فضائلهم.

14. أثبتت هــذه الدراسة أن أهل اليمن كـانوا على منهـاج السـلف الصـالح في عقيـدتهم وأحكـامهم وأن مصـادر علمهم هي كتب السـنة قبل دخـول الكتب الفقهية والمـذاهب المختلفة وكتب الفـرق المخالفة لـذلك المنهج،وأن منهج السـلف الصـالح ظل قائماً حـتى بداية القرن الثامن في البلاد الشـافعية وأنه ما كـاد يغلب على تلك البلاد المـذهب الأشـعري حـتى قـام منهج السـلف الصالح في البلاد الزيدية على يد الإمام محمد بن إبراهيم الـوزير وأتباعه وهـذا المنهج ما زال قائمـاً إلى اليـوم والحمد لله.

15. كما عرفنا أن جميع المـذاهب المخالفة لمـذهب السـلف الصـالح إنما هي وافـدة على اليمن وليست أصـيلة فيه وأن الصوفية القبورية لم تعـرف بفلسـفتها المبتدعة في اليمن إلا منذ القـرن السـادس ولم تسـتقر ولم تنتشر إلا في القرن السابع.

16. أن جميع ما لدى صوفية العالم الإسلامي من عقائد ضالة وبدع باطلة ومخالفات ظاهرة أو خفية أو دعاوى وشـطح كل ذلك قد قلـدهم فيه صـوفية اليمن في وقت ما أو مكان ما.

17. كما أظهرت الدراسة أن لسلاطين اليمن السـنيين وأئمته الزيديين دوراً كبيراً في نشر القبورية وتعميقها في البلاد

18. كما أظهرت الدراسة أن لوجود القبورية وانتشـارها آثـاراً سيئة كثيرة منها:

أ) إفساد عقائد كثير من النـاس بالشـرك الأكـبر والأصغر لتعلقهم بالأولياء وإيهـامهم أنهم يمـدون من اســـتمد منهم، ويعطـــون من دعــــاهم، وينفعونهم ويضرونهم بما لا يقدر عليه إلا الله.

ب) نشر الخرافة في الأمة حتى أصـبحت جـزءاً من حياتها.

5) نشر الســحر واســتخدامه باسم الكرامة والولايـــة، حــتى أصــبحت تقــرأ عن أوليــاء يوصـفون بأوصـاف جليلة جـداً، وتنسب إليهم كرامـــات عظيمـــة، وربما في نفس الترجمة يوصف بأنه يتقن علم أســـــرار الحــــــروف والأوفاق والرمل وما أشبه ذلك،ويتصــرف بها وهي من علـــوم الســـحر والكهانة مما يجعل الباحث في شك كبير من غالب أولئك الأولياء وتلك الكرامـــــات لاختلاط الكرامة بالســــحر والكهانة وعـــدم التقيد في صــــفة الأوليـــاء بالضوابط الشرعية.

8)كما أنه ترتب على ذلك نقص العلم الشــرعي وتجهيل الأمة وحصر التعلم في فئـــــــــــات محدودة.

هـ) وتـرتب على ذلك أيضـاً وجـود تمـايز طبقي وترفّع بعض الفئات على بعض مما كان له نتـائج سيئة على المجتمع.

19. واجه علمـــاء اليمن القبورية وتصـــدوا لها رغم ما كـــانت تقوم به من أساليب كثيرة لمواجهة هـؤلاء العلمـاء، منها اللجوء إلى الســـلطان، وتســـخير القبائل لضـــرب من ينازعها واستخدام الاختراق والاحتواء والتشـويه للخصـم، وقد يصل الأمر إلى التصفية الجسدية أو الضرب المبرح.

19.لعلماء اليمن مؤلفات قيمة نافعة في مواجهة القبورية كتبها علماء من سائر الجهات اليمنية.

020لقد كان لحركات التجديد السنية أثرها البالغ على القبورية في اليمن من حيث كبــح جماحها،
وتبصير الناس بمعايبها، وصدهم عن متابعتها، والحركات التي كان لها بالغ الأثر هي مدرســة
التجديد والاجتهاد التي ابتدأها ابن الوزير وتبعه عليها ابن الأمير والشوكاني وغيرهم من علمـاء
اليمن ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، ودعوة الإرشاد بإندونيسيا، وقد ترتـب على
ظهور هذه الدعوات هدم الكثير من المشاهد والقباب المقامة على أضرحة الأئمـة والأوليـاء في
فترات مختلفة.

هـذه أهم النتـائج الـتي خـرجت بهـا، ولا شك أن هنـاك فوائد ونتــائج أخــرى سيلمســها القــارئ من خلال مطالعته لهــذه الرســالة، أســأل الله أن يجعلها خالصة لوجهــه، ســالمة من الأغراض والأهــواء، نافعـة لي ولإخـواني المسـلمين إنه سـميع مجيب، والحمد لله أولاً وآخراً.